الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

Algerian Democratic Popular Repeblic

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Ministry of Higher Education And Sientific Research

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله

Algeria University

معهد الآثار

Archeology Institute

الانتشار السكاني بولاية سكيكدة في الفترة القديمة
-دراسة تاريخية وأثرية-

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار القديمة

إعداد الطالب

محمد تيش تيش عبد القادر

إشراف الأستاذ الدكتور

دربان مصطفى

أمام لجنة لجنة المناقشة

الإسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
ا.د/ دريسي سليم	استاذ التعليم العالي	معهد الآثار جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ.د/ دربان مصطفى	استاذ التعليم العالي	معهد الآثار جامعة الجزائر 2	مقررا
د/ عنان سليم	استاذ التعليم العالي	معهد الآثار جامعة الجزائر 2	عضوا
د/ خاشة السعيد	استاذ محاضر أ	جامعة سطيف	عضوا
د/ خلاف رفيق	استاذ محاضر أ	المركز الجامعي	عضوا
د/ طواهري حكيمة	استاذ محاضر أ	معهد الآثار جامعة الجزائر 2	عضوا

السنة الجامعية 2021-2022

شكر وعرفان

لله المنة من قبل ومن بعد ، وله الحمد والثناء كله ، فالحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، على كرم عطائه وتمام توفيقه ، وعلى ما أولانا به من اللطف والعناية في انجاز هذا العمل ، فبفضله هانت المشاق والصعاب وصارت في متناولنا الوسائل والأسباب وتهيأ لنا كل ما يلزم لبلوغ المراد ، فله حمدا كثيرا كيرا يوافي عظيم إحسانه وجزيل إكرامه.

ومن تمام شكر الله والثناء عليه شكر من أحسن إلينا من عباده ، خاصة الخاصة منهم من الأساتذة الأجلاء الذين أوكل الله إليهم رعاية عقولنا ، ويتقدمهم في هذا الباب ، الأستاذ المشرف دربان مصطفى ، الذي قبل بطيب خاطر الإشراف على هذه الرسالة ورافقني فيها بكل مودة ، نصحا وتوجيها وتسديدا وتصويبا وتحفيزا ولم يبخل على طيلة مدة انجازي لهذا البحث بما حباه الله به من العلم والمعرفة من أجل إتمامها على الوجه المطلوب ، فله مني جزيل الشكر والامتنان والاجلال دائما.

كما أتوجه بشكري الخاص للبروفيسور القدير محمد المصطفى فيلاح الذي كان له الفضل في اقتراح موضوع هذه الرسالة ، محفزا إياي عليه ، مع تقديمه كامل الدعم والتشجيع ، منيرا إياي بتوجيهاته القيمة وواضعا أمام عيني معالم الطريق للوصول به إلى الوجهة المنشودة ، فله شكر ممدود غير محدود.

هذا ، وللجميع دون استثناء ، ممن قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد ومن أخذ بيدي في ساعات الفتور والانكسار ، ومن رافقني وأعانني بالكلمة أو الوسيلة أو حتى بالرأي ، فعمل كهذا لم يكن ليرى النور لولا تلك المساعدات التي لا نلقي لها بالا والتي كانت تتكاثف من هنا وهناك لتصنع لنا الطريق فلهؤلاء جميعا ، الذين لا تسعهم قائمة ، امتناني الدائم وشكري الجزيل.

الإهداء

إلى والدي الكريمين..

إلى أفراد عائلتي.. فردا فردا..

إلى أسرتي الصغيرة.. الزوجة والبنتين.. نسرين وإلين..

إلى أساتذتي الكرام..

إلى أصدقائي في كل مكان..

إلى شرفاء هذا الوطن..

إلى أرواح الذين قضوا في سبيل الرسالات النبيلة..

أهدي هذه الرسالة.

قائمة المختصرات.

AAA :	***atlas archéologique de l'Algérie***
BCTH :	***bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques.***
Bull Ant de France :	***bulletin des antiquaires de France***
Bull de L'acad d'Hip :	***bulletin de l'académie d'Hippone***
CIL :	***corpus inscriptionvm latinarvm***
CM :	***Cardo maximus***
DM :	***Decumanus maximus***
HAAN :	***Histoire ancienne de l'Afrique du nord***
IL Al :	***Inscriptions latines de l'Algérie***
PAW	***Plan de l'aménagement de la Wilaya***
RA :	***revue africaine***
RSAC :	***recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine***

المقدمة:

سكيكدة، واحدة من بين أهم مدن الشرق الجزائري قديما وحديثا، وقد اكتسبت هذه الأهمية من خلال موقعها الجغرافي المطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط، مما سمح لها بلعب دور أساسي في ربط مختلف أقاليم المتوسط ببعضها فقد كانت بمثابة رأس جسر يربط افريقيا بجنوب اوروبا، هذا الدور سيكون له تأثير كبير على المصير التاريخي للمنطقة، بل هو الذي سيصوغ تاريخها عبر مختلف المراحل التي عرفتها منذ القديم إلى غاية اليوم.

لقد أدى مجيء الفنيقيين خلال مراحل الارتياد الباكر لحوض البحر المتوسط و حتى خلال مرحلة التوسع إلى بعث العديد من المدن في كافة الشريط الساحلي لهذا الحوض، حيث كان نصيب ولاية سكيكدة من هذا التأثير الفنيقي ميلاد مدينتين هامتين هما روسيكاد و شولو، بالإضافة إلى العديد من المراكز الأخرى و التي كانت نتيجة التفاعل الحيوي بين ميراث الثقافة المحلية و تلك الوافدة عليها، ثم أعقب التأثير الفينيقي على المنطقة تأثير روماني كان أعمق و أشمل من التأثير الأول، بحيث أننا لا نكاد نجد شبرا من تراب اقليم الولاية يخلو من البصمة الرومانية و من الأثار التي خلفها هؤلاء في المنطقة.

وبشكل ما، فإنه عقب هذا العنفوان الحضاري للولاية في الفترة القديمة نلاحظ أنها خلال المرحلة الوسيطة قد ولجت مرحلة من الفراغ التاريخي، وقد امتد هذا الفراغ ليشمل تقريبا كامل فترة القرون الوسطى، ولم يتسن للمنطقة العودة إلى أحداث التاريخي إلا من خلال بوابة الوجود العثماني في الجزئر في العصر الحديث، ولو أن هذه العودة كانت محتشمة جدا واقتصرت فقط على بعض النقاط العسكرية بهدف المراقبة وتأمين الأنشطة المحلية لسلطات البايلك بالمنطقة.

وبمجيء الفرنسيين واحتلالهم الجزائر بداية من سنة 1830 فإن ثورة جديدة سوف تجتاح البلاد قاطبة ومن بينها سكيكدة التي كان احتلالها سنة 1838 إيذانا ببداية صفحة جديدة من صفحات تاريخ الولاية المتشكل في معظم أوقاته من مجموعة من التعاقبات الاستيطانية بعضها متصادم ومتناقض وبعضها الآخر متشابك ومتداخل و هو ما أفرز لنا على مستوى الأرض نسيجا من الطبقات والتراكم الأثري الذي يصعب معه أحيانا فك تداخلاته.

و من الطبيعي جدا أن أختار في إطار تحضير هذه الرسالة موضوعا عن منطقة سكيكدة، التي ظلت منذ نهاية الحقبة الاستعمارية تشكو قلة الأبحاث و المعلومات بشأن تاريخها القديم، وقد كنت تطرقت في مذكرتي لنيل شهادة الماجستير إلى جزء من هذا التاريخ غير أنه اقتصر فقط على مدينة روسيكاد ، و لهذا قررت أن أخوض غمار معركة علمية أخرى، و هي التوسع أكثر حوالي المدينة استكمالا لما انجز من قبل و جمع ما أمكن من المعطيات التي تساعد في تشكيل صورة أشمل عن التاريخ القديم لولايتي التي نشأت بين

أحضانها، حيث رأيت أن أنسب عنوان يمكن اقتراحه لمثل هذه الرحلة العلمية هو الانتشار السكاني بولاية سكيكدة في الفترة القديمة، واضعا نصب عيني اشكالية أساسية تتمثل في سؤالي حول **مدى ما يكتنزه سطح اقليم الولاية من معطيات أثرية كفيلة بإعطائنا صورة عامة لنشاط الانسان في هذه المنطقة قديما؟ و إلى أي مدى كان الموقع الجغرافي للولاية مؤثرا على هذا النشاط؟ و ما هي أهم المميزات العامة لتراث الولاية الأثري و كيف كان توزيعه على الإقليم؟ و هل يمكن الوصول من خلال المخلفات الاثرية عامة و الايبيغرافية خاصة معرفة بنية المجتمعات التي استقرت بهذا الإقليم؟** فكل هذه التساؤلات هي التي مثلت محور الإشكالية التي حاولنا الإجابة عنها في هذا العمل.

من المعلوم أن تطور المناهج العلمية و تشعبها في وقتنا الحالي قد فرض على الباحث ان يختار أنسب الطرق الممكنة في معالجة اشكالياته المطروحة، بل إن طبيعة الاشكاليات ذاتها يتحكم في صياغتها عاملان أساسيان هما: نوعية الهدف الذي تصبو إليه الدراسة و حقيقة الميدان و معطياته، و هذان العاملان يتحكمان بشكل كبير في الجانب المنهجي للباحث، و يحددان نسق الموضوع الذي يشتغل عليه.

فللوصول إلى معرفة النشاط السكاني أو طبيعة الانتشار السكاني في فترة من فترات التاريخ وفي منطقة من مناطق جغرافيا العالم سنخضع يقينا لخصوصية الإطارين: الزماني والمكاني، وهو أمر مؤثر جدا في التحري العلمي حول معطيات الدراسة ومؤثر أيضا حتى في شكل ومخرجات الدراسة.

وبالتالي، فإن موضوع هذه الدراسة لا يهدف بالضرورة إلى الاحاطة ببالغ الدقة بآثار الولاية المختلفة، بقدر ما يهدف إلى استخلاص ما يمكن من المعطيات الأساسية التي تسمح لنا بتحقيق قراءة عامة لتاريخ وطبيعة الانتشار السكاني بالولاية في فترتها القديمة.

وعليه فقد ابتعدت في هذه الرسالة بسبب عذرية الميدان وخلوه من الدراسات العلمية المفصلة عن القيام بعمليات الجرد المألوفة، وانما فقط بانتخاب من خلال عملية المسح الشامل الذي قمت به عبر ربوع اقليم الولاية أهم المواقع والمخلفات الأثرية التي من وجهة نظري رأيت أنها تخدم صلب الموضوع وتسلط عليه ما يكفي من الضوء لتحقيق هدف الدراسة.

ولذلك فقد جاءت خطة العمل بشكل متدرج، من العام إلى الخاص و من الكل إلى الجزء، من خلال جملة من الأدوات المنهجية ما بين المنهج التاريخي والوصفي والمقارن والتحليل، بالإضافة إلى الأعمال الميدانية المتمثلة في المسح الاثري و القياسات و غير ذلك ضمن جملة من الفصول، تعرضت في الفصل التمهيدي منها إلى طبيعة الإطار الجغرافي للمنطقة، سواء من حيث الطبيعة الجغرافية والرسم الطوبوغرافي، وكذا المناخ السائد أو الذي كان سائدا قديما، دون أن نغفل التركيبة الجيولوجية وشبكة المياه، إذ أن كل هذه العناصر هي من الأساسيات المحددة لنشاطات الانسان.

ثم عمدت بعد ذلك إلى التفصيل في الإطار التاريخي للمنطقة، بالاعتماد على أهم ما وصلت إليه الأبحاث، سواء في عهد المدرسة الكولونيالية أو ما استجد من الأبحاث و الدراسات عقب ذلك، لكن و قبل ذلك من خلال ما ورد في نصوص القدامى من الاغريق و الرومان و حتى جغرافيي القرون الوسطى و مؤرخيها، حيث لاحظنا مدى شح المعلومات المستفيضة في هذا الجانب، فروسيكاد و شولو ثم مختلف المراكز الحضارية التي توزعت في فضاءاتهما لم تحظ بما يكفي من الاستقصاء التاريخي، إذ غالبا ما يتم الاكتفاء فقط بالإشارات الخفيفة التي لا تلبي شغف القارئ فضلا عن الباحث، و ربما أن أفضل ما تم انجازه في هذا الباب هو عمل المدرسة الكولونيالية على الرغم من توجهاتها و سلبياتها التي تحاول قدر ما أمكن القفز على سطور التاريخ من خلال التركيز أكثر على الارث الروماني، و هو توجه بات معروف اللقاصي و الداني، بل اننا نجده مصرح به في مختلف وثائق المستعمر الفرنسي، و بالاضافة إلى هذا التوجه، فإن ما انجز حول المنطقة حتى في ظل المدرسة الكولونيالية يظل غير كاف، و لا يطابق حجم ما يزخر به اقليم الولاية من مخلفات أثرية، و يمكن تفسير عزوف الباحثين عن تقصي تاريخ المنطقة إلى حجم ما لحق بآثارها من تخريب و نهب و تشويه، مما زاد من تعقيد و صعوبة التعرض لتاريخ هذه المنطقة.

ثم ختمت هذا الفصل بنبذة عن تاريخ الابحاث بالمنطقة، و هي الابحاث التي يمكن أن نعدها قليلة جدا بالنظر للتراث الاثري الهائل للولاية، و بمقارنتها أيضا بمثيلاتها في مختلف مناطق الوطن، و مثلما أشار إليه بول البير فيفريي Paul Albert Fevrier في مؤلفه عن تاريخ الابحاث الأثرية المغاربية من أن روسيكاد فقدت جاذبيتها لدى الباحثين عندما برزت مدن مثل تيمقاد و جميلة و لومبيز و تيديس و غيرها من المدن الرومانية التي حافظت على صورتها القديمة أمام العمران الجديد، و هو الامر الذي دفع بالكثيرين إلى الإغتراف من رصيد تلك المدن المثقلة بميراثها الأثري في مقابل مناطق تعاني حالة التشوه و الاضطراب ، و قد استعرضنا في هذا العنصر مختلف الاعمال الأساسية التي ما تزال تشكل إلى اليوم مرجعيات مهمة في مجال البحث الاثري للمنطقة مثلما سنراه لاحقا.

و في الفصل الأول من هذه الرسالة تطرقنا للمراكز الحضرية القديمة عبر اقليم الولاية، و كان النصيب الاوفر فيها لمستعمرة روسيكاد، و ذلك عائد بالاساس إلى كونها من أكبر المراكز بالاقليم، بل إنه يمكن رفع روسيكاد حتى إلى مصاف المستعمرات الكبرى و المهمة، أي تلك التي تحتل الصف الأول من المدن القديمة بشمال افريقيا، سواء خلال العهد القرطاجي، النوميدي أو الروماني، كما تعتبر من بين أكثر المراكز ثراءا بالمخلفات الاثرية في المنطقة، فهذه المدينة التي همدت لقرون طويلة تحت طبقات الأرض دون ان يعقبها اي استيطان لاحق، انبعثت ذات بداية احتلال فرنسي في شكل شهقة واحدة، باحت فيها بكل اسرارها ثم عادت من جديد إلى قبرها دون ان تتكلم مجددا، إذ توقفت بها الابحاث الأثرية بمجرد الانتهاء من بناء المدينة الكولونيالية على انقاضها، لكن و رغم ذلك فإن حجم ما تم استخراجه من باطنها من كنوز كان ليكون كافيا

- لو أنه حظي بما يستوجب من العناية و البحث – لكي يكتب لنا أدق تفاصيل تاريخها، إلا أن ذلك لم يحدث لأسباب يمكن أن نلخصها في الاستهتار المبالغ فيه بتاريخ المدينة و الذي لا تزال تعانيه إلى اليوم.

وقد تطرقنا في هذا العنصر إلى فيزيونومية المدينة وتوزيعها العمراني، خاصة في العهد الروماني، وهذا نتيجة الوفرة المعتبرة للمعطيات والدراسات، ثم إلى أهم المرافق المكونة لها من فوروم ومسرح ومعابد ومنشآت مائية وفيلات ومقابر وكل ما أمكن أن نعثر عليه من معطيات وبقايا أثرية، مبرزين من خلاله حجم التحول الحضاري الذي عرفته المدينة في تلك الفترة من التاريخ والدور الهام الذي لعبته في الحياة الاقتصادية.

و في العنصر الموالي تناولنا ثاني أكبر مركز حضاري بالولاية، و نعني به شولو أو القل اليوم، و قد اصطدمنا بواقع يختلف هذه المرة عن سابقه، حيث أن هذه المستعمرة القديمة على النقيض من روسيكاد كانت قد تشوهت نتيجة الاستيطانات المتعاقبة، مما استنزف رصيدها الاثري بسبب كثرة الاستعمال المتكرر لمعالمها في الانشاءات الجديدة خلال القرون الطويلة، بحيث أننا لم نعثر سوى على بعض الأثار هنا و هناك، و التي لسوء الحظ لا توفر سوى قدرا ضئيلا من المعلومات حولها، إذ حتى المحاولات التي جرت خلال المرحلة الاستعمارية بغية الوصول إلى تحديد صورة المدينة قديما لم تكلل بنجاح و حال دونها الوضع الذي تعرضت له المدينة، هذا فضلا عن قلة من حاول ذلك و تجرأ عليه.

أما بقية المراكز الاخرى، فباستثناء كاستلوم كلتيانوم الواقعة بإقليم بني وألبان، فإنها لم توفر لنا إلا معطيات أقل، فرغم أن بعضا من هذه المراكز قد أشير إليه منذ القدم، على غرار باراسيانس، تاكتوا، بالما، فيلا سال، ندبوس، إلا أننا لم نجد من المعطيات ما يكفي للتفصيل حولها بما يتناسب مع الاشارات القديمة إليها، واكتفينا فقط بما استطعنا جمعه من المادة المحدودة التي تسمح لنا بفهم وضعيتها ضمن التوزيع الجغرافي للانتشار السكاني.

في الفصل الثاني و الثالث رأينا ضرورة تقديم جملة ما يزخر به اقليم الولاية من أثار ريفية، في شكل بطاقات تقنية، و قد قمنا بتقسيم هذه الأثار إلى قسمين، قسم يتعلق بالأثار الجنائزية العائدة إلى فجر التاريخ و الأثار الليبوفينيقية أو ما يصطلح عليها ايضا بالنوميدوبونيقية، و قد رأينا من الناحية المنهجية أن نضع كل ذلك تحت عنوان عريض هو " ما قبل رومانية " لا لشيء إلا لأن هذه الأثار مجتمعة لا تشكل إلا جزءا يسيرا بالمقارنة مع الأثار الريفية العائدة إلى الفترة الرومانية، كما أنها من الناحية الكرونولوجية تدخل في صميم المرحلة القديمة باعتبار أن فجر التاريخ في شمال افريقيا يمتزج إلى حد بعيد بالفترة القديمة منه، و قسم يتعلق بالأثار الريفية الرومانية، و هذا الأخير يتميز بالغنى و التنوع و يستوجب افراده بالدراسة المستقلة.

وفي كلا القسمين أو الفصلين فإننا قمنا فقط بانتخاب المواقع التي من الناحية المنهجية تخدم موضوع رسالتنا، وذلك لاستحالة ايرادها جميعا في متون هذه الدراسة، فذلك لا يسعها جميعا، كما لاحظنا أن كثيرا من المواقع تتشابه نمطيا، مما يغنينا ذلك عن الحديث عنها كونها لن تقدم لنا أي جديد.

وقد اعتمدنا في تصميم البطاقة التقنية في جميع المواقع على جدول يحوي مختلف المعلومات الأساسية للموقع، من مثل التعيين، الانتماء الاقليمي، الاحداثيات الفلكية، الوضعية القانونية، الفترة الزمنية، البيبليوغرافيا، وأرفقنا الجدول بخريطتين عن غوغل ايرث (Google earth) أوضحنا عليهما بالتحديد الموقع الجغرافي، ثم أوردنا بعد ذلك وصفا للمواقع مرفقا بالصور، وفي ختام كل فصل قدمنا قراءة تحليلية موجزة عن عن تلك الأثار وما تنطوي عليه من قراءات ودلائل عن الانتشار السكاني قديما مرفقة بخرائط.

أما الفصل الرابع والاخير، فإننا تناولنا فيه المجموعات المتحفية والرصيد الايبيغرافي للولاية، باعتبار أن ذلك يمثل زبدة النشاط السكاني ويمنحنا من خلال استعراضه وتحليله فهما أعمقا لطبيعة الاستيطان القديم بإقليم الولاية.

ففيما يخص المجموعات المتحفية فقد رأينا ضرورة توزيعها وفق طبيعة انتشار المراكز الحضارية و أهم التجمعات العمرانية في الولاية حتى يسهل تحليل مضامينها بنسبتها إلى أماكن اكتشافها و حتى نتمكن أيضا من تقدير أهمية كل مركز من خلال رصيده المتحفي، و لو أننا نشير هنا كذلك إلى مدى الاستنزاف الذي تعرضت له أثار الولاية، خاصة في بداية الاحتلال الفرنسي، إذ تم نهب و تشتيت مختلف اللقى التي عثر عليها في بادئ الأمر و تحويلها إلى مصير مجهول، أما خلال مرحلة الاستقلال فالأمر لا يقل سوءا، لذلك فما هو موجود في هذه الرسالة لا يمثل في الحقيقة إلا ما تم استنقاذه من بين الأيادي العابثة و ما أمكن لطالب في طور الدكتوراه ان يصل إليه في إطار محدودية الوسائل المتاحة بين يديه، حيث أنه كان بالامكان تتبع مصير الكثير من القطع المهمة المودعة في مختلف متاحف الوطن و المتاحف في الخارج من خلال المراجعة الدقيقة للوثائق و الكتابات الكولونيالية.

و يبقى مركز روسيكاد من أغنى و أثرى المجموعات المتحفية، و كان بالإمكان أن يكون الرصيد أضعافا على ما هو عليه لو لا الحريق الذي اندلع بالمتحف الأثري فليب فيل سنة 1953 و أدى إلى قرار هدم بنايته و تشتيت مجددا تحفه الأثرية التي فاق عددها 3000 قطعة أثرية من مختلف الأنواع في مستودعات المدينة، و قد جرت العديد من المحاولات في فترة الاستقلال لاسترجاع هذه الكنوز و تخصيص متحف لائق بها، إلا أن كل ما تم تحقيقه في هذا المسعى هو فقط خلق فضاء متحفي لإيواء مجموعة من القطع التي كانت مودعة في مستودع معمل صناعة الغليون سابقا (فاساس)، و التي اكتشفت عرضا أثناء إقامة محطة

المسافرين – محمد بوضياف- و كذلك حديقة أثرية بجانب المسرح الروماني، حيث كانت مودعة هناك مجموعة أخرى من القطع ذات العدد المعتبر (أكثر من 400 قطعة).

أما بقية المجموعات الأخرى، فهي ذات عدد متواضع جدا، فمدينة القل لا يفوق بهاعدد القطع الموجودة في الحدائق العامة العشرين قطعة، وكذلك بالنسبة لحديقة بني وألبان، ولعلى الرصيد الوحيد المهم في ذلك، هو ذاك الذي تم استرجاعه من طرف مديرية الثقافة لولاية سكيكدة من لدن مختلف الجمعيات التي كانت تنشط في مجال حماية الأثار، حيث أودع كل ما تم استرجاعه بمخازن المتحف العمومي سيرتا بقسنطينة، حيث قمنا بتقديم بعض هذه القطع في شكل بطاقات تقنية بسيطة.

وفي العنصر الموالي تطرقنا للألبوم الايبيغرافي للولاية، مستعنين في ذلك بمدونة النقوش اللاتينية (CIL) الذي أعده ويلمانس والجزء الثاني من النقوش اللاتينية للجزائر (ILAl. II) لستيفان قزال، بالاضافة لبعض الأبحاث التي تناولت هذا الجانب بروسيكاد، و نظرا للكم الهائل من المادة الايبيغرافية فقد اقتصرنا فقط على بعض النماذج التي توفر لنا معطيات محددة تخدم موضوعنا، من ذلك أنني قمت باختيار نماذج للكتابة التذكارية و ترجمتها إلى العربية بهدف الوصول إلى معرفة رتب التجمعات العمرانية التي وجدت في تلك الكتابات و كذلك التعرف على أهم الوظائف و المؤسسات السياسية التي انتشرت بالمنطقة، كما انتخبت ايضا بعض النماذج عن الكتابات الجنائزية لمعرفة الاسماء و الكنى المنتشرة بمجال الدراسة، و سجلت خلاصة ما توصلت إليه من خلال تلك النماذج في جدولين يمثلان الحوصلة العامة و ليست النهائية لما يمكن للايبغرافيا المحلية بروسيكاد و ضواحيها أن تمدنا به من معلومات، ثم قدمت في الأخير قراءتي لنتائج هذه الدراسة، والتي يجب الاعتراف هنا بأنها الأولى بالنسبة لولاية سكيكدة إذا ما استثنيا تلك التي تناولت هذا الموضوع ضمن بعض الأطاريح الأكاديمية في شكل عناصر أو تلك التي اجتزأت منها فقط بعض النقوش التي تخدم فقط موضوعاتها.

وفي نهاية الفصول الأربعة قدمنا خاتمة احتوت على أهم نتائج هذه الدراسة، حاولنا استقراء فيها ومن خلال الميدان الأثري ومختلف الوثائق المدونة عن المنطقة طبيعة الانتشار القديم بها، وصيرورة هذا الانتشار وسيرورته التاريخية، والتي نأمل أن تشكل لبنة أولى في مشوار دراسي طويل ودقيق حتى يتسنى الوصول مستقبلا إلى فهم تلك الديناميكية التاريخية التي عرفها اقليم ولاية سكيكدة قديما.

أما فيما يتعلق بالمراجع والمصادر التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، فقد أردنا أن تكون تشكيلة متنوعة من الأبحاث والدراسات التاريخية والأثرية حتى نتمكن من إيفاء هذا الموضوع حقه، وقد قمنا بالتفصيل في ذلك في عنصر تاريخ الابحاث من الفصل التمهيدي لهذه الرسالة، ولكن لاباس أن نجمل في هذه المقدمة ما قد فصلناه هناك.

فككل أثري جزائري فإن الوجهة الاولى المطلوبة في مثل هذا النوع من الدراسات هي الاطلس الاثري للجزائر لستيفان قزال، حيث اعتمدنا على هذه الموسوعة الأثرية في تحديد أهم المواقع الأثرية التي تكتسي أهمية جوهرية في موضوع هذا البحث، لننتقل بعد ذلك إلى لملمة مادة هذه الدراسة من مختلف المراجع الأخرى، سواء الكولونيالية أو تلك التي انجزت عقب ذلك.

ومن بين أهم الأعمال التي اعتمدنا عليها هي ذاك التقرير المفصل لعمليات المسح التي قام بها الرائد دومارسيي – قائد فرقة الهندسة العسكرية- والذي كان خلال بدايات الاحتلال الفرنسي على احتكاك دائم مع المخلفات الأثرية بإقليم المنطقة، وقد سجل لنا معلومات ذات أهمية بالغة في ذلك التقرير عن معالم ومواقع أثرية اختفت بعد ذلك، ونتيجة لأهمية التقرير القصوى فقد نشر بأول أعداد مجلة الجمعية الأثرية لقسنطينة سنة 1853.

ومن بين التقارير المهمة أيضا في تلك الفترة هي الدراسة التي أعدها كل من جول شاباسيار ولويس برتران عن فيزيونومية مدينة روسيكاد، حيث شكل هذا العمل دعامة أساسية لكل من رام دراسة مدينة روسيكاد وتوزيع مختلف مرافقها، وهو عمل استفدنا منه كثيرا عندما عرضنا للمركز الحضاري روسيكاد.

يجب التنويه هنا أن مدينة فليب فيل أو روسيكاد قد حظيت اكثر من غيرها في العهد الكولونيالي بالدراسة و الكتابات، حيث نجد عددا لاباس به من المراجع التي تم افرادها لهذه المدينة، منها كتاب فناك Fenech "تاريخ فليب فيل" الذي يعد أول كتاب أفرد لهذه المدينة، و قد احتوى معلومات وفيرة عن المراحل الاولى لإنشاء المدينة الجديدة على انقاض المدينة الرومانية، كذلك كتاب شارل فار Charles vars الذي يمكن اعتباره بمثابة مونوغرافيا عامة عن مدينة روسيكاد و سطورة في القديم، إذ يتشكل هذا الكتاب من مادة دسمة للغاية فيما يتعلق بالتاريخ الروماني لروسيكاد و كذلك معطيات اوفر حول مختلف معالمها لتلك الحقبة، كما نجد أيضا كتبا أخرى تتحدث عن التاريخ الكولونيالي لفليب فيل مع لمحات عن تاريخها الروماني القديم على غرار مؤلفات كل من : لويس برتران، ادوارد صولال، ليدرمان.

هذا عدا العدد الكبير من المقالات والتقارير التي نشرت في مختلف الدوريات الكولونيالية (RASC، BCTH، Bul Acc Hipone، bull Ant France، RA، ....) و غيرها الكثير مثل ما هو مثبت في متون هذه الدراسة، و من بينها تلك التي تناولت بعض المناطق المعزولة، على غرار الجهة الغربية للولاية، كتلك التي قام بها لوسياني في رحلته الاستكشافية إلى مناطق القل سنة 1886، حيث قام من خلالها بمسح شامل لهذه المناطق و فصل في كثير من بقاياها الأثرية، و قد اعتمدنا على عمله هذا في التعرف أكثر على المحتوى الأثري لتلك المناطق و كانت لنا سندا كبيرا في هذه المهمة، وكذلك تلك التي قام بها ماسكراي و

ريبو فيما يخص كاستلوم كلتيانوم، فكل هذه المقالات لحسن الحظ غطت فراغا كبيرا عرفته تلك الجهات التي لم تحظ إلا باهتمام قليل إلى اليوم.

بالاضافة إلى هؤلاء نجد أيضا كل من شاريي وجوزيف بارس والنقيب هيلو الذين قاموا بأعمال حفر أثري بمدينة القل وقاموا بنشر نتائجها في الدوريات السابقة الذكر، وقد تميز في هذا الجانت جوزيف بارس الذي قام بتأيف مونوغرافيا مصغرة لمدينة القل احتوت تقريبا على جميع ما تم انجازه من أبحاث اثرية بهذه المستعمرة القديمة.

كما كنا قد اعتمدنا ايضا في التعرف على هذه الجهات المنسية على مختلف التقارير التي انجزت في فترة الاستقلال بهذه المناطق، و منها تقرير المحافظة نصيرة بن صديق إلى مدينة القل، و تقرير الباحث كمال مداد إلى موقع دومبو، و تقرير الحفرية الأثرية المنجزة من طرف المركز الوطني للبحث في علم الأثار CNRA بمسجد سيدي علي الكبير و عديد التقارير المنجزة من طرف مديرية الثقافة بالولايةن بالاضافة إلى بعض المقالات الجزائرية على منصة ASJP كمقالات الدكتور زرارقة مراد حول المعالم الميقاليتية و شبه الميغاليتية في الجزائر و المجاهد الدكتور محمد الصغير غانم حول الاثار البونية و غيرهم من الباحثين الجزائريين.

و بالعودة إلى المراجع المتخصصة، فقد اعتمدنا بنسبة كبيرة في عنصر الدراسة الايبغرافية على مجمع الكتابات اللاتينية CIL و مجمع الكتابات اللاتينية بالجزائر ILA II، و كذلك اطروحة الدكتوراه للدكتور توفيق حموم حول النخب الإدارية بإقليم نوميديا، و مذكرة لنيل شهادة الماستر 2 لصاحبها مونطاني جيوفروي Montagne Geofroy, les notables minicipeaux en Numidie ومقالة علمية ل كلود بريون بونصارت Claude Briand-Pansart حول les lancers de cadeaux (missilia) en Afrique du Nord romaine، و بعض المقالات المنشورة على المنصة الرقمية للمجلات الجزائرية ASJP ، كمقال الدكتورة جهيدة مهنتل حول مساهمة الكتابات اللاتينية في المحافظة على التراث الثقافي في الجزائر، و مقال للدكتور محمد آكلي اخربان الذي تناول فيه التعمير البشري بمدينة قالمة، و دون أنسى التنويه بالمساهمة القيمة للعالم الفرنسي **Yahne Le bohec** الذي ساعدني على ترجمة وفهم العديد من النصوص الايبيغرافية.

هذه هي تقريبا وباختصار شديد مختلف المراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة أو التي ساهمت بشكل كبير في بلورة هذه الدراسة، وقد تحاشيت ذكر مختلف المصادر والدراسات والأبحاث لأن عددها كثير، وكنت قد فصلت فيها أكثر في العنصر المتعلق بتاريخ الأبحاث.

و في الأخير، تجدر الاشارة إلى أنني كنت قد واجهت أثناء انجازي لهذه الرسالة العديد من الصعوبات التي كان لها أثر مباشر على سير الدراسة و مخرجاتها، من ذلك شساعة مساحة اقليم ولاية سكيكدة، حيث تعتبر الولاية من بين أكبر الولايات الشرقية للوطن مساحة، و المقدرة بـ 4026 كم^2، فهي أكبر من مساحة ولاية قسنطينة و عنابة و جيجل، هذا فضلا عن طبيعتها الطبوغرافية المعقدة، و المشكلة في معظمها من سلاسل جبلية ذات انحدارات شديدة و كثافة غابية معتبرة، مما جعل من التنقل بين مختلف مناطقها أمرا بالغ الصعوبة، حيث غالبا ما كنت أقطع كيلومترات طويلة سيرا على الاقدام في ظروف صعبة للغاية من أجل الوصول إلى بعض المواقع الاثرية، و بالإضافة إلى صعوبة المسالك و وعورة التضاريس فإن بعض المناطق بالولاية شبه محظورة على الاشخاص بسبب الوضع الأمني، خاصة بالمناطق في أقصى غرب الولاية، ضف إلى ذلك تواجد الكثير من المواقع داخل نسيج غابي كثيف و هو ما اضطرني إلى القيام في بعض المواقع إلى عملية تطهير شاقة للموقع قبل مباشرة اجراءات الدراسة، كما أن تواجد مواقع أخرى ضمن ملكيات خاصة شكل أيضا حائلا أمامي للقيام بالعمل الميداني بالشكل المطلوب.

و من الصعوبات أيضا التي واجهتني طبيعة الموضوع في حد ذاته، إذ تبين لي أنه ليس من السهل الالمام بموضوع ذو عناصر و أبعاد متعددة وتوجيهها في خط واحد بغية الوصول منه في النهاية إلى إجابات محددة، خاصة عندما تكون هذه العناصر عبارة عن شواهد مادية دامغة - و ليست مجرد أفكار و كتابات هنا و هناك- و يستدعي التحري عنها بذل الكثير من الوقت و الجهد و الوسائل، لذلك فقد أخذ مني هذا الموضوع وقتا طويلا قبل الوصول فيه إلى خطة عمل مناسبة، و لو أنني أعترف بتقصيري في بعض جوانبه و في بعض العناصر التي كان بالإمكان اشباعها أكثر بالمعطيات، غير أن مرد ذلك يعود بالدرجة الاولى لكثرة الارتباطات المهنية و العائلية و الامكانيات المحدودة التي أتوفر عليها.

كما كان أيضا لقلة المراجع وتفرقها في مختلف الدوريات ومراكز الأرشيف والهيئات الإدارية وطبيعة الاجراءات الإدارية والقانونية نصيبه هو الآخر في تعطيل سير هذه الدراسة، حيث كان يستغرق أحيانا الوصول إلى المعلومة أو الترتيب لزيارة موقع من المواقع أو معلم من المعالم أياما وأسابيع وفي بعض الأحيان أشهرا من السعي الحثيث.

وبالعودة للمراجع والدراسات السابقة لإقليم الولاية فيجب التوضيح بأن ولاية سكيكدة تعتبر عذراء في مجال الأبحاث الأثرية والتاريخية، إذ يمكن عد الأبحاث والدراسات في هذا الجانب على أصابع اليد الواحدة، فعدى ما انجز في المرحلة الكولونيالية على قلته - إذا استثنينا مدينة روسيكاد- فإن ما تم انجازه بعد ذلك لا يكاد يذكر، وهو أمر له باعه في التأخير أو الدفع بعملية البحث قدما إلى الأمام.

وفي نهاية هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أقول بأن ما انجز في هذا العمل هو مجرد بداية للاطلاع على ما تزخر به ولاية سكيكدة من مقومات أثرية وما تنطوي عليه هذه المقومات من إرث تاريخي يمكن استنباطه من خلال ما يمكن انجازه مستقبلا من أعمال أكاديمية وأبحاث ميدانية، ولا يسعني إلا أن آمل وأتمنى أن يشكل عملي هذا المتواضع جزءا من الجهود المبذولة في هذا المسعى.

الفصل التمهيدي

1- الإطار الطبيعي.

1.1- الموقع الفلكي:

فلكيا، تقع ولاية سكيكدة بين دائرتي عرض 20' 30° جنوبا و00' 37° شمالا وخطي طول 15' 6° غربا و30' 7° شرقا.

1. 2- الموقع الجغرافي:

انبثقت ولاية سكيكدة – الواقعة بالساحل الشرقي للقطر الجزائري - عن التقسيم الاداري لسنة 1974 م، يحدها غربا ولايتي جيجل وميلة، ومن الجنوب ولايتي قسنطينة وقالمة، ومن الشرق ولاية عنابة، أما من الشمال فيحدها البحر الأبيض المتوسط. (الشكل 1).

تتكون الولاية من 13 دائرة و38 بلدية، تبلغ مساحتها 4026 ك م2، بينما يصل طول شريطها الساحلي 140 كم، ممتدا ليغطي تقريبا كامل ماكان يطلق عليه في الفترة القديمة " خليج نوميذيا "، أي ذاك الخليج الممتد من رأس الحديد شرقا الى رأس بوقارون غربا.

تجدر الاشارة الى ان هذا الخليج هو من أكبر الخلجان على مستوى القطر الجزائري وأكثرها اندفاعا باتجاه الشمال، حيث أن رأسي كل من رأس الحديد وبوقارون يتجاوزان دائرة العرض الشمالية 37°.

الشكل 1: صورة تمثل الحدود الاقليمية لولاية سكيكدة عن Google earth بتصرف.

1. 3- المناخ:

يسود الولاية مناخ متوسطي و المتميز بعموم اعتداله طيلة السنة، فمناخ البحر الابيض المتوسط حار و جاف صيفا و ممطر- دافئ شتاء، و تعرف المناطق الغربية للولاية أعلى نسب لتساقط الأمطار في الجزائر كما تؤكده إحصائيات مصالح الأرصاد الجوية الجزائرية حيث تفوق 1000 مم سنويا، أما على مستوى المناطق الجنوبية للولاية فإن نسب التساقط تتروح بين 600 إلى 800 مم سنويا[1]، و هو ما يقسم الولاية عموما إلى قسمين مناخيين، رطب في القسم الشمالي و شبه رطب في القسم الجنوبي، أما الرياح، فالمنطقة تعرف اتجاهين متعاكسين، إذ غالبا ماتهب الرياح الشمالية و الشمالية الغربية (بحرية) في فصل الشتاء و تكون باردة جدا، أما صيفا فتغلب على المنطقة الرياح الجنوبية يتخللها بين الحين و الأخر رياح السيروكو .sirocco

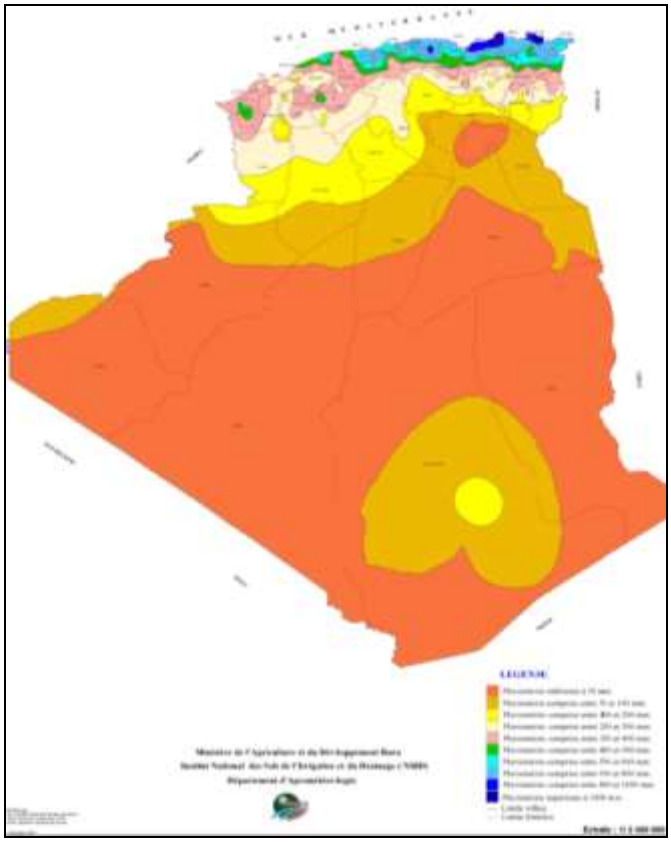

الشكل 2: خارطة تمثل نسب التساقط السنوي عبر الوطن، عن الموقع الرسمي للأرصاد الجوية: www.meteo.dz

[1] - Plan d'aménagement de la Wilaya de Skikda, phase 1. Evaluation territoriale et diagnostique, A.N.A.T direction régionale Est, Guelma. P33.
- www.meteo.dz

و يبدو أن المناخ سواء بمنطقتنا محل الدراسة أو حتى على مستوى شمال افريقيا لم تعتريه تغيرات تذكر، على الأقل ابتداءا من المرحلة التاريخية كما يراه ستيفان قزال (St Gsell) الذي أفرد فصلا هاما من موسوعته "التاريخ القديم لشمال افريقيا" عن مناخ المنطقة مؤكدا - بعد استعراض مفصل لأقوال القدامى من المؤرخين أمثال هيرودوث، تيوفاست، ديودور الصقلي، بومبنيوس ملا و غيرهم و بعد استعراض الأدلة الأثرية التي غالبا ما تكون أكثر موضوعية و أقرب للدقة العلمية إلى القول أن: " شمال افريقيا كانت خاضعة لمناخ شديد الشبه بالمناخ الحالي إن لم يكن مماثلا له، الجفاف المألوف في الصيف و الذي قد يمتد أحيانا طيلة السنة و الأمطار غير المنتظمة التي غالبا ما تكون غزيرة، و لو أنها تقل عموما داخل البلاد مقارنة بالمناطق المجاورة للمحيط و البحر المتوسط و ذلك انطلاقا من رأس جبل طارق إلى بونة ...و أن الصحراء كانت صحراء في ذلك الوقت على النحو الذي نراه اليوم"[2]

1. 4- المظهر الجيومورفولوجي:

يتميز السطح الجغرافي للولاية بمجموعة من التشكيلات الفيزيائية المتباينة، تتنوع ما بين الكتل الجبلية والهضاب والمنخفضات السهلية، والتي ساهمت في تشكيلها حركات تكتونية تعود الى الزمن الجيولوجي الرابع.

ا- **الجبال**:

يمكن إجمالا تقسيم سطح الولاية الى قسمين رئيسيين بحسب طبيعة التضاريس الجبلية التي تميزها:

قسم ساحلي يتميز بكثافة جبلية مغطاة بغابات كثيفة تمتد من سهل جيجل الى حدود سهل عنابة تقطعها مجموعة من المنخفضات السهلية بكل من القل، سكيكدة، فلفلة، ويصل أعلى ارتفاع لهذه الكتلة بالمنطقة الغربية إلى حدود 1183م – جبل القوفي- قريبا من مدينة القل- أما من الجهة الشرقية فإن أقصى ارتفاع لا يتجاوز 700م – جبل العالية- بمنطقة فلفلة، وأهم ما يميز هذه السلسلة الجبلية هو شدة انحدارها التي تفوق في مجملها نسبة 25°3.

قسم جنوبي يتميز بسلسلة من التضاريس المنتظمة و الأقل حدة، و أهم ما يميز هذا القسم هو وجود سلسلة جبال قسنطينة المتوضعة على أقاليم كل من بلديات ام الطوب و بني والبان و عين بوزيان و التي يغلب عليها الطابع الكلسي (calcaire)، كما أنها تعد امتدادا لسلسلة جبال جرجرة حيث تأخذ اتجاه شمال غرب، و يمثل جبل سيدي ادريس ببلدية بني والبان أعلى ارتفاع لهذه السلسلة ب 1364م، أما بقية المساحات

[2] Stéphane Gsell, *Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord* ,Paris : Librairie Hachette, 1920 t. I, P 81.

انظر كذلك: سمير ايت اومغار، مناخ شمال افريقيا خلال الفترة الرومانية، مقاربات جديدة، *Hespéris-Tamuda LII (1) (2017)*: 49-81

[3] PAW Skikda, ibid. p29

بهذا القسم فهي عبارة عن هضاب أو تلال و بعض المنخفضات ذات الانحدارات ضعيفة الشدة، أقل من 25° و ارتفاع يتراوح من 0 الى 200م4.

ب- **السهول**: يتوفر اقليم ولاية سكيكدة على ثلاثة سهول كبرى هي:

سهل وادي قبلي (غربا): يتموضع هذا السهل بين سلسلة جبال القل وصولا الى ساحل البحر، مخترقا بلديات تمالوس، كركرة، القل، بنسبة انحدار اقل من 12° وارتفاع لا يتعدى 100م.

سهل وادي الصفصاف (في الوسط): ينفتح هذا السهل في منتصف السلسلة الجبلية الساحلية في اتجاه جنوب شرق وصولا الى منطقة الحروش في شكل قسمين متناسبين وبارتفاع يقارب احيانا 200م، ويتصل بهذا السهل سهل صغير جنوبا من مدينة سكيكدة وهو سهل الزرامنة الذي هو عبارة عن مصطبة حديثة تزدهر فيها زراعة الكروم والحمضيات وتتوضع عليها مناطق عمرانية (حي الزرامنة وحي مرج الذيب).

سهل وادي الكبير(شرقا): يقع هذا السهل بين سلسلة جبال فلفلة في الغرب وجبال الايدوغ في الشرق، ويعد امتدادا لسهل صنهاجة حيث المنطقة الرطبة، كما أنه يتصل بسهلي بن عزوز وعين شرشار بنسبة انحدار اقل من 12° وارتفاع لا يتعدى 200م5.

1. 5- الشبكة المائية:

فيما يخص الشبكة المائية للولاية ونظرا لطبيعة الرسم الجيومورفولوجي للسطح فقد نتج عن ذلك ثلاثة أودية كبرى تخللت المنخفضات السهلية السالفة الذكر وهي كل من واد قبلي غربا وواد الصفصاف في الوسط والواد الكبير شرقا، ويتصل بهذه الأودية الكبيرة عدد هائل من الأودية الفرعية المتوسطة والصغيرة، (الشكل 3)، بالاضافة الى وجود بعض المناطق الرطبة على غرار المنطقة الرطبة صنهاجة التي تتقاسمها كل من ولايتي عنابة وسكيكدة.

- **وادي قبلي**: وينبع هذا الوادي من مرتفعات سيدي ادريس مخترقا العديد من البلديات على مسافة تزيد عن 40 كم بداية ببلدية بني وألبان، ام الطوب، تمالوس، كركرة حيث يصب في البحر شرقا من مدينة القل، وتتميز ضفاف الوادي بترسبات سهلية عالية الخصوبة استقطبت حولها منذ القديم تركيزا معتبرا للنشاط البشري بالمنطقة، كما هو الشأن بالنسبة لمدينة كلتيانس الرومانية.
- **وادي الصفصاف**: يتوسط هذا الوادي اقليم الولاية و ينبع من مرتفعات اولاد احبابة و يخترق العديد من البلديات منها بلدية زردازة، الحروش، رمضان جمال، بني بشير، حمادي كرومة و أخيرا بلدية سكيكدة حيث يصب في البحر شرقي المدينة حيث كان يشكل هناك دلتا كبيرا بالتقائه مع وادي

4 PAW Skikda, Ibid, p 29

5 Ibid., p 32

الزرامنة الذي يعتبر ثاني أهم الأودية بوسط الاقليم، و ينبع هذا الأخير من مرتفعات سطيحة في الاتجاه الجنوبي الغربي لمقر الولاية على مسافة 25 كم، مخترقا بلديات بوشطاطة محمود، الحدائق، سكيكدة، و قد نشأت حول هذين الواديين منذ القديم العديد من المراكز العمرانية أهمها روسيكاد.

- **وادي الكبير**: تنبع مياه هذا الوادي من مرتفعات الركنية في الاتجاه الشرقي الجنوبي لمقر دائرة عزابة ويجري على مسافة حوالي 50 كم شمال- شرق ليصب في شاطئ المرسى مخترقا العديد من البلديات منها عين شرشار، بكوش لخضر، بن عزوز، وتتميز ضفافه بوجود مساحات سهلية معتبرة ذات خصوبة عالية، إلا أن المساحات القريبة من الساحل منه عبارة عن سهول
- تغلب عليها طبقة من الرمال والمستنقعات الرملية، كما قد انشئ مؤخرا على مستوى بلدية بكوش لخضر سدا كبيرا لاستقبال مياه الوادي.
-

الشكل 3: الشبكة المائية بولاية سكيكدة أرشيف مديرية الموارد المائية لولاية سكيكدة.

1. 6- **البناء الجيولوجي**:

تنتمي المنطقة الى التل الشرقي الجزائري الذي يشكل وحدة بنائية تتميز بتاريخها الطويل و المعقد، تتجسد في مجموعة الجبال الملتوية للزمن الجيولوجي الثاني و الثالث و قد تعرضت المنطقة قديما الى

تشوهات تكنونية متنوعة، فهي تقوم على كتلة من الصخور التي يطلق عليها الركيــزة القبائلية (socle Kabyle) العائدة الى الزمن ما قبل الكمبري و أول الزمن الجيولوجـــــــــــــــي الأول (Paléogène)، و ما يميز هذه الكتلة هو وجود مرحلتين تكتونيتين، إحداهما ما بين الديفوني (Dévonien) و الستيفاني (Stéfanien) و الأخرى ما بين البارمي (Permien) و اللياس (lias)6.

كما أدى نشاط الحركة الألبية في بداية اللوتيسيان (lutétien) إلى ضغط و تمدد الطبقات الصخرية و هو ما أدى إلى الرفع الكلي للتضاريس مساهما بذلك في رفع الكتلة القبائلية التي لعبت في ذلك الوقت الحاجز الطبيعي الفاصل بين عملية الترسيب البحري في الشمال و القاري في الجنوب، و في المقابل تعرضت مناطق أخرى للارتفاع و الهبوط.[7] (الشكل 4).

ويعد الزمن الجيولوجي الرابع، لاسيما البليستوسين العلوي، المرحلة التي تميزت بظهور مختلف الأشكال التي نراها اليوم على سواحلنا، فالنشاطات التكتونية لهذا العصر كانت المحرك الأساسي لعمليتي التقدم والتراجع البحري التي خلفت وراءها ترسيب كميات هائلة من المواد المختلفة والمتوضعة على مستويات متعددة من سواحلنا.

وعموما فإن ليتولجية المنطقة تتسم يتنوع معتبر يمكن تصنيفه الى ثلاثة أنواع رئيسية:

-**الصخور الرسوبية**: و هي عبارة عن توضعات الزمن الرابع و قد ساهمت عوامل التعرية المختلفة و لاسيما التعرية النهرية في تشكيلها، و تتمثل هذه المجموعة في التكوينات الرملية و التي يصل سمك بعضها في بعض الأماكن إلى 30م، إضافة إلى صخور الكونغلوميرا و مجموع التكوينات النهرية كالغرين، الطين و الطمي، و عموما فالصخور الرسوبية بسكيكدة تنقسم الى عائلتين كبيرتين، إحداها طينية و الأخرى رملية، و قد بين "مار" (A. Marre) من خلال عملية التنقيب التي أجراها على مستوى سهل سكيكدة وجود سمك 71م من التكوينات المارينية من زمن البليوسين تحت تكوينات الزمن الرابع مما يدل على عملية ترسيب في وسط بحري[8].

-**الصخور المتحولة**: وهي التي تحتل الجز الأكبر من المنطقة، حيث نجدها في الجهتين الشرقية والغربية، وتتمثل أساسا في العنايس، الشيست، ميكاشيست وكل التكوينات القديمة للركيزة القبائلية.

---

[6] نجوى اسماعلي، تطور الساحل الجزائري وانعكاسات التهيئة (حالة ساحل سكيكدة)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تهيئة الأوساط الفيزيائية، كلية علوم الارض، جامعة منتوري، قسنطينة 2006/2005. ص 18.

[7] نجوى اسماعلي، نفسه، ص 19.

[8] Alain Marre, le tel oriental Algérien, de Collo à la frontière tunisienne, Etude géomorphologique, travaux de l'institut de Reims/1995. Pp 148-150.

-**الصخور النارية**: و هي الصخور الغرانيتية التابعة للزمن الثالث، و تظهر في شكل كتل صغيرة في الجزء الشرقي لمدينة سكيكدة على مستوى جبل فلفلة9.

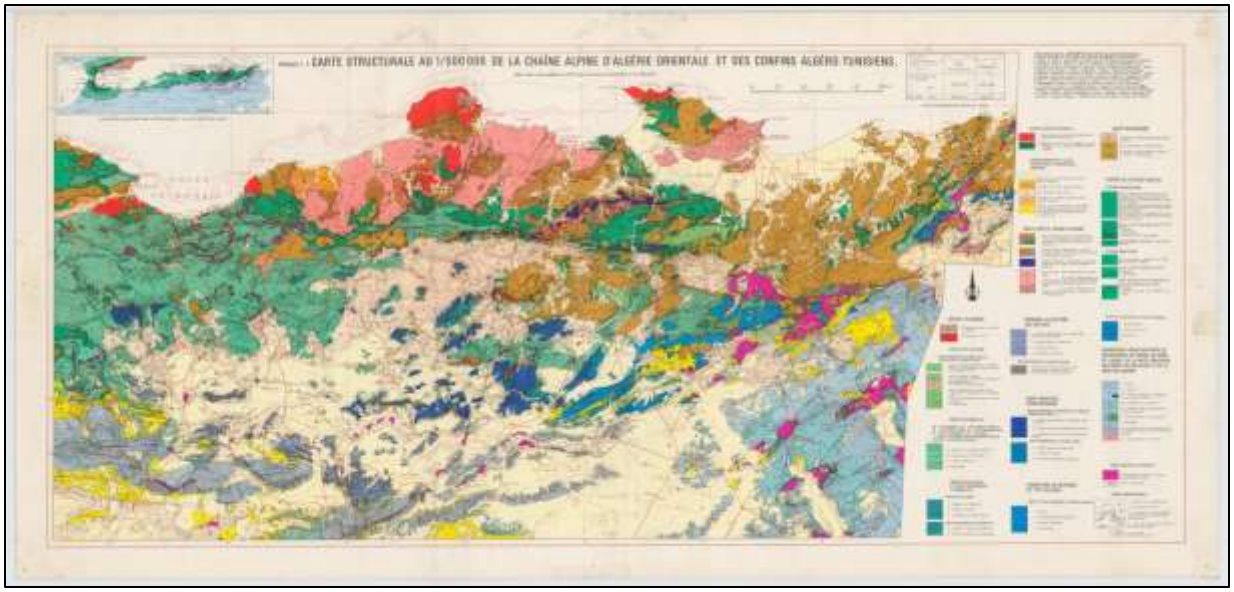

الشكل 4: خارطة جيولوجية للشمال الشرقي للجزائر. أرشيف مديرية الطاقة والمناجم لولاية سكيكدة

1. 7- الغطاء النباتي

يتميز الغطاء النباتي للمنطقة بالكثافة الغابية، خاصة بالجهات الغربية للولاية حيث تشكل أشجار البلوط و الزان و الصنوبر أهم هذه الثروة الغابية، ويتركز هذا النوع من الأشجار بقوة خاصة بدوائر كل من اولاد عطية، القل،عين قشرة، تمالوس، الحدائق، أما من الجهة الشرقية للولاية فنجد تنوعا بيئيا متميزا بوجود المنطقة الرطبة "صنهاجة" بالاضافة إلى وجود أنواع أخرى من الأشجار و الأحراش الغابية المشكلة لنسيج غابي شديد التنوع، و بباقي الجهات الأخرى فإن النسيج الغابي أقل كثافة، و أهمه غابات "بيسي" و جبال فلفلة في الجهة الشرقية، أما فيم يتعلق بالأشجار المثمرة، فتعد الكروم و الحمضيات و أشجار التين و الزيتون من أكثر الأنواع انتشارا بالمنطقة، وكذلك الخضراوات بجميع أنواعها.

9 نجوى سماعلي، المرجع السابق، ص 21.

2- الإطار التاريخي

2. 1- ما قبل التاريخ:

باستثناء الاكتشاف الأثري لسنة 2002 بموقع لقصر بمكان يسمى حجر مفروش - دائرة عين قشرة - في الجهة الغربية من الولاية[10] و كذلك بعض الأدوات الحجرية بالمتحف البلدي روسيكاد فإنه لم يتم العثور إلى اليوم على أي اكتشاف مهم يتعلق بمرحلة ما قبل التاريخ بالمنطقة، لكن، يمكننا مع ذلك تبعا لهذا الاكتشاف افتراض أن هناك انتشارا مركزا للإنسان بالمنطقة خلال هذه المرحلة يعود إلى بدايات العصر الحجري القديم، على اعتبار أن المجال الجغرافي للولاية لا يقع بعيدا عن المهاد الأولى للانسان و المكتشفة حديثا بموقعي عين لحنش و عين بوشريط.

و يتمثل اكتشاف موقع لقصر في عدد معتبر من الأدوات الحجرية ذات النمط الأشولي (فؤوس يدوية من الحجر الرملي) تعود الى العصر الحجري القديم الأسفل و أخرى ذات نمط ايبوموريزي (نصال، شفرات، شظايا، مكاشط من حجر الصوان)[11] (الصورة 2)، تعود إلى أواخر العصر الحجري القديم (القديم الأعلى)، و هو النمط الذي- كما يراه المختصون - كان قد انتشر على امتداد كامل سواحل المغرب الكبير من تونس الى سواحل المحيط الاطلسي بالمغرب، و من أهم مواقعه في الجزائر و القريب من مجال دراستنا نجد موقع أفالو بورمل ببجاية[12].

الصورة 2: أدوات حجرية عثر عليها بحجر مفروش. أرشيف مديرية الثقافة لولاية سكيكدة.

[10] وثائق مديرية الثقافة لولاية سكيكدة

[11] بسب انعدام الشروط العلمية من حماية وفضاءات كافية للعرض بالمتحف البلدي روسيكاد فقد نقلت هذه المعثورات إلى المتحف الوطني العمومي سيرتا حيث تم إيداعها بمخازن المتحف هناك في انتظار أن يكون لولاية سكيكدة متحفا علميا يليق بتراثها الأثري الكبير.

[12] محمد سحنوني، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ك. ابراهيمي ترجمة محمد البشير شنيتي، رشيد بورويبة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

2. 2- فجر التاريخ:

على عكس المرحلة السابقة، فإن فجر التاريخ[13] يزخر بكثير من الشواهد المادية التي تدل على الاستقرار البشري بالمنطقة، حيث عثر على العديد من القبور الميقاليتية، خاصة في المناطق الغربية القريبة من الساحل و الممتدة من جبال دوار مصلى شرقا الى غاية حدود ولاية جيجل غربا، و كذلك بالنسبة للمناطق الداخلية جنوبا، بكل من جبال زردازة و اولاد احبابة وصولا إلى حدود منطقة الركنية بولاية قالمة و كذلك على الحدود الجنوبية لقسنطينة بموقع بوزيتون، فكل هذه المناطق اكتشفت بها قبور ميقاليتية من نوع الدولمن أو المقابر الجلمودية كما يصطلح على تسميتها بعض الباحثين[14]، مما يدل على أن اقليم الولاية خلال فجر التاريخ عرف استقرارا بشريا هاما.

و قد أجمع الباحثون على أن كثافة الانتشار الجغرافي لهذا النوع من القبور في شمال افريقيا ينحصر أكثر في القسم الشرقي الممتد من قسنطينة إلى غرب تونس، و في ذلك يقول كامبس: " الدولمان لا يغطي جميع مناطق افريقيا الشمالية، فهي تتجمع أكثر في شمال الاطلس الصحراوي، و كما أن هناك مناطق خاصة بالدولمان توجد أخرى خاصة بالحوانيت، و مناطق انتشار الدولمان هي الأكبر و أكثر مناطقها تمتد من شرق الجزائر إلى غرب تونس[15]، أين تواجدت العديد من المقابر و التي استفاض الباحثون في تنقيبها و دراستها، و نذكر من بين هذه المقابر على سبيل المثال لا الحصر: مقبرة الركنية، قلعة بوعطفان ، بونوارة، راس العين بومرزوق، سيقوس، سيلا، دوقة ..الخ. (الشكل 5)

هذا على محور شرق غرب، أما على محور شمال جنوب فيرى البعض انها تمتد من سواحل القل إلى غاية جنوب الاوراس[16].

---

[13] يعتبر فجر التاريخ في شمال افريقيا من المراحل الغامضة وصعبة التحديد، وقد اختلف الباحثون في إطلاق تسمية موحدة على تلك المرحلة، فهناك من يطلق عليها Protohistoire، أي بمعنى تلك المرحلة الواقعة بين ما قبل التاريخ (عصر الحجارة) وبين التاريخ (عصر الكتابة) والتي توافق عصر البرونز والحديد، وزمنيا منذ الفي سنة قبل الميلاد، انظر: (J) Déchelette, Manuel d'archéologie préhistorique, celtique et Gallo-romain. TII. ، بينما يضع كامبس جميع المخلفات الجنائزية في شمال افريقيا ضمن القرون الأولى للتاريخ، و يقترح ضم جميع المعطيات المغاربية لعصر الحديد حتى تلك المعاصرة للعصر البوني و النيوليتي في مرحلة واحدة يصفها بالعصر الليبي، بينما يقترح آخرون تسمية Protoberbére و Paléo berbère. انظر: Abdelkader Haddouche, Questionnement sur la protohistoire d'Algérie, revue ATHAR, N° 6- 2007. Pp 172-194.

[14] محمد الصغير غانم، المقبرة المقاليتية ببونوارة (الشرق الجزائري)، مجلة العلوم الانسانية، عدد 15 جوان (2001)، ص 159-169.

[15] G. Camps, « Dolmens », Encyclopédie berbère, 16 | Djalut – Dougga, Aix-en-Provence, Edisud, 1995, p. 2490-2509

[16] عبد المالك سلاطنية، بصمات فجر التاريخ وجذور الهوية الوطنية – المدافن الحجرية بالشرق الجزائري، دار الارشاد للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى 2013، الجزائر. ص: 45.

و قد أفضت معظم هذه الدراسات إلى أن تاريخ هذا النوع من القبور يبدأ من منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد و يستمر إلى غاية الاحتلال الروماني لشمال افريقيا[17]، بل إن البعض يرى أنها نشأت حول المدن النوميدية على نحو ما يراه ل. فيرو: " قبور الدولمن تركزت حول المدن النوميدية القديمة بعد استقرارهم في هذه المراكز العمرانية"18، و هو ما يعطي الانطباع أن هذه القبور تعود إلى فترات متأخرة جدا من فجر التاريخ بالمنطقة، و يؤكد قزال على استمرار استعمال القبور الميغاليتية حتى القرن الأول قبل الميلاد19، و هذا من خلال تأريخ الأثاث الجنائزي المكتشف ببعض قبور الدولمن التي أمكن إجراء حفريات فيها20.

و الملاحظ بالنسبة لاقليم ولاية سكيكدة، أن تمركز هذه القبور و بأعداد معتبرة، غالبا ما يكون على سفوح الجبال المطلة على البحر كقبور الدولمان بغابة دومبو غرب مدينة القل، أو مطلة على الأودية كما هو الشأن بالنسبة لتلك المتواجدة ببلدية كركرة، كما أنها تكون أيضا قريبة من المناطق السهلية ذات الخصوبة العالية و هو ما يجعلنا نفترض أن هذه القبور نشأت حول تجمعات سكانية مارس أهلها الزراعة و عرفوا استقرارا منتظما، كما يحيلنا حتما إلى الاعتقاد أن ذلك حدث نتيجة تأثيرات حضارية وفدت على المنطقة مع مطلع الألفية الأولى ق م، و لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتجاوز هذا الحد الزمني في القدم.

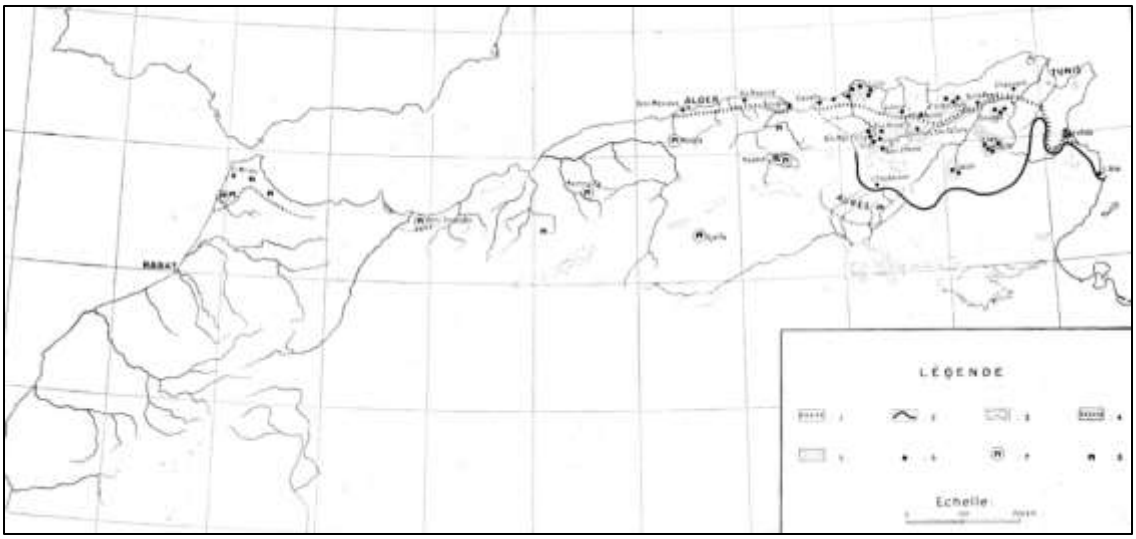

الشكل 5: خارطة تمثل انتشار المعالم الميغاليتية لفجر التاريخ عبر شمال افريقيا. عن كامبس

[17]

[18] Féraud L, recherche sur les monuments dits celtiques dans la province de Constantine, in R.S.A.C tome VII ,1863, PP 214-234.

[19] Gsell (St) ; les monuments antiques de l'Algérie, tome 1, ancienne librairie Thorin et fils, Paris 1901. P 24.

[20] من ذلك، تلك الحفريات التي أجريت في مقبرة بونوارة على يد كامبس وزوجته والتي أعطت تواريخ غامضة، تباينت ما بين القرن الخامس والثالث ق م، انظر: محمد الصغير غانم، المرجع السابق.2001. وكذلك التي أجريت بمقبرة راس العين بومرزوق أين تم العثور على على قطع نقذيه رومانية تعود الى عهد الامبراطور انطنينوس التقي. (انظر: Gsell (st)، Op.cit. 26.

2 . 3 الفترة القديمة:

من الصعب جدا تمييز حد زمني فاصل بين فترة فجر التاريخ وبداية الفترة القديمة بالنسبة لشمال إفريقيا ذلك أن اعتماد الكتابة بين المؤرخين حدا لذلك يحيلنا إلى اشكالية معقدة، إذ في الوقت الذي وفد فيه الفنيقيون إلى سواحل حوض البحر الأبيض المتوسط كان سكان شمال افريقيا من حدود مصر القديمة إلى سواحل المحيط الأطلسي يعيشون ضمن نمط من الحياة الرعوية ولم تكن لديهم معرفة بالكتابة[21].

ولم يطرأ أي تغيير على نمط الحياة بالمنطقة إلا عندما أسس الفنيقيون مستعمراتهم على السواحل الغربية للبحر الأبيض المتوسط انطلاقا من بحيرة تريطونس إلى غاية المحيط الأطلسي، وذلك منذ القرن الحادي عشر قبل لميلاد[22].

و لاعتبار أن الفنيقيين كانوا قد قطعوا باعا طويلا في ميدان الكتابة و أنهم اخترعوا الأبجدية ثم قاموا بتلقينها فيما بعد لشعوب البحر الأبيض المتوسط و لشعوب العالم القديم بصفة عامة، حتى أصبحت هذه الأبجدية أصلا لحروف مختلف اللغات إلى اليوم، و نظرا لاختلاط الفنيقيين و امتزاجهم إلى حد بعيد بالشعوب المتوطنة بالمجال الغربي للبحر الأبيض المتوسط ما نتج عنه ثقافة جديدة بالمنطقة اصطلح على تسميتها بالثقافة أو الحضارة البونية، إذن، فيمكن اعتبارا من هذا التحول الحضاري الاعلان أن الحد الزمني الذي وضع المنطقة في الفترة القديمة هو التواجد الفنيقي بشمال افريقيا[23] مع مطلع الألفية الأولى قبل الميلاد[24]

ويتجلى واضحا التأثير الفنيقي في المجال الغربي لشمال افريقيا من خلال ما أورده هيرودوت من أن سكان ليبيا ينقسمون إلى قسمين متباينين، البدو الرحل في الجانب الشرقي من قرطاجة إلى حدود مصر و المزارعون فيما وراء قرطاجة حتى بلاد المور[25]، إذ أن هذا الانقسام كان نتيجة التأثير الحضاري الواسع على المنطقة من طرف الفنيقيين، على عكس الجانب الشرقي من ليبيا، إذ رغم الاستيطان الإغريقي هناك

---

21 عبد العليم مصطفى، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966. ص 50.

22 محمد الصغير غانم، التوسع الفنيقي في حوض البحر الابيض المتوسط، لمؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، لبنان، الطيغة 2، 1982. ص 68

23 وهو ما يتفق بشأنه الكثير من الباحثين في التاريخ من أمثال شارل أندري جوليان الذي يقول " الاستيطان الفنيقي الذي دخلت بلاد البربر بفضله في التاريخ" انظر: شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي/ البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية 2011. ص 73.

24 حاول الغرب في وقت ما طمس ما للفنيقيين من دور في بلورة التحول الحضاري في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة في ظل تفشي ظاهرة معاداة السامية في مختلف طبقات المجتمع الأوروبي وفي الدوائر العلمية بدءا من مطلع القرن العشرين، بحيث أنه لم يكن من المسموح أن يقوم أي باحث باقتراح أن هناك تأثيرات مصرية أو فنيقية في التكوين الحضاري للإغريق مثلا، وأي باحث يجرؤ على ذلك يعد مخرفا، ولم يكن ممكنا إلا بعد الحرب العالمية الثانية فقط الإقرار بما للفنيقيين من دور حضاري في حوض المتوسط" انظر:
Elodie Guillon, les arrières pays des cités phéniciennes à l'époque hellénistique VI siècle II siècle AP JC, thèse de doctorat, université de Toulouse 2, 2004. Pp 75-76.

25 يقول هيرودوت في الفقرة 186 أن " من مصر إلى بحيرة تريطونيس يعيش الليبيون الرحل الذين يأكلون اللحم ويشربون اللبن.. "ثم يضيف في الفقرة 187 ".. لكن الليبيون قرب بحيرة تريطونيس لم يعودو رحلا إطلاقا وليس لهم نفس العادات " انظر:
أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، ترجمة وتعليق وشرح: الدكتور مصطفى الأعشي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2009. ص 69-70.

من خلال إنشائهم للعديد من المستوطنات على الساحل (Pentapoles)، أشهرها قورينا (Cyrenae) بإقليم برقة،[26] إلا أن تأثيرهم الحضاري كان ضعيفا جدا، ما استبقى شعوب هذه المنطقة في حالة من البداوة مقارنة بالجهة الغربية لليبيا[27]، بل إن البعض يذهب إلى حد الاعتقاد بأن التأثير الليبي هو الذي كان أقوى في الحضارة الإغريقية من خلال تبني هذه الأخيرة لبعض معتقدات الأهالي في ليبيا.(الشكل 6)

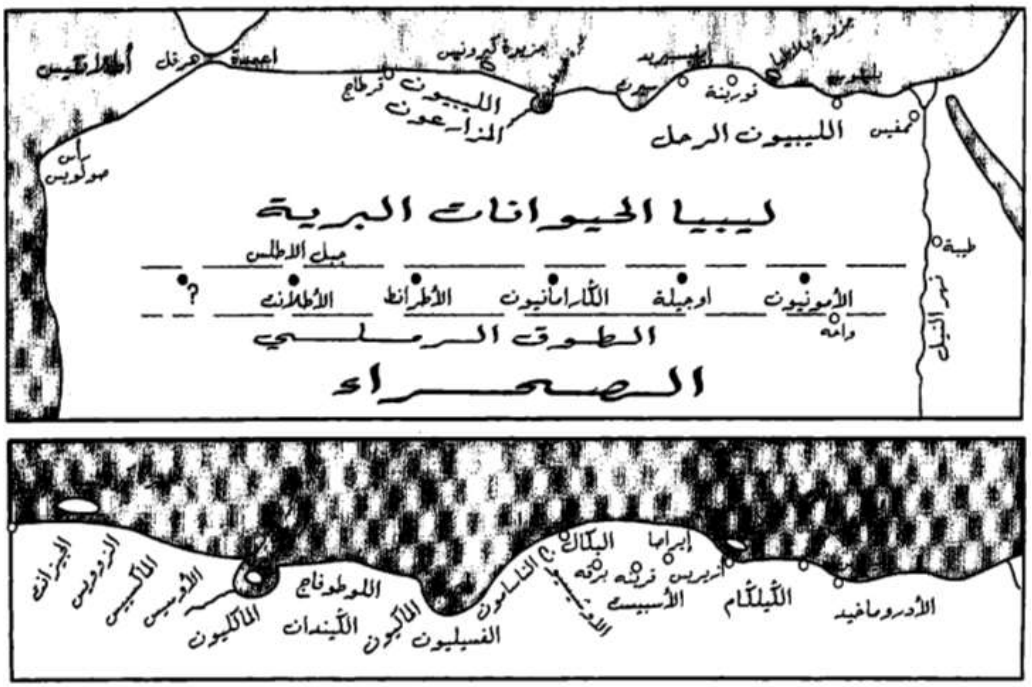

الشكل 6: توزيع القبائل الليبية حسب هيرودوث. عن مصطفى الأعشى.

و عليه، فابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد نرى نشوء تكتلات سياسية كبرى، تمثلت في مملكة الماسيل Massyles بقيادة الملك جايا (Gaya) و تشغل المجال من غرب تونس إلى غاية الوادي الكبير (Ampsaga)، و المازيسيل Masaessyles بقيادة الملك سيفاقص (Syphax) من الوادي الكبير حتى وادي ملوية ثم الموريون[28] Maures فيما وراء ذلك حتى المحيط الأطلسي[29]، بينما جنوبا من هذه الممالك

---

[26] شفيق محمد، ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغ، دار مكتبة الفكر، طرابلس 1988. ص 25.

[27] " اعتد نمط حياة هؤلاء على تربية الحيوانات الرعوية، وكان نظام حياتهم الاجتماعي مشاعيا، إذ أن تقاليدهم وأعرافهم في غاية الخزي، وفي حياتهم الدينية كانوا يؤمنون بالحياة الأخرى وأهمية التقرب من أرواح موتاهم"، أنظر: عبد العليم مصطفى، المرجه السابق، ص 50.

[28] المور هم خليط من الميديين واللوبيين على نحو ما يذكرهم سالوست. انظر: سالوست، حرب يوغرطة، ترجمة فيصل الاحمر/ فاطمة بريهوم، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة 2010.

[29] يرى البعض أن تأخر ظهور النظام المركزي في شمال افريقيا كان نتيجة لحياة الحل و الترحال التي طال أمدها في المنطقة ، إذ فرضت الضرورة نشوء نظام يتماشى مع حركية القبيلة التي جعلت من القطيع حجر الزاوية في اقتصادياتها و من الطبيعي أن تسود هذا النظام علاقات تحددها عوامل أهمها: المرعى و الماء اللذان يشكلان أحيانا موضوع صراع أو تصالح بين القبائل، و تعتبر الممالك النوميدية في بلاد المغرب القديم الأولى التي انتقلت بالمجتمع المغاربي إلى مستوى الدول بالمفهوم الجيوسياسي مثل مملكتي الماسيل و الماسيسيل، انظر: Mahfoud Kaddeche, l'Algérie dans l'antiquité, 3em Edition, E.N.A.I, Alger, 1992. P 30.

على امتداد كامل شمال الصحراء كانت تتوطن قبائل الجيتول إلى غاية الحدود الليبية، و يجاور الجيتول في الجهات الشرقية من ليبيا قبائل الجرامنت Garamantes[30].

بينما ضل مجمل الشريط الساحلي من تونس إلى غاية المحيط الأطلسي خاضعا لهيمنة الامبراطورية القرطاجية، حيث توزعت على هذا الشريط مجموعة من المراكز التي كانت في البداية عبارة عن نقاط للتوقف ومرافئ تجارية لمبادلة السلع مع السكان المجاورين الذين استقطبهم النشاط التجاري لتلك المرافئ ثم تطورت في أعقاب ذلك وأصبحت بلدات ومدنا، و قد كانت بعض هذه المدن تتبع في البداية للمدينة الأم صور، و ذلك إلى غاية استحكام النفوذ القرطاجي على المنطقة[31].

ومن بين المدن الواقعة على الشريط القرطاجي في تلك الفترة نجد كل من روسيكاد وشولو، فهاتان المدينتان شكلتا منذ القديم، وبشكل ما، وحدة سياسية استمرت إلى اليوم، من ذلك ارتباطهما خلال العهد القرطاجي بالأراضي الميثاغونية وخلال الفترة النوميدية كميناءين لمملكة نوميديا والعهد الروماني ضمن الاتحاد السيرتي، وكذلك خلال المرحلة الاستعمارية الفرنسية بالشمال القسنطيني، وحاليا بالإقليم الولائي لسكيكدة، وهكذا، فغالبا ما نرى أنهما تنحصران معا في مجال جغرافي وسياسي واحد.

وقد ورد ذكر المدينتين في النصوص القديمة بأسماء مختلفة منها كولوبس مانيوس Kollops Magnus وشولو Chullu، شولسChules ، كولي Culli بالنسبة لمدينة القل، وطابسا Thapsa، طابسوس Thapsus، وروسيكاد Rusicade بالنسبة لعاصمة الولاية سكيكدة، وقد أثبت العديد من الباحثين انتساب المدينتين في نشأتيهما إلى الفترة الفنيقية، وأنهما ربما تعودان في النشأة إلى حدود القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد.

غير أن المعلومات بشأنهما شحيحة جدا، فلا نكاد نعثر إلا على بعض الإشارات البسيطة لهما في مختلف النصوص القديمة، من ذلك ما أشار إليه سكيلاكس Scylax في القرن الرابع قبل الميلاد إلى وجود بلدة تحت اسم طابسا (Thapsa)[32] في الخليج النوميذي، و هو نفس ما ذهب إليه بطليموس بالقول : " شرقا من مصب الوادي الكبير و في الخليج النوميدي توجد كولوبس مانيوس أو شولو و طابسا أو طبسوس "[33]،

---

30 يذكرهم هيرودوث بأنهم "شعب كثير العدد.. ويطارد هؤلاء الجرامناتيون على عرباتهم ذات الخيول الأربعة الاثيوبيون الذين يسكنون الكهوف المتميزون بالجري السريع لا يضاهيهم في ذلك أحد" انظر: الدكتور مصطفى الأعشي، نفسه، ص 62.

31 يبدأ العهد القرطاجي منذ القرن السادس قبل الميلاد ويمتد إلى نهاية الحرب البونية الثانية حيث تقلصت حدود الامبراطورية بشكل كبير ولم تعد تشمل سوى مدينة قرطاجة والمناطق القريبة في محيطها المجاور، بحيث لم تعد مساحتها تتعدى 25000 ك م2 ليجهز عليها تماما بعد ذلك وتزول من الوجود سنة 146 ق م عقب الحرب البونية الثالثة. انظر: عمار المحجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى العهد السويري، مركز النشر الجامعي 2001، تونس، وكذلك: محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1990، ص 174.

32 طابسا أو طابسوس نسبة إلى وادي الصفصاف الذي يجري في الناحية الشرقية للمدينة كما سنراه لاحقا.

33 كلازديوس بطليموس، وصف ليبيا ومصر، ترجمة محمد المبروك اليعقوبي، منشورات قان يونس، بنغازي، 2002.

أما سترابون Strabon فلا يشير إلا إلى رأس تريتون - الذي هو رأس بوقارون – كحد فاصل بين المملكتين الماسيلية و المازيسيلية[34]، و نفس الشيء بالنسبة لبومبنيوس ملا Pompnius Mela الذي يطلق على رأس بوقارون اسم Prumonturio Metagonio جاعلا منه الحد الفاصل بين نوميديا و افريقيا التي تقع مباشرة من بعده، فبومبنيوس ملا على عكس بلين الأكبر Pline يضع نوميديا ما بين رأس بوقارون شرقا إلى حدود وادي الملوية و يجعل من أهم مدنها سيرتا " التي كانت عاصمة الذائع الصيت سيفاقص و التي يسكنها حاليا السيتانيون و ايول (شرشال) التي كانت غامضة و الآن اشتهرت بكونها مقرا لمملكة يوبا و باسمها الجديد قيصرية و كارتينا (دلس) و ايكوزيوم (العاصمة)" و عددا من المدن الواقعة في هذا المجال، ثم يضيف بالقول: " أن البلاد الممتدة من الرأس الميثاقوني إلى مذبح الفلاينيين هي افريقيا الصريحة[35]، و نجد فيها هيبون الملكية و روسيكاد و طابراقا"[36]، بينما يذكر بلين: " من الوادي الكبير تبدأ نوميديا، الشهيرة بماسينيسا، و الاغريق يطلقون عليها الأراضي الميتاقونية و قد اطلق على النوميديين اسم الرحل (Nomade) لأنهم كثيرا ما يغيرون أماكن الرعي و يحملون مساكنهم (Mapalia)[37] على عربات، مدنها هي كولو (Cullu)، روسيكاد (Rusicade) و مستعمرة سيرتا"[38]، أما صولان Solin فنصه يحمل لنا تفصيلا مهما عندما قال: "عند نهر الامبساقا تبدأ نوميديا، نظرا لكون سكانها متنقلين و متوحشين أطلق عليهم اسم نوماد، تضم عدة مدن، أهمها أولا: سيرتا، ثم تأتي من بعدها شولس (Chulles) أين يتم انتاج نسيج قرمزي يضاهي شهرة ذلك الذي ينتج في صور، يحاذي هذه البلاد الزيجيطان (Zeugitane) و يوجد بغاباتها حيوانات متوحشة و في الجبال أحصنة و تشتهر بفضل رخامها الجميل"[39] - و يعني برخامها الجميل هنا مدينة روسيكاد من دون ذكرها بالاسم أين يوجد أجود أنواع الرخام بفلفلة - و بعد أن يتحدث في الأسطر الموالية عن الدببة النوميدية يختم قائلا: " بعد نوميديا توجد افريقيا و المجال القوريني Cyrénaïque".

---

[34]28Strabon, Géographie, livre XVII, 3, 13.

[35] لا شك أن القدامى يقصدون هنا بإفريقيا مقاطعة افريقيا بقسميها، القديمة والجديدة، وقد أصبح يطلق اسم افريقيا على الأراضي التونسية حاليا ثم اتسع لاحقا ليشمل تقريبا كامل شمال افريقيا وهذا منذ بدء الاحتلال الروماني للمنطقة سنة 146 ق م، وذلك نسبة إلى قبيلة لوبية، أفري afri التي كانت متوطنة بشمال مصب وادي مجردة، انظر: عمار المحجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى العهد السويري، مركز النشر الجامعي، تونس 2001.

ويعود سبب اختلاف المؤرخين القدامى هنا إلى أن ملا يتحدث عن الحدود السياسية لنوميديا وقت سيطرة صيفاقس على كامل الأراضي من ملوية إلى قسنطينة أما بلين فواضح أنه يتحدث عن الحدود السياسية لنوميديا خلال بداية القرن الأول للميلاد.

[36] Pomponius Mela, Description de la terre, livre I, VII.

[37] وهو نوع من المساكن ورد ذكرها في العديد من النصوص القديمة، وهي إما مستطيلة أو دائرية على هيئة سفينة مقلوبة، ويزعم البعض أنها استوحت شكلها فعلا من السفن المقلوبة التي استعملها الفرس الذين قذف بهم البحر إلى سواحل الأطلسي وأصبحوا فيما بعد يشكلون "الموريون" على نحو ما يذكره سالوست " قلب الفرس – الذين كانوا الأقرب إلى البحر – قواربهم واتخذوا منها مساكن لأنهم لم يجدوا ما يبنون به بيوتا" انظر: سالوست: المرجع السابق. ص 32.

[38] Pline L'ancien, Histoire naturelle, livre V, Edition d'Emilie titré, Paris 1848-1850. P (II, 3, 1).

[39] Caius Julio Solin, histoire, trad. par M.A. Agnant, C.L.F. Panckoucke 1847, chapitre XXVII.

اذن، من الواضح ان المدينتان روسيكاد و شولو كانتا من ضمن المدن المهمة، خاصة من الناحية الاقتصادية، و أنهما كانتا تتبعان للامبراطورية القرطاجية في البداية في إطار ما سمي بالأراضي الميتاقونية[40]، حتى و لو أن هناك اختلافا بين المؤرخين في تحديد بشكل دقيق حدود هذه الأراضي، و بنهاية الحرب البونية الثانية فإن الإقليم الذي تشغله المدينتان أصبح من ممتلكات الملك ماسينيسا الذي استولى على المنطقة من حدود مصر إلى وادي الملوية، و أنه كان يستعمل منائي المدينتين للإمداد العسكري و تصدير المنتجات الفلاحية إلى روما و بلاد الاغريق[41]، و قد استمر الوضع على هذا النحو إلى غاية اندلاع الحرب الأهلية بين الجمهوريين الاوبتيمتس (Optimates) بزعامة بومبيوس Pompiusو الحركة الشعبية (Populares) بقيادة يوليوس قيصر Jules Cesare، و التي كان من نتائجها القضاء على الملك النوميدي يوبا الذي وقف إلى جانب الجمهوريين، مما كلف ذلك اقتطاع جزء من نوميديا لفائدة مرتزقة سيتيوس مكافأة لهم على خدماتهم العسكرية و مساهماتهم الكبيرة في النصر الذي تحقق لقيصر.

ويشمل هذا الجزء الذي منح لستيوس Sitius الاقليم الشمالي لنومديا، انطلاقا من سيرتا، والذي صار يعرف وقتها ببلاد السيتيانين colonia cittianurum كما اشار إليه ملا آنفا، ومنذ ذلك الحين ستعرف هذه البلاد مصيرا آخرا.

و يفسر الباحث محمد البشير شنيتي خطوة اقتطاع هذا الاقليم لفائدة ستيوس برغبة قيصر في تمهيد المنطقة لمستقبلها الروماني، حيث أن قيصر لم يكن يأمن جانب النوميديين ذووا المزاج المتقلب، فقرر بذلك ترويض أهلها لتقبل المخططات الجديدة للمنطقة من خلال الزج بأولئك المرتزقة المتوحشين في قلب هذه البلاد[42]، و فعلا، فقد نشأت في أعقاب هذه الأحداث ثورة قادها أرابيون الراغب في استعادة مجد اسلافه من النوميد و تحرير مملكة أبيه و تمكن من قتل زعيم المرتزقة سيتيوس بوبليوس نوسيريوس Sitius Nosirius

---

40 المدن الميتاغونية (Métagonion) كلمة إغريقية تعني الذي يأتي بعد المثلث ومعناه أن الإغريق كانوا يعتقدون أن بلاد اللبيين تأخذ شكل المثلث يمثل ضلعيه وادي النيل والبحر الأبيض المتوسط والضلع الثالث يأخذ شكلا محدبا، وعندما اكتشفوا أعمدة هرقل (جبل طارق) صاروا يطلقون على المنطقة الممتدة منه إلى بلاد الليبيين الأراضي الميتاغونية أي التي بعد المثلث وقد استعمل حنيبعل هذه التسمية وأطلقها على الجهات الواقعة غرب قرطاجة كما أطلقها بعض المؤرخون القدامى على المناطق من قرطاجة حتى جبل بوقارون (tritum promontarium) لكن هذا الاسم اختفى مع نهاية قرطاجة ليحل محله اسم نوميديا يراجع: Tauxier Henri Itinéraire de Rusicade à Hippone in .Bull de L'acad d'Hippone n°08 (1869) page 34- 39

41 كان يجري ماسينيسا ثم خلفاءه من بعده العديد من المعاملات التجارية الخارجية خاصة مع الاغريق، كما فتح أبواب مملكته للتجار من مختلف المناطق: أيطاليين، مصريين واغريق، وقد استمرت العلاقات التجارية طيلة حكمه بشكل متواصل وهو ما سمح بتعرض المنطقة لاشعاع حضاري هلينستي كبير. أنظر: Mouloud Gaid, aguelids et romains en Béribérie, 3em Edition, mimouni 2009, Alger. P 54.

42 عرف عن جماعة سيتيوس اتصافهم بالصلابة نتيجة الممارسة الطويلة للنشاط العسكري، بالاضافة إلى معرفتهم بالمنطقة وسكانها الذين أقاموا طويلا بينهم، دون أن ننسى رغبتهم الجامحة في ايجاد وطن للإستقرار والإقامة فيه، وهي كلها أسباب اجتمعت ودفعت بهؤلاء المرتزقة للاستماتة في الاحتفاظ بهذا الاقليم وترويضه. أنظر: محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق م – 40 م) المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، الجزائر. الطبعة الثانية، ص 66.

Puplius[43] و هو ما يدل على شدة الصراع القائم حينها في المنطقة و مدى صعوبة تحقيق الاستيطان الروماني في ذلك الوقت.

ويعتقد قزال Gsell أنه فقط بعد موت سيتيوس تقلدت هذه المنطقة رتبة المستعمرة Colonia sittianurum تحت رعاية الإلهة مينيرفا، كما يعتقد أيضا أنه لم يتم التأسيس لأي مدينة جديدة وأن السيتانيين استولوا فقط على المدن التي كانت قائمة في ذلك الوقت، وهي كل من سيرتا، روسيكاد، شولو وميلاف، وأن هذه المدن ماعدا سيرتا قد ارتقت فقط في عهد تراجانوس Trajanus إلى مصاف المستعمرات وشكلت معا اتحادا شبيها بجمهورية مستقلة[44] فريدة من نوعها في كامل انحاء الامبراطورية الرومانية الجديدة[45].

وقد عثر على العديد من النقوش التي تشير إلى هذا الاتحاد تحت مسمى " اتحاد المستعمرات الأربع" حيث كانت تدار شؤونه العامة انطلاقا من العاصمة سيرتا عن طريق مجلس موحد يتكون من أعضاء سيناتوريين أو من طبقة الفرسان مقيمين بسيرتا، بينما يتم تعيين مفوض لإدارة الشأن المحلي لكل مستعمرة من المستعمرات الثلاث تحت إشراف هذا المجلس[46].

ويمكن - سواء من خلال النصوص القديمة أو النقوش التي عثر عليها- فهم مصير المنطقة والتحولات التي عرفتها إبان هذه الأوقات، على النحو الذي يجعل من سيرتا مستعمرة تمتد حدودها إلى سواحل البحر شمالا وسيقوس Sigus وسيلا Silla جنوبا تحت مسمى مستعمرة سيرتا اليولية (Colonia Julia Cirta)، وذلك وفقا للترتيبات التي أعدها قيصر لهذا الإقليم المفتوح حديثا.

ويبدو أن هذا الإقليم كان عامرا بالمراكز العمرانية الصغيرة (Pagus)[47] في بداية القرن الأول للميلاد و التي انتشرت حول محيط العاصمة سيرتا في الشمال و الجنوب، و أن هذه المراكز السيرتوية لم يكن لها في البداية مجالس بلدية (Ordo decurium) – على الأقل قبل أن تتقلد رتبة المستعمرات- و إنما كان

[43] Gsell (St), histoire ancienne de l'Afrique du nord, tom 8, librairie Hachette, Paris p 184.

[44] يعتبرها الباحثون ومنهم ارنست مارسي بأنها بمثابة دولة في دولة، وأن نخبتها من أعضاء المجلس الاتحاد كانوا يتماعون بسلطات تضاهي تلك الممنوحة للقناصل في المقاطعات البروقنصلية، كما أن منظومتها الدينية خاصة جدا إذ أن كهنتها من كلا الجنسين كانوا يحملون أعلى رتبة في الكهنوت الروماني وهي الفلامين Flamine. انظر: Mercier Ernest, Histoire de l'Afrique septentrionale, Tome 1, Ernest Leroux Editeur, Paris 1888. P 97.

[45] Gsell, ibid, p 160.

[46] Gsell, ibid.

[47] Gascou Jaque, Pagus et castellum dans la confédération cirteene, antiquité Africaine, Année 1983, 19. Pp 175-207.

يشرف على إدارتها أعضاء من المجلس السيرتي (duumvir)، بما في ذلك أيضا المدن الكبيرة كروسيكاد، شولو، ميلاف وفي وقت لاحق كيوكولوم (جميلة)[48].

ففي ذلك الوقت كانت روسيكاد وشولو من ضمن ما أطلق عليه بلين "المدن الحصينة" (Oppida) وكان ينسحب عليهما تماما نفس التنظيم الإداري المعمول به في المراكز الصغيرة، والأمر هنا شبيه إلى حد ما بما حدث خلال العهد العثماني عند إنشاء بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة أو بما يشبه تحديدا ذلك النظام الذي وضعه الاحتلال الفرنسي بالنسبة لمقاطعة قسنطينة، أين كانت هذه الأخيرة تشرف على إدارة كامل قطاع الشمال القسنطيني مع احتفاظ بعض المدن بصلاحيات خاصة اصطلح عليها بـ (Plein exercice).

و مع ذلك، فحتى عندما منحت هذه المدن لقب المستعمرة في عهد تراجانوس أو قبله بقليل فهذا لم يعطها الحق البلدي المطلق أو الاستقلال الكامل، و إنما ظلت تابعة لمجلس المستعمرات الأربع، و أن هذا المجلس هو من كان يشرف على سير الأمور الإدارية من قضاء و ضرائب و مراسم دينيـــة و غيرها من المصالح عن طريق تعيين مفوض (Praefectus Jure dicundo) من بين أعضاءه لتولي هذه المهمة، كما تبينه عديد النقيشات التي عثر عليها في هذه المستعمرات، على غرار النقيشة التي هذا هو نصها مترجما إلى العربية: " فابيوس إيديل تريومفير مفوض يور ديكوندو لمستعمرات ميلاف، روسيكاد، شولو"[49]، و يبدو أن المفوض كان يتولى مهام رقابية على المجلس البلدي لكل مستعمرة يشرف عليها، و يسدي التوجيهات الامبراطورية و يقوم بالفصل في المسائل القضائية التي تتجاوز دائرة الاختصاص و يحصل الضرائب و يشرف على المراسم الدينية و يقيم الألعاب و العروض المختلفة.

ومن خلال العديد من النقائش التي تم العثور عليها، والتي تبين مهام ووظائف بعض الشخصيات في ظل الاتحاد السيرتي من مثل: إيديل (Idile) المستعمرات الأربع، تريومفير (Triumvir) المستعمرات الأربع، فلامين دائم (Flamine perpétuel) المستعمرات الأربع.. إلخ، فإننا نستدل على أن هذا الاتحاد استمر إلى غاية القرن الثالث للميلاد، ثم تعرض للحل بعد ذلك واستقلت مستعمراته عن سيرتا، وأصبح يرأس مجلس (ordo decuriones) كل مستعمرة من هذه المستعمرات الأربع أو الخمس عضو من أعضاء التريومفير السابقين[50]، كما يشير إليه نص أحد الشخصيات السيرتية الذي يدعى كومودوس والذي بعد أن

---

[48] Ch. Vars, Cirta ; ses monuments, son administration, ses magistrats, d'après les fouilles et les inscriptions, Ernest thorin Editeur, paris 1895. Pp 8-11.

[49] Ibid,p 12

[50] قد لا يكون الأمر نفسه في جميع المستعمرات، فبالنسبة لروسيكاد فإن "فار" يعتقد أن المنصب الذي أصبحت تدار من خلاله هذه المستعمرة المستقلة هو منصب كيراطور (curator)، انظر من:
Ch. Vars, Rusicade et Stora dans l'antiquité, impr A Vapeur Emile marle, constantine 1896. P 46.

شغل منصب مفوض يوري ديكوندو مستعمرات ميلاف، روسيكاد وشولو، شهد تفكك الاتحاد السيرتي (soluta contributione cirtesibus) وأصبح أول تريومفير على مدينته الأم "ميلاف"[51].

إذن، فقد تم حل هذا النظام الفريد من نوعه في جميع انحاء الامبراطورية الرومانية وهذا بعد أن دام ثلاثة قرون من الزمن، وبعد حله، فإن الاقليم الذي كان خاضعا لإدارة هذا الاتحاد يعود للاندماج في محيط المقاطعات الرومانية على نحو ما هو سائد في جميع مناطق الامبراطورية.

وقد عرفت كل من روسيكاد وشولو في هذه الفترة – السيرتية- رخاء اقتصاديا انعكس بشكل واضح على المستوى الرفيع للعمارة الذي وصلتا إليه، كما يلاحظ أيضا أنه خلال هذه الفترة ازداد عدد المدن والمراكز الحضارية عبر ربوعهما، من مثل: سيلتيانس، باراسيانس، ندبوس، سيلا ...إلخ، وأن كثيرا من هذه المراكز كان يتبع إما لمستعمرة روسيكاد الفينوسية(colonia veneria rusicadis) ، أو مستعمرة شولو المينرفية (colonia minirvia chullu).

لا توجد معلومات تاريخية حول المنطقة فيما وراء هذه المرحلة (السيرتية)، و كل ما يمكن معرفته هو استمرار تمثيل المدينتين في المجامع الكنسية التي كانت تنعقد خلال الفترة المسيحية و حتى الوندالية ، سواء بمدينة هيبون أو بمدينة قرطاجة، أو غيرها من المدن[52]، و قد استمر هذا التمثيل إلى نهاية القرن الخامس للميلاد، مما يدل على أن المدينتين استمرتا في الوجود خلال الفترة الوندالية، فبحسب الاتفاق الذي وقع بين جينسريك و السلطات الرومانية سنة 435 م فقد أصبح الاقليم من هيبون إلى صلداي تحت السيطرة المطلقة للوندال[53]، و هذا قبل أن تتوسع هذه السيطرة لاحقا لتشمل كامل شمال افريقيا و حتى أجزاء من ايطاليا.

و قد اتسمت هذه المرحلة كما سبق و أن ذكرنا بالغموض، فلا نعرف إطلاقا كيف كان يتم إدارة المدينتين و لا كيف كان شكل الحدود السياسية للمنطقة في هذه الفترة،، كما نجهل أيضا مصير المنطقة غذاة استعادة روما الشرقية تحت مسمى البيزنطيين سيطرتها على افريقيا بعد هزيمة الوندال، فكل هذه التفاصيل ما تزال بعد في عتمة المجهول، و كل ما يمكن استنتاجه، خاصة من خلال الوضعية الأثرية التي وقف عليها الباحثون بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة سكيكدة سنة 1838 و القيام بالعديد من الحفريات و الاكتشافات الأثرية، أن

[51] Vars (Ch), Ibid. P 46.

[52] زموري خديجة، القديس اغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2017-2018. ص 187.

[53] العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال افريقيا في الفترة الوندالية 429 – 534 م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قنطسنة 2009-2010. ص 61.

المدينة قد عرفت أعمال تخريب مست العديد من أجزاء المدينة، إلا أن هذا التخريب لم يكن لحسن الحظ شاملا، فقد بقيت بعض المعالم في المدينة قائمة بشكل سليم[54].

2 . 4العصر الوسيط:

لم تكن المنطقة الشمالية لافريقيا من الأولويات في البداية للفاتحين العرب، حيث نلاحظ أن سير الفتوحات الإسلامية قد أخذ طريق شمال الصحراء و ربما يعود السبب في ذلك إلى قرابة شبه الطبيعة الجغرافية لشمال الصحراء بما هو موجود في بلاد العرب مما يتناسب مع أسلوب قتال الجيوش الإسلامية التي تحبذ المواجهات في الأراضي المفتوحة، و لذلك نرى أن أولى القواعد العسكرية و المدن المنشأة في ذلك الوقت تركزت كلها بالمناطق الداخلية، و رغم أن أبو المهاجر دينار قد أنشأ مركزا للقيادة بمدينة ميلة المتاخمة حدوديا لمنطقة سكيكدة في وقت مبكر، إلا ان هذا المركز لم يؤثر كثيرا في النشاط التاريخي للمنطقة في مقابل بروز مدن هامة بمنطقة الزاب و تيهرت و سدراتة و أشير و القلعة و غيرها من مناطق شمال الصحراء.

كما أن حركة الملاحة البحرية الإسلامية قد تأخرت في الظهور إلى حد ما، وهو ما ترك الشريط الساحلي لشمال افريقيا يعاني حالة من الركود الحضاري اللهم إلا بعد ظهور بعض المدن المهمة مثل بونة وبجاية الناصرية وجزائر بني مزغنة وتنس وغيرها من المدن الساحلية التي بدأت تعمل على تنشيط المجال الساحلي.

ضف إلى كل هذا أن الخارطة الاقتصادية للمنطقة تغيرت، فبعدما كان شكل النظام الاقتصادي فيها يتم عن طريق شحن المنتجات الفلاحية لنوميديا وموريطانيا باتجاه الضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط مما خلق تركيزا كثيفا للمدن على مستوى المناطق الساحلية للمغرب القديم، فإننا نلاحظ في هذه الفترة التاريخية الوسيطة انعكاسا للحركة التجارية باتجاه أعماق افريقيا (اثيوبيا، السودان، مالي، غانا) مما أدى إلى ازدهار الطرق التجارية عبر الصحراء[55].

كل هذه العوامل ساهمت اسهاما كبيرا في حالة الركود التي عرفتها بعض مدن الشريط الساحلي لشمال افريقيا ومنها روسيكاد وشولو واللتين ظلتا ترزحان تحت صمت مطبق لقرون طويلة من الفترة التاريخية الوسيطة، ولو أن مدينة القل ونظرا لوجود بعض القبائل الكتامية بأراضيها ساعدها في البروز قياسا بما

[54] Vars (Ch), Op.cit. P 12.

[55] عثمان منادي، حواضر الممالك الإسلامية في غرب افريقيا، مجلة المعارف للدراسات والبحوث التاريخية، العدد 12، ص 80-1114.

حدث لروسيكاد التي اختفى اسمها في البداية تماما ليحل بدله اسم ثان هو مرسى استورة والذي عرفت به في أغلب نصوص مؤرخي وجغرافيي تلك الفترة.

و على هذا الأساس، فإننا لا نجد إلا النزر اليسير من الإشارات الخاطفة للمدينتين، من ذلك ما أورده الشريف الإدريسي في القرن الثاني عشر عندما ذكر القل قائلا: " و القل قرية عامرة و كانت في سالف الدهر مدينة صغيرة عامرة و الآن هي مرسى و عليه عمارات و الجبال تكنفه من جهة البر و من القل إلى قسنطينة مرحلتان جنوبا و الطريق في أرض تغلبت عليه العرب"[56]، و ما يلاحظ على وصف الادريسي أنه أشار إلى القل في البداية بوصفها مدينة صغيرة ثم بعد ذلك و في عصره بالقرية العامرة و ربما أنه كان يقصد بالعمارات بعض الأبنية البسيطة و ليس على نحو ما قد يتخيله القارئ مباني ذات طوابق، لأن ذلك لا يتناسب مع وصفه بالقرية، كما أن كلمة "عليه" أي على الميناء قد تفيد أن تلك العمارات توجد مباشرة فوق الميناء في موقع الجردة حاليا، و يمكن الاستنتاج من هذا الوصف أن القل في ذلك الوقت قد تعرضت للانكماش جراء الانقلاب التاريخي من الفترة القديمة إلى الفترة الوسيطة، و هذا ما قد يتوافق مع ما ذكره صاحب الاستبصار في نفس الفترة " مدينة القل مدينة قديمة فيها أثار كثيرة للأول من الروم .. وهي مرسى مدينة القسطنطينة (قسنطينة) وهي كثيرة الفواكه والخيرات.. و هي بحرية برية"[57] ففي هذا الوصف المقدم من طرف صاحب الاستبصار نرى تركيزا أكثر على الأثار الرومانية القديمة و على كون مدينة القل عبارة عن مرسى قسنطينة، أما التمكرتي في القرن السادس عشر فإنه يركز كلامه أكثر على الميناء" ثم دخلنا مرسى القل و هو مرسى مليح، مستكن من الريح، فيه سوق و ديار و جامع اقمنا فيه يومين و صلينا فيه الجمعة ثم سافرنا منه إلى بونة"[58]، أما حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي و في نفس الفترة تقريبا فإنه يؤكد أكثر على الجانب التجاري الذي تحظى فيه المدينة بازدهار كبير و أنها تجني من خلال مبادلة أهلها للجلود ببضائع من الجنويين بالأضعاف المضاعفة من الربح و ذلك من خلالها البيع بالتقسيط لهذه البضائع في الجبال المجاورة، كما أنه ذكر في مستهل نصه أنها " مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط عند قدم جبل شاهق، و ليست مسورة لأن القوط (الوندال) هدموا أسوارها، ثم إن المسلمين لما حكموها تركوها على حالها، و هي مع ذلك مدينة متحضرة، مليئة بالصناع، و أهلها ظرفاء كرماء، تجارتهم رابحة لأنهم يجنون الكثير من الشمع و يمتلكون كمية عظيمة من الجلود"[59] و يبدو أن هذا الوصف في نص

---

[56] أبو عبيد الله بن محمد المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002. ص269.

[57] كاتب مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985. ص 127.

[58] علي بن محمد التمكرتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط 2002. ص 38.

[59] الحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر الجزء الثاني الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي ص 54.

الوزان عن المدينة و أهلها الظرفاء له ما يناقضه في نصوص الرحالة الاوروبيين، من ذلك ما نجده في نص جون لويس ماري بواري(Jean-Louis-Marie Poiret) في القرن الثامن عشر، أي في سنة 1785 حيث يقدم لنا وصفا مفصـــــــــلا للمدينة بكونها " عبارة عن وادي صغير به مائة و خمسين منزلا ذو طابق واحد، سيئة البناء بحيث أنها بنيت من الطين و أغصان الشجر و هي تكون أربع قرى تبعد الواحدة عن الأخرى حوالي أربعمائة خطوة "[60] و هذه القرى هي برقايد، لازولين، برالطويل و الجردة القريبة من الميناء و التي كانت تتواجد بها الحامية العثمانية[61] و مقر الشركة الافريقية التي يطلق عليها السكان اليوم " دار القنصل"[62]، ثم يشفع وصفه بالحديث عن أهالي المنطقة الذين ينعتهم بالنزعة العدوانية، بحيث ألا عدالة في المنطقة و أن القوة و البندقية هي الفيصل في كل الخصومات بينهم.[63]

ويؤكد الطبيب والرحالة الإنجليزي طوماس شو (Thomas Shaw) هذه النزعة العدوانية عندما يتحدث عن تلك القبائل (أولاد اعطية وبني فرقان) المتوطنة بجبال بوقارون والذي بحسبه تستمد تسميتها – بوجيارون (أبو القرون) - من العدوانية التي كانت تتعرض لها سفن الإيطاليين من قبل الأهالي عندما كانت تقذف بهم الأمواج في حالة الخطر إلى سواحل المنطقة، والذين حسبه " لا يتوقفون عن إطلاق كل ألوان السباب على أطقم السفن ويصلون من أجل هلاكهم "[64].

ويبدو أن الوضع قد استمر على هذا النحو حتى الاحتلال الفرنسي سنة 1843 والذي كان عسيرا جدا على الفرنسيين الذين استعصى عليهم ترويض المنطقة إلا بعد معاناة شديدة.

أما مدينة سكيكدة فإن ما نجده من نصوص حولها قليل جدا، و ربما أن النص الوحيد الذي يتحدث عن المدينة بشكل من التفصيل هو فقط نص حسن محمد الوزان الذي يقدم لنا في القرن السادس عشر وصفا شاملا عن المدينة قائلا:" سكيكدة مدينة أزلية بناها الرومان على ساحل البحر، بعيدة عن قسنطينة بنحو خمسة وثلاثين ميلا ، خربها القوط في الزمن الغابر، إلا أن أمير قسنطينة نظرا لمينائها الجيد أمر ببناء منازل ومخازن

---

[60] Jean-Louis-Marie Poiret, voyage en barbarie, ou lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les années 1785-1786, J.B.F Paris. P 120.

[61] كان هدف الحاميات العثمانية هو حماية الشركات الأوروبية التي كانت تنشط عبر سواحل البحر المتوسط ضمن اتفاقيات مع السلطات العثمانية من أجل استغلال ثروات الساحل وخاصة صيد المرجان، انظر: يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2008. ص 107.

[62] أحمد بلقاضي، القل: عروس جبال الرحمان، دار الهدى، عين مليلة 2012. ص 41.

[63] لا نعلم ما إذا كان هذا الكلام مبالغ فيه، أو أن ما حدث من فساد لطباع أهل المنطقة إن كان ذلك مؤكدا إنما كان نتيجة للتواجد العثماني بالمنطقة وللشركات الأحتكارية التي كانت تحت حمايتها في المنطقة، فقد ذكر بواري " أن في القل إدارة تركية تتكون من آغا أو قائد وأربعة ضباط يشكلون الديوان أو مجلسا مصغرا ومجموعة من جنود الانكاشارية.. وهدفهم محاصرة ابناء القل وتوفير الحماية للمسيحيين الذين يشتغلون في التجارة بالمنطقة" كما أشار أيضا أن هناك تنظيما مدنيا من أبناء القرى يتكون من قائدين وسبعة رؤساء يمثلون العائلات الكبيرة لكل قرية إلا أن هذا التنظيم لا يتحكم فعليا في النظام العام للمدينة، فهو مجرد تمثيل شرفي. للمزيد، انظر: Jean-Louis-Marie Poiret Op. Cit, 122

[64] Thomas Shaw, voyage dans la régence d'Alger, 2eme édition, traduction de l'anglais j. Mac Carthy, Edition Bouslama 1830, Tunis. P 339.

للجنويين الذين كانوا يتاجرون في البلاد، بل انشأ أيضا قرية في أعلى جبل مجاور يقيم بها حارس على الدوام للإخبار بالسفن المتجهة إلى الميناء[65]، يتجر سكان جبل سكيكدة[66] كثيرا مع الجنويين، فيدفعون لهم القمح مقابل أقمشة و غيرها من منتوجات أوروبا، و يمتد بين هذا الميناءو قسنطينة طريق مبلط بحجارة سوداء على نحو ما يشاهد في إيطاليا من بعض الطرق المسماة بالطرق الرومانية، و هذا ما يدل على أن سكيكدة من بناء الرومان"[67]

و واضح جدا أن الوزان يفرق في معرض حديثه هنا بين المدينة أو موقع المدينة القديمة روسيكاد و "مينائها الجيد" (سطورة)، لأن من سبقوه كانوا يخلطون بين تسميات المنطقة، فتارة ينعتونها باسم مرسى استورة و تارة بتسميات مختلفة منحوتة من الاسم القديم للمدينة من مثل "مرسى سيقدة " يقول البكري في القرن الثاني عشر[68]، بينما ذكرها الدكتور شاو باسم " سيجيكادا (sigigada) التي هي روسيكادا القديمة"[69] و ربما أن السبب في ذلك يعود إلى لغته الإنجليزية، لأنه و منذ القرن الرابع عشر باتت المدينة تعرف باسمها الحالي سكيكدة بحسب ما ذكره بن خلدون و غيره من الرحالة الأوروبيين.[70]

و نعتقد في غياب الوثائق التاريخية التي تؤكد ذلك أو تنفيه أن هذه المدينة بقيت في حالة شغور بعد نهاية الفترة القديمة، اللهم إلا مينائها الذي بقي مستعملا خلال الرحلات البحرية، و الذي ربما استقطب حوله بعض القبائل المنتشرة في الجبال على نحو ما سبق ذكره بغرض التجارة مع مختلف السفن التي تتوقف به، كما نعلم أيضا من خلال الوثائق الفرنسية أن هناك بعض القبائل التي انتشرت حول أثار المدينة في شكل قرى بسيطة ، فبالإضافة إلى قبيلة بني مالك، هناك قبائل بني مهنة السواحلية الذين سبق لهم و أن طردوا من جبل راس سكيكدة قبائل غجاتة أو ما كان يطلق عليهم بـ" عرب سكيكدة" ليحلوا محلهم منذ مائتي سنة قبل الاحتلال الفرنسي للمدينة سنة 1838[71].

---

65 الأرجح أن هذه القرية التي أقيمت بغرض المراقبة كانت في الناحية الجنوبية الغربية لميناء سطورة بجبال بولقرود، والتي ما زالت تحتفظ بتسميتها التركية إلى اليوم " الطبانة"، ولغرابة الصدف أنه بني مكانها اليوم ثكنة عسكرية. (الطالب).

66 كلمة سكان جبل سكيكدة قد تحمل دلالة واضحة على أنه لم تكن بالمنطقة مدينة قائمة على غرار بقية المدن وإنما كان السكان يتوزعون حول أثار المدينة الرومانية في شكل قرى صغيرة جدا، وأن من أهم القبائل التي كانت متوزعة في تلك الأرجاء نجد قبيلة بني مالك التي استوطنت حول وادي بني مالك والتي أجرى معها الفرنسيون اتفاقا بالانسحاب من ذلك الموقع مقابل مبلغ مالي زهيد وهو 150 سنتيم، فهل هذه الواقعة حقيقية أم أنها من المبالغات الاستعمارية التي يراد بها الإنقاص من النزعة الوطنية لأبناء المنطقة. (الطالب)، انظر:

Emanuel Vincent Fenech, Histoire de Philippeville, Philippeville1852.

67 الحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، المرجع السابق. ص 54-55.

68 أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، تحقيق د. جمال طلبة، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 2003. ص 245.

69Thomas Shaw, Op. Cit. P 340.

70 عبد القادر محمد تيش تيش، مونوغرافيا تاريخية وأثرية لمدينة روسيكاد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأثار القديمة، جامعة قالمة 2012. ص 18.

71 Edouard solal, Philippeville et sa region 1837-1870, Edition la maison des livres, Alger, page 14.

أما في داخل الأراضي، أي في العمق الجنوبي للولاية فقد انتشرت العديد من القبائل ذات الأصول المتداخلة والتي استفاض شارل فيرو في الحديث عنها وعن مواطنها[72]، ومن أهمها قبائل زردازة و بني والبان و بني تيفوت و بني صالح و غيرهم من القبائل التي على الأرجح شكلت تجمعات عمرانية بسيطة بعضها مستقل عن السلطة العثمانية و البعض الآخر من ضمن قبائل المخزن، و من أهم الأثار التي بقيت شاهدة على تلك الفترة الغامضة من التاريخ مسجد سيدي ادريس ذو الطراز العثماني بأعالي جبل ادريس.

[72] Feraud Charles, Documents pour servir à l'histoire de Philippeville, in RA. XIX, 1875.

3 تاريخ الأبحاث:

يعود الفضل في في استجلاء تاريخ سكيكدة القديم وبخاصة الروماني منه إلى أبحاث ومخرجات المدرسة الكولونيالية، فمنذ وطئت أقدام الاحتلال الفرنسي أرض المنطقة وشروع معاول الهندسة العسكرية في الحفر لإقامة المدينة الجديدة على أنقاض روسيكاد بدأت بالموازاة مع ذلك رحلة البحث والتحري حول اسرار هذه المدينة التي ظل اسمها مخفيا لقرون طويلة من الزمن.

و الحق أنه كانت قبل ذلك بعض المحاولات و لكنها على أهميتها مجرد إشارات طفيفة لا تسمن و لا تغني من جوع، إذ أنها مجرد ملاحظات بسيطة لرحالة و جغرافيين قاموا بعمليات مسح عابرة أو نقل بعضهم عن بعض معلومات بسيطة عن المنطقة، كما أن بعض هؤلاء الرحالة و بالأخص الاوروبيون منهم انصب تركيزهم أكثر على الجوانب الثقافية و الاثنوغرافية و الجغرافية و غيرها من المجالات التي كانت تدخل في صلب اهتماماتهم الرامية إلى التعرف على طبيعة و نمط معيشة السكان في شمال افريقيا و الاطلاع على مستواهم الحضاري و الفكري تمهيدا لإخضاعهم و السيطرة على أراضيهم، و حتى إذا ما حاولنا أن نحصي عدد من كتب حول المنطقة من بين هؤلاء الرحالة أو الجغرافيين و حتى المؤرخين فإننا لن نتجاوز عدد اصابع اليدين، فأقدم إشارة نجدها لدى الادريسي في القرن الثاني عشر[73] مثلما أوردناه في المبحث الخاص بتاريخ سكيكدة، يليه عبيد الله البكري[74] ثم محمد حسن الوزان[75] في جانب المؤرخين و الرحالة المسلمين، أما الاوروبيون فنجد كل من شاو Shaw[76] وغايون Gayon[77] و بواري Poiret [78] و مارمول Marmol.[79]

والامر نفسه فيما تعلق بالمؤرخين القدامى، وقد سبقت الاشارة إليهم أعلاه وإلى النصوص التي أوردوها بشأن المنطقة وبالخصوص شولو وروسيكاد، المدينتان الوحيداتان من بين مختلف المراكز الحضارية القديمة اللتان حظيتا بشرف الاشارة إليهما في أكثر من مصدر.

---

[73] أبو عبيد الله بن محمد المعروف بالشريف الإدريسي، المصدر السابق ص269.

[74] أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق،

[75] الحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، المرجع السابق. ص 54.

[76] Thomas Shaw, Op. Cit. P 340

[77] Guyon (le docteur), voyage d'Alger aux Ziban, imprimerie du Gouvernement, Alger 1852.

[78] 2 Jean-Louis-Marie Poiret, Op. Cit.340.

[79] Marmol y, Luis del. L'Afrique de Marmol de la traduction de Nicolas Perrot, sieur d'Ablancourt.[Pierre Richelet]. 1667.p 433.

و يعد فناك Fench أول فرنسي أفرد لمدينة فليب فيل كتابا مستقلا تناول فيه بشيء من التفصيل التاريخ القديم و الحديث للمدينة، و رغم كونه لم يكن باحثا متخصصا و إنما مجرد مستشار بلدي وأمين الغرفة التجارية ببلدية فيليب فيل إلا أنه مع ذلك تمكن من وضع حجر الأساس لكتابة التاريخ القديم للمدينة من خلال مرافقاته للطلائع الأولى لجنود الاحتلال و ملاحظاته التي تسنى له جمعها عن المراحل الأولى لبداية الاستيطان، فمؤلفه " **تاريخ فليب فيل**" Histoire de Philippeville و على قلة صفحاته إلا أنه اكتسى أهمية بالغة لدى الباحثين الذين جاؤوا من بعده، حتى أن بعضهم صرح قائلا " لو لم يخطف الموت منا هذا الرجل لما ترك لنا شيئا نقوله عن تاريخ فليب فيل"[80]، و قد استهل مؤلفه هذا بالحديث عن تاريخ روسيكاد و أهم البقايا الأثرية التي تم العثور عليها في بداية الاحتلال قبل أن تتعرض في اغلبها إلى التخريب و التهريب و الطمر إلى الابد، على شاكلة مدرج القتال الذي تم اقتلاعه حتى أساساته لاستعمال حجارته في بناء سور المدينة، و يبدو أن إتقانه للغة اللاتينية و اهتماماته التاريخية و مشاركاته مع بعض المهتمين بالتاريخ القديم قد اكسبته مهارة منهجية في استعراض ما يحوزه من المعلومات بشكل علمي، قبل أن يتطرق فيما بعد إلى التاريخ الكولونيالي للمدينة و يستعرض الظروف التي تم في غضونها اتخاذ قرار الشروع في بناء المدينة الجديدة بموقع مدينة روسيكاد تحديدا، أملا في بعث رسالة الاجداد الحضارية من جديد، و يوضح لنا هذا الجزء من الكتاب حالة التداخل ما بين العمران القديم والعمران الجديد للمدينة و هو أمر يضع أمام الباحث الأثري جملة من المعطيات الهامة التي تساعد في الوصول إلى تحديد أبعاد المدينة و فيزيونوميتها، و يشمل التاريخ الكولنيالي لهذا الكتاب فقط الفترة الزمنية الممتدة من 1838 إلى 1844.

وفي سنة 1839 أمر الحاكم العام للجزائر الجنرال سولت Soult بإنشاء لجان علمية داخل وحدات الجيش مهمتها تتبع الأثار القديمة و جمع التحف و كل ما من شأنه أن يضيء تاريخ الحقبة القديمة و تحديدا الحقبة الرومانية في الجزائر[81]، و كان من بين أعضاء هذه اللجان كل من أدولف دولمار Adolphe Delamar و أمابل رافوازي Aimable Ravoisier، اللذان أعد كل واحد منهما مجلدا من اللوحات الفنية و المخططات القيمة، و ذلك ما بين سنتي 1842 و 1845 تحت عنوان exploration scientifique de l'Algerie، حيث كان نصيب فيليب فيل من هذا العمل وفيرا، و ذلك من خلال الرفع الأثري و الرسومات و المخططات التي استفادت منها عديد المعالم و التحف و الايبيغرافيا المنتشرة هنا و هناك داخل حدود المدينة و بضواحيها، من ضمنها لوحات طبوغرافية لموقع مدينة روسيكاد و معالم أثرية كالخزانات المائية و المسرح و مدرج القتال و كثير من التحف التي ضاع بعضها و تلف بعضها الآخر، كل ذلك مرفوقا بالشروحات و التفاصيل المهمة عن ظروف الاكتشاف و مواقعها، و قد استدرك قزال Gsell فيما بعد

[80] Féraud (Charles), Op.cit.
[81] Février Paul Albert, Approche du Maghreb romain, tome 1, chaudoreille edisud Aix en Province 1989.p 20

بالشرح المستفيض هذه اللوحات بالاعتماد على النسخ الأصلية المودعة بمتاحف فرنسا و المتسمة بالوضوح الشديد على عكس النسخ المنتشرة على نطاق واسع ليزيد بذلك في قيمتها العلمية و يسهل استغلالها في مجال البحث.

بالإضافة إلى هذا، فقد قدم دولمار مساهمة قيمة من خلال مقال مطول بمجلة أثريي فرنسا *bull antiq de France* لعدد 1859 تعرض فيه إلى نبذة من التاريخ القديم للمنطقة قبل أن يعرج في الصفحات الموالية بشيء من التفصيل لأثار ضاحية سطورة انطلاقا من الميناء إلى مدينة فليب فيل متتبعا الطريق العلوي القديم سطورة – روسيكاد، حيث قدم مسحا شاملا لمختلف العناصر الأثرية المنتشرة هناك و المتمثلة في المنشآت المائية و المقابر و الأضرحة و المساكن (فيلات) و الجسور و غيرها من المخلفات الأثرية التي كان بعضها إلى ذلك الحين ماثلا للعيان و منها ما لا يزال موجودا إلى اليوم، و قد كنا عايناه خلال رحلة هذه الدراسة، و يعتبر هذا المقال من أثرى المقالات بالمعلومات و الملاحظات الأثرية القيمة التي تم كتابتها حول روسيكاد.

و من بين أهم المقالات أيضا التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة تلك التي نشرها الرائد دومارسيي Demarceilly بأولى أعداد مجلة جمعية قسنطية الأثرية RASC سنة 1853، و هو أيضا مقال مطول تناول فيه بشكل مفصل و شامل أهم الاكتشافات الأثرية بدائرة فليب فيل إلى ذلك الوقت، أين استعرض فيه هذه الاكتشافات بمختلف مناطق دائرة فليب فيل و التي تشمل حدودها تقريبا كامل حدود اقليم ولاية سكيكدة اليوم، علما أن الرائد دومارسيي كان من بين الطلائع الأولى من العسكريين الذين احتلوا منطقة سكيكدة و كان على رأس فرقة الهندسة العسكرية، حيث سمح له موقعه القيادي في هذه الفرقة بالاحتكاك المباشر مع المخلفات الأثرية اعتبارا من كون هذه الفرقة هي التي كانت تتولى الأعمال الانشائية في بداية فترة الاحتلال، و قد اضطر مثلما يشهد به هو نفسه في هذا المقال إلى القيام بهدم العديد من المعالم القديمة لصالح الحاجة الضرورية التي فرضتها ظروف الاحتلال و أحيانا حتى باستعمال المتفجرات.

و من بين الاعمال الجديرة بالتنويه و الإشادة أيضا في الحقل العلمي الأثري ما قاما به كل من شاباسيار Cabassiére و برتراند Bertrand، من خلال دراسة قاما بنشرها بالعدد 31 من مجلة أكاديمية هيبون *Bull de L 'acad d 'Hip* سنة 1904، و احتوت هذه الدراسة على عرض مفصل لأهم مكونات المدينة الرومانية روسيكاد موزعة على خارطة طبوغرافية حاولا فيها تحديد ابعاد المدينة و امتداداتها، مقدمين توصيفا دقيقا لهذه المكونات و ما تعلق بحالة الحفظ التي وجدت عليها و ظروف اكتشافها، و بالموازاة، قام شاباسيار بدراسة مفصلة لأثار المنشآت المائية بروسيكاد إلا اننا للأسف لم نقع على هذه الدراسة رغم ما بذلناه من جهد في محاولة الوصول إليها، كما كان له اسهامات أخرى في مجال التنقيب و الحفر بمدينة فليب فيل، أهمها تلك الحفرية التي قام بها رفقة لويس برتراند كذلك بالمسرح الروماني سنة 1899 و التي كان

الهدف منها معرفة الطبقة الأثرية البكر لبناية المسرح، و هو عمل شبيه إلى حد بعيد بذلك الذي قام به فريق من المركز الوطني للبحث في علم الأثار CNRA سنة 2011 كما سنأتي على تبيانه فيما بعد.

و بالحديث عن المسرح الروماني فإن بقاء هذا المعلم سالما و نجاته من طائلة التخريب الذي وقع على كثير من المنشآت الرومانية بمدينة روسيكاد في بداية الاحتلال الفرنسي على يد فرقة الهندسة العسكرية فإن الفضل في ذلك يعود للمهندس جوزيف روجيJosephe Roger، الذي كان أول من دق ناقوس الخطر بشأن ما تتعرض له أثار مدينة روسيكاد من تخريب و تهريب و اتلاف، حيث عمل بشكل حثيث و مكثف منذ لحظة وصوله إلى فليب فيل سنة 1856 على حماية تراث المدينة و التحسيس بأهمية إنشاء متحف أثري لإيواء الكم الهائل من التحف التي يعثر عليها يوميا أثناء عمليات انشاء المدينة الجديدة، بحيث تفيد التقارير التي تتحدث عن هذا الوضع حينها بالقول أنه " لو تسنى وضع ما يتم استخراجه يوميا من الأثار بالطريق الوطني لملأته عن آخره"، إذ كان يتم استخراج في كل لحظة و بأبسط عمليات الحفر تحفا لا تقدر بثمن.

و لأجل ذلك فقد قام روجي بتعرية مختلف أجزاء المسرح الروماني الذي كان مطمورا تحت الأرض و تنظيفه و استغلاله كمتحف بعدما قبلت طلباته من قبل السلطات البلدية و تخصيص غلاف مالي لإنشاء مستودع و القيام ببعض الاصلاحات بالمعلم حتى يصير لائقا لهذا الغرض، كما تم تعيين روجي أول محافظ على المتحف و هو ما مكنه من ترتيب و تنظيم مختلف التحف الموجودة هناك، بالإضافة إلى قيامه بإعداد كتالوج خاص بهذه التحف، و هو نفسه الكتالوج الذي اعتمد عليه قزال و برتراند لاحقا في إعدادهما لكتالوج جديد عند إنشاء متحف فليب فيل الأثري سنة 1898، بالإضافة إلى اسهامات أخرى قدمها روجي للعديد من المجلات و الدوريات المتخصصة في المجال في شكل مقالات و تقارير أثرية.

و خلال هذه الفترة تحديدا، أي منذ احتلال المدينة إلى نهاية القرن التاسع عشر ازدحمت الابحاث و الاعمال الميدانية بدائرة فيلب فيل، بحيث نجد العديد من التنقيبات الأثرية التي كانت تجري في معظمها على أيدي ضباط عسكريين و هواة مدنيين، و بعض أطوار و نتائج هذه الأعمال تم تدوينها و البعض الآخر مر دون اشارة تذكر، و من بين أهم هذه الأعمال ما قام به السيد قريميي Grimilly بالقرب من ميناء سطورة و كلل باكتشاف مقبرة مزدوجة الدفن، جزء منها خصص للدفن على نمط بوني و الجزء الآخر وفق نمط روماني، و كذلك تلك الحفرية التي قام بها لويس برتراند و أفضت إلى اكتشاف مقبرة بملكية السيد لزيور Lésieure على الطريق العلوي المؤدي إلى ميناء سطورة، و هي عبارة عن مقبرة مسيحية مميزة بطريق دفن في صناديق مغطاة بصفائح طينية، و كذلك الشأن بالنسبة تقريبا لكل مقابر المدينة التي تخللتها حفريات أبانت عما تحتويه من نمط جنائزي مما مكن من معرفة بشكل معتبر طبيعة ساكنة المدينة في الفترة القديمة.

و خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر التحق المتخصصون بركب الأعمال الميدانية و استلموا مهمة البحث العلمي في الجزائر و قاموا بتنظيم ما كان يحدث من عشوائية في مجال البحث الأثري، حيث ظهرت في هذه الفترة عدة اعمال بارزة و مقالات أكثر نضج و منهجية، و من بينها ما قام به شارل فار Charles Vars بالنسبة لدائر فليب فيل من خلال مؤلفه " سطورة و رسيكاد أو فليب فيل في القديم" Stora et Rusicade, ou Philippeville dans l'antiquité، و ذلك في سنة 1896 أين قدم لنا في هذا الكتاب تلخيصا عاما لما كان يحدث من اكتشافات أثرية و من محاولات سابقة لكتابة تاريخ فليب فيل القديم، و هو الكتاب الوحيد الذي خصص للتاريخ و اثار المدينة في الفترة القديمة إلى يومنا هذا تقريبا، و يتميز هذا الكتاب بدسامة معلوماته الأثرية و التاريخية، حيث استفاد فار من كونه نائبا لرئيس الجمعية الأثرية لقسنطينة و من تأليفه عاما قبل ذلك لكتاب عن تاريخ قسنطينة القديم، من المعلومات و الوثائق و الاكتشافات التي كانت تصل إلى الجمعية يوميا ليضمنها كتابه عن روسيكاد، و قد استهله بنبذة تاريخية قبل ان يتطرق فيه بعد ذلك لمختلف مرافق المدينة و مكوناتها، عارضا علينا في كل مرفق من المرافق أهم ما وصلت إليه الاكتشافات الأثرية في ذلك الوقت مع بعض القراءات و التحاليل الخاصة، و الحق أن هذا المؤلف يعتبر مونوغرافيا أثرية مفصلة لروسيكاد و سطورة و يجمع بين طياته كما هائلا من المعلومات الأثرية عن المدينة.

ومن بين القامات العلمية التي وضعت رحالها أيضا بالمدينة نجد العالم الكبير ستيفان قزال Stéphane Gsell الذي زار المدينة في تسعينيات القرن التاسع عشر وقام بالعديد من الأعمال الميدانية، من بينها اشرافه الشخصي على تنظيم وترتيب المجموعة المتحفية لمتحف فليب فيل والقيام بحفرية أثرية بالمدفن الفنيقي قريبا من المستشفى المركزي بمنحدر جبل بوعباز ومعايناته للنقيشات اللاتينية ونسخ نصوصها، كما كانت له اسهامات وافرة حول تاريخ وأثار روسيكاد وشولو وغيرهما من مناطق الولاية في مؤلفاته الكثيرة.

و يعتبر كتابه الأطلس الأثري للجزائر Atlas Archéologique de l'Algérie مرجعا أساسيا في مجال البحث الأثري في الجزائر ككل لما يتضمنه من مسح شامل لمناطق البلاد و ما تحتويه من مخلفات أثرية، و قد عرض قزال لأثار ولاية سكيكدة في الورقتين 8 و 9 ، ففي الورقة 8 المخصصة لدائرة فليب فيل شمل المسح الأثري فيها ما يوافق اليوم المنطقة المحصورة ما بين بلدية وادي زهور غربا إلى غاية الحدود الشرقية المتاخمة لبلدية سكيكدة (مقر الولاية) شرقا، و منها إلى بلديات كل من ام الطوب، بني والبان، عين بوزيان و أجزاءا من بلدية اولاد احبابة جنوبا، اما المنطقة الشرقية من اقليم الولاية فقد جاءت في الورقة 9 المخصصة لبون (عنابة)، و قد حاولت خلال انجازي لهذه الدراسة ان اتتبع ما أمكن الأثار الواردة في

الورقتين إلا أن ذلك كان صعبا من الناحية العملية، فعمل كهذا يتطلب وسائل و امكانيات لا أتوفر عليها، لذلك فقد اقتصرت فقط على بعض المواقع التي رجحت من وجهة نظري انها تقدم فائدة علمية مباشرة للدراسة، فضلا عن كون أن اغلب المواقع أو النقاط الأثرية المشار إليها إما اندرست أواجتاحتها حركة العمران أو تعرضت للتخريب.

كما قام قزال أيضا بإعداد كاتالوج مصور عن المجموعة المتحفية لفليب فيل ضمن موسوعته حول متاحف الجزائر و تونس، قدم من خلاله شروحات مستفيضة عن مقتنيات المتحف و ما تمثله من أهمية و ما تحتويه من معطيات علمية، و بالتالي فقد يكون قد قدم مساهمة كبيرة في كتابة تاريخ روسيكاد، و صحح كثير من المفاهيم و الحقائق التي كانت مغلوطة إلى ذلك الوقت، منها على سبيل المثال لا الحصر الاقرار بأن مدينة روسيكاد قامت على انقاض بلدة فنيقية و أن اسم تلك البلدة هو نفسه الاسم الذي انسحب على المدينة الرومانية، مضافا إلى كل تلك الاسهامات من خلال مجمعه الضخم للكتابات اللاتينية في الجزائر، حيث نجد في هذا المجمع في جزئه الثاني أكثر من ثلاثمائة نقيشة (300) عن دائرة فليب فيل بما في ذلك منطقة القل و ما جاورها، و هو رصيد هائل من الكتابات الذي لا يزال بعد خلوا من الدراسات العلمية و الذي يمكن من خلال هذه الدراسات رفع قيمة و بنك المعارف التاريخية حول روسيكاد.

و من الشخصيات التي قدمت أيضا اضافة نوعية لتاريخ الابحاث بمدينة سكيكدة نجد عالم اللسانيات الاستاذ جوداس Judas [82]الذي خصص مقالا هاما عن اصل تسمية طابسوص الذي قرنه بواد الصفصاف معتبرا أن الجذر اللغوي للكلمة اليونانية طابسوس يعود إلى أصول سامية (عبرانية)، و هي تعني أشجار الصفصاف، في محاولة للإشارة ربما إلى كون العبرانيين الذين انتقلوا إلى المنطقة ضمن الرحلات التوسعية للفنيقيين قد استطلعوا المنطقة و قدموا ما يملكون من معلومات عنها فيما بعد للموؤرخين اليونانيين، كما لا يستثني أيضا أن يكون اسما محليا بالنظر إلى أن السكان المحليين يطلقون على شجر الصفصاف اسم أصغار أو آسيف، و يمكن بسهولة الوصول إلى نتائج قيمة من خلال هذه الدراسة مفادها أن التسمية الواردة في مؤلفات المؤرخين الاغريق القدامى عن البلدة الواقعة بخليج نوميذيا إنما أطلقت بالخطأ بنسبتها إلى الوادي الذي يجري شرقي المدينة، و أن التسمية الصحيحة هي روس ايكادة.

هذا و قد كان لطبقة النخبة من الكولون الذين استوطنوا المدينة نصيبهم أيضا من الاسهام في محاولة كتابة تاريخ المنطقة، حيث استهوى كثير منهم الطابع الخاص لتاريخ المدينة و ما حولها و المتسم بحالة الفراغ الذي عرفته المنطقة خلال الفترة الوسيطة للاستثمار في هذه الوضعية و كتابة تاريخ يربط مباشرة رأس

[82] Judas. Sur l'identité des mots thapsus et safsaf .in mémoire de la societé des antiquaires de France.pp 190,192

جسر المدينة الرومانية بالمدينة الاستعمارية، بهدف ابراز الرسالة الحضارية التي جاء من أجلها هؤلاء و التقليل من أهمية المنجز الحضاري المحلي بل و تشويهه و أحيانا حتى التصريح بعدميته، و يدخل في هذا الاطار ما قام به كل من لويس برتران Luis Bertrand و ادوارد صولال Edouard Solall و ايميل ليدرمان Emile leaderman و شارل فيرو Charles Feraud، حيث ألفوا كتبا عن تاريخ فليب فيل و ضواحها، اتسمت كلها تقريبا بنفس الخطة و المنهجية و حتى عناوين المؤلفات جاءت متشابهة، و قد عرضوا خلال هذه الأعمال إلى ظروف الاحتلال و إنشاء المدينة و التوسع العمراني الذي عرفته المنطقة في ظل السيطرة الفرنسية و التنظيم الاقليمي للمقاطعة و مراكز الاستيطان بها، مرفوقة بالإحصائيات و المعطيات المتعلقة بتلك الفترة الممتدة م 1838 إلى غاية 1903، كما تخللت هذه المؤلفات بعض الإشارات للفترة القديمة بالمنطقة، إلا أنها لم تكن في أحسن الأحوال سوى بعض الملاحظات البسيطة لبعض الأثار المتواجدة هنا و هناك في الأماكن محل الدراسة.

و يعد لويس برتران أكثر هؤلاء النخبة نشاطا و حماسا في مجال البحث الأثري و التاريخي للمدينة و لدائرة فليب فيل عموما، اذ لا يكاد يخلو عمل من الأعمال في هذا المجال إلا و له مساهمة شخصية فيه، و قد مر معنا كيف انه شارك كلا من شاباشيار و قزال في العديد من المهام الأثرية، كما كان لإلحاحه الشديد و المساعدة القيمة لشارل فار الأثر البالغ في قيام هذا الأخير بتأليف كتاب سنة 1896 عن روسيكاد و الذي لولاه مثلما يقول "ما كان ليعرف هذا الكتاب طريقه إلى النور"[83]، بالإضافة إلى كل هذا فقد نشر برتراند العديد من المقالات و التقارير الأثرية بالدوريات و المجلات المختلفة و على رأسها مجلة الجمعية الأثرية لقسنطينة، من بينها مقالا مفصلا عن المسرح الروماني تحت عنوان و كذلك تقرير الحفرية الأثرية بملكية السيد لزيور و إعداده خلال توليه منصب محافظ المتحف الأثري لفليب فيل كتالوجا للمجموعة المتحفية لهذا الـأخير.

و من بين رجال العلم كذلك الذين قدموا اضافات معتبرة فيما يتعلق بالجانب الأثري و التاريخي للمنطقة نجد المهندس هنري فورنال Henry Fournele، الذي كلف حينها باستطلاع البلاد بغرض جمع المعطيات الخاصة بالثروة المنجمية التي تحتويها أرض الجزائر Richesse minérale de l'Algérie ، حيث قام بعملية مسح شاملة لمختلف المناطق بما في ذلك دائرة فليب فيل، أين قدم من خلالها الكثير من المعلومات حول الأثار المنتشرة بالمنطقة مع كثير من الشرح و التعليقات المفيدة في جانب البحث الأثري، حيث اعتمد

[83] Vars (Ch), Op.cit. P 12.

فيه منهجية قريبة جدا من تلك المعتمدة من طرف قزال في الاطلس الأثري، فقط من دون أن يرافق معلوماته الأثرية بخارطة طبوغرافية للتوزيع عليها الأثار المشار إليها.

وإلى حد ما قام السيد لوسياني Lucciani وهو هاو للأثار والتاريخ بعملية مسح أثرية مماثلة بكامل الجهة الغربية للولاية سنة 1886، حيث انطلق من مدينة فليب فيل عبر الساحل وصولا إلى مدينة القل ومنها إلى مختلف ضواحيها ثم لينتهي به المطاف أخيرا بمنطقة الخربة ببني وألبان، حيث قام خلال هذه الرحلة بوصف ما وقعت عليه عيناه من المخلفات الأثرية المتنوعة (خزانات مائية، منشآت هندسية، معالم جنائزية، بقايا لتجمعات عمرانية..) ونشرها بمجلة الجمعية الأثرية لقسنطينة العدد..، بالإضافة إلى قيامه بالعديد من الحفريات الأثرية بمدينة القل على غرار تلك التي شارك فيها النقيب هيلو وأفضت الى اكتشاف مقبرة ليبوفنيقية ونشرت نتائجها بمجلة BCTH لسنة 1895، ورغم أن لوسياني لم يكن متخصصا إلا أن كتاباته اتسمت بقدر معتبر من العلمية والتي تجعل مساهماته مفيدة جدا باعتبار أن كثير من المواقع التي قام بوصفها أو عمل على التنقيب بها قد اندثرت أو تشوهت نتيجة العامل البشري بدرجة كبيرة.

و بالحديث عن مدينة القل فإن الأعمال التي انجزت بشأنها ضئيلة جدا قياسا بتلك المنجزة بروسيكاد، فرغم كونها مدينة ذائعة الصيت قديما إلا أنها لم تحظ بدراسات و أبحاث تليق بتلك السمعة التي اشتهرت بها، و قد انتبه الكثيرون إلى هذه الجزئية التي تمثل مفارقة غير مفهومة من حيث حجم المدينة و إرثها الأثري الهزيل، حيث اعتبر بعضهم أن ذلك عائد بالأساس إلى عدم وجود أبحاث و حفريات جادة بالمدينة، بينما رأى بعضهم كما سنأتي على تبيانه في متون هذه الدراسة أن ذلك لكون المدينة قديما كانت أقل حجما من مدينتي روسيكاد و ميلاف و أن لقب المستعمرة التي وسمت به لا يجعل منها مدينة من الصف الأول.

و من بين المساهمين في أعمال التنقيب و الكتابة التاريخية بمدينة القل نجد كل من النقيب هيلو capitaine Hélo الذي قام بعديد الحفريات هناك، خاصة تلك المتعلقة باكتشاف المقبرة الليبوفنيقية و التي سنعمل على التفصيل فيها لاحقا و كذلك جوزيف بارس Josèphe Pares الذي بالإضافة إلى تنقيباته الأثرية المختلفة قام بتأليف مونوغرافيا تاريخية عن مدينة القل سنة 1933 فصل فيها بشكل معتبر أهم الأعمال الميدانية التي جرت فيها منذ بداية الاحتلال، و يعد هذا العمل الوحيد الذي تناول بشيء من التفصيل تراث مدينة القل، إضافة إلى بعض الأسماء التي أدلت هي الأخرى بدلوها و قدمت اسهامات معتبرة ستيفان قزال و شارل فيرو و ايميل ليدرمان و غيرهم من النخب و الذين حاولوا رغم شح المعطيات تقديم ما أمكن من القراءات التاريخية للمدينة التي ما زالت إلى اليوم ترزح تحت ثقل الصمت، و ربما لا يمكن تعليل ذلك إلا بكون المدينة على عكس روسيكاد عرفت حضورا إلى حد ما خلال الفترة الوسيطة، و كذلك في فترة التواجد العثماني و شهدت اعادة استعمال واسع لحجارة و معالم المدينة في عملية الاستيطان المتعاقب و هو ما أدى

بالتالي إلى اختفاء صورة المدينة الرومانية و جعل الكثير من الباحثين في الفترة الاستعمارية يعزفون عن الاهتمام بأثارها لطابعها المعقد، بينما نلاحظ نوعا من الاهتمام بعد الاستقلال و لو أن هذا الاهتمام كان محتشما و من طرف هواة في اغلب أحواله مثلما سنذكره في حينه.

كانت بلدية القل المختلطة خلال الفترة الاستعمارية تمتد لتشمل معظم أجزاء المنطقة الجنوبية من الاقليم الحالي للولاية، على غرار بلديات ام الطوب، بني والبان، سيدي مزغيش وصولا إلى غاية بلدية عين بوزيان، و قد حظيت هذه المناطق بمحاولات استكشاف من طرف بعض الضباط و الباحثين، أهمها ذلك الاستكشاف الذي أدى إلى العثور على مدينة رومانية بمنطقة الخربة (بني والبان)، و كان أول من تعرف على هذه المدينة و أشار إلى وجودها هو شاريي، الذي تسنى له جمع بعض النقيشات التي احتوت على اسم المدينة، ثم قام كل من ماسكاراي Masquiray و ريبو Rébou بدراسة بعض النقوش الأخرى خلصا من خلالها إلى معرفة التسمية الصحيحة لتلك المدينة و هي كلتيانا، ليقوم ماسكاراي بعملية حفر ما بين سنتي 1881-1882 استغرقت 13 يوما، تمكن خلالها من التعرف أكثر على بعض أجزاء هذه المدينة من بينها الفوروم و أحد المعابد، زيادة على جمع ما يربو عن 130 نقيشة رومانية أغلبها عبارة عن أنصاب جنائزية، كما قام رفيقه ريبو بمسح المنطقة من جديد و عثر على كثير من اللقى الأثرية مثلما هو مثبت في مقاله بهذا الخصوص في مجلة ..

كما ارتاد بارس المنطقة في وقت سابق وقدم وصفا لما وجد عليه أثار المدينة، أهمها السور الذي كان يحيط بالمدينة على مساحة تصل إلى 50 هكتارا، وكان مزودا بأبراج للمراقبة كل 200م، أما ما تعلق بأثار المدينة فقد أشار إلى أنها كانت في ذلك الوقت مبعثرة بشكل كلي في وضع شبيه تقريبا بما هو عليه الحال اليوم بمشتتة الخربة، وسط النسيج العمراني لمدينة بني وألبان، حيث أن هذه المدينة للأسف قد انزوت في معظمها تحت غطاء العمران الجديد، مما يصعب كثيرا من القيام بحفريات أثرية للتعرف عليها أكثر فأكثر.

هذه تقريبا هي أهم الأعمال والابحاث الأساسية التي نبشت في تاريخ المنطقة ونقبت عن أثارها خلال الفترة الاستعمارية، من دون أن نغفل بطبيعة الحال مختلف المساهمات الأخرى المتمثلة في عديد الأوراق والكتابات المتفرقة في مختلف المجلات والدوريات التي كانت تعنى بهذا المجال خلال العهد الاستعماري بالاضافة إلى ما هو موجود في خزائن الأرشيف سواء داخل أو خارج الوطن، وقد قمنا باستغلال بعضها في هذه الدراسة وبعضها لا يزال لسوء الحظ بعيدا عن متناولنا.

أما في فترة الاستقلال فإن البحوث التي عنيت بالمنطقة شحت تماما إلى درجة أننا لا نكاد نجد سوى بعض التقارير البسيطة من وقت لآخر خلال أغلب الفترات إلى غاية سنوات الثمانينات، أين بدأ الاهتمام بالأثار

عن طريق النشاط الجمعوي، من ذلك تأسيس جمعيتين، إحداهما بمدينة سكيكدة و الأخرى بمدينة القل، و قد قامت الجمعية بمدينة سكيكدة بالعمل على حماية الأثار التي كانت مودعة في مختلف مستودعات المدينة بعدما تم تدمير متحف فيليب فيل الأثري سنة 1953 إثر نشوب حريق مهول ببنايته، و ذلك من خلال التنسيق مع مصالح بلدية سكيكدة من أجل تخصيص فضاء لإيواء إحدى مجموعاته التي عثر عليها عرضا بأحد مستودعات المدينة (مستودع فساس)، لينشأ على إثر ذلك المتحف البلدي روسيكاد، و هو المتحف الوحيد الذي أنشئ بالولاية في فترة الاستقلال، و بالاضافة إلى كونه لا يضم إلى مجموعة بسيطة من التحف التي كانت تمثل أثرى المجموعات المتحفية في الجزائر و التي كان يضمها متحف فليب فيل الأثري فقد تعرض بسبب ظروفه المزرية إلى السرقة و تلف العديد من التحف.

وبمدينة القل أيضا تأسست جمعية لحماية أثار المدينة، وأدى نشاطها إلى العثور على عدة بقايا وتحف أثرية وجمع رصيد معتبر من الوثائق المتعلقة بالتاريخ القديم للمنطقة، كما قامت الجمعية بالابلاغ عن عدة اكتشافات عرضية مع تسجيل تدخل بعثات، إما من وزارة الثقافة في بادئ الأمر أو من المركز الوطني للبحث في علم الأثار CNRA فيما بعد وعذا من خلال مساهمة مديرية الثقافة للولاية.

أما على المستوى الأكاديمي فإننا لم نسجل إلا مع بداية الألفية الثانية بعض المذكرات التي لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، بعضها في طور الليسانس و أخرى على مستوى الماستر2 و مذكرتين في إطار ما بعد التدرج، منها تلك التي قمت بانجازها شخصيا من أجل الحصول على شهادة الماجستير تحت عنوان " مونوغرافيا أثرية و تاريخية لمدينة روسيكاد"، ما عدا هذا، فإن المنطقة لا تزال بعد في أمس الحاجة لمزيد من البحث الأكاديمي من أجل ابراز محتواها الأركيولوجي و التاريخي، و لو في شكل تربصات ميدانية لفائدة طلبة الأثار، على غرار ما تم القيام به من طرف مخبر .... بكل من موقع باراسيانيس (قرباز) وسطورة وحتى بالمتحف البلدي، حيث كلل هذا النشاط الميداني بتقرير علمي يستحق التنويه.

وتبقى أهم مساهمة فيما يتعلق بالنشاط الأثري بالولاية بعد الاستقلال هي تلك المنجزة من قبل مديرية الثقافة لولاية سكيكدة، حيث قامت هذه الأخيرة ومنذ إنشائها سنة 1994 عبر مصلحة التراث الثقافي بالعديد من الأنشطة (جرد وإحصاء، تصنيف وجرد في قائمة الجرد الإضافي، حفريات أثرية، مسوح أثرية، الحماية القانونية ...).

الفصل الأول

المراكز الحضرية

آثرنا أنا نتعرض في هذا الفصل من الدراسة إلى أهم المراكز الحضرية التي عرفها اقليم الولاية قديمـــــــــــا علما أن معظم هذه المراكز عرفت فيما بعد الفترة القديمة استيطانات متعاقبة، منها ما كان خلال المرحلة الوسيطة و منها ما كان في الحديث و المعاصر، و قد تعرضت خلال ذلك إلى التشوه و التخريب ما جعل من المتعذر تقريبا التعرف عليها اليوم، فضلا عن دراستها بشكل مفصل، لذلك، فقد حاولت اعتمادا على ما يوجد من مخلفات أثرية داخل النسج العمرانية للمدن الحالية و ما خلفه لنا الباحثون خلال الفترة الاستعمارية أو المؤرخون القدامى من كتابات و توصيفات أن أتتبع هذه المراكز و التعرف عليها و لو مبدئيا، في انتظار ما يمكن أن تجود به الأبحاث مستقبلا.

وإذا تتبعنا المصادر القديمة، وخاصة منها لوح بوتنغر وخارطة الانطونيين فإن أهم المراكز التي تمت الإشارة إليها في هاذين المصدرين هي كل من: **روسيكاد، شولو، باراسيانس، نيدبوس، فيلا سال، بالما،** وإذا كان قد تسنى حتى اليوم التعرف على معظم هذه المراكز فإن كل من: فيلا سال وبالما ونيدبوس تظل مجهولة، وكل ما يوجد بين أيدينا من معلومات ومعطيات أثرية حولها يدور كله في فلك الافتراض والتخمين لا أكثر.

و من بين جميع هذه المراكز تمثل روسيكاد أهم و أكبر مركز حضري قديما، كما أنها الأكثر وفرة بالمعطيات الأثرية و التاريخية، بحيث مكنت الأبحاث التي جرت بها خلال الفترة الاستعمارية اثناء انشاء المدينة الجديدة على انقاضها من تحديد نسبة كبيرة من شكل المدينة و مكوناتها، كما خلف ذلك أيضا رصيدا معتبرا من الدراسات و البحوث التي اعتمدنا عليها في عملنا هذا، بينما في المقابل تعرضت شولو إلى الاندثار جراء الاستيطان المتعاقب و ضاعت اغلب عناصرها الأثرية دون أن يامكن أحد من الاستفادة من معطياتها العلمية، و نفس الأمر فيما يتعلق كاستلوم كلتيانوم و بقية المراكز الأخرى.

I. روسيكاد. Rusicade الورقة 08 رقم AAA 196

الشكل: موقع روسيكاد، google earth بتصرف

1- الموقع الجغرافي لروسيكاد:

تتوسط روسيكاد الجزء الشمالي من اقليم الولاية، أو ما كان يسمى قديما خليج نوميديا، وقد أنشئ على انقاضها مدينة فليب فيل Philippeville التي أصبحت اليوم بلدية سكيكدة (عاصمة الولاية)، يحدها شرقا بلدية فلفلـــة جنوبا بلدية حمادي كرومة وبلدية الحدائق، غربا بلدية عين زويت، شمالا البحر الأبيض المتوسط.

2- **الخصائص الطبوغرافية للمدينة:**

تقع المدينة بين جبلي بويعلى غربا وراس سكيكدة (بوعباز حاليا) شرقا، بحيث تموضعت المدينة قديما على سفحي الجبلين الذين يخترقهما واديين صغيرين، أحدهما يجري باتجاه البحر والآخر يجري باتجاه سهل زرامنة جنوبي المدينة، هذا الأخير الذي يخترقه وادي الزرامنة ثم يتصل بوادي الصفصاف في الجنوب الشرقي للمدينة، مشكلين معا دلتا كبيرا من المستنقعات الفسيحة والتي تطلب لتجفيفها في بداية فترة الاحتلال الفرنسي جهودا كبيرة وعددا هائلا من ارواح الجنود الذين هلكوا بداء الملاريا[1].

أما من الجهة الغربية والشمالية الغربية للمدينة فإن الواقع الطوبوغرافي يتميز بوجود سلسلة من التضاريس الجبلية المحاذية لخليج سطورة، والتي تتخللها عديد الأودية الصغيرة، ومن أهم هذه الجبال سلسلة جبال بوالقرود التي تشكل ذرعا جبليا يقي ميناء سطورة من الرياح الشمالية والشمالية الغربية، كما أن هذه السلسلة كانت تمثل قديما وحديثا مركزا مثاليا للمراقبة العسكرية[2]، ومن أهم الأودية التي تخترق هذه السلسلة هناك وادي القردة ووادي القنطرة ووادي بني مالك. (الشكل 7)

3- **التوزيع العمراني لمدينة روسيكاد:**

كان لاحتلال المنطقة من طرف جيوش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال نيقريي بتاريخ 1838 وقعا حاسما على مصير المدينة، فمنذ البداية نصب الفرنسيون خيامهم فوق أنقاض روسيكاد وبدأوا أعمال الحفر والبناء مستغلين في ذلك العناصر المعمارية التي وجدوها إما مبعثرة في أنحاء الموقع أو اقتلعوها

[1] Solal Edourd, Op.cit.14.

[2] من ذلك أن العثمانيين بنوا بتلك المنطقة مركزا لمراقبة نشاط الميناء مثلما ذكره ليون الافريقي " وأن أمير قسنطينة بنى بأعلى جبل مجاور قرية للاخبار بمجيء السفن" وهذا الجبل لا يزال السكان إلى اليوم يطلقون عليه تسمية "الطبانة" وهي تسمية عثمانية وتعني نقطة المراقبة.

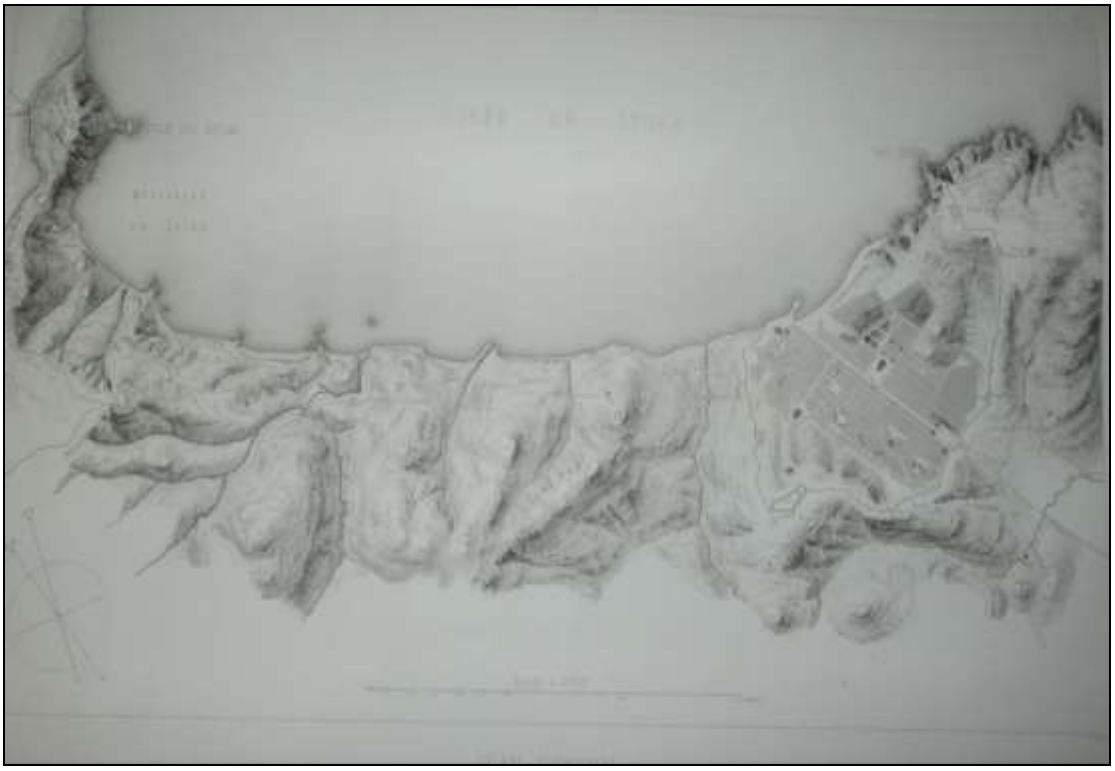

الشكل 7: موقع طبوغرافي لروسيكاد وسطورة، عن رافوازي.

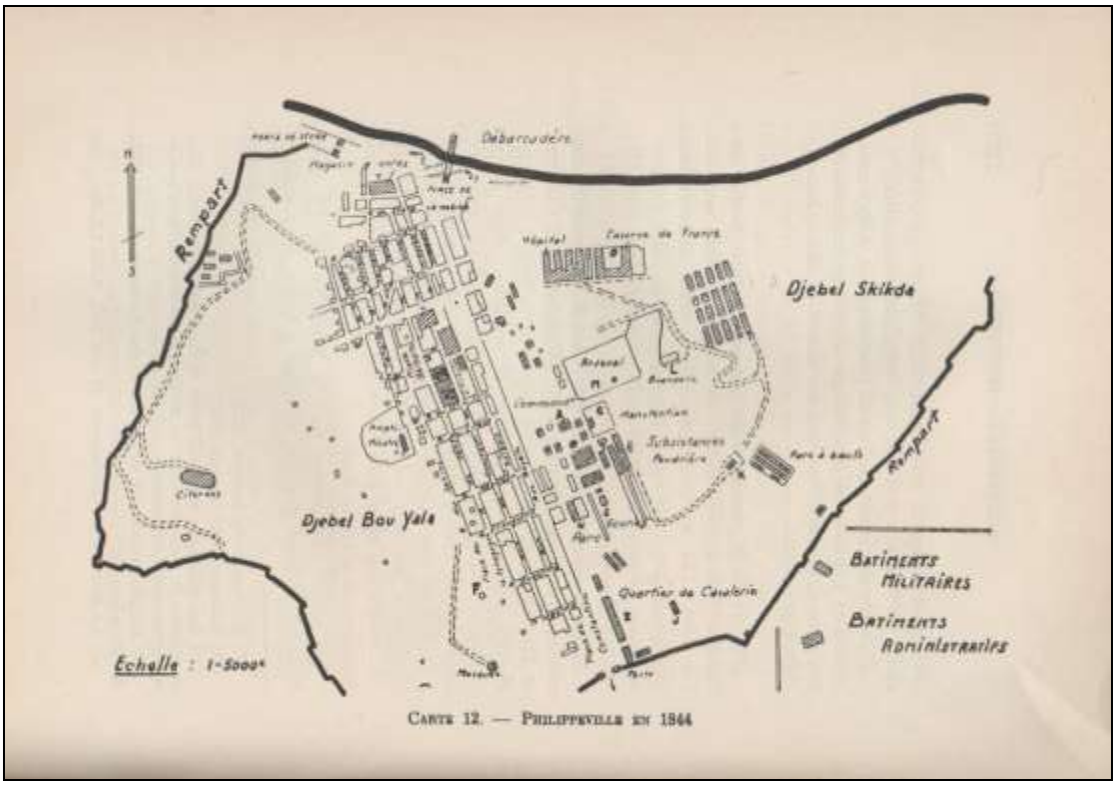

الشكل 8: مخطط مدينة فيليب فيل سنة 1844، عن ادوارد صولال.

من المعالم القائمة بعد تفكيكها وتدميرها، وقد انصب التفكير في البداية على بناء مقر القيادة (الحصن الفرنسي) والمستشفى العسكري وسور المدينة، وقد كان يتم ذلك في سباق محموم مع الزمن دونمراعاة للقيمة الأثرية للمدينة القديمة، بحيث أن ملامح المدينة الجديدة كانت قد بدأت تتحدد تقريبا في شكلها المستقبلي منذ سنة 1845. (الشكل8)

ورغم محاولة البعض متابعة ما كان يحدث من أشغال على الأرض وما تسفر عليه من اكتشافات إلا أن السرعة التي كانت تحدث بها هذه الأشغال حالت دون الإحاطة بكل الاكتشافات الأثرية وتسجيلها، وهو الأمر الذي جعل من المتعذر اليوم التعرف بشكل دقيق على التوزيع العمراني للمدينة الرومانية وانتشاره، ولو أن ما تم توثيقه يسمح إلى حد ما بتشكيل فكرة عامة عن فيزيونومية المدينة وامتداداتها.

لكن و قبل أن نتحدث عن التوزيع العمراني للمدينة، تجدر الإشارة أولا إلى أن روسيكاد قد نشأت أساسا بفضل ميناء سطورة الذي يبعد عنها بحوالي 4 كم في الاتجاه الشمالي الغربي، و أن توجيه السفن في الظلام نحو هذا الميناء كان يتم من خلال إشعال النار على رأس جبل سكيكدة بالناحية الشرقية للمدينة، و بالتالي فإن هذه المدينة هي كل متكامل يمتد من جبل راس سكيكدة (بوعباز) إلى غاية ميناء سطورة، و هذا الأخير كان الميناء الرئيسي الوحيد لروسيكاد بفضل عمق مياهه الذي يوفر إرساء مريحا للسفن و هو ما جعل المدينة بالنتيجة تتكون من كتلتين رئيسيتين متكاملتين لا تقل إحداهما عن الأخرى في الأهمية، هي كتلة الميناء بقطاعه الذي يحوي عديد المرافق و المباني، و كتلة المدينة نفسها المحاطة بسور كبير بين جبلي بوعباز و بويعلى.

وقد فرض الواقع الطوبوغرافي للمنطقة هذا التقسيم، فالمنطقة تتكون من سلسلة متتالية من الجبال حيث تنعدم فيها المساحات الكافية لإقامة تجمعات عمرانية كبيرة، ولذلك نرى أن الفنيقيين ثم الرومان من بعدهم وحتى الفرنسيون لاحقا قد ساروا كلهم في نفس منطق التوسع العمراني بالمنطقة، حيث أن الموقع الوحيد المنبسط بشكل يسمح بالتعمير عليه، هو حيث توجد المدينة اليوم.

بالنسبة للمرحلة الفينيقية فإن ما تم العثور عليه من أثار تخص هذه الفترة تشير إلى نوع من الاستيطان بكل من أعلى جبل راس سكيكدة (بوعباز) وبالقرب من ميناء سطورة، وهي عبارة عن أثار جنائزية تمثلت في غرف للدفن محفورة في الأرض بأعلى جبل بوعباز حيث المستشفى المركزي اليوم[3]، ومقبرة تتألف من

[3] Stéphane Gsell, fouille de Gouraya (sépultures puniques dans la cote Algériennes), exécutées et publiées sous les auspices de l'association historique, paris 1903. P 47.

عدة قبور بطريقة الدفن داخل الجرار بالقرب من ميناء سطورة شمالا من الخزانات الرومانية[4]، بالإضافة إلى بعض القطع الأثرية المنقولة التي عثر عليها في المكانين السابقين.(الصورة 1، الشكل 9).

و قد قدم لنا قزال وصفا للمدفن المحفور بالمرتفع الذي يقوم عليه المستشفى العسكري سابقا (المركزي حاليا) و الذي أجريت به حفائر سنة 1845 مكنت من التعرف على هذا المعلم المتكون من غرفتين متتاليتين، تحتوي كل واحدة منهما على فراغات جانبية (انظر الشكل)، تضم الغرفة الثانية تابوتا من الرصاص، و قد استخرج من المدفن خلال الحفرية بعض الأثاث الجنائزي المتمثل في مزهريات زجاجية و كوب من الفخار متقن الصنع و ثمانية وجوه لأسود من البرونز، أربعة منها ذات قطر 0.23 م و البقية أقل حجما، و يبدو أنها كانت تزين صناديق تحمل عظاما على شاكلة ما تم العثور عليه في مقابر فينيقيا الأم، إلا أن الوجوه التي كانت تزين التوابيت في تلك المقابر أكبر حجما من مثيلاتها في فليب فيل (سكيكدة)، و قد ضاع هذا الأثاث الجنائزي خلال تنقيبات 1845 و لم يعد يمكن التعرف عليه إلا من خلال لوحات دولمار[5].

أما المقبرة شمالا من خزانات المياه بسطورة فقد كان أشار إليها الدكتور غايون في كتابه رحلة إلى الزيبان سنة 1847، حيث تمكن من تمييز نوعين من القبور، ففي جهة من المقبرة يوجد الدفن داخل الجرار أما في الجهة المقابلة فنجد طريقة الدفن داخل ثوابيت حجرية عليها نقائش لاتينية،[6] و قد رأى شارل فار أن هذه المقبرة هي من نوع المقابر المزدوجة و التي تضم قبورا فنيقية و أخرى رومانية[7]، ثم توالت الحفريات بهذه المقبرة، قام بإجرائها كل من السيد قريميي Grimilly سنة 1865 و أفضت نتائجها إلى التعرف على حدود المقبرة و امتداداتها و أنواع طرق الدفن المتبعة ما بين الحرق و ترك العظام على حالها[8]، و تلك التي أجراها لويس برتران برفقة قائد فرقة الدرك بسطورة الذي كان مولعا بالأثار على إثر انزلاق أرضي بالمقبرة سنة 1900، و قد خلص برتران من خلال هذه الحفرية إلى التأكيد على النتائج السابقة من أن طول المقبرة هو 1000م و عرضها 150م و أنها تأخذ اتجاه شمال شرق – جنوب غرب، و أن القبور الفنيقة تحتل فقط جزءا بسيطا من مساحة المقبرة 60 م/ 1000 م بالموقع الشمالي للخزانات[9]

[4] Guyon (le docteur), voyage d'Alger aux Ziban, imprimerie du Gouvernement, Alger 1852.
[5] Gsell (St), Op.cit. p 47
[6] Guyon (le docteur), Op.cit. P
[7] Vars Carles, Rusicade et Stora dans l'antiquité, impr A Vapeur Emile marle, constantine 1896. P 24.
[8] Grimilly Louis, in R.A 1865. P 75
9 **L**ouis Bertrand. La nécropole Phénicienne de Stora. In. BCTH 1901. P77.

صورة 1: قبر فنيقي بمقبرة سطورة، من حفرية لويس برتران

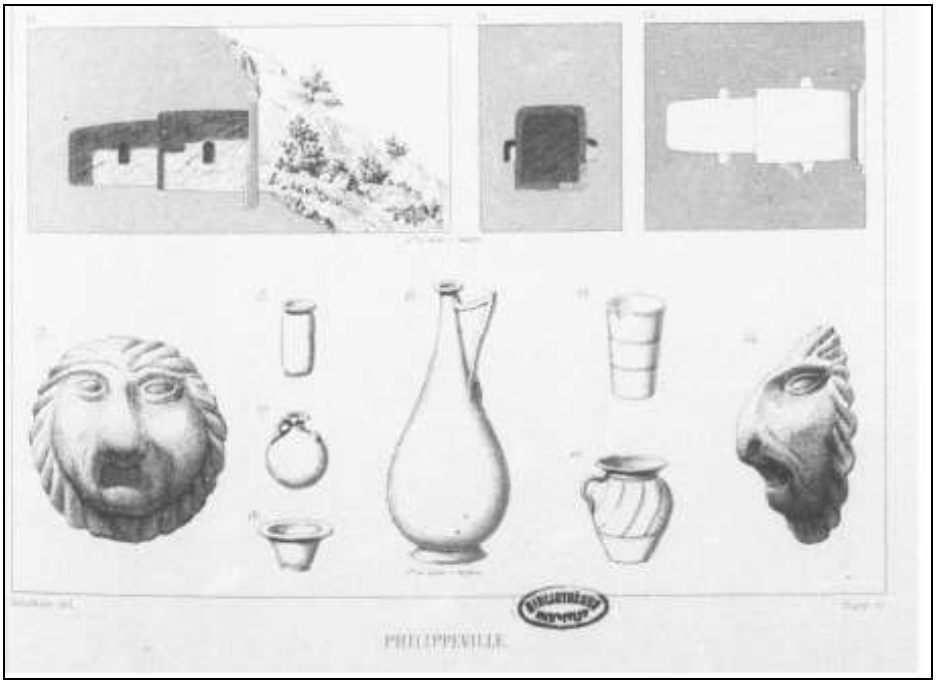

الشكل 9: الأثاث الجنائزي المكتشف بالمدفن الفنيقي قرب المستشفى العسكري سابقا، عن دولمار

و يبدو من خلال هذا الانتشار الأثري أن حركة التعمير في الفترة الفنيقية قد تركزت أولا حول الميناء و بأعلى جبل راس سكيكدة، و ذلك للحاجة التي دعا إليها النشاط البحري و التجاري، و لا يمنع أن يكون العمران قد توسع فيما بعد نحو الداخل، بين الجبلين، و هذا على الأقل منذ القرن الرابع قبل الميلاد مثلما أشار إليه سكيلاكس، الذي تحدث عن بلدة باسم طابسا بهذه الانحاء خلال تلك الفترة، كما أن التقارير الأولى للاحتلال الفرنسي أفادت بوجود سور داخل المدينة ينطلق بالقرب من مبنى مجلس القضاء حاليا (وسط المدينة القديمة) نحو البحر، و حتى إن كان الوصف المقدم بشأن هذا السور يجعلنا نرجح أنه يعود إلى الفترة الرومانية بالنظر إلى تقنية البناء المعروفة بالنظام الافريقي (Opus Africanum)[10] ، إلا أن ذلك لا يمنع أن يكون أقدم من تلك الفترة و أنه ربما يعود إلى النشأة الأولى للمدينة على يد الفنيقيين[11]، و أن الرومان عند استيلائهم على المدينة فيما بعد، أعادوا بناء هذا السور مجددا تعزيزا للمنظومة الدفاعية للمدينة مثلما جرت عليه تقاليد الرومان في ذلك.

وعموما، فإن إعادة الرومان إطلاق نفس التسمية على المدينة " روسيكاد" لا يدل إلا على شيئ واحد، وأن الرومان قد وجدوا فعلا مدينة قائمة بهذه التسمية، وأن طابسا أو طابسوس ما هي إلا تسمية أطلقت بالخطأ على المدينة من طرف سكيلاكس في الوقت الذي كان يقصد بها وادي الصفصاف.

استمرت هذه المدينة خلال حكم الملوك النوميديين و هذا بعد سيطرتهم عليها عقب الحرب البونية الثانية إلى غاية 45 ق م، حيث كان ماسينيسا وخلفاءه من بعده يقومون من خلالها بمبادلاتهم التجارية مع روما وبلاد الاغريق[12]، ويفترض أن هناك طريقا كان يربط روسيكاد في تلك الأثناء بسيرتا، و هو نفسه الطريق الذي سيقوم الرومان لاحقا بتوسيعه وتحسينه خلال عهد الامبراطور هادريانوس[13].

ومنذ سنة 45 ق م حتى نهاية المرحلة السيرتية في القرن الثالث للميلاد عرفت المدينة نشاطا عمرانيا كبيرا، بفضل الإستقرار والسلام الذي نعمت بهما الامبراطورية الرومانية، وبفضل مكانة المدينة نفسها التي

---

[10] De Marceilly Comandant, Notices sur les vestiges de l'occupation romaine dans le cercle de Philippeville. *In* RSAC 1953. P 23.

[11] ما يسوغ هذا الاعتقاد هو انتماء المنطقة جغرافيا لمجال امبراطورية قرطاجة في إطار الأراضي الميتاقونية، و من غير المعقول أن ينشئ الفنيقيون بالخليج النوميذي موانئ لتترك لاحقا دون إدارة تشرف على سير الأعمال التجارية فيها، و قد ثبت من خلال الأثار الجنائزية التي عثر عليها أن هناك استيطانا معتبرا للفنيقيين بالمدينة، و أن بعضا من هذه الأثار تشير بوضوح إلى أن هناك طرق دفن لا تليق إلا بشخصيات مرموقة قد تمثل حكاما فنيقيين أشرفوا على إدارة المدينة، و إذا علمنا أن ميناء سطورة ارتبط منذ القدم ارتباطا و ثيقا بسيرتا ذات النشأة الفنيقية فإنه لا يمكن في هذه الحالة تصور أن يكون الميناء مجردا من مدينة تستوعب الحركة الاقتصادية التي كانت متبادلة بين الميناء و سيرتا.انظر: Nicolas Carayon Nicolas, les ports Phéniciens et puniques, géomorphologie et infrastructures, volume 1, thèse de doctorat université Strasbourg II, 2008. PP 182-183.

[12] صفيان بوسلن، العلاقات التجارية بين مملكة نوميديا وبلدان الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 05، العدد 11، سبتمبر 2017.

[13] عثر على عدة أنصاب تشير إلى تلك الاصلاحات، منها نقيشتين من نص واحد، واحدة بالقرب من جسر وادي بني مالك شمال المدينة والأخرى بوادي هاجر عند مخارج مدينة قسنطينة وهذا نصها " تحت حكم الامبراطور قيصر اراجانوس أدريانوس قامت الجمهورية السيرتية على نفقاتها ببناء جسور الطريق الجديد من سيرتا إلى روسيكاد". انظر: Demarceilly, op, cit, p 33.

كانت تمثل رأس جسر يربط بين الضفة الشمالية وحقول نوميديا، وبفضل الإمكانيات الطبيعية أيضا التي تتوفر عليها المدينة من مثل وجود مقالع الرخام الفاخر والحجر الجيد.

وقد امتد عمران المدينة في هذه الفترة ليغطي تقريبا كامل سفحي الجبلين، من أعلى رأس بويعلى ورأس بوعباز حتى التقائهما عند نهري المدينة الذي يجري أحدهما باتجاه البحر والآخر باتجاه سهل زرامنة كما سلف الذكر، ومن ميناء سطورة وصولا إلى حدود سهل زرامنة، فيما يشبه تقريبا شكل المدينة الكولونيالية فليب فيل في نهاية القرن العشرين.

على أن تعمير هذه المساحة لم يكن بنفس الكثافة و الحجم، ففقط في وسط المدينة حيث وجد تركيز كثيف للمباني و في الناحية الشمالية الشرقية لسفح جبل بويعلى، أما بقية المناطق فكان تركيز المباني فيها ضعيفا، إذ أنه ما بين سنتي 1892 و 1893 أجريت بعض الأشغال على مستوى جبل "عدونة" و هو جبل يحاذي مباشرة جبل بوعباز إلى غاية ثانوية العربي التبسي (حي سكيكدة) حيث لوحظ نوعا من الاستيطان الضعيف بهذه الجهة أو ينعدم تماما[14]، و الواقع أن هذه المنطقة تتميز فعلا بمستويات شديدة الإنحدار و لا توفر مساحات ملائمة للتعمير ، أما في الجهة السفلى منها، أي تقريبا حيث يتواجد مسجد بن باديس اليوم و من حوله فإن طبوغرافية الأرض تتميز بنوع من الانبساط و هو ما مكن من إقامة عدة مباني هناك لا تزال أثارها ماثلة إلى اليوم.

وهذا ما أكده دومارسيي في الدراسة التي أعدها عن أثار دائرة فليب فيل، حيث ميز وجود ثلاثة أحياء كبرى بالمدينة، يقع الأول منها على المنحدر الغربي لجبل سكيكدة أسفل المستشفى كما ذكرنا، وحسبه فإن مباني هذا الحي" أقل أهمية ... بينما في عمق الوادي (الطريق الرئيسي) والمنطقة الساحلية والقاعدة الشرقية لجبل بويعلى فتوجد المباني الهامة من خزانات ومعابد ومرافق عمومية ونوافير عملاقة"15.

و هو نفس الحي أو المنطقة العمرانية التي يشير إليها فناك بقوله " داخل سور ضيق توجد أثار رائعة حيث يمكننا من خلال الآثار المستخرجة الاعتقاد أن مدينة روسيكاد بنيت كلها من أعمدة من الرخام والغرانيت"[16]

أما الحي الثالث فهو الذي تنتشر مبانيه الفخمة والمتعددة على مستوى الجهة الشمالية لجبل بويعلى "حيث نجد أثار المباني المختلفة عند كل خطوة نخطوها هناك".

[14]Julle Chabassiére et Bertrand Louis, Rusicade d'après ses ruines, Extrait du bulletin de l'Accadémie d'hippone n° 31 BONE 1904, p 04.

[15]Demarceilly. Op. Cit. P 26.

[16] Fenech Emanuel Vincent, Histoire de Philippeville, Philippeville1852, p 25

وأخيرا فإن "دومارسيي" يجعل المسرح الروماني كحد جنوبي للمساحة العمرانية بالمدينة ويقـــــول إن "بينه وبين السيرك الذي يقع نحو الجنوب الشرقي خارج سور المدينة لا توجد إلا بعض القبور وأساسات المباني المعزولة من مثل أساسات أحد الخزانات قرب ثكنة الفرسان[17] (حاليا مسجد ابن باديس)[18].

أما الجهة الشمالية الغربية، ونعني بها المنطقة الممتدة من المدينة إلى ميناء سطورة فقد كانت هي الأخرى رغم الطابع الطوبوغرافي للأرض عامرة بمختلف المباني على نحو ما ذكره دولمار" رغم أن الأرض المنبسطة حول الطريق نادرة جدا، لكن القدامى استغلوا جميع النقاط التي من الناحية الفيزيائية تسمح بالبناء عليها، إلى درجة أن المباني لا تكاد تنقطع هناك على امتداد الطريق، فيلات متهدمة، بقايا جدران مغيبة تحت الأرض لا يظهر منها إلا قليل، قاعات تحتوي على فسيفساء ..."[19].

وكذلك الشأن بالنسبة للمنطقة المحيطة بالميناء، إذ ونظرا لضيق الشريط الساحلي وانعدام الأراضي المنبسطة باتجاه العمق هناك فقد أنشئت الخزانات والمخازن ومختلف المرافق تقريبا كلها على ضفاف الساحل مباشرة.

وختاما يمكن القول إن روسيكاد القديمة ما هي في النهاية إلا فليب فيل الكولونيالية، سواء من خلال التوزيع العمراني للمدينة أو طبيعة المرافق التي أنشئت بها، وهو ما ما سنراه في المبحث الموالي.

4- **المرافق العمومية**:

لا تختلف روسيكاد كثيرا عن تلك المدن الرومانية التي بنيت بشمال افريقيا من حيث التخطيط و توزيع المرافق العمومية، فقد روعي في انشاء المدينة تقسيم المدينة عن طريق الكاردو ماكسيموس الذي يأخذ اتجاه جنوب شمال و الديكومانوس ماكسيموس ذو الاتجاه شرق غرب، و هذا رغم طوبوغرافية المنطقة التي يقسمها نهرين صغيرين متعاكسي الاتجاه، حيث يحاذي طريق الكاردو ضفاف النهرين انطلاقا من باب المدينة الجنوبي الذي يطلق عليه اسم باب قسنطينة (اليوم) إلى غاية ساحة أو نوفمبر شمالا، ثم ينعطف غربا عابرا باب سطورة باتجاه الميناء.

---

[17] Demarceilly. Op. Cit. P 28.

[18] جرت عملية توسيع المسجد في السنوات القليلة الماضية، وقد أمكن خلال مجريات الأعمال استخراج العديد من الحجارة المنحوتة من الموقع والتي تتسم بالضخامة كما أمكننا رؤية بقايا الجدران المتباعدة عن بعضها البعض بشكل متوازي كل 3 إلى 4 م، بالاضافة الى وجود جدارا بسمك المتر تقريبا على التماس المباشر لرصيف الطريق ما زال قائما إلى اليوم، أما قبالة المسجد من الناحية الشمالية مباشرة وأثناء قيام أحد الخواص ببناء مسكنه فقد لوحظ عند القيام باشغال التهيئة اساسات مباني كبيرة. (الطالب).

[19] De Lamare Adolphe, Etude sur Stora in Bull Ant de France, 3 série, tome 4. 1859, p 156.

ففي الجزء الجنوبي من المدينة، فإن الطريق يحاذي الضفة الشرقية للوادي إلى غاية وسط المدينة حيث بني الفوروم أو الساحة العامة، لينعطف هناك عبر جسر نحو الضفة الغربية للقسم الشمالي من المدينة و قد قام الرومان ببناء حافتي الواديين بجدران داعمة و قاموا بتوصيل قسمي المدينة بمجموعة من الجسور الصغيرة، و هو ما كشفت عنه الأشغال خلال الحقبة الاستعمارية من أجل انجاز الطريق الوطني أو الرئيسي للمدينة (ديدوش مراد اليوم)، الذي اتبع نفس مسار الطريق الروماني بعد طمر الواديين[20].

أما طريق الديكومانوس فهو نفسه تقريبا طريق بوجمعة لباردي اليوم، والذي كان ينطلق شرقا خلال الفترة الرومانية من المرتفع القريب من مبنى الكابتول ويصل غربا إلى باب المسرح الروماني محاذيا الفوروم الذي يقع على يساره ناحية الجنوب.

كما أحيطت المدينة بأسوار دفاعية، و حسب ما ذهب إليه شاباسيار، فإن روسيكاد كانت تحظى بنظام دفاعي مزدوج، مع وجود سور داخل النسيج العمراني للمدينة و آخر يحيط بالمدينة عبر مرتفعات جبلي بويعلى و بوعباز مرورا بمنخفض باب قسنطينة[21]، حيث أن أثار السور الداخلي كانت ماثلة عند بداية انشاء المدينة سنة 1852 مثلما أكده كل من فناك و دومارسيي، و يتكون من من أبراج دائرية و جدران بنيت بطريقة الملء مع وجود صفوف أفقية من الآجر تقطعها سلسلة من الحجارة المنحوتة، و يبدو أن هذا السور كان محيطا بالجزء الشمالي للمدينة على اعتبار أن الأسوار كانت باتجاه البحر[22].

أما السور الخارجي، أو المحيط بالمدينة ككل فيبدو أن مساره القديم هو نفس المسار الذي بنى على وفقه الفرنسيون سور المدينة الحالي[23].

4. 1- الفوروم:

احترم الرومان عند انشاء مدينة روسيكاد المبدأ في أن يتوسط الفوروم قلب المدينة عند تقاطع الطريقين الرئسيين CM.DM، إذ دلت الأثار المكتشفة أن قسما كبيرا من فوروم المدينة تواجد تحديدا في معظم القسم الغربي لساحة الحرية اليوم، أين كانت تقوم كنيسة القديس فليب[24] التي بنيت بدورها على أنقاض كنيسة القديسة دينيا[25] و المحتمل أنها بنيت بدورها على انقاض البازيليكا الرومانية.

---

[20] Chabassiére et Bertrand, Op. Cit. P 16.

[21] Chabassiére et Bertrand, Ibid.

[22] Demarceilly. Op.cit. p 27

[23] Chabassiere et Bertrand, op. Cit, p 8.

[24] هدمت هذه الكنيسة عن آخرها في بداية الثمانينات من القرن الماضي بقرار بلدي بدعوى محو الأثار الاستعمارية.

[25] مما يدل على موقع هذه الكنيسة هو العثور على قبر(2.20 م × 0.60م) تحت قطعة فسيفساء مربعة الشكل (4م) لكل ضلع، يحوي القبر على هيكل عظمي مكتمل الاجزاء، رأسه موضوع على لوح رخامي و بجواره أربعة مسامير معدنية دات 10 سم في دلالة على قدسية المتوفي: انظر: Edmande Leblant, Découverte d'une inscription chrétienne à Philippeville, IN BCTHS 1886, p 370. ، و قد احتدم جدل كبير بين الباحثين حول هذه القديسة ، فيمن يعتبر أن هذا القبر هو قبرها، و من يرى أنه للقديس نافغيوس، و كذلك بخصوص ظروف

و من الأثار المكتشفة في موقع الفوروم و الدالة عليه، مجموعة من التماثيل التي كانت تزين ساحة الفوروم area، من بينها تمثال الامبراطور أنطونينوس و بعض الشخصيات البلدية (حاليا بالمتحف البلدي روسيكاد)[26]، و كذلك على نقيشة من الرخام (0,48 م × 0,12 م) تتحدث عن بناء كنيسة من طرف الأسقف نافغيوس (Navigius) تخليدا لذكرى القديسة دينيا التي استشهدت بروسيكاد في غضون القرن الثالث للميلاد27، و من بين النقائش أيضا التي عثر عليها في المدينة و المتعلقة بفوروم روسيكاد نقيشة تتحدث عن بناء محكمة و المنصة (rostres) من طرف كايكيلوس غالوس و هو من قبيلة غاليريا و مفوض عن مجلس المستعمرات الأربع إلى روسيكاد " يور ديكوندو" بالاضافة إلى ألقاب أخرى باسم زوجته بروكسينيا و أبنائه الأربعة غالا، غالوس، كوروكانيا، نيجلينا[28].

ويعتقد شارل فار أن فوروم روسيكاد، بالاستناد إلى المخلفات التي عثر عليها وبالإستناد أيضا إلى معايير فيتروف (Vitruve)يضاهي في الحجم فوروم تاموقادي، وأن مدينة روسيكاد على هذا الأساس لا تقل حجما ولا أهمية عن تلك المدينة[29].

4 . 2- المعابد:

انتشرت المعابد في المدينة عبر عدة نقاط مثلما دلت عليه مختلف البقايا الأثرية التي عثر عليها أثناء انشاء المدينة الجديدة، وقد تبين من خلال هذه المعثورات وجود على الأقل سبع معابد هامة بالمدينة هي كل من معبد جوبتير، معبد فينوس، معبد النصر، معبد بيلون، معبد ميثرا، معبد هيجيا وأخيرا معبد مجهول، موزعة داخل النسيج العمراني للمدينة وعلى مرتفعاتها.

فمعبد جوبتير أو ما يرجح من طرف الكثير أنه الكابتول[30] وجد بالمرتفع الشرقي للمدينة (راس سكيكدة)، مكان المستشفى العسكري سابقا، والذي كان ينطلق منه كما ذكرنا سابقا طريق DM، ويبدو أن حجارة هذا المعبد الضخم _ الذي كان يشرف من خلال موقعه العالي على رؤية شاملة للمدينة _ قد أعيد استعمالها في بناء المستشفى العسكري، حيث تم العثور عقب بنائه على عدة حجارة متناثرة بمحيط الموقع، وعثر أيضا في وسطها على كتابة نذرية للإله جوبتير [31](Iovi O.M. Apennino) .

استشهادهما و المذهب الذي ينميان إليه. انظر: Allard (Paul). Histoire des persécutions tome I paris 1900 p 447 و كذلك :
Toulotte antole. Geographie de l'afrique chritienne. Numidie. Paris 1894 p 261

[26] Chabassiere et Bertrand, Ibid. p 24.

[27] Vars (Ch), Op.cit. p 98.

[28] Vars, Ibid. p 96

[29] Vars, Ibid. p 94.

[30] بينما يرجح رافوازي أن وجود الكابتول هو مكان المسرح البلدي (المسرح الجهوي حاليا) والذي بني فوق خزانات مائية، غير أن هناك من يعتبر أن هذا المعبد هو معبد فينوس كما سنراه لاحقا. انظر Gsell (St)، Les monuments antiques de l'Algérie, Paris 1901, Tome I, P 153.

[31] Chabassiere et Bertrand. Op. Cit. P 27.

أما بالنسبة لمعبد بلون، فقد بني على السفح الغربي لجبل بويعلى وهو المعبد الذي بني مكانه خلال بداية الاحتلال الفرنسي حصن أورليون والذي أصبح اليوم دارا للعجزة والمسنين، حيث دلت على وجود هذا المعبد كتاباتان نذريتان، إحداهما لكاهن يدعى سكستوس جاء فيها:

نص الكتابة مترجما:

مخصص لبلون اوغسطوس

سكستوس فليكس ابن كوينتوس

كاهن الألهة بمساعدة أبنائه بروكولوس وتريونبال

وهما أيضا كاهنين

أعاد بناء المعبد من نفقاته مع كامل زينته وطلاءه

أما النص الثاني فقد عثر عليه سنة 1860م وهو عبارة عن نقيشة تحتوي على أثار أقدام متعاكسة في إشارة إلى الذهاب والإياب، يوجد بأسفلها كتابة لأحد الجنود نذر في حال عودته سالما غانما من الحرب أن يقدم قربانا للإله بلون، ونص الكتابة مترجما:

مخصص لبلون اغسطس.

بوبليوس ا. يوس فليكس

أتم نذره بمحض إرادته "[32]

وغير بعيد عن هذا المعبد في الاتجاه الشمالي، عند قاعدة الجبل (باب سطورة، قبالة البريد المركزي) وجدت أثار معبد ميثرا، حيث استخرجت من بناء أرضي قطع أثرية عبارة عن تماثيل من الحجم الصغير تمثل عبادة ميثرا، ولا تزال هذه القطع محفوظة إلى اليوم بالمتحف البلدي روسيكاد[33].

أما داخل النسيج العمراني للمدينة، وفي وسط المدينة حاليا فقد وجدت ثلاثة معابد، تتميز بنوع من الضخامة هي:

- معبد فينوس الذي بني فوق خزانات مائية، بنفس الطريقة التي بني بها المسرح البلـــــــــــدي (المسرح الجهوي حاليا) على نفس الخزانات كما نراه اليوم، و قد دلت على وجود هذا المعبد عدة بقايا أثرية، منها تمثال عملاق للإلهة فينوس يصل طوله إلى حوالي 4 م، و كان يرتقى إلى هذا المعبد الضخم عبر سلالم

[32] Vars. Op.cit. p 122.
[33] Chabassiére Et Bertrand, Op. Cit. P 26.

بنيت على قباب الخزانات المائية المنحنية باتجاه الشرق، بحيث يمكن الاعتقاد أن هذا المعبد كان يمثل حينها بالقرب من الفوروم منظرا مهيبا يعكس مكانة المدينة تحت الرعاية الإلهية لفينوس التي ينتصب تمثالها بالساحة أمام واجهة المعبد [34].

- معبد النصر بالقرب من معبد فينوس شمالا، والذي بني مكانه في فترة الاحتلال مبنى مجلس القضاء بنفس النمط المعماري تقريبا، وهو معبد لا يقل فخامة وجمالا عن معبد فينوس كما تدل على ذلك الأثار التي وجدت بالموقع، حيث وجدت كتابة منقوشة على لوح رخامي (الارتفاع 0,90 م، العرض 1,63 م، السمك 0,10 م) تؤرخ لبناء المعبد ما بين 218 و222 م. (انظر النص في الصفحة).

وأخيرا، وجدت قبالة هذين المعبدين على الضفة الشرقية للوادي أثار معبد ثالث تتمثل في أعمدة رخامية وأفاريز وغيرها، غير أنه لم يتم العثور على أي كتابة أو تماثيل تكشف عن هوية الإله الذي خصص لأجله هذا المعبد[35]، أما في الجهة الشمالية بالقرب من النزل البلدي الحالي فقد وجدت أثار لمعبد هيجيا تمثلت في جزء من نقيشة نحت عليها اسم الإلهة.

[34] ما يعكس حقيقة هذه المهابة والفخامة التي تميز هذا المعبد هي تلك الأعمدة الرخامية الضخمة التي وجدت في ذلك الموقع والتي يبلغ سمكها 0.90 م، وارتفاع قد يصل إلى 9 م وتلك الأفاريز التي كانت تزين واجهة المعبد والتي ما تزال موجودة بالحديقة الأثرية.

[35] Vars. Op.cit. p114.

الشكل 10: صورة تمثل توزيع المرافق العامة بروسيكاد، عن Google earthبتصرف الطالب

4. 3- المسرح الروماني:

موقع المسرح و الترسبات التي غطته مكنت من حماية هذا المعلم و الحفاظ عليه، فكونه بني على المنحدر الشرقي لجبل بويعلى، حيث حركة التعمير أقل حدة في بداية الاحتلال، فإن ذلك أعطى الفرصة لبعض ممن دفعتهم الغيرة على أثار المدينة لحمايته و استغلال فضائه كمتحف لأثار روسيكاد، و لو أن جزءا من هذا المعلم كان قد تعرض خلال القرون الماضية نتيجة الانزلاقات الأرضية للتلف و هو الجزء الأمامي المتمثل في واجهة المسرح و المنصة palpitum[36] (الشكل 10)، و يعود الفضل للمهندس جوزيف روجي الذي قام بتعرية هذا المعلم و إبرازه من خلال الحفريات التي قام بها بين سنتي 1859 و 1861، بينما استكملت مصلحة المعالم التاريخية تعرية مختلف الأجزاء المتبقية على ثلاث مراحل، سنة 1883م و1891م وأخيرا 1907م مع ترميم بعض الأجزاء على غرار المدرجات والقسم العلوي من المسرح37.

بني المسرح من خلال تهيئة الارضية على المنحدر لاستقبال المدرجات CAVEA، بحيث تكون هذه المدرجات في مقابلة الشرق، يحيط المدرجات في الأعلى كثلة هندسية في شكل نصف دائرة تتكون من سلسلة من الغرف يفوق عددها 20 غرفة بطول 50 م وعرض 3 م، تعلوها قباب بعضها ينحني باتجاه الاوركسترا وبعضها الأخر نحو الخارج، وهو ما جعل قزال يفترض وجود مدرجات علوية ربما من الخشب فوق تلك القباب المنحنية باتجاه الداخل يمكن الوصول إليها عن طريق أربعة أدراج على القباب المنحنية في الاتجاه الخارجي،38 .

يوجد خلف هذه الكثلة من الغرف رواق الخروج حيث كان المتفرجون يغادرون من عدة أبواب vomitoria، هذا الرواق مكشوف ومقطوع في الوسط بجدارين يفترض أنهما كانا يشكلان هناك غرفة كبيرة sacellum حيث ينتصب تمثال ضخم، بينما من الداخل فيوجد رواق مقبب تخترقه ستة أدراج للوصول إلى مختلف أقسام المدرج[39].

و يصل عرض المسرح إلى 82 م[40]، و طاقة استيعاب تفوق أربعة ألاف متفرج، حيث أن مدرج المسرح يتكون من ثلاث مستويات ، الأول يخص الشخصيات النبيلة في المجتمع يليه المستوى الثاني المخصص لعموم الشعب ، بالاضافة إلى المدرج الخشبي المحتمل و الخاص بطبقة العبيد، و يبدو أن الذين أشرفوا على عمليات الترميم خلال فترة الاحتلال تعمدوا رفع مستوى ركح المسرح إلى المستوى الثاني من

[36]Fenech (E.V), Op. cit. p 24.
[37]Bertrand Louis, monographie du théâtre romain de Philippeville, in RSAC 1908. p 7.
[38]Gsell (St). MAA. p192.
[39] Gsell (St), ibid.
[40] Bertrand L. op.cit. 1908. p 6.

المدرجات بسبب التلف الكبير الذي تعرضت له الأجزاء الأمامية للمعلم، الأمر الذي دفع ببناء مدرسة في مكان تلك الأجزاء حفاظا على استقرار الأرضية، و هو ما كشفت عليه الاسبار الأثرية التي قام بها فريق من المركز الوطني للبحث في علم الأثار (CNRA) سنة 2011[41].(الشكل 11)

و يمكن استشفاف من خلال الكتابات، التي تحدثت عن تزيين المسرح *in opus cultumve theatri*[42] و إقامة العروض فيه، تصور أن هذا المعلم كان في غاية الجمال حيث كانت تزين أرجاءه تماثيل أدمية و حيوانية (دلافين) ، و كذلك الحليات الرخامية التي كانت تكسو جدرانه و الستائر الشمسية التي تسدل أثناء العروض و الألوان الزاهية التي طليت بها جدران الأروقة، كل ذلك كان يعطي رونقا خاصا لمسرح روسيكاد، الذي بني بحسب ما أثبتته أقدم الاكتشافات الأثرية التي عثر عليها هناك في نهاية القرن الأول للميلاد، و تتمثل هذه الاكتشفات في ميدالية من البرونز للامبراطورة صابين زوجة الامبراطور هادريانوس يبلغ قطرها 3.2 سم تحمل كتابة على الوجه SABINA. AVGVSTA. ADRIANI.AVG. P. P، و على الظهر عبارة PVDI[43].

4. 4- مدرج القتال:

لم يبق من هذا المعلم سوى المكان الذي كان قائما عليه بشعبة الزعرورة في الجهة الشرقية للمدينة، خلف حي برج حمام الحالي شرقا، بحيث بني خارج سور المدينة فوق مجرى واد صغير، وكان الهدف من بنائه فوق المجرى هو توفير المياه اللازمة لملء حلبة القتال عند إقامة الألعاب المائية، فمدرج روسيكاد من نوع المدرجات القليلة في كامل انحاء الامبراطورية التي توفر نوعين من الألعاب: مائية وبرية على حد سواء.[44]

[41] أثناء القيام بأعمال ترميم المسرح في إطار مشروع الشطر الثاني من أعمال التهيئة والترميم سنة 2010 تحت إشراف مديرية الثقافة لولاية سكيكدة تم العثور عن طريق الصدفة خلال عملية الحفر من أجل بناء غرف تحت أرضية على حجارة تبين فيما بعد أنها الصفوف الأولى للمدرج مما استدعى تدخل المركز الوطني للبحث في علم الأثار الذي قام بتنقيبات واسبار أثرية بهدف تحديد بشكل دقيق موضع المدرج على ضوء هذه الاكتشافات. انظر: عبد القادر محمد تيش تيش، المرجع السابق، ص 71.

[42] عثر على عديد النقوش التي تتحدث عن إنفاق مبالغ مالية (evergitisme) على تزيين المسرح، منها نص يتحدث عن أعمال كبرى لتحسين المسرح في أماكن محددة: طلاء ثلاثة عشر قبة وتزيين القسم العلوي للمدرجات بأفاريز من الرخام ونصب دلفنين بمدخلي الرواق وبناء شرفات رخامية. انظر: Vars. Op. cit. 1896. Pp 75_ 76.

[43] Roger(Ph), IN RA, p392

[44] Leadermane Emil, Philippeville et ses environs, histoire et tourisme, Edition du syndicat d'initiative.1935 p 15

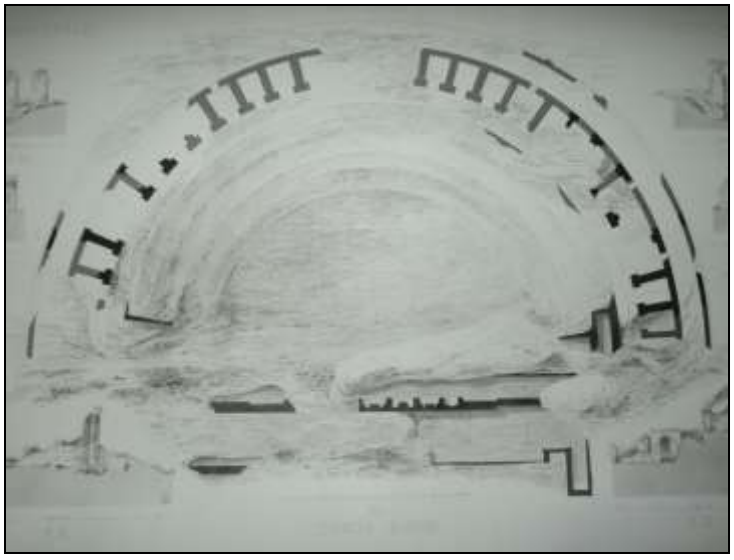

الشكل 10: مخطط للمسرح الروماني سنة1845، رافوازي

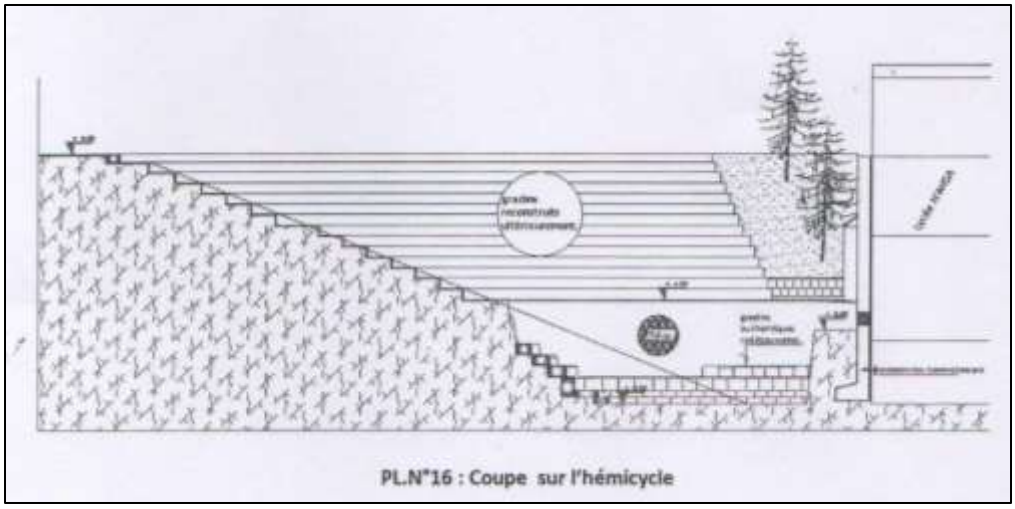

الشكل 11: مخطط عرضي للمسرح من انجاز بعثة CNRA.

الصورة 2: المسرح الروماني خلال اعمال بعثة CNRA.

وتعد لوحات رافوازي المصدر الوحيد الذي وثق لشكل هذا المعلم قبل اقتلاعه من أساساته لبناء سور المدينة سنة 1845، حيث كان في حالة جيدة

من الحفظ حينها مثلما يقول فناك " كان في حالة جيدة إلى درجة يخيل إليك أن المتفرجين غادروا بالأمس فقط مقاعدهم التي بالكاد لفحتها القرون بلون القدم"[45]

يأخذ المدرج شكلا بيضاويا بحيث يصل أقصى طول محور الحلبة أو ميدان القتال إلى 56م بينما يقدر طول محور العرض ب 30 م، يحيط الميدان جدار pondium بارتفاع 4،65 م 46، بينما يصل سمك المبنى منه إلى الخارج إلى 21م والذي هو عبارة عن أساسات تتكون من ثلاثة أروقة مقببة مختلفة الأطوال بحيث تزداد ارتفاعا كلما اتجهنا إلى الخارج. (الشكل 12 و13).

يتدرج من أعلى هذه الأساسات إلى جدار الحلبة اثنا عشرة صفا من المقاعد، مقسمة إلى قسمين بواسطة ممر عرضه 1،50 م، قسم علوي يتكون من خمسة صفوف والبقية للقسم السفل يبطاقة استيعاب تصل إلى 8000 متفرج، يعامد هذه الصفوف ثمانية أدراج على مسافات متناسبة، توجدفي مقابل أدراج محور العرض مداخل أو مخارج تفضي إلى الأروقة المقببة ومنها إلى أدراج نصف دائرية تقود إلى خارج المبنى47.

يصل مجموع ارتفاع المدرج إلى 12م وترتفع المداخل إلى 8م بينما يقدر عرضها 5م، مزينة بتماثيل رخامية جميلة48.

ويحتمل أنه بني في النصف الثاني للقرن الثاني للميلاد بحسب إحدى الكتابات التي عثر عليها والمؤرخة بسنة 187م، وتتعلق بشخص يدعى " ماركوس كوسينيوس كلرينوس أقام على نفقاته الخاصة، إجلالا للإمبراطور، يوما من الألعاب في المدرج "ثم ختم يقول " سوف تسدل المظلة (velarium) وسيكون هناك رش للعطور المنعشة" 49.

[45] Fenech (E.V), Op.cit. p 6
[46] Gsell (St), Les monuments antiques de l'Algérie tome II, Paris 1901. P 201.
[47] Vars. Op. cit. p 130.
[48] Lederman Emile. Op. Cit. P 16.
[49] Vars, op. cit, p 133.

الشكل 12: وضعية مدرج القتال اثناء امتشافه في بداية الاحتلال، رافوازي.

الشكل 13: مخطط رأسي لمدرج، رافوازي.

4. 5- الحمامات:

في الواقع، لم يتم العثور إلا على حمام واحد بروسيكاد، و هو الذي يقع على يسار الطريق المؤدي إلى ميناء سطورة انطلاقا من ساحة أول نوفمبر (زيغود يوسف) بالقرب من مديرية المجاهدين، و هو المكان الذي عثر به على قطعة فسيفساء مربعة الشكل(4 م × 4 م) أعاد رسمها دولمار في لوحته 19، حيث نرى حوريات يمتطين ما يشبه التنانين و الأحصنة يلوحن بأشرطة من القماش، تحيطهن مياه و أسماك و بعض الحيوانات البحرية، و يوجد بجانب قطعة الفسيفساء في اللوحة رسومات لبقايا بناية الحمام و مخططاتها، أين نلاحظ قاعة بطول 4.80 م تنتهي بمحراب بارتفاع 3 م، و عرض 0.80 م، يوجد على يسار القاعة مدخل يفضي إلى قاعة مربعة الشكل متصلة بقاعة أخرى بيضاوية الشكل، و نلاحظ أيضا وجود غرفة تحت أرضية قد تكون نفسها الغرفة التي أشار إليها دولمار قائلا " بقايا قاعة حمام حيث نرى وجود أفران مبنية بالآجر لتسخين الماء"[50]. (الشكل 14).

و يبدو أن المياه كانت تنقل إلى هذا الحمام عن طريق قناة من الرصاص وجدت على امتداد مسافة معتبرة من الحمام[51]، إلا أننا نجهل المصدر الذي كانت تتغذى منه، ما إذا كان الخزانات الموجودة بالقرب من الحمام أم أن هناك مصدرا آخر على مستوى السفح الشمالي لجبل بويعلى؟.

[50]Fenech. Op. cit. p37

[51]Vars. Op. cit. p 65.

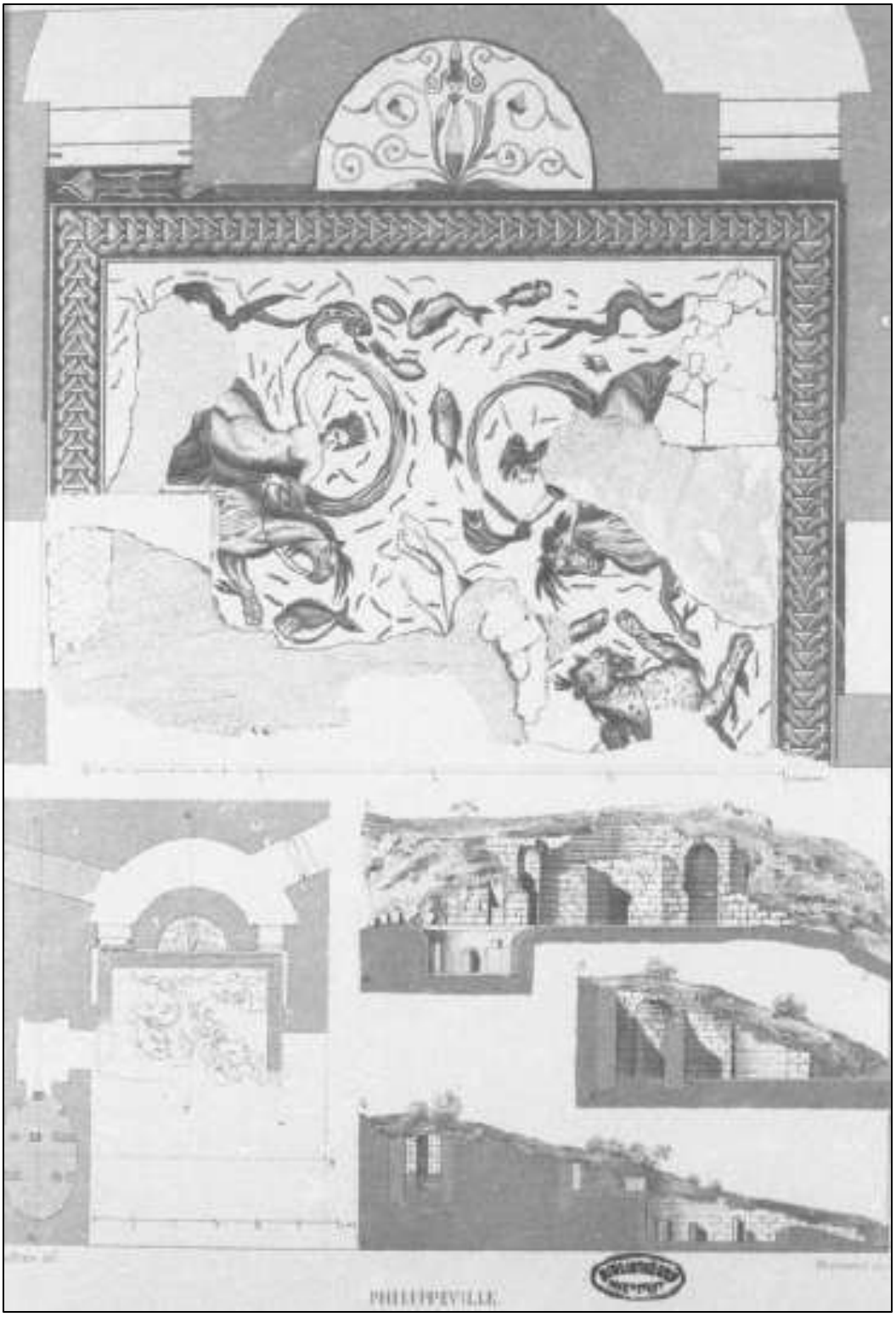

الشكل 14: لوحة تمثل الحمام المكتشف بروسيكاد مع فسيفساء الأرضية، دولمار.

4. 6- المساكن والفيلات:

إن المتأمل لعمران مدينة فليب فيل التي بنيت تماما فوق موقع مدينة روسيكاد وعلى أنقاضها، متخدة من مبانيها القديمة أساسات لمبانيها الجديدة، يكاد يجزم أن فليب فيل ما هي إلا روسيكاد في ثوب جديد، فالمخطط الشطرنجي للمدينة واضح جدا، و كذلك يمكن ملاحظة بأدنى معرفة أن التوزيع العمراني يكاد يكون نفسه أو على الأقل حافظ على روح المدينة القديمة، ففوروم روسيكاد هو نفسه الحديقة و كنيسة القديس فليب وسط مدينة فليب فيل، حيث يلتقي السكان و يتبادلون الأراء و يصقلون مواقفهم من الشأن العام، و هو نفسه ساحة الحرية اليوم في شكل فضاء مفتوح يعج بالمقاهي و التجمعات، و غير بعيد

باتجاه البحر نقف اليوم - ربما نفس الموقف الذي وقفه الزائر قديما إلى روسيكاد مأخوذا بروعة و عظمة معبدي فينوس و النصر- أمام روعة الهندسة البارعة لشارل مونطلان في إعادة إحيائه لمعبد فينوس من خلال مسرح ذو طراز باروكي خلاب و كذلك مبنى القضاء بطرازه الكلاسيكي بدل معبد النصر، وعند المدخل البحري للمدينة نجد ساحة دو ماركي de marqué (ساحة أول نوفمبر) حيث كانت تشكل النافورة العملاقة نقطة استقطاب قديما للسكان مثلما هي الساحة اليوم، و هكذا، فلا تكاد تخلو زاوية من زوايا المدينة من دون إثارة ذكرى روسيكاد القديمة سواء من خلال طابعها العمراني أو من خلال الأثار المكتشفة بقلب المدينة بين الفينة إلى الأخرى، حيث كنت أعاين شخصيا أثناء مختلف الأشغال التي جرت بالمدينة خلال السنوات الماضية انبعاث من باطن الأرض و من تحت العمارات المنهارة أثارا مختلفة لمباني اتخذت كأساسات لأخرى[52].

يمكن القول اذن بعد هذه التوطئة أن الفرنسيين بشكل عام قاموا بتقليد الرومان تقليدا يكاد يكون مطابقا عند انشاء المدينة الجديدة و أن التوزيع العمراني القديم إلى حد كبير هو نفسه التوزيع الجديد، و عليه، فإن المساكن الرومانية القديمة كانت متوزعة بأنحاء المدينة تقريبا في شكل فلل فخمة على منحدرات بويعلى بالأخص، أين عثر هناك على كم هائل من الأثار التي تدل على وجود مساكن، و أن هذه المساكن كانت مزودة بخزانات مائية خاصة في طابقها السفلي[53] و أنه بالنظر إلى طبيعة البقايا الأثرية من رخام و فسيفساء كانت على درجة كبيرة من الأناقة و الاتقان[54]، و يمكن حتى القول أن السوق القديم للمدينة هو نفسه السوق

---

[52] و الأمثلة عن ذلك كثيرة، بل إن بعضها لا يزال ماثلا إلى اليوم دون أن يتدخل أحد لانقاذها، و من بين المآسي التي سببتها اللامبالاة التي يبديها البعض إزاء هذه الأثار هو ما حدث منذ سنوات قليلة عندما قام أحد الخواص بالحفر وسط المدينة من أجل إعادة بناء عمارة جديدة خلفا لعمارة كولونيالية، فعند عمق حوالي 3 م عثر على حجارة منحوتة قام باستخراجها مع الردوم و هو ما أدى إلى التأثير على توازن الارضية التي تقوم عليها المباني المجاورة و تماسكها مما تسبب في انهيار هذه الأخيرة و وفاة بعض الأشخاص، كل هذا يثبت أن فليب فيل بنيت بالكامل على انقاض مدينة روسيكاد بشكل اتخذت فيه المدينة الجديدة مباني الرومان كأساسات لها، حتى أنه يمكن حتى في بعض البنايات تحت أرضية مشاهدة هذه الأساسات الرومانية في حالتها الأصلية.

[53] وهو ما يؤكده فناك ودومارسيي وشاباسيار وفار، ونورد هنا ما قاله فناك الذي كان أول من عاين هذه الأثار وكتب عنها " كل مسكن كان مزودا بخزان بني بعناية فائقة. انظر:"(E.V ، Fenech P Op.cit.

[54] Demarcilly, Op.cit. P25

المغطى اليوم، و أنه كانت تنتشر حول هذا السوق عديد من المرافق الأخرى التي لم تحتفظ لنا وثائق العهد الاستعماري بذكراها نتيجة السرعة الكبيرة التي تم في غضونها انشاء المدينة الجديدة، اللهم إلا ما خلفه لنا دولمار من لوحات تدعم هذا الاستنتاج، أو من خلال ما نراه من مخلفات أثرية تنبعث هنا و هناك في الآونة الأخيرة بعدما اهترأت أغلب العمارات الاستعمارية و أخذت في الانهيار كاشفة عما كان مخبوءا تحتها من أثار روسيكاد.

كما أن دولمار كان قد قدم لنا وصفا لإحدى الفيلات التي كانت أثارها متواجدة على الشاطىء الصخري لسطورة، و هي الفيلا التي ما تزال أثارها قائمة إلى اليوم على طريق (الكورنيش)، فعند أحد المنعرجات توجد ملكية خاصة، ينتصب بداخلها جدار كبير يتكون من تجويفين على هيئة محراب بارتفاع يصل لكل واحد منهما إلى 4.50 م و عرض 2 م، كما لا يزال نفس المقعد الملاصق بأحد التجويفين بمكانه، و مقاساته " الارتفاع 50 سم والعرض 30 سم، حيث يمكن الجلوس هناك قبالة البحر و الاستمتاع بزرقة البحر، بينما وجد في التجويف الأخر ما يمكن اعتباره نافورة ماء"[55].

ونلاحظ من خلال المخطط الذي وضعه دولمار في اللوحة 42 (الشكل 15) أن هذه الفيلا تأخذ شكلا غير منتظم، فالتضاريس الصعبة حالت دون تمكين المهندس من تنفيذ تصميم نموذجي للفيلا الرومانية، كما أنه استعان ببناء خزانات مائية بالطابق السفلي، ربما من أجل تحقيق هدفين رئيسيين هما:

- تزويد الفيلا بما تحتاج إليه من المياه
- توفير مساحة كافية لإقامة البناء.

وفي الوقت الذي قام دولمار بوصف هذا المعلم (1840)، فإنه كان في مجمله قائما، بحيث أن بعض جدران هذه الفيلا كان يحافظ وقتها على علو من 5 م إلى 8 م مثلما نراه في اللوحة، تشكل مجموعة من القاعات غير منتظمة الشكل، اثنان منها مستطيلة بأطوال (10.8 م × 30.3 م) أما سمك الجدران فيتراوح ما بين 0.80 م و1م، وهي تلك الغرف التي تمثل خزانات بالطابق السفلي وهو ما تثبته الزوايا المستديرة وطريقة تلبيس الجدران، هذه الخزانات مكشوفة حاليا، ومن المؤكد أنها كانت تحمل فوقها في السابق طابقا لم يعد موجودا[56].

و أمام الجدار الذي يحوي تجويفين كبيرين، كانت تمتد هناك مساحة مستوية تشرف على البحر إلا أن ضربات الأمواج طيلة القرون الماضية أدت إلى انهيارها، و لم يبق في ذلك الموضع إلا بعض الأثار

[55]Vars. Op. Cit. P 122.
[56]Delamare (A), Etude sur Stora. Pp 165-171.

البسيطة كما نلاحظه في المخطط، و منها قاعة تحتوي على قطعة فسيفساء و حوض مربع محفور في الصخر (7.80م ×5.50 م) كان موجها لتربية الاسماك[57].

على أقصى يسار المخطط بعض القاعات الصغيرة أين تم العثور على موقد، وهو ما يدفع إلى الاعتقاد أن هذا الجزء من المبنى خاص بالمطبخ، بينما نلاحظ على اليمين من المطبخ قاعتين منفصلتين شبيهتين في تركيبتيهما المعمارية بالقاعات الأولى الخاصة بالخزانات، الأولى مستطيلة الشكل (4.50م ×6م) أما الأخرى فمربعة الشكل بطول كل ضلع 3.50م. "[58].

وعموما فإن هذه المنطقة الممتدة من وادي القنطرة إلى غاية وادي بني مالك، وجدت بها أثار تدل على وجود العديد من الفيلات الرومانية، والمساكن الفخمة، ومنها إحدى الفيلات التي رأى المهندس لانوي دو بيسي Lannoy de Bissy أنها تعود إلى القنصل الروماني والمؤرخ الكبير صالوست Salust وهذا استنادا على بعض الأدلة التي يقول إنه حصل عليها خلال سنة 1868م؟

وفي سنة 1902م عثر لويس برتران على كتابة بهذا المكان لكنها مشوهة ولا توفر أية معلومات مؤكدة بشأن هذا الزعم، هذه الكتابة المشكلة من ثلاثة حروف على لوح من الرخام منفذة بشكل جيد، 9 سم لكل حرف .....VST.

بالاضافة إلى عثوره أيضا بلملكية لوزيور بمتحفه الخاص على كتابة أخرى بقاعدة تمثال:

Praeses provinciae Numidiae Consularis[59]

فهل اتخذ صالوست لنفسه بهذا المكان ملكية خاصة، ثم قام لاحقا السيد لوزيور[60] باقتفاء أثاره جاعلا من ملكية صالوست القديمة مملكته الخاصة أيضا؟

[57] Delamare (A), Ibid. pp 165-171.

[58] Delamare (A), Ibid. pp 165-171.

[59] Bertrand L, notes et documents sur Rusicade, in RSAC 1906, PP 75.76.

[60] جوج لوزيور Georges Lesueur، مهندس و نائب سابق (sénateur) عن مقاطعة قسنطينة، كانت له ملكية كبيرة على طريق سطورة على بعد 800 م عن المدينة و تمتد على مساحة شاسعة ما بين واد بوفرقة جنوبا و واد الموادر(المحادر) شمالا، و البحر شرقا و جبال بني مالك غربا، هذه الملكية توافق حاليا ملكية بن قانة و المنطقة المسماة الغابة (la foret) و هذه الملكية غنية جدا بالاثار إلى درجة أن السيد لوزيور قام بتخزين الكثير من القطع الاثرية في بناية تسمى البرج (واضح من خلال التسمية أنها كانت قائمة قبل فترة الاحتلال) جاعلا منها متحفا خاصا، حيث كان يعثر على هذه القطع اثناء مختلف الاشغال في ملكيته (أعمدة، تيجان، تماثيل نصفية و تماثيل صغيرة، انصاب جنائزية، كتابات، انصاب ميلية، مصابيح، ميداليات و ثوابيت و غيرها) ، و يشمل مجال الملكية منطقة اطلق عليها قبل الاحتلال اسم "الدويرة" وهي منطقة غنية بالبقايا الأثرية كذلك. انظر:.Bertrand L, ibid, p 76-77

في الحقيقة، لا يمكن استبعاد طرح كهذا، اذ يحتمل فعلا أن صالوست أثناء عبوره عبر الطريق إلى الميناء قد أعجب بهذا المكان وقرر أن يتخذ لنفسه فيه إقامة للاستراحة قبل الذهاب أو العودة من وإلى روما أثناء الفترة التي كان فيها قنصلا بسيرتا.

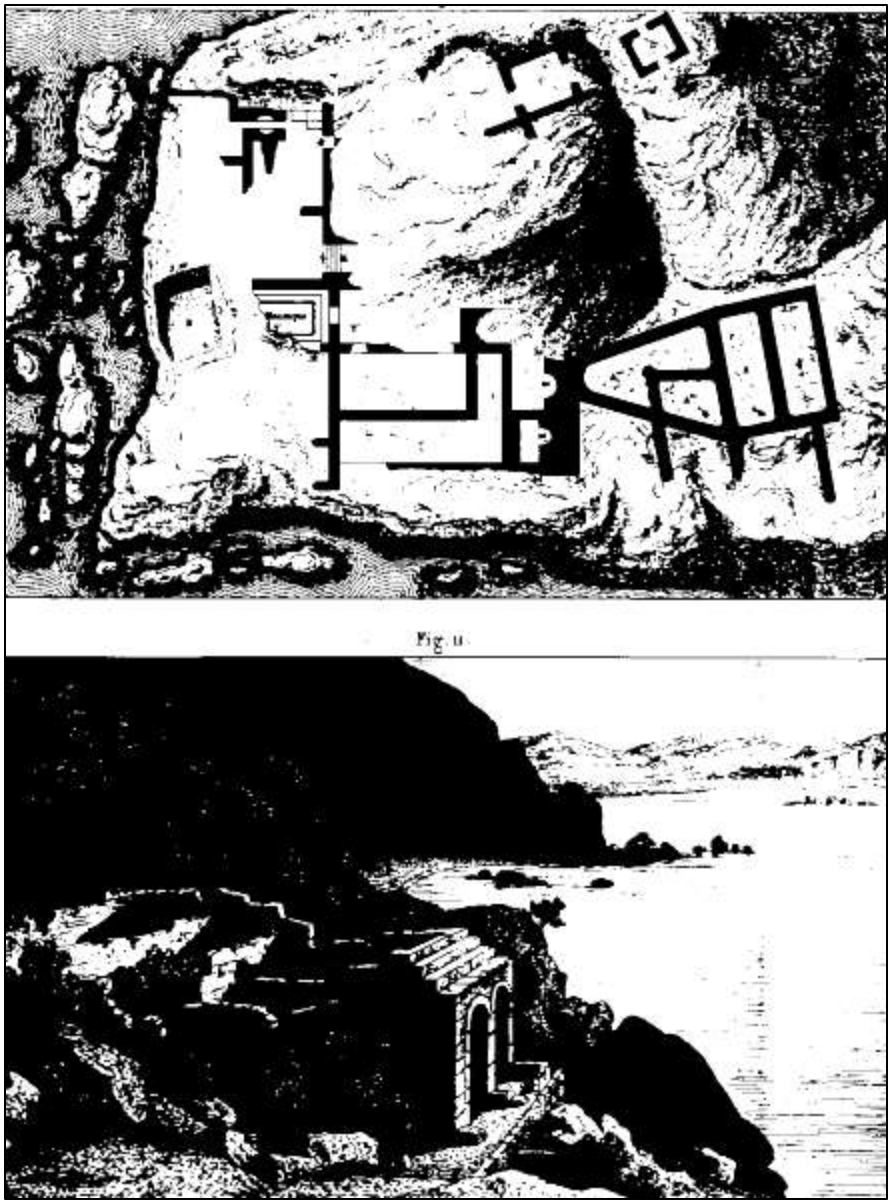

الشكل 15: يمثل مخطط ورسومات لأثار الفيلا الرومانية على طريق سطورة، دولمار.

4. 7منظومة المياه بروسيكاد:

حظيت روسيكاد خاصة في الفترة الرومانية مثلما سنراه بالعديد من المنشآت المائية، خزانات وأبار ومجمعات للمياه وقنوات مختلفة، المحمول منها وتلك التي على الأرض ونوافير للمياه وغيرها من المنشآت التي استخدم البعض منها خلال الفترة الاستعمارية وحتى إلى اليوم.

أ - نوافير الماء:

يبدو أن شوارع روسيكاد و ساحاتها العامة كانت مزينة خلال أزهى فتراتها بنوافير مائية، مستفيدة في ذلك من وفرة المياه بالمدينة كما سنراه لاحقا عندما نتطرق لمنظومة المياه، و منها تلك النافورة العملاقة بالمدخل البحري للمدينة (ساحة أول نوفمبر)، حيث عثر هناك على نافورة كبيرة تم تحطيمها تماما و طمرها خلال انجاز الجدار الداعم في بداية الاحتلال بهدف صد أمواج البحر و هو الجدار الذي ما زال قائما إلى اليوم ، هذه النافورة بارتفاع 4 م و عرض 11.80 م تتكون من حوض مربع كبير تعلوه أحواض إجاصية الشكل كانت تقذف الماء إلى علو كبير[61].

ب - الخزانات المائية:

تعتبر خزانات المياه بالمدينة من أكثر المعالم، بل تكاد تكون هي المعالم الوحيدة الناجية من ألة التدمير التي طالت معالم روسيكاد و محتها تماما أو طمرت تحت عمران المدينة الجديد، و يعزى السبب في ذلك إلى أن الفرنسيين عند احتلالهم المدينة قاموا بترميم أغلب هذه الخزانات و أعادوا استعمالها، بل إن بعضا من هذه الخزانات لا يزال مستعملا إلى يومنا هذا، بالاضافة إلى أن هذه الخزانات غالبا ما يكون معظم جسمها تحت الأرض و هذا من أجل استغلالها كأساسات للبناء عليها، و قد اتبع الفرنسيون نفس التقليد الروماني بالبناء فوق الخزانات بعد إزاحتهم البنايات المتهدمة من فوقها، و قد رأينا في الصفحات السابقة كيف أن المسرح البلدي (الجهوي) قد بني خلفا لمعبد فينوس فوق الخزانات التي ما زالت موجودة على حالتها الأصلية إلى اليوم.

و يمكن ايعاز ذلك إلى سبب ثالث و هو أن الخزانات دائما ما تتميز بمتانة البناء و الجدران الضخمة و استعمال عناصر بناء مقاومة، إلى درجة أن الفرنسيين من أجل تحطيم بعضها لصالح أبنية جديدة اضطروا إلى استعمال المتفجرات[62].

ومع ذلك، ورغم بقاء كثير من الخزانات بالمدينة في حالة جيدة إلا أن اللواحق الأخرى التي تمثل المنظومة الكاملة للمياه من مثل القنوات والمصادر التي كانت تتغذى منها كانت قد تعرضت وما تزال إلى التلف

[61] Chabassiere Et Bertand, Op. Cit. P 23
[62] Demarcilly, Op.cit. 30.

والتدمير على غرار مجمع المياه بمنطقة سيدي احمد ووادي شادي، وقبلهما تلك القناة المحمولة التي كانت تنطلق من وادي ريغة على مسافة 25 كم.

و على العموم، و كما سنلاحظ ذلك، فإن منظومة المياه بروسيكاد بما في ذلك الميناء(سطورة) تشير إلى مدى الاهتمام الكبير الذي بذله الرومان من أجل تزويد الروسيكاديين بما يحتاجون إليه من المياه، بشكل يجعلنا نتصور أن المدينة قديما كانت مكتفية تماما من الماء، أو ربما أيضا يمكن تصور العكس، و أن الحاجة للمياه هي التي دفعت الرومان إلى بذل المزيد من الجهود من أجل تحقيق هذا الإكتفاء ما جعل المدينة تمتلئ بهذه المنشآت، إلى درجة أن اضطرتهم الضرورة و الاحتياج إلى جلبه من مكان يبعد عن المدينة بحوالي 25 كم على الطائر مثلما تؤكده القناة المحمولة و التي سنتعرض للحديث عنها لاحقا.

ج - خزانات المياه بأعالي بويعلى:

تعتبر هذه الخزانات من بين أهم الخزانات التي استرعت اهتمام الباحثين في بداية الاحتلال، حيث قام كل من دولمار ورافوازي برسمها وإعداد مخططات مفصلة عنها، وهذا قبل ترميمها سنة 1845 واعادة استعمالها، وقد أضيف لهذه الخزانات خلال عملية الترميم سبع قباب نصف اسطوانية[63]، وصار يطلق على الحي الذي بني بالقرب منها اسم حي"سبع ابيار".

تقع هذه الخزانات على بعد 500 م في الاتجاه الشمالي الغربي للمسرح الروماني، فعلى المنحدر الشمالي الذي يلي قمة بويعلى بنى الرومان خزانات ذات شكل بيضاوي، وأخرى غير بعيد عنها، أي بمسافة 120 م في الاتجاه الغربي، ذات شكل مستطيل، وكانتا متصلتين فيما بينهما بقناة على النحو الذي نراه في مخططات دولمار، اللوحة 34. (الشكل 16 و17).

يتكون الخزان البيضاوي الشكل من سبعة أحواض ذات أحجام وأشكال مختلفة، بطول 52م وعرض 37.50 م، أما العمق فيصل إلى 10.60 م، هذه الأحواض أو الأقسام متصلة فيما بينها في عمق الجدران بفتحات (2م×1.30م) لمرور العمال أثناء أشغال الصيانة وقد يصل سمك الجدران فيه حتى 1.50 م.

أكبر هذه الأحواض هو الحوض الغربي حيث يصل قطره إلى 23.65 م، ولكونه هو الذي يستقبل مياه القناة مباشرة فقد جهز بمصفاة كانت ترتكز على دعامات بالمحيط الداخلي للجدران[64]، وخلال أعمال الترميم التي جرت سنة 1845 تم تدعيم الجدار الجنوبي للخزانات من أجل مجابهة ثقل المنحدر[65].

[63] Vars (Ch), Op.Cit. 75.
[64] Fenech. Op. cit. p 27.
[65] Fenech. ibid. p 26.

يوجد مأخذ للمياه أسفل بئر بنيت على الشمال من الحوض البيضاوي مثلما نراه في اللوحة، هذه البئر لها نفس العمق ومخترقة بقناة من الرصاص تفتح بواسطة صنبور لتتواصل على مسافة 120 م في الاتجاه الشمالي الغربي مع الخزان المستطيل 66.

على عكس الخزان السابق، فإن الخزان المستطيل ذو فضاء داخلي مفتوح و غير مقسم، مقاساته من الداخل (52.45م ×25م)، دعمت جدرانه الداخلية على امتداد كل 6.50م بدعامات كبيرة أما القبة المضلعة فيبدو أنها كانت ترتكز على أربعة أعمدة ضخمة متتابعة في منتصف المستطيل طوليا[67].

يوجد بالقرب من الخزان جنوبا بقايا بناية مقببة تعرضت خلال الحرب العالمية الثانية إلى قصف جوي من طرف الطيران الألماني، مما استدعى القيام باصلاحات جديدة للخزان بعد عملية الترميم الأولى، ليبقى بذلك قيد الاستعمال إلى اليوم.

تتغذى خزانات بويعلى من مجمع للمياه بني بوادي بني مالك على مستوى حي سيدي احمد، تبعد بمسافة 3580 م في الاتجاه الغربي، هذا المجمع كانت بعض أجزائه إلى وقت قريب في حالة حسنة من الحفظ قبل أن يتم الاعتداء عليها من قبل مواطنين قاموا بتفريغ ردوم الأرضيات التي هيئوها بالقرب منها لأجل بناء سكناتهم الريفية مما أدى إلى إتلاف هذه الأجزاء.

يتكون المجمع الذي بني عند ملتقى الراوفد التي تصب في الوادي من ثلاث سدود، بني اثنين منها على مستوى مصبات الرافدين، وثالث على مستوى الوادي، هذا الأخير بني من حجارة منحوتة كبيرة بشكل هندسي متناسق يحاذيه يسارا حوض متوسط الحجم ذو شكل بيضاوي وآخر مربع صغير جهة اليمين يتلقى هذين الخزانين المياه من السدود ثم تنقل بعدها عبر قناة طويلة إلى خزانات بويعلى، هذه القناة كانت في بداية الاحتلال بادية للعيان[68]، وكانت مزودة بنفاسات لتحرير ضغط المياه عليها[69]، وتجري مياهها وفق مبدأ الميلان.

[66] Vars (Ch), ibid. P 69.
[67] Vars (Ch), ibid. p 70
[68] Fenech. Op. Cit. P 25.
[69] Chabassiere Et Bertrand. Op. cit. p 18.

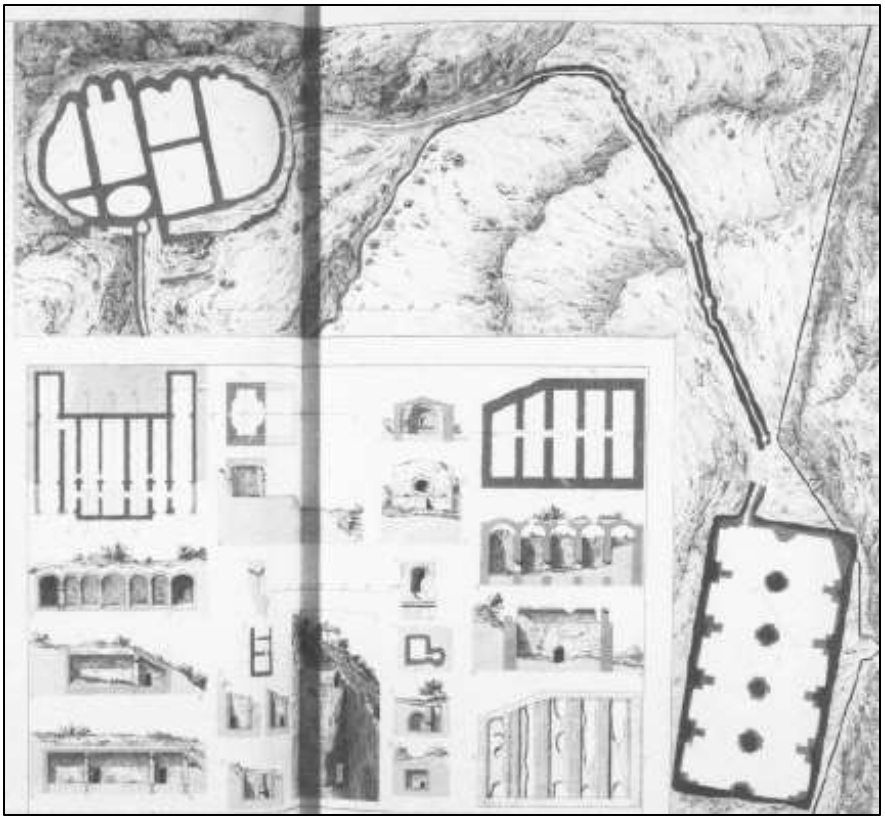

الشكل 16: يمثل خزاني بويعلى المتصلين عن طريق قناة، دولمار

الشكل 17: خزان بويعلى البيضوي، دولمار

ه ـ خزانات وسط المدينة:

يوجد بوسط المدينة وداخل النسيج الحضري ثلاثة خزانات على الأقل، اثنان منها في حالة حسنة من الحفظ، أما الخزان الثالث فقد تعرض للهدم خلال الفترة الاستعمارية من أجل بناء ثكنة عسكرية، بحيث لم يتبق منه إلا بعض الأجزاء التي استكمل هدمها خلال أشغال توسعة مسجد عبد الحميد بن باديس، أين كان يمكن معاينة بعض أثاره بشكل ظاهر قبل أن تغرق تماما تحت البناء، ولحسن الحظ، فإنه يوجد بمحاذاة رصيف الطريق المجانب للمسجد بقايا جدار على مستوى السطح بسمك حوالي المتر يقوم شاهدا على هذا الخزان.

بينما يوجد خزان آخر قبالة النزل البلدي اليوم، يشكل أساسات لمبنى المركز الثقافي شبلي احسن، قسم إلى طابقين في بداية الفترة الاستعمارية لاستغلاله كمستودع لعلف الخيول، و هو اليوم مستغل كفضاء متحفي و مقرا للجمعيات الثقافية، يتكون هذا الخزان المستطيل الشكل (32م ×15م) من سبعة أقسام، عرض كل قسم 3م ويفصل بينها جدران بمتوسط سمك 1.25م وارتفاع الجدران حتى أسفل القبة 6.50م، و نظرا لكون هذا الخزان قد بني في وسط المدينة فقد زينت واجهاته بواسطة أعمدة رخامية و تماثيل و نصب تذكارية ، تشير إحداها إلى سنة 221، أي تاريخ بناء الخزان، و يرى فار أن هذا الخزان كان يستقبل المياه من خزانات بويعلى[70].

أما الخزان الثالث فهو ذلك الذي بني فوقه قديما معبد فينوس ثم خلفه المسرح البلدي في الفترة الاستعمارية والذي يطلق عليه اليوم المسرح الجهوي، ومثلما نلاحظه في لوحة رافوازي فإن هذا الخزان يأخذ شكلا مستطيلا ينتهي بانحناء في طرفيه نحو الخارج باتجاه الشرق حيث كان هذا الانحناء يحمل قديما درجا يفضي إلى ساحة المعبد. (الشكل 18).

يحتل هذا الخزان مساحة850 م^2 بطول يصل من الشرق إلى الغرب ما بين 20 و 27 م إذا أخذنا بالحسبان الزيادات المنحنية على الأطراف، و بعمق قد يصل إلى 25 م مع وجود ثلاثة صفوف من القباب بعمق كل 8 م[71].

هذا الخزان الذي يمكن معاينته اليوم على إثر عملية الترميم الجارية بالمسرح الجهوي، كان يتغذى من مياه مختلف الينابيع المعروفة بروسيكاد نتيجة طبقة الشيست التي يتكون منها جبل بويعلى و الذي يسمح بمرور

[70] Vars (Ch). Op. cit. pp 70-71.

[71] Vars (Ch). ibid. pp 90-91.

كثير من التيارات المائية في باطنه، كما أنه كانت تنطلق منه قناه باتجاه ساحة أول نوفمبر حيث النافورة العملاقة و المخازن التي كانت موجودة هناك[72].

و قبل أن نتوجه إلى الخزانات و منظومة المياه بميناء سطورة، يتوجب الوقوف قبل ذلك عند تلك القناة المحمولة و التي كان الرومان ينقلون الماء عبرها من وادي ريغة[73] إلى المدينة على مسافة 22 كم و بعلو يصل إلى 20 م، حيث تقطع العديد من الأودية كواد القصب و واد الصابون و واد شاري، لتصب في خزان - مجهول إلى يومنا - في الجهة الشرقية للمدينة، و رغم أن القناة كانت حتى في بداية الاحتلال قد تضررت كثيرا بفعل العوامل الطبيعية و البشرية بحيث لم يبق منها إلا بعض الكتل المبنية على ضفاف الأودية، ألا أن شاباسيار و بناء على معلومات حصل عليها من طرف أحد مهندسي إدارة أشغال الجسور و الطرق تمكن من إعداد مخطط عام لها[74].

أما اليوم فحتى تلك الكتل المبنية عند الأودية لم يعد لها وجود، خاصة بعد بناء القاعدة البيترولية على مساحات شاسعة من ممر القناة.

[72] Vars (Ch). ibid. p91 .

[73] تتوغل هذه القناة على مسافة 358 م في أعماق واد ريغة حيث تلتقي بها قناة أخرى تأخذ مياهها من عين لمرابع عبر السفوح الجبلية لفلفة.
انظر: Mohamed Sadek Messikh. L'antique rusicade. Edition Rais. Pp 81-80

[74] Chabassiére Et Bertrand, Op.cit. p 20

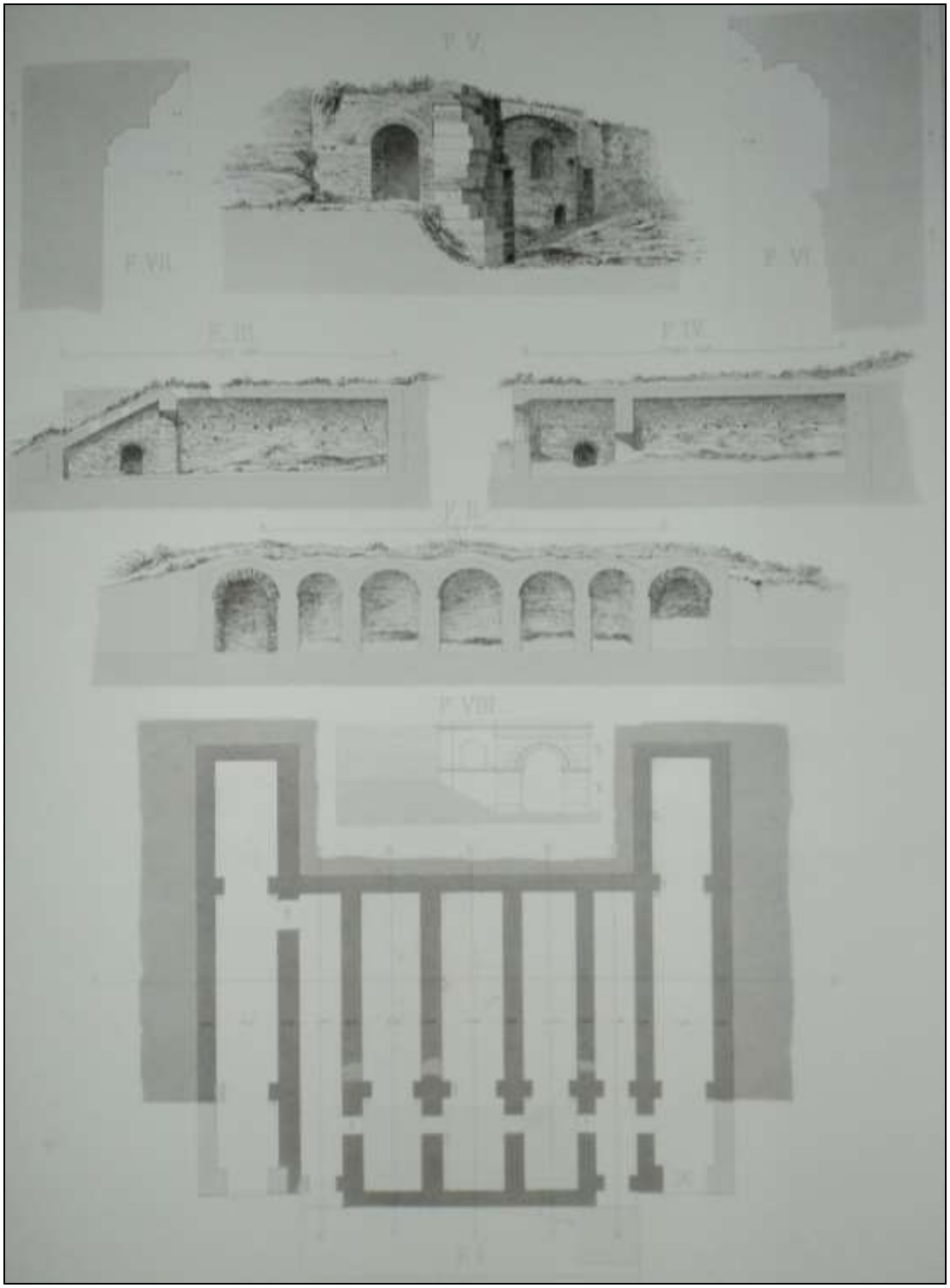

الشكل 18: مخطط ومقاطع للخزان من انجاز ايمابل رافوازي ما بين سنتي 1842- 1845

ي - خزانات سطورة:

قام دولمار بإعداد مخطط كامل عن منظومة المياه بسطورة سنة 1840، كما قدم لنا تفاصيل مهمة عن أعمال الترميم التي جرت سنة 1842م من اجل إعادة استعمال هذه المنظومة من طرف الهندسة العسكرية الفرنسية بعدما كانت هذه الخزانات ملجئا للعساكر، قبل أن تدعو الحاجة إلى ضرورة استعمالها لغايتها الأولى بسبب عدم قدرة الجنود على احتمال المكان، وكذلك بسبب المعاناة التي كان يجدها الملاحون في التزود بالماء75.

تتكون المنظومة من نقطة لتجميع المياه على مستوى وادي شادي، الذي يجري على ارتفاع 120 م غربا من الميناء، ثم من منبع غني بالحديد (Source ferrugineuse) على بعد 45 م من هذه النقطة حيث تلتقي القناتين في قناة واحدة تستمر في الاتجاه الشرقي على مسافة 135 م، ثم تنعطف مخترقة عبر نفق يزيد عن 50م قمة المرتفع لتنحدر بعدها نحو الخزانات الكبرى76. (الشكل 19)

هذه الخزانات عبارة عن شكل مستطيل (29م × 25م)، ارتفاعها تحت القبة 14,50م ، مقسمة إلى ستة أقسام متناسبة الحجم، بحيث تصل طاقة استيعابها مجتمعة إلى 3750 م^3 77، وقد وجدت في حالة جيدة إلى درجة أن أعمال الترميم لم تكد تغير شيئا في شكلها الأصلي، اللهم إلا الفتحات التي يذكر دولمار أنها لم تكن موجودة و تم تهيئتها في عمق الجدران لأجل الصيانة78، هذه الخزانات ما تزال مستعملة إلى اليوم إلا أنها تتغذى من مصادر جديدة.

على مسافة 160 م من هذه الخزانات وجد خزان أخر صغير، مقاساته من الداخل (9.50م × 4.60 م) و بارتفاع 9م، لكنه اختفى اليوم في خضم العمران ولم يتسن حتى معرفة مكان تواجده على وجه الدقة، يتصل هاذين الخزانين ببناء قرب الميناء ما تزال بعض أثاره قائمة إلى اليوم و يطلق عليه اسم القبة الرومانية، يحتمل أن يكون نافورة كبرى كما يعتقد ذلك رافوازي79. (الشكل 41)

أخيرا فان دومارسيي يشير إلى انه قام بنفسه بتدمير سنة 1850م - لإقامة مبنى جديدا _ خزانات تتكون من خمسة أحواض مستطيلة الشكل تعلوها قباب، هذه الأحواض التي يفصل بينها جدران بسمك 0,80 م ذات مقاسات 3,80م × 4,55م، أربعة من هذه الأحواض ذات عمق 4,80 م.

---

75 DeLamare(A), Op. cit. p 176.

76 Vars (Ch). Op. cit. p 10.

77 Vars (Ch). Ibid. p 11.

78 De Lamare (A). Op. Cit. P 182.

79 De Lamare (A). ibid. p 184.

الزوايا المستديرة والأرضية الإسمنتية وطريقة تلبيس الجدران _ يقول دومارسيي - لا تدع مجالا للشك بان هذا المبنى عبارة عن خزانات مائية80.

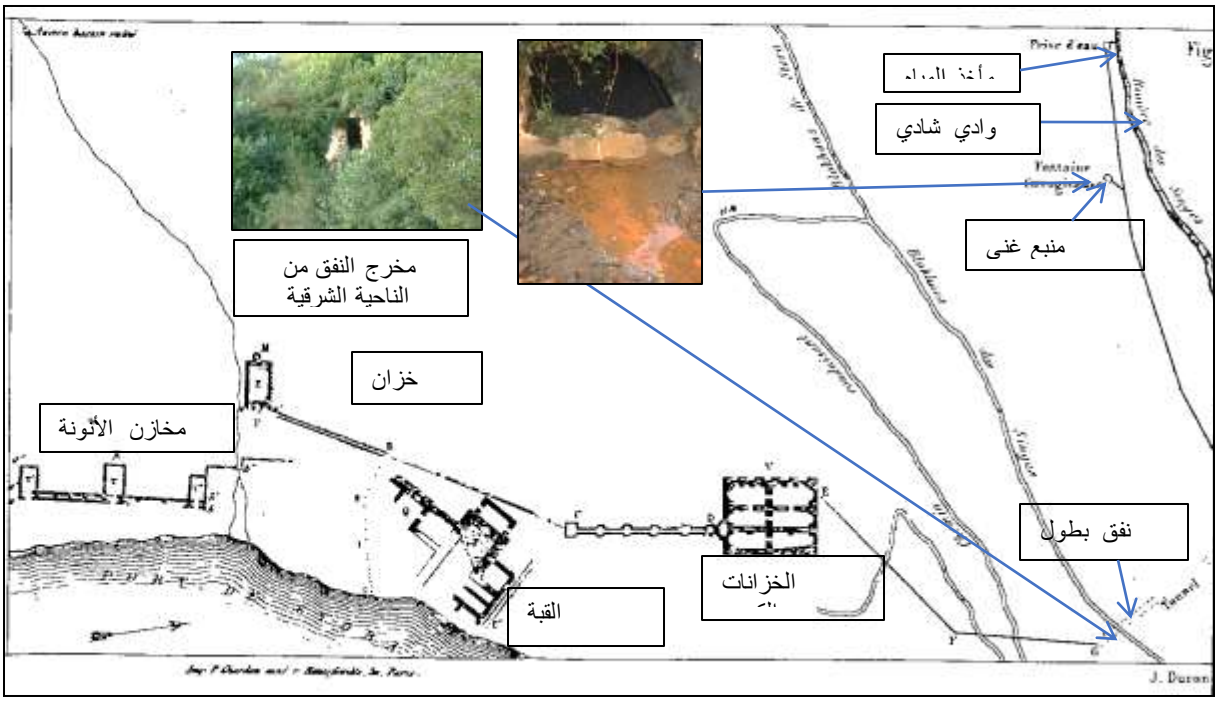

الشكل 19: مخطط منظومة المياه بسطورة، دولمار بتصرف الطالب.

4. 8- المخازن:

على اعتبار أن روسيكاد أنشئت بالأساس لتكون منفذا بحريا للعاصمة سيرتا وميناء استراتيجيا لإمداد روما بالأنونة التي تجلب من مختلف مناطق الكونفدرالية السيرتية فقد استوجب الأمر بالتالي بناء مجموعة هامة من المخازن الموجهة لاستيعاب الكميات الضخمة من المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية من مثل الحبوب والزيوت والخمور والدهون واللحوم وغيرها، والتي تتطلب ظروف تخزين مناسبة قبل أن تنقل عن طريق الأساطيل الإمبراطورية إلى الضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط.

و مع ذلك، فإن ما نجده من مخازن في روسيكاد يعود في أغلبه إلى فترات متأخرة من التاريخ الروماني بالمنطقة، إذ أن ما اكتشف من أثار لهذا النوع من المرافق يعود إلى القرن الرابع للميلاد بحسب ما تشير إليه إحدى الكتابات التذكارية التي لا يزال نصف من اللوح الرخامي الذي نفذت عليه محفوظا بالمتحف البلدي روسيكاد، بينما كان النصف الآخر قد نقل إلى متحف تولوز بفرنسا في بداية الاحتلال، و هو ما

80 Demarceilly. Op. cit. p23.

مكن من قراءة النص كاملا، و هو نص يتحدث عن بناء مخازن بالقرب من ميناء سطورة خلال عهد فالونتنيان و فالونس (364 – 378) و هذا النص الكامل:

"من اجل عظمة عهد أميرينا الكبيرين، سيدي العالم، الجليلين على الدوام، فالينتياس وفالنس دام مجدهما، بنيت هذه المخازن لضمان أمن الشعب الروماني وأمن سكان الأقاليم الموالية وملئت بالحبوب وأهديت من طرف بوبليليوس كايونيوس كايسينا ألبينوس الرجل الذائع الصيت والي إقليم نوميذيا القنصلية صاحب الأشعة الست ".

هذه الكتابة وجدت بالقرب من بناية بطول يصل إلى 75م وتتكون من مجموعة غرف ذات عمق يتراوح ما بين 4 إلى 12م، كانت في معظمها في ذلك الوقت الذي عاينها فيه فار مشوهة ولم يستطع حتى أن يقدم لنا عنها وصفا محددا نتيجة العمران لحديث[81].

وفي سنة 1851 اكتشف بساحة اول نوفمبر بالمدينة، قريبا من النافورة العملاقة، بناية ذات شكل غير منتظم يصفها برتران على النحو التالي: "مباني غير منتظمة تأخذ اتجاه شمال شرق-جنوب غرب دون أن يكون ثمة مخطط محسوم مسبقا بحيث يمكن الاعتقاد أن هذا المبنى كان يتم توسيعه وتمديده وفق متطلبات الحاجة الظرفية، يتشكل المبنى ككل من ستة أقسام ذات أشكال وأحجام واتجاهات مختلفة وبمدخل مقوس على ارتفاع 2.50م عن مستوى سطح البحر"[82](الشكل 20).

يصل طول هذه البناية إلى 19م وعرض 7.80م ويبدو أنها تفتقد إلى حذاقة وروعة الهندسة الرومانية، فالقباب التي تعلوها منخفضة جدا ومكثفة البناء وأروقة المداخل لا تظهر أي تناسق مما يدفع للاعتقاد أنها تعود ربما إلى الفترة البيزنطية[83].

استعملت هذه البناية وقتها أي غداة اكتشافها من طرف مؤسسة أشغال الطرق والجسور الاستعمارية كمستودع للأدوات قبل أن تدعو الحاجة لاحقا إلى طمرها تحت أكوام التراب الهائلة حيث تقبع إلى اليوم أسفل ساحة الحرية.

[81] Vars. Op. cit. p 14
[82] Bertrand (L), op. cit, in RSAC 1906, p 81.
[83] Fenech. Op. Cit. P31.

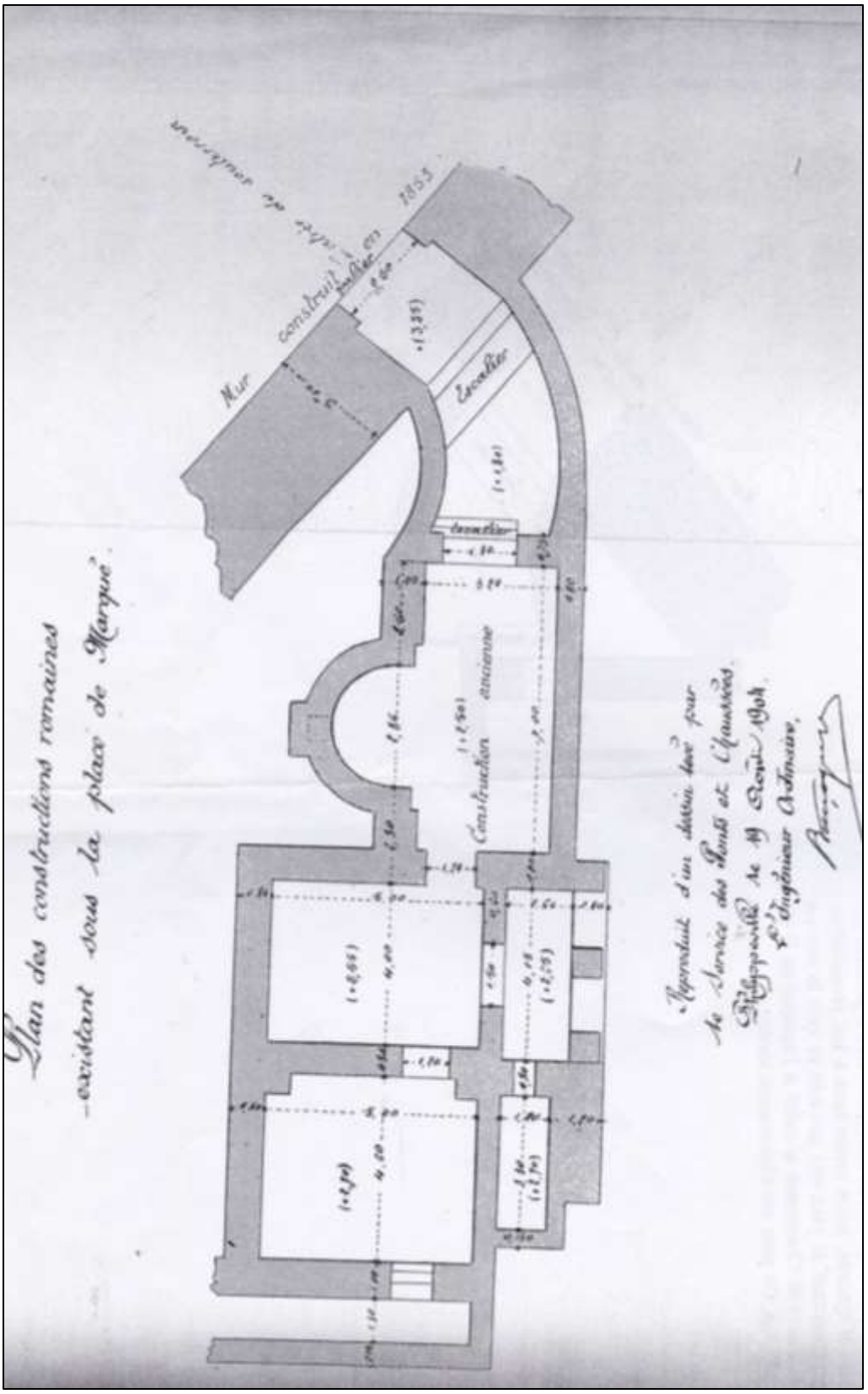

الشكل 20: مخطط المخازن المكتشفة بساحة لا ماركي (ساحة الحرية اليوم)، لويس برتران.

4. 9- المقابر والأضرحة بروسيكاد:

تتواجد المقابر عموما على أطراف التجمعات العمرانية، وهي تمثل في الغالب حدود وامتدادات المدينة، و هو تقريبا الأمر الذي نجده في روسيكاد إذا ما استثنينا تلك الاكتشافات التي حدثت خلال انشاء المدينة و التي أدت إلى العثور على مقابر عائلية أو قبور معزولة في كثير من الأماكن مما جعل بعضهم يقول " يبدو أن روسيكاد بنيت فوق مقبرة كبيرة" و كذلك حتى بإطلاق تسميات على طرق تقريبا داخل جسم المدينة بنسبتها إلى المعالم الجنائزية التي عثر عليها مثل "طريق القبور" (la route des tombeaux)، و يمكن بسهولة فهم هذا الانتشار الجنائزي في نقاط عدة من المدينة إذا ما عزينا السبب في ذلك إلى المراحل التي قطعتها المدينة نفسها في تطورها العمراني، إذ و كما سبق فإن روسيكاد لم تنشأ دفعة واحدة و انما استغرق ذلك قرونا من الزمن لتمتد إلى حدودها القصوى التي بلغتها في العهد الروماني، فمن العهد الفنيقي الأول إلى العهد الميثاغوني في ظل الامبراطورية القرطاجية مرورا بفترة الملوك النوميذ ثم المرحلة السيتانية و أخيرا و ربما ليس أخيرا فترة السلام الروماني في المرحلة السيرتية تكون المدينة قد عرفت عدة تمددات عمرانية، و لهذا فإن الذين سبقوا عندما يدفنون موتاهم عند أطراف البلدة التي أقاموها فإن هذه الأطراف تصبح مساحات جديدة للتوسع العمراني لمن يخلفونهم و هكذا، و يضاف إلى كل هذا أن بعض العائلات كانت تختص ببعض المساحات حتى داخل المدينة لدفن أقربائهم كما سنعمل على توضيحه في هذا العنصر من البحث، و لو أنني أود أن أشير هنا إلى أنه لا يمكن الاستفاضة في هذا العنصر بسبب وفرة المعلومات التي حصلت عليها بشانها و التي كتب حولها الكثير خلال العهد الكولونيالي و انما سأقتصر فقط على بعض المعلومات الأساسية التي ربما قد تعطي فكرة واضحة عن اتنشار المعالم الجنازية بالمدينة.

فمن ميناء سطورة إلى غاية المدينة وجدت العديد من المقابر، كان أولها تلك التي أشير إليها بالقرب من الميناء و بجانب الخزانات المائية من طرف الدكتور غايون سنة 1847 "مميزة بطريقة دفنها داخل الجرار"، ثم توالت التنقيبات في تلك المقبرة لتسفر النتائج عن وجود مقبرة ذات دفن مزدوج بوني – روماني، فبالإضافة إلى الدفن داخل الجرار وجد دفن داخل ثوابيت حجرية تحوي كتابات لاتينية، إذ يبدو أن الرومان قد عثروا على أن سابقيهم قد أحسنوا اختيار مكان الدفن فقاموا بتقليدهم، و قد سبق و أن تحدثنا عن هذه المقبرة في بداية هذا الفصل.

أما ثاني أكبر مركز للدفن بهذه الجهة فقد عثر عليه عبر طريق روسيكاد سطورة على بعد حوالي 500 م من جسر القنطرة باتجاه الجنوب، وتحديدا في معظم ملكية السيد لوزيور سابقا "la foret" حاليا، ويتمثل في مجموعة من القبور والأضرحة والتي كانت محل تنقيبات أثرية من طرف كل من دولمار ولويس برتران، كما أمكنني شخصيا معاينة بعض أثار هذه المقبرة المتكونة من مجموعة من القبور والأضرحة، إلا أنها في حالة متقدمة من التلف بسبب الاعتداءات المتكررة عليها.

هذه المقبرة هي نفسها المقبرة التي قام لويس برتران بحفريات بها سنة 1902 و قام بنشر نتائجها مفصلة بمجلة BCTH لسنة 1903، حيث تكمن خلال هذه الحفريات من التعرف على ضريح مربع 6.50 م يحيط به سور مستطيل الشكل بطول 15.50م و عرض 13.50 م و ارتفاع بـ 6.50م، أم سمك جدرانه فهو 0.60 م، يوجد داخل الضريح نتوءات و حوامل مهيأة في الجدران لحمل التوابيت الرخامية، مع أرضية مزينة بالفسيفساء[84].

كما عثر أيضا اثناء هذه الحفريات على مقبرة تضم 131 قبرا من مختلف الأنماط، متوزعة داخل المستطيل الذي يحيط بالضريح و خارجه، أغلب هذه القبور وجدت على عمق بسيط من سطح الأرض مثلما تأكدنا منه خلال المعاينة، و هي في معظمها تتكون من جرار اسطوانية تحيط بها قطع من الآجر بشكل هرمي أو قائمة أحيانا (الصورة 4) ، أطول هذه الثوابيت الفخارية لا يتجاوز 2 م، و لم يتم العثور رفقة هذه القبور على أي نوع من أنواع الأثاث الجنائزي ماعدى قبرا يضم بعض المسامير و يتميز بطريقة دفن شبيهة بقبر القدسية دينيا الذي عثر عليه بفوروم المدينة، كما وجد بمدخل المقبرة على عمودين مربعي الشكل من الحجر الرملي يحملان العلامة المسيحية لقسطنطين، هذين العمودين ينتصبان أمام درج بعرض 1.10 م يوجد بناحيته الشرقية بناية مقببة[85] ما تزال قائمة إلى اليوم[86]، و قد أطلق جراء الأدلة التي تم العثور عليها باطلاق اسم المقبرة المسيحية على هذه المقبرة.

كما أشار دولمار أيضا إلى وجود مجموعة أخرى من الأضرحة التي قام بانجاز بعض مخططاتها وقدم بشأنها وصفا مفصلا على يسار الطريق مباشرة بعد تخطي جسر وادي بني مالك المتواجد عند بداية طريق سطورة روسيكاد قادمين من المدينة " مباشرة عقب تخطينا وادي بني مالك وعبر المرتفع الذي يعلوه هناك عدة قبور كبيرة تم تنقيبها قبلنا بشكل عشوائي مما أدى إلى الاضرار بها"[87]

بنيت الأضرحة داخل أسوار مستطيلة، بعضها قد يصل إلى طول 17 م وعرض 12م، تتوضع الأضرحة ذات الشكل المربع (7 م) بداخلها بشكل غير متواز في الغالب، تتميز جدران الأضرحة بالسماكة 1.40م مما يسمح بالتهيئة عليها من الداخل حفرا مستطيلة لوضع التوابيت (الصورتين 3،2)، بينما تزينت الأرضية

[84] Bertrand Louis, fouille dans la propriété Lesieur près de Philippeville, IN BCTH.1903, pp 524-525

[85] Bertrand L, ibid, pp529-532.

[86] سجلنا خلال المعاينة الميدانية للمقبرة الملاحظات التالية:

- الاهمال الكلي لهذه المقبرة وتعرضها جراء العزلة للتخريب واتخاذها من طرف المنحرفين كمكان للسكر
- بعض الاضرحة في مجملها تقريبا لا تزال قائمة بنفس الوصف الذي ورد في وثائق الحقبة الكولونيالية ويمكن بتدخل بسيط حمايتها والحفاظ عليها.
- سجلنا كذلك قيام سلطات البلدية ببعض اشغال التهيئة من مثل فتح مسالك عن طريق الالات الميكانيكية مما أضر كثيرا بالقبور الموجودة هناك.
- انتشار كثيف داخل الغابات لكتل المباني الرومانية (أضرحة) والتي يمكن الاستفادة منها في الدراسات الاثرية للمنطقة.

[87] Delamare, Op.cit. p 158

بفسيفساء متعددة الألوان[88]، وقد وجدت بهذه الاضرحة ميداليات عليها كتابات تعود إلى الفترة المتأخرة من الامبراطرية وبداية الفترة المسيحية، إذ عثر دولمار في أحد الأضرحة التي حاول تنظيفها من أجل دراستها على ميداليات عليها الكتابة التالية:

FEL(ix) TEMPVRVM REPARATIO

وعلى البعض منها نجد إضافة أخرى على نفس الظهر: FL(avius) CL(audius)

كم توجد أيضا إضافة أخرى للعبارة التالية: GLORIA ROMANVRVM[89].

هذا بالنسبة للأضرحة mausolé أما بالنسبة للنوع الثاني من هذه المعالم الجنائزية ونعني بها الكولومباريوم columbarium فإن دولمار قدم لنا بشأنها هي الأخرى وصفا مفصلا، قد لا يتسع هنا المجال لايراده كاملا ويمكن العودة بهذا الخصوص إلى مذكرتي لنيل شهادة الماجستير.

[88] Delamare, ibid.
[89] Delamare, ibid.

الصورة 2: بقايا ضريح روماني على طريق القبور.

الصورة 3: ضريح روماني على طريق سطورة (طريق القبور).

لصورة 4: قبر روماني من الآجر.

أما بالنسبة للمدينة و كما أوردناه في مستهل هذا العنصر فقد وجد تقريبا بمختلف نقاط المدينة و خارجها على أثار جنائزية، ومن بين أهم ما عثر عليه تابوت عليه صورة الميت و هو لطفل في قلب المدينة كما عثر أيضا على صندوق صغير من الحجر يعود إلى الفترة الفينيقية خلف الجدار الشمالي لمبنى المستشفى حاليا، بالإضافة إلى العثور على قبر عند محطة القطار و كذلك على عناصر جنائزية في المناطق الشمالية الشرقية على منحدرات جبل بويعلى (الحي الايطالي) وبالقرب من ساحل البحر، وفي الجهة الجنوبية كان المعمرون يعثرون في حقولهم على مقابر معزولة، وفي الاتجاه الشرقي لقرية حمروش حمودي على مسافة 650 م عثر على ضريح هرمي[90].

و مع ذلك، فإنه يمكن تمييز ثلاث مقابر رئيسية بالمدينة، اثنتين منها خارج سور المدينة بالناحية الجنوبية متوزعتين شرقا و غربا بشكل يحاذي الطريق المؤدي إلى سيرتا، و مقبرة ثالثة داخل السور، يبدو أنها كانت موجهة للأسر المرموقة بالنظر إلى الثوابيت الرخامية الرفيعة التي جلبت من هناك و التي ما تزال محفوظة بالمتحف البلدي روسيكاد و بالحديقة الأثرية، وقد اكتشفت هذه المقبرة سنة 1840 اثناء انجاز قناة لصرف المياه خلف ثكنة الفرسان (ثانوية محمد الصديق بن يحيا) و تحديدا فإن موقع هذه المقبرة يمكن تحديده بمعظم الأرضية التي يشغلها اليوم مشروع فندق الأمير.

في الاتجاه الجنوبي من هذه المقبرة وعلى بعد عشرات الامتار، عثر على واحدة من المقبرتين المتواجدتين خارج سور المدينة، هذه المقبرة توافق تقريبا مكان المقبرة الاوروبية أو على الأقل تقترب منها وربما تمتد حتى إلى الجوار القريب من السور، بحسب أحد القبور التي شاهدتها شخصيا اثناء اشغال تهيئة هناك، وهو قبر يتميز بشكله الهرمي على غرار تلك التي وجدت بالمقبرة المسيحية.

تتميز هذه المقبرة ببساطة شديدة، فلم يعثر بها إلا على نقوش جنائزية منفذة الحجر الرملي والحجر الجيري وعلى القليل من الألواح الرخامية بالإضافة إلى بعض الأثاث الجنائزي[91]، وهو ما يدل بوضوح على أنها مقبرة للعموم.

أما في الجهة المقابلة لها غربا، أي على المنحدر الجنوب شرقي لبويعلى، ما يوافق اليوم تقريبا حي " الربوة الجميلة" mont plaisant فقد تعددت الاكتشافات للمعالم الجنائزية هناك إذ اكتشف سنة 1864م بملكية أحد المعمرين على نصب جنائزي من الحجر الرملي الصلب بارتفاع: 1,10 م وعرض: 0,58 م لشخص يدعى (كليوس بونتكوس) Cellius Ponticus 92.C .

[90] Chabassiére Et Bertrand, Op.cit. p 28.
[91] Chabassiére Et Bertrand, ibid. p 29.
[92] Vars(Ch), op.cit, p 175.

ثم توالت الاكتشافات لاحقا أين عثر غير بعيد بملكية السيد "بورداج" Bordage على تابوت من الرخام مزين بخطوط على شكل الحرف اللاتيني S، وضع بالمسرح الروماني حيث يتواجد به إلى اليوم.

كما قام صاحب الملكية وبتمويل منه، بالإشراف على حفرية أجراها بفناء منزله وبستانه ثم قام بنفسه بتسليم المتحف كل ما تمكن من العثور عليه هناك، إذ أن معظمه عبارة عن كمية معتبرة من العناصر الجنائزية[93].

هذا وقد لوحظ بالمكان أثار أبنية متهدمة، بعضها كان قائما حتى ارتفاع المترين، يوجد بأحد جدرانه عقد من الحجر، يفترض أن يكون مدخلا يفضي إلى قاعة جنائزية[94].

وقد أمكن الجمع من هذا البناء المتردم بعضا من الفخار، مصابيح، صحون، عناصر برونزية وأخرى من الزجاج المتعدد الأشكال والألوان كانت تزين إحدى واجهات متحف فيليب فيل الأثري[95].

ويتعلق الأول بـ "كولومباريوم"، حيث يلاحظ وقتها داخل قاعة تعلو أحد جدرانها بقايا قبة الجزء السفلي لضريح كبير العائلة، بينما تضم الجدران الداخلية مجموعة من المحاريب الصغيرة لاستقبال جرار رماد الموتى، مقاساتها كالتالي الارتفاع: 0,60 م، العرض: 0,75 م، العمق: 0,40 م ترتفع عن الأرضية بـ 0,50 م، طول جدران هذه القاعة هو 3,50 م وأرضيتها من الاسمنت[96].

غير بعيد، فوق هذا المبنى وجد مبنى أخرا، وهو عبارة عن قاعة تضم تابوتا من الرخام، كتب في إطار واجهة التابوت اسم غامض لامرأة بنهاية اسم مذكر Remmia[97] Chrysophorus . (الشكل 19)

اذن يتضح لنا من خلال هذا العرض حول المعالم الجنائزية و انتشارها عبر مختلف نقاط المدينة و ضواحيها أن هناك انعدام كلي للأثار الجنائزية الفنيقية جنوبا من المدينة و أن هذه الأثار تركزت فقط حول الميناء و الجهات الشمالية للمدينة مما يعني أن امتداد البلدة التي أقامها الفنيقيون كانت مقتصرة فقط بتلك الجهات، بينما نلاحظ انتشارا مركزا للمقابر الرومانية منذ القرن الأول و إلى غاية الفترة المسيحية عبر تقريبا امتدادات حدود المدينة الكولونيالية و هو ما يقوم دليلا على حدود المدينة الرومانية كما احترم الرومان المبدأ في أن تنتشر المقابر عموما حول "سوبربانوم" المدينة، و هو ما نلاحظه جليا في حالة روسيكاد من خلال تواجد معظم أماكن الدفن عبر الطرق و حولها.

[93] Vars(Ch), ibid, p 176
[94] Chabasssiére Et Bertrand, Op.cit. p 29.
[95] Vars(Ch), op.cit. p 175.
[96] Vars(Ch), ibid. p 177.
[97] Vars(ch), ibid. p 178.

5 - شبكة الطرق:

كانت تنطلق من روسيكاد نحو مختلف المراكز الحضارية المحيطة بها عدة طرق في ثلاثة اتجاهات رئيسية، طريق باتجاه الجنوب نحو سيرتا وطريق باتجاه الغرب عبر الجبال نحو شولو وطريقين باتجاه الشرق نحو هيبون يحاذي أحدهما الساحل بيما يتوغل الآخر داخل الأراضي، ويتفرع من هذه الطرق عدة طرق أخرى تلتقي فيما بينها مشكلة شبكة من الطرق الرئيسية والثانوية كما سنعمل على توضيحه.

و أهم طريق كان يربط روسيكاد بمحيطها الخارجي هو **طريق سيرتا - روسيكاد**، و هو من الطرق الرئيسية التي تحتل الصف الثاني بشمال افريقيا مثلما يراه قزال[98]، لكن و بالاحتكام إلى المعايير الرومانية المتعلقة بهندسة الطرق التي تجعل صف الطرق الأولى من 6 إلى 7 م فإننا نعتقد أن طريق سيرتا روسيكاد ينتمي إلى هذا الصف بالنظر إلى عرض الطريق المقدر ب 6م على نحو ما أكده بيرتران من خلال عمله الميداني المنجز حول مقطع من الطريق عند مخرج مدينة روسيكاد،[99] و ما يؤكد هذه الأهمية التي يكتسيها هذا الطريق هي الإصلاحات الكبرى التي عرفها خلال حكم الامبراطور هادريانوس مثلما تدل عليه بعض النقائش، و كذلك الاصلاحات المتكررة خلال مختلف الفترات، بدءا من حكم سيفيروس و انتهاء بحكم قسطنطين[100].

وبحسب النص الذي تم العثور عليه فإن الاصلاحات التي انجزت خلال حكم هادريانوس تمت بتمويل من الخزينة السيرتية، وشملت انجاز العديد من الجسور من طرف الفيلق الأوغسطي الثالث ونصها مترجما: " تحت حكم الإمبراطور قيصر، تراجانوس، ادريانوس اوغسطس قامت الجمهورية السيرتية على نفقاتها ببناء جسور الطريق الجديد من سيرتا إلى روسيكاد، سيكستوس يوليوس كان قائد الفيلق الاوغسطي الثالث"[101].

من الواضح أن هذا "الطريق الجديد" بحسب النص ليس نفسه الطريق القديم الذي كان يربط المدينتين خلال الفترات السابقة للاحتلال الروماني، فقد قام الفيلق الأغسطي على ما يبدو بتغيير مسار الطريق ليتلاءم أكثر مع المتطلبات المستجدة، على النحو الذي قام به الفرنسيون بعد احتلالهم المنطقة، حيث غيروا مسار الطريق من قسنطينة إلى فليب فيل وفق مسار جديد، يتقاطع أحيانا و يحاذي أو يبتعد عن الطريق الروماني، و قد سبق من خلال نص ليون الافريقي الإشارة إلى أن هذا الطريق كان سالكا خلال الفترة الوسيطة و أنه كان في حالة جيدة "ويمتد بينها (أي سكيكدة) و قسنطينة طريق مبلط بالحجارة السوداء على نحو ما نشاهده

[98] Gsell (St). Les monuments antiques de l'Algerie ; ouvrage publié sous les auspices du GGA ; tome
[99] Bertrand L .un trançon de la voie romaine decouverte prés de philippeville.in Bcth 1905 pp 366-367.
[100] Demarceilly, op, cit, p 33.
[101] Demarceilly, ibid.

في ايطاليا من بعض الطرق المسماة الطرق الرومانية "[102]، لكن لا يبدو أن تلك الحالة الجيدة بقيت على حالها مع بداية الاحتلال الفرنسي أين تشير الوثائق الرسمية أن حالة الطريق كانت سيئة إلى درجة أن الفرق العسكرية الفرنسية لم تكن تسير إلا بمحاذاته، و نتيجة لهذا الأمر شرع في شق الطريق الجديد بين قسنطينة و فليب فيل في وقت قياسي[103].

كان هذا الطريق قديما ينطلق من الباب الجنوبي لروسيكاد، بشكل يتصل من خلالها بالكاردو الذي يواصل نحو الميناء، إذ أن هذا الأخير أي (DM) ما هو إلا الجزء الممتد من طريق سيرتا روسيكاد داخل المدينة[104]، ثم يتجه بعد مغادرته للمدينة باتجاه منطقة الحدائق، محاذيا المدرسة الفلاحية[105] (Ecole d'agriculture) التي تحولت اليوم إلى جامعة 20 اوت 1955[106] ، ثم يواصل بعد ذلك باتجاه مخيم الديس، صالح بو الشعور، الحروش، عين بوزيان[107]، التوميات، زيغود يوسف، الحامة ومنها إلى قسنطينة[108].

ويقدم لنا لوح بوتنغر (tabula Peutingeriana)رسم هذا الطريق على النحو التالي:

روسيكاد الى فيلا سال VILLAM SALAE XXX ميل روماني

فيلا سال إلى بالما PALMA XXV ميل روماني

بالما إلى سيرتا XII ميل روماني[109]

و يضع صاحب المؤلف امام فيلا سال مدينة الحروش و أمام بالما وادي بابا، بينما يرى دومارسيي أن فيلا سال يحتمل أن تكون إما صالح بو الشعور أو التوميات، و أن المسافة بين المدينتين روسيكاد و سيرتا مبالغ فيها بحسب لوح بوتنغر[110]، و ربما أن الرقم الأقرب إلى الواقع هو 48 ميلا روماني كما ذكره بلين[111] و كذلك بالنسبة لستيفان قزال، كما يشير قزال إلى اكتشاف لعمود ميلي على بعد 1 كم غربا من صالح بو الشعور (Gastonvile) يحمل الرقم 33 ميل، و في هذه الحالة فإن موقع فيلا سال يمكن وضعه بين صالح

---

102 الحسن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص 54_55.

103 Fournel (H), Op.cit. p.130

104 هذا ما تؤكده إحدى النقيشات التي عثر عليها بجسر بني مالك وتحمل نفس النص الذي أوردناه فيما يتعق بالاصلاحات الكبرى خلال عهد هادريانوس. انظر: Vars (Ch.). Op.cit. P 36.

105 ما تزال إلى اليوم أثارهذا الطريق المتمثلة في مجموعة من الحجارة المنحوتة التي كانت مستخدمة كحواف موجودة بحديقة جامعة سكيكدة حيث أعيداستعمالها كسلالم.

106 وقد أمكنني معاينة بعض أثار هذه الطريق التي أعيد استعمال موادها خلال الاحتلال لبناء المدرسة، فحواف الطريق الحجرية كما يصفها برتران أصبحت درجا لإحدى البنايات المطلة على حديقة الجامعة وكما أعتقد شخصيا فإن رسم الطريق نفسه بعد تجريده كليا من عناصره المعمارية لا يزال قائما إلى اليوم وسط حقول البرتقال القريبة من الجامعة.

107 منذ سنوات مضت، عاينت هذا الطريق في إطار عملي بمديرية الثقافة لولاية سكيكدة، وكانت بعض أجزاء هذا الطريق واضحة تماما، وتتواجد هذه الأجزاء تقريبا حيث تم اليوم تمرير الطريق السيار على بعد 2 كم في الاتجاه الجوبي الغربي لمقر الولاية. (انظر الصور)

108 De Marceilly, Op.cit. P 36

109 Le M[is] de fortia d'urban, Reccueil des itinéraires anciens, l'itinéraire d'antonin.la table de peutenger. Un choix des périples gecs, imprimerie royale, paris 1845. P 295.

110 Demarcilly, Op.cit. p 36.

111 Ajasson De grandsagne, Histoire naturelle de Pline, Paris, 1829. P 45.

بوالشعور و مدينة الحروش، و يبدو لي أن فيلا سال التي يحتمل أن تكون هي نفسها بقايا البنايات المشار إليها من طرف دومارسي[112] تعد مفترق طرق، إذ ينطلق من خلال هذا المفترق طريق آخر باتجاه الغرب نحو سلتيانيس بينما يواصل الطريق الرئيسي نحو الحروش أين يوجد مفترق آخر باتجاه الشرق نحو هيبو ريجيوس.

يخترق الطريق باتجاه الغرب سهول مجاز الدشيش و هضباتها (Robertville)، حيث عثر بها على عدة بقايا أثرية رومانية تشير إلى وجود تجمع عمراني هناك[113]، ومنها بالاتجاه الجنوبي الغربي نحو سلتيانس، ويبدو أن هناك طريقا يتفرع من مجاز الدشيش نحو سيدي مزغيش ومنها إلى شولو عبر تمالوس، أما الطريق الذي يصل إلى سلتيانس فيبدو أنه يواصل منها نحو ميلة (mileve) على النحو الذي يعتقده قزال الذي يشير إلى وجود عمود ميلي يقوم دليلا على هذا الاعتقاد[114].

و بالعودة إلى مدينة روسيكاد فقد أشار شاباسيار إلى وجود طريق ترابي يتفرع من طريق روسيكاد سطورة عند جسر بني مالك، هذا الطريق يحاذي الوادي ثم يتوغل نحو الغرب، و يبدو أن هذا الطريق قديما كان يحاذي الوادي إلى حدود 3000 م على الضفة الغربية ثم يرتفع شيئا فشيئا ليخترق جبال بولقرود الغربية ثم يواصل مخترقا سلسلة من الجبال الحادة باتجاه تمالوس، حيث كانت تنتشر في ربوع هذه الجبال وعبر هذا الطريق مناطق استيطانية بسيطة كما تدل عليه البقايا الجنائزية الكثيرة التي عثر عليها هناك، و كذلك بعض الحجارة المنحوتة التي وجدت معزولة في عدة نقاط من المنطقة، كما يبدو أن لهذا الطريق طرق أخرى فرعية في عدة اتجاهات، أهمها تلك التي تتجه شمالا نحو البحر حيث توجد عدة مناطق عمرانية على الساحل مثلما تشهد به على ذلك الأثار الرومانية القائمة إلى اليوم بشاطئي واد بيبي و وادي طنجة.

هذا الطريق قبل أن يصل إلى مدينة تمالوس فإنه يعبر منطقة الشرايع، ثم بومقان على النحو الذي نتصور أنه نفس رسم الطريق القائم إلى اليوم منذ الفترة الاستعمارية، ثم يلتقي أخيرا بمنطقة تمالوس في مكان ما بطريق شولو سلتيانس كما يشار إليه في لوح بوتنقر[115].

---

[112] بين سنتي 1849 و 1850 اكتشف دومارسيي بالأنحاء القريبة من صالح بوالشعور شرقا من الطريق الروماني هناك عدة أبنية مختلفة، منها سلسلة من الغرف تحت الأرض تعلوها قباب ربما تكون عبارة عن خزانات مائية، و بجانبها بقايا بناية أخرى على أرضيتها فسيفساء باللونين الأسود و الأبيض مشكلة زخارف هندسية على هيئة صليب – انتزعت و أخذت في البداية إلى قاسطونفيل ليجهل مصيرها فيما بعد- و غير بعيد لاحظ أيضا وجود بناية ذات نظام هندسي جميل و كل هذه المباني تم اقتلاعها عن آخرها لاستعمال حجارتها و عناصرها المعمارية في إنشاء مدينة قاسطونفيل (بو الشعور).

[113] يصف دومارسيي "هذه البقايا الأثرية التي عاينها سنة 1848"بأنها عبارة عن أساسات لمجموعة من المساكن الممتدة بين القرية الحالية والمقبرة وكثير من الحجارة المنحوتة المبعثرة بالأرجاء" كما عثر أيضا على بقايا أثار فلاحية عبارة عن قاعدة دائرية لمعصرة للمزيت وجدت بين أشجار الزيتون القريبة. انظر .Demarceilly. Ibid. 29-30

[114] Gsell, AAA, feuille 8 – n° 91.

[115] على العموم فإن البعض لا يعتقد بأن الرومان بإمكانهم شق طريق في تضاريس وعرة بحجم تضاريس منطقة دوار مصلى الممتدة بين مدينة سكيكدة و القل و تمالوس، و أنه حتى الفرنسيين أثناء محاولتهم شق طريق في هذه المنطقة كانوا يتوقفون في كثير من المرات عن المشروع بسبب التضاريس الوعرة، و أنهم بالكاد تمكنوا من انجازه في النهاية، و يرى هؤلاء (شاباسيار و دومارسيي) أن طريقا كهذا في منطقة كهذه لا يعد ضروري في مقابل وجود طريق ساحلي قصير تتخلله محطات بحرية يربط المدينتين قديما، إلا أننا نري أن وجود الكثير من الأثار التي تدل على

بينما في الجهة المقابلة للاتجاه الغربي من روسيكاد، أي في الاتجاه الشرقي فقد كان ينطلق طريق باتجاه هيبو ريجيوس سرعان ما يتفرع عند مخارج المدينة إلى فرعين، أحدهما يحاذي الساحل عبر باراسيانس والآخر بداخل الأراضي عبر نيدبوس[116]، هذا الأخير الذي يلتقي به في حدود منطقة راس الماء الطريق القادم من الحروش نحو هيبو ريجيوس مثلما يراه قزال[117].

يمر هذا الطريق بعد أن ينطلق من روسيكاد عبر بلدية حمادي كرومة (Damrémont) ثم ينعطف باتجاه الجنوب وفق الرسم الحالي للطريق الوطني رقم 44 ثم ينعطف مجددا عند نهاية سفوح جبل العالية ليتجه صوبا نحو الشرق باتجاه عزابة[118]، و على العموم فإن دومارسي يؤكد أنه من الصعوبة العثور على هذا الطريق في ذلك الوقت لكونه قد يكون تعرض للاندثار، ومع ذلك فهو قدم لنا وصفا لهذا الطريق على مستوى منطقة راس الماء حيث كان هذا الطريق يتراءى للهيان على مسافة 1 كم على الأقل و يتكون من طبقة واحدة من الحجارة حيث يلتقي به هناك الطريق الفرعي القادم من الحروش.[119]

أما الطريق الثاني عبر باراسيانيس فيبدو أنه كان ظاهرا للعيان في عدة نقاط منه كما يفهم من كلام دومارسيي، و ربما يمكنني الاعتقاد شخصيا أنه تقريبا نفس المسار الذي يقطعه طريق قرباز انطلاقا من منطقة فلفلة، إذ أن هذا الطريق يمر أولا قريبا من نقطة انطلاق القناة المحمولة بوادي ريغة و كذلك بالقرب من مقلع الرخام بجبل فلفلة، بالاضافة إلى أن المسار الوحيد الممكن نحو باراسيانيس بعد ذلك هو حيث يمر الطريق الحالي بعد أن يتجازوز قمة مرتفع جبل العالية، ثم يواصل من هناك نحو بلدية المرسى و منها إلى راس الحديد ثم إلى هيبو ريجيوس عابرا المحطات القديمة التالية:

خارطة انطونينوس:

روسيكاد XXV باراسيانيس XVII كولوكيتانيس Culucitanis XXII تاكاتوا Tacatua XXII سولوكو Sullucu XXXII هيبو ريجيوس.

لوح بوتنغر:

الاستيطان الروماني في عدة نقاط من دوار مصلى يدفع حتما إلى الاعتقاد بوجود طريق هناك أو شبكة من الطرق الترابية التي تسمح بالسيطرة على المنطقة و توفير الحماية للمدن و المحطات المتوزعة عند أطرافها، فضلا عن استغلال ثرواتها الطبيعية و الحيوانية من مثل أخشاب الزان و البلوط، و مختلف انواع الغابات الاخرى.

[116] Le M[is] de fortia d'urban, Op.cit. p 225.
[117] Gsell (St), AAA, F 8-n°213.
[118] Chabassiére Et Bertrand, Op. Cit. P 12.
[119] De Marceilly.Op.cit. P 38.

روسيكاد XXV باراسيانس XVIكولوكيتانيس VII Culucitanis زاكاZaca، VIII، مازارور (mazarur)، VII، تاكاتوا XVIII سوبلوكو XXXIII Sublucu، هيبو ريجيوس120 .

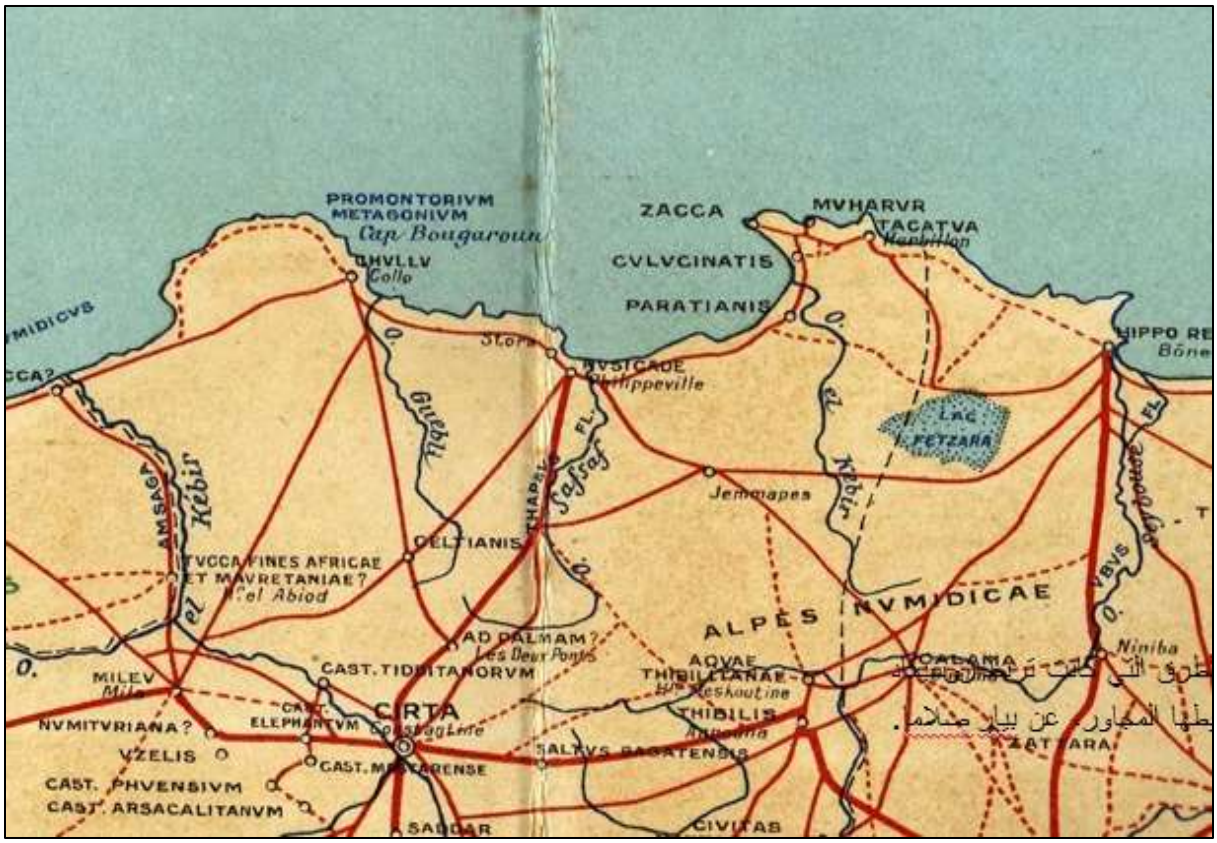

الشكل 20: شبكة الطرق من وإلى روسيكاد مع بعض المراكز الهامة في محيطها المجاور، عن بيار سلاما.

120 Gsell(St). AAA, feuille02 n° 2.

II شولو: الورقة 8 رقم AAA29.

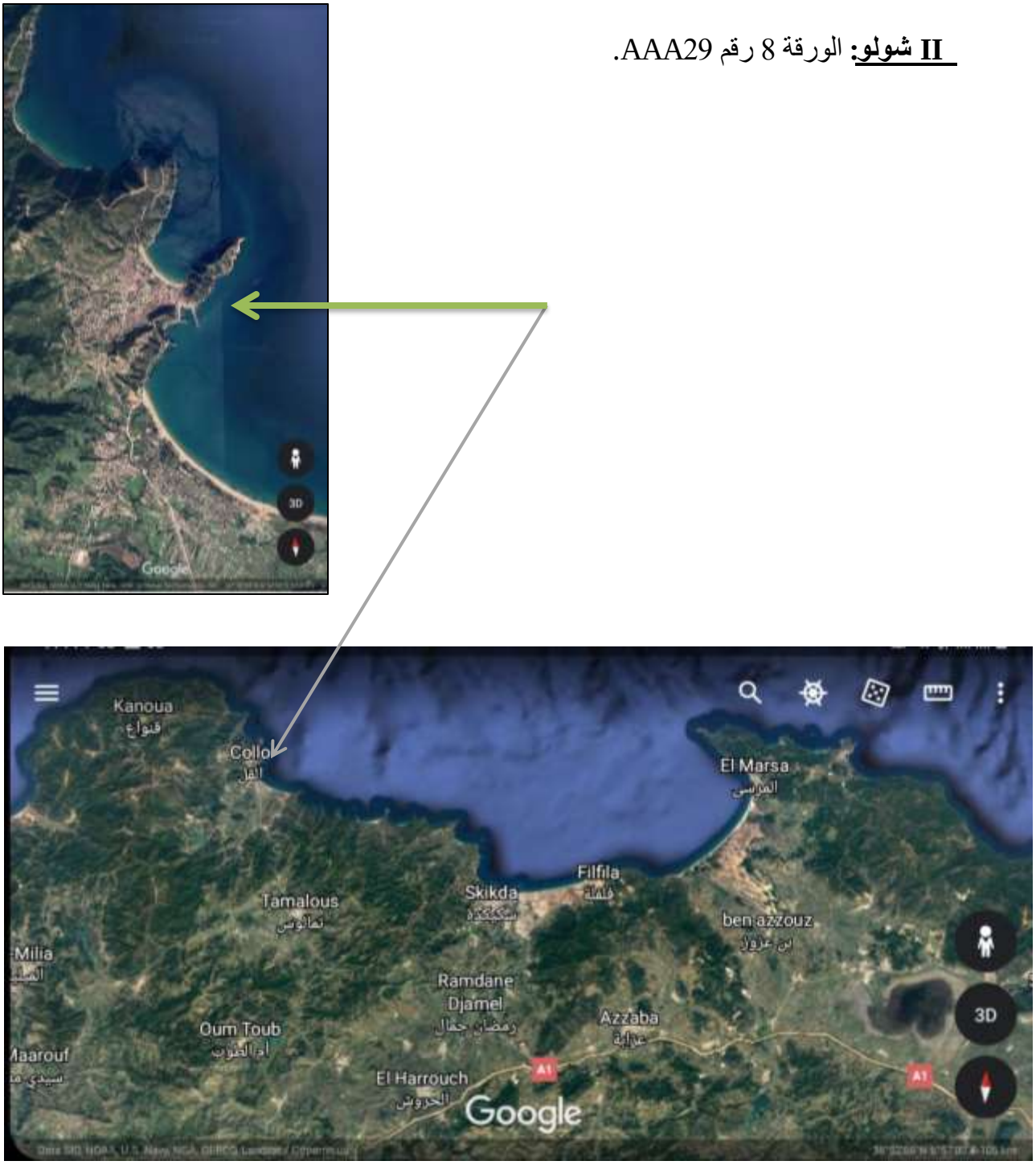

موقع شولو، google earth بتصرف

1- الموقع الجغرافي:

تقع مدينة القل على الساحل في الجهة الشمالية الغربية من مقر الولاية، على مسافة تقدر بحوالي 80 كم، يحدها غربا دائرة الزيتونة ومن الجنوب دائرة تمالوس أما من الشمال فالبحر الأبيض المتوسط، وتضم ثلاث بلديات هي: القل، بني زيد، الشرايع.

2- **الموقع الطوبوغرافي:**

يحيط بموقع المدينة من الجهة الغربية و الجنوبية كتل من الجبال، أهمها كتلة جبال بوقارون[121] في الجهة الغربية و الجنوبية الغربية و المتكونة من سلسلة من الجبال التي يبلغ أقصى ارتفاع لها أكثر من 1000م أما من الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة و خلف جبل كدية السند فيوجد المنخفض السهلي لوادي قبلي.

تتوضع المدينة على سهل وادي بوشرك الذي يخترق المدينة في طرفها الغربي ليصب في البحر (شاطئ عين دولة)، ويحد السهل من الجهة الغربية منحدر جبل دومبو وكدية السند جنوبا وشبه جزيرة الجردة من الناحية الشمالية الشرقية - والتي أحيانا ما يطلق على المنطقة بسببها اسم شبـــــــه جزيرة القل- أما شمالا وشرقا فيوجد خليجين صغيرين حيث أقيم في الشرقي منهما الميناء قديما.

وبالتالي فإننا نلاحظ أن مدينة القل كانت تحظى قديما بأهم المقومات الطبيعية الأساسية لإقامة المدن، والمتمثلة في الخلجان البحرية والأذرع الجبلية الحامية والأنهر وحتى السهول القريبة بالإضافة إلى مواد البناء كالحجر والطين ومختلف الثروات الطبيعية وهذا ما يفسر ذلك الاهتمام منذ القديم بهذه المدينة.

تجدر الإشارة هنا إلى أن وادي الامبساقا (الكبير) الذي كان يمثل حدا سياسيا قديما والذي غالبا ما يخلط الباحثون بينه وبين عديد الأودية بالمنطقة وخاصة وادي قبلي إنما يصب على بعد 45 كم غربا عن مدينة القل ببلدية سيدي عبد العزيز التابعة اقليميا لولاية جيجل.

3- الحصاد الأثري لمدينة شولو:

من الإشكاليات التي قد تواجه الباحث عند دراسته لأثار مدينة شولو هي قلة الاكتشافات الأثرية، بحيث يمكنه بسهولة ملاحظة أن هناك عدم تناسب بين حجم هذه الاكتشافات و شهرة المدينة قديما، و بخاصة الفترة الرومانية، و قد طرح كثير من الباحثين الذين حاولوا دراسة تاريخ القل هذه الإشكالية، و على رأسهم السيد لوسياني الذي قام باستكشاف أثري للمنطقة سنة 1883 قائلا: " من بين المستعمرات الأربع التي شكلت

[121] كان السكان في مرحلة القرون الوسطى يطلقون عليها اسم "الرؤوس السبعة " وهي تسمية اعتبرها الرحالة الألماني فون مالتسان ذات بعد صوفي،" إذ أن العرب وهم كثيرا ما يحملون أعدادا معينة معاني صوفية " في الوقت الذي يزيد فيه عدد الرؤوس الجبلية عن هذا العدد بكثير. انظر: احمد بلقاضي، المرجع السابق، ص 42.

قديما الإتحاد السيرتي تعتبر القل الوحيدة التي لم تبح بأسرارها و احتفظت بماضيها في صمت مطبق، بينما تحدث اكتشافات يومية بكل من روسيكاد و سيرتا و ميلة"[122]، و يحاول لوسياني تعليل ذلك بالقول: "أنه إذا كنا لم نجد شيئا في القل، فلأننا بكل بساطة لم نبحث عنه جيدا، أننا لم نقم بأي حفرية جادة، و هذه الإجابة قد تبدو ساذجة لكنها صحيحة"[123]، لكنه في مقابل هذا يتناقض إلى حد ما مع هذا الكلام عندما يصطدم بضعف الحصاد الأثري لمدينة القل خاصة فيما يتعلق بالنقوش فيما يشبه الاعتراف " لا أجد ما أجيب به على هذه الملاحظة إلا أنه بالرغم من اللقـــــب (مانيوس) الذي منحه كل من سكيلاكس و بطليموس لمدينة القل، و حتى ما ذكره صولان من أنها تمثل ثاني أهم مدن نوميديا و ينسب إليها صناعة المنسوجات القرمزية التي تعادل تلك التي تنتج في صور، رغم ذلك، يمكننا الاعتقاد في الواقع أنها لم تكن بنفس أهمية روسيكاد و لا حتى ميلاف و أن لقب المستعمرة لا يخول لنا أن نضعها في نفس الصف الذي تحتله تلك المدن"[124].

ثم يقتصر فيما بعد على تقديم شكل بسيط من التوزيع الأثري للمدينة، حيث أشار وقتها إلى وجود ثلاث أبنية قائمة جزئيا، واحدة منها فوق الطريق المؤدي إلى وادي شرك، و الثانية غربا على يمين الطريق المؤدي إلى منطة الشرايع، و ثالثة فوق الطريق المؤدي إلى المنارة على مستوى شبه جزيرة الجردة، و هذه الأخيرة عبارة عن خزان شبيه بذلك الذي وجد بموقع الملاحة بمنطقة وادي بيبي[125].

كما قام بنفسه بإجراء بعض الحفريات التي سنعمل على التفصيل فيها لاحقا، و من الباحثين أيضا الذين أبدوا نفس الملاحظة جوزيف بارس(Josèphe Parres) الذي ألف مونوغرافيا حول مدينة القل سنة 1933، أي بعد حوالي 20 سنة عن ملاحظات لوسياني، حيث يقول: " القل القديم، لم يكشف بعد شيئا يعادل سمعته التاريخية التي ذكرها القدامى"[126]، أما ليدرمان من بعده فيضيف قائلا: " من الناحية الأثرية فإن مدينة القل لم تعط لنا النتائج التي كنا نأملها منها "[127].

فهل أن السبب في ذلك يعود إلى تعاقب الاستيطان بالمنطقة، بحيث و كما ذكرناه حول تاريخ مدينة القل، فإن القل كان دائم الحضور خلال مراحل العصر الوسيط، و هو الذي أدى بالتالي إلى طمس المعالم القديمة؟، أم أن عوامل طبيعية هي التي تدخلت و غمرت أثار المدينة في عمق سحيق من الأرض خاصة و أن المنطقة معروفة بنشاطها الزلزالي مثلما وقع سنة 1856 عندما ضرب زلزال عنيف بشكل دمر أجزاءا واسعة من الشريط الساحلي للمنطقة وصولا حتى سواحل جيجل؟[128]، أو ربما أن عوامل بشرية هي التي فعلت ذلك،

---

[122] Luciani M.D, excursion archéologique dans la région de collo, RASC, 23 volume - 1883-1884. Pp 70-78.
[123] Luciani, Ibid.
[124] Luciani, Ibid.
[125] Luciani, Ibid.
[126] Josephe Parres, Monographie sur Collo (Ancienne Chullu minicipium des romains), Imp.P. Guiauchain, Alger 1933. P 15.
[127] Leaderman, Op.cit. p 151
[128] Feraud Charles, Documents pour servir à l'histoire de Philippeville, IN *Rev. Af* XIX, 1875. Pp

فبعض المصادر تتحدث عن غزو وندالي قام بتخريب أسوار المدينة التي لم تبن مجددا، و كذلك يعتقد فيرو أن أثار المدينة تبدو مبعثرة في أنحاء الموقع بفعل يد الأنسان و ليس الطبيعة، و يوعز ذلك إلى الغزو الوندالي[129]، أم أن الرومان ببساطة شديدة لم يقومو بإنشاء المدينة بنفس التخطيط الذي كان معمولا به عندهم في انشاء المدن و نعني به المخطط الشطرنجي، كما هو الحال مثلا في روسيكاد، فالدارس لأثار مدينة شولو يجد صعوبة بالغة من خلال التوزيع الأثري المكتشف في فهم فيزيونومية المدينة التي كانت قائمة في ذلك الموقع، فالأثار المكتشفة لا تحيلنا إلى ذلك المخطط الشطرنجي، بل إننا لا نكاد نجد أي شيء مميز يحيلنا إلى الاعتقاد بوجود مدينة واضحة المعالم، بل إن هذه الأثار المكتشفة و النصوص القديمة كلها تفيد بأن مدينة القل و منذ النشأة الفنيقية لها كانت عبارة عن مركز للانتاج الصناعي (manifacturiére) بداية بإنتاج الصباغة الارجوانية و النشاط المنجمي و صناعة الخشب، كما يتحدث كل من فيرو و ليدرمان عن وجود سبخة باتجاه الجنوب من المدينة الفرنسية كانت تتصل قديما بالخليج (حيث الميناء) بحيث كانت وقتها عبارة عن امتداد للميناء، و أنها كانت تستقبل عددا معتبرا من السفن، و أن البنايات التي وجدت في ذلك الوقت محيطة بهذه السبخة قد تؤكد هذه الرواية[130].

فمدينة القل بهذا الوصف تكون قد أنشئت في مكان محصور بين شبه جزيرة الجردة ذات الانحدار الشديد ومساحات ضيقة من السهل الذي يمتد ناحية الجنوب الغربي و هو ما دفع بالتالي بالرومان إلى إنشاء بعض العمائر البسيطة التي ربما فرضتها الحاجة الضرورية لطبيعة الاستيطان بهذه المدينة، و هي حاجة يغلب عليها الجانب الاقتصادي وربما حتى العسكري أكثر من الضرورة المدنية.

وعلى العموم، فإنه للإجابة على هذه الاسئلة قد يتطلب الأمر بحثا مستقلا، ولذلك فسنكتفي من خلال هذا العنصر البحثي على ذكر أهم الاكتشافات الأثرية التي حدثت خلال الفترة المعاصرة من تاريخ مدينة القل وخاصة الفترة الاستعمارية، ومحاولة رسم ولو فيزيونوميا أولية قد تساعد الباحثين لاحقا في استكمال عناصر الإجابة وفهم بشكل دقيق طبيعة التطور العمراني الذي عرفته شولو قديما.

[129] Feraud Charles, ibid.
[130] Feraud Charles, ibid.

4 ـ التوزيع الأثري لمدينة القل:

أ ـ الأثار الفنيقة أو الليبووفنيقية

لعل أهم الأثار التي عثر عليها بمدينة القل هي تلك المتعلقة بالمرحلة ما قبل رومانية، فقد تم العثور على مجموعة من الأثار الجنائزية، تمثلت في قبور الدولمان و أخرى متميزة بالدفن داخل جرار فخارية، و يعود الفضل في هذه الاكتشافات إلى السيدين لوسياني و النقيب هيلو، حيث قام هذا الأخير بإجراء تنقيبات أثرية بالمقبرة الليبوفنيقية مثلما أطلق عليها، و الواقعة بالقرب من الخزان المائي بالجهة الجنوبية لكدية السند، أين قام بتنقيب 22 قبرا و نشر حولها تقريرا مفصلا في مجلة الجمعية الأثرية لمقاطعة قسنطينة التي كان فيها مراسلا سنة 1895[131].

وقد استهل هذا التقرير بالإشارة لتلك الحوانيت التي وجدت محفورة في الصخر أثناء شق الطريق عبر المنحدر الشرقي لكدية السند (الطريق الحالي المؤدي إلى مدينة القل)، أغلب هذه الحوانيت فقدت شكلها تماما نتيجة العوامل الطبيعية، كما تمكن السيد قريمو Grimaud من تنقيب بعضها في وقت سابق واستخرج منها بعض الجرار الفخارية التي تحمل منحوتات أدمية (Anthropoide) أرسلها إلى أعضاء

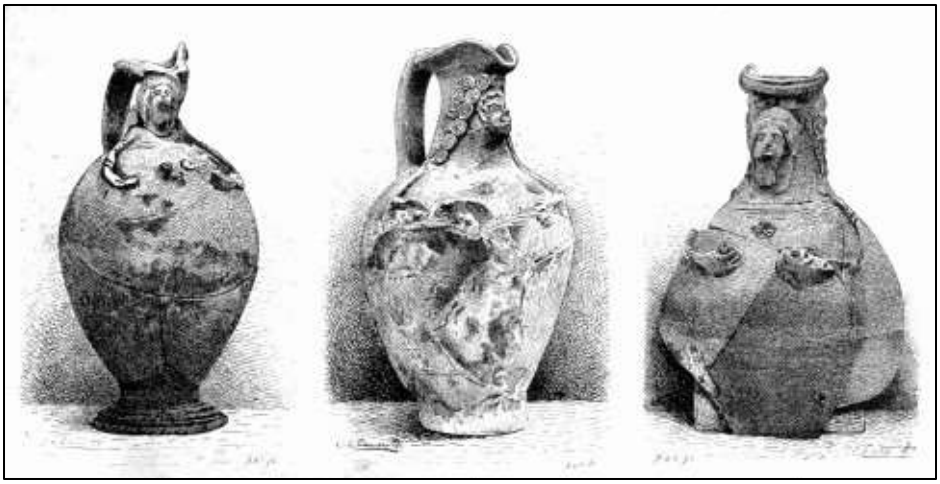

صورة 5: مجموعة من الجرار المستخرجة من المقبرة الليبيفينيقية ذات الشكل المميز والفريد.

الجمعية في قسنطينة الذين أكدوا أنها تعود للعهد الفنيقي[132]، (الصورة 5) بينما قام النقيب هيلو بأعمال مسح مكنته من التعرف على إحدى الغرف أسفل الطريق بحوال 5 م، و تمكن من تحديد قياساتها و وصفها وصفا مقتضبا، و هي عبارة عن غرفة صغيرة مقببة محفورة في الصخر ارتفاعها 1.60 م و عرضها 1.30 م،

[131] Hélo le capitaine, notice sur la nécropole liby-Phénicienne de Collo, in BCTH 1895, Paris 1895. Pp 343-365.
[132] Comptes rendus des seances de l'académie des inscriptions et Belle letttre/Annéé 1895/36-6/pp 629-631.

تحتوي ب بداخلها على مدرجين، و بعد مواصلة عملية المسح في الأرجاء تمكن من العثور على حوانيت أخرى ثم في النهاية المقبرة التي راسل بشأنها الجمعية الأثرية والتي لم تتوان في وضع مبلغ قدره 100 فرنك من أجل القيام بحفريات في الموقع وبمساعدة سلطات البلدية الذين بدورهم وضعوا تحت تصرفه الوسائل والعمال، وقد استمرت هذه الحفرية ثلاثة أشهر.

و من بين نتائج هذه الحفرية، أنه تمكن من تحديد الفترات الزمنية لتلك المقبرة، و هذا حسب طبيعة الأثاث الجنائزي المكتشف، حيث أن بعض القبور و مثلما قام بجردها من 6 إل 17 قبرا عبارة عن قبور فنيقية، إذ أن القطع النقذية التي تم العثور عليها بتلك القبور هي نقود قرطاجية، أما بقية القبور فقد عثر بها على قطع نقدية برونزية في حالة جيدة من الحفظ تعود للملوك النوميد (ماسينيسا، مكيبسا و اخوته، يوغرطة)، و هو ما دفع بقزال لاحقا إلى التأريخ لهذه المقبرة بالقرنين الثالث و الثاني قبل الميلاد[133].

كما يؤكد النقيب في تقريره أن مواصلة التنقيب بالموقع سيسفر حتما عن اكتشافات جديدة، و أن دواعي خاصة هي التي حتمت عليه التوقف عن مواصلة العمل، كما أننا نعتقد أيضا أن كدية السند استغلت منذ القدم، أي منذ التواجد الفنيقي المبكر كمقبرة، و حتى عندما خلفهم النوميذ ثم الرومان قاموا باتباع أسلافهم في جعل المرتفع مكانا للأموات، من بين ذلك أنني قمت شخصيا بمرافقة خبير موفد من المركز الوطني للبحث في علم الأثار سنة 2013 لمعاينة اكتشاف عرضي أثناء انجاز خزان مائي، حيث عثر العمال على أثار للدفن تمثلت في مجموعة من العظام و تابوت من الرخام، و قد دلت الأثار المكتشفة على أن الأمر يتعلق بأثار جنائزية رومانية، و هو نفس الامر تقريبا الذي حدث خلال المرحلة الاستعمارية، حيث يشير بارس إلى اكتشاف أثار جنائزية بأنحاء الموقع تمثلت في تابوت يبدو أن النحاتين الذين كانوا يعكفون على صناعته لسبب ما قد توقفوا عن اتمامه على النحو المطلوب كما وصف ذلك بارس، إذ تم فقط انهاء نحت سرير الدفن و بابا مفتوح جزئيا بين عمودين و هو التابوت الذي لا يزال موجودا إلى اليوم بالحديقة العامة، كما أشار أيضا إلى أن الرخام بمدينة القل منعدم و يرجح أن يكون الرخام الذي صنع منه التابوت قد جلب من فلفلة، و قد لاحظنا فعلا بالأرجاء و بخاصة في الجهة الجنوبية الشرقية للمرتفع وجود العديد من الحجارة الضخمة و التي كانت تشكل مقبرة ميغاليتية كبيرة، إلا أن عملية التعمير النشيطة جدا هناك أدت إلى الإتلاف الشديد للموقع، و تشير الوثائق العلمية للحقبة الاستعمارية أنه كان يوجد في ذلك الموقع أكثر من 29 قبرا ميغاليتي[134].

[133] Hélo, ibid. Pp 343-365.
[134] Hélo le capitaine, Op.cit. Pp 343-365.

ب ـ المقبرة الرومانية:

لسبب ما فقد بذل بارس جهودا كبيرة في البحث عن المقابر الرومانية، ولم يتمكن إلا عن طريق المصادفة من اكتشاف إحدى هذه المقابر بملكية السيد بوكييون Bocquillon، الذي عثر عماله أثناء قيامهم بالحفر لغراسة أشجار الزيتون على أثار لدفن قديم، حيث قام بإبلاغ بارس الذي باشر عملية تنقيب واسعة في الأرجاء، ومن بين نتائج هذا التنقيب والحفر هو العثور في مساحة قد تزيد عن 40 م على عدة قبور تختلف فيها طرق الدفن عن تلك التي تم العثور عليها بكدية السند.

أغلب هذه القبور وجدت على عمق كبير 1.50م وتتميز بطريقة الدفن داخل جرار فخارية وأخرى من الرصاص ذات شكل أسطواني، أغلبها يحتوي على رماد وبقايا عظام، بالاضافة إلى ما تعرضت له عبر القرون من تسربات طينية، كما عثر ببعضها على امفورات وأثاث جنائزي مختلف تمثل في مجموعة من المصابيح الزيتية والأكواب والصحون والأباريق وأواني زجاجية، يتميز هذا الزجاج بصناعة متقنة وو وزن خيف ولون لامع، بعض الأواني الفخارية حمل علامة LVCRIO أي صاحب الورشة الصانعة لهذا الأثاث.

بجانب هذه السلسلة من القبور البالغ عددها حوالي ستة قبور، وجد قبر آخر يختلف عن البقية، إذ بني على شكل جدارين متوازيين من الآجر الأصفر بارتفاع: 0.40م وطول: 1.80م أما العرض فهو 0.70م يحتوي على هيكل عظمي كامل، كما يوجد بمحيط الجدران صفائح معدنية بها ثقوب كانت تستخدم في تثبيت التابوت الخشبي الذي وجدت أخشابه المهترئة داخل القبر، والقبر ككل مغطى بصفائح من القرميد ذات الحواف المحنية.

بعد هذا القبر، عثر بارس على سلسلة جديدة من القبور الشبيهة بالنوع الأول والتي استخرج منها بعض الأثاث الجنائزي المتمثل في: نرد، آنية اسطوانية من الرصاص، مسمار ذو رأس كبير.

و قد لوحظ خلال عملية الحفر هذه أنه لم يتم العثور مطلقا على أية قطعة نقذية أو نقش حجري يمكن من خلالهما التأريخ لهذه القبور، لكن بالمقابل قام بارس بمراسلة الأب ديلاطر Délatre الذي رد عليه قائلا: " الوصف المقدم بشأن طرق الدفن و الصور الفوطوغرافية، وجود الزجاج و الكثير من الآجر يدل على أنك بمقبرة رومانية يمكن تأريخها ما بين القرنين الثاني و الثالث للميلاد، فمن خلال المصابيح و كل ما أرسلته إلي لا يوجد ما هو بوني، على العكس، فالعلامة الموجودة على الأواني تدل على أنك في قلب الفترة الرومانية"[135].

[135] Parres Joseph, Op.cit.p 8.

و يعقب بارس بعد ذلك بالتأكيد على استنتاجات ديلاطر من خلال عثوره في المحاولة الثانية سنة 1926 على مصابيح زيتية تحوي علامة MVNI و علامة LVMITANV، بالإضافة إلى عثوره في نفس الموقع أيضا على مزيد من القبور تنوعت طرق الدفن فيها بين الحرق و من دونه، مع استعمال مكثف للقراميد منحنية الحواف، و هذا في عدة نقاط من المقبرة، و في الوقت الذي يؤكد هيلو على انعدام للعناصر الزجاجية بالمقبرة الليبوفنيقية – ماعدى بعض القطع القليلة - رغم السمعة الكبيرة التي كان يتمتع بها الفنيقيون في هذه الصناعة[136]، إلا أن بارس يؤكد على الانتشار الواسع لهذه المادة في المقبرة الرومانية و هو ما يدل على أننا فعلا في نهاية القرن الثاني للميلاد حيث بدأ استعمال الزجاج يعرف انتشارا واسعا لدى الرومان[137].

و يعلل آبي فرونسوا Abbé François بساطة هذه القبور و افتقارها للأثاث الجنائزي المميز مع انعدام النقوش الجنائزية بكونها تدل على أن هذه المقبرة تعود لأشخاص من طبقة الأهالي المرومنين او العبيد المعتقين، و أنها تساعدنا في معرفة حدود المدينة الرومانية القديمة لكون المقابر عامة في تلك الفترة تكون خارج اسوار المدينة، و أن وجود المقبرة بذلك المكان الذي يجعل موقع المدينة ضيقا يجعلنا نستغرب وصف بطليموس للمدينة باسم كلوبس مانيا[138].

و هذه المقبرة البسيبطة و "غير المهمة" مثلما وصفها ليدرمان، يوجد بالقرب منها مقبرة أخرى أكثر أهمية مثلما تؤكده الاكتشافات في بداية الاحتلال لمجموعة من التوابيت الرخامية و التي تحمل مواضيع مسيحية[139]، غير أن ليدرمان لا يعطي لنا أي تفاصيل حول هذا الاكتشاف، و إنما يضيف فقط أنه بالقرب منها يحتمل أن يكون موقع الكنيسة ذات الـ 24 م طولا و 14 م عرضا.

ج - أثار رومانبة متفرقة:

من خلال الوثائق الفرنسية و الاكتشافات التي تم رصدها في ذلك الوقت و من خلال نشاط بعض الافراد و الجمعيات ذات الصلة و المعاينات الرسمية التي جرت منذ الاستقلال إلى اليوم فإن أكثر النقاط التي عثر بها على أهم البقايا الأثرية الرومانية هي القاعدة التي تنطلق منها شبه جزيرة الجردة، حيث يقوم المسجد اليوم عند مدخل الميناء وصولا إلى مقر الدائرة، و منها في مختلف الاتجاهات، خاصة غرب و جنوب المدينة على امتداد 200م، إلا أن أغلب هذه الأثار إما وجدت معزولة أو أعيد استعمالها، و كما يشير إلى ذلك بارس، فإن أغلبها وجد في أنحاء متفرقة من المدينة دون أهمية تذكر.

[136] Hélo, Op.cit..Pp 343-365.
[137] Pares, Op.cit.9
[138] François Abbé, fouille d'un cimetiere romain à collo, RASC 1908 volume 42. Pp 13-22.
[139] Leadermane E, Op.cit. p152

و قد سبقت الاشارة آنفا إلى وجود سبخة كانت متصلة بالبحر، و أن عوامل طبيعية و بشرية أدت إلى انفصالها و طمرها بعد ذلك، و أن الميناء قديما كان شبيها بحسب ما ذهب إليه البعض بميناء قرطاجة المزدوج، إلا أن إثبات هذا الأمر يحتاج إلى عمل أثري دقيق، و هو ما ليس متاح حاليا، كما وجد أيضا في المنطقة الضيقة المحصورة بين الميناء الحالي و الساحة العمومية و قاعدة شبه جزيرة الجردة وصولا إلى شاطئ البنات (عين دولة) على أنفاق تحت الأرض بنيت بواسطة الآجر أثارت اندهاش الفرنسيين و اعتبرت بمثابة لغز محير – سنأتي على وصفها لاحقا – و يبدو أن هذه الانفاق كانت تقع مباشرة تحت المدينة القديمة.

وعموما فسنحاول في هذا العنصر إعداد حوصلة عامة بأهم الاكتشافات التي جرت في مدينة القل وضواحيها، سواء خلال المرحلة الاستعمارية أو بعد الاستقلال وتوزيع مختلف هذه الاكتشافات في شكل نقاط على خارطة المنطقة حتى يتسنى لنا فهم طبيعة الانتشار السكاني القديم هناك.

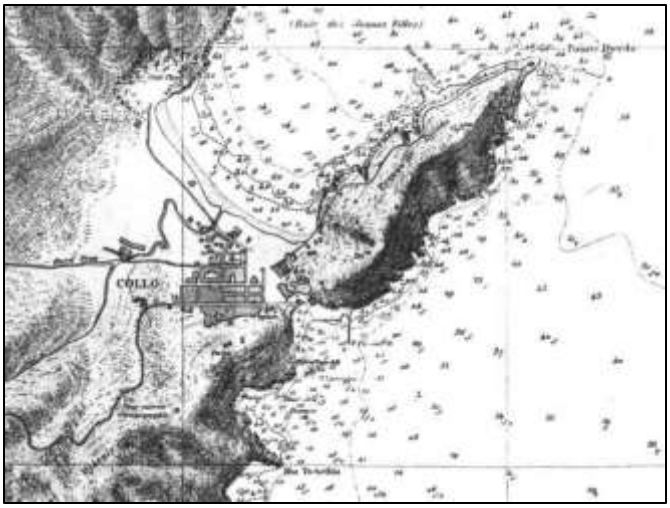

الشكل 21: خارطة تعود إلى بداية الفترة الاستعمارية توضح فيزيونومية المدينة الشبيهة إلى حد بعيد بفيزيونومية المدينة خلال العهد الروماني، و هي لا تحتل سوى جزء بسيط من حجم المدينة اليوم مثل ما هو موضح على خارطة Google earth.

الصورتان 7،6: النفق والمدخل الشمالي الغربي المؤدي إليه.

ه ـ الميناء:

الميزات الطبيعية أهلت الموقع الحالي للميناء من أن يكون ميناءا منذ القديم، فوجود ذرع جبلي(شبه جزيرة الجردة) يقوم بحمايته من الرياح الشمالية و العمق الكافي بمحاذاة الشاطئ الصخري و الذي قد يصل حتى عمق 25م[140]، جعلا منه مكانا مثاليا لرسو السفن الفنيقية أولا، ثم استمر بعد ذلك قيد الاستغلال خلال مختلف الفترات إلى اليوم، و قد كان محط إشادة من طرف العديد من الجغرافيين في القرون الوسطى كما سبقت الإشارة إليه، إلا أنه نتيجة للتعاقب الحضاري على المنطقة و كثرة الاصلاحات و التوسعات الكبيرة التي عرفها الميناء في الفترة الاستعمارية و فترة الاستقلال الوطني جعلت من المتعذر جدا العثور اليوم على أثار الميناء القديم، أما النصوص التي تحدثت حوله فهي لم تشر سوى إلى نشاطات الميناء، منها نشاط صيد المرجان مثلما أشار إليه صولان في الفترة القديمة أو ما أشار إليه الرحالة الغربيون فيما يتعلق بنشاطات الشركة الإفريقية في العصر الحديث.

و يؤكد ليدرمان ما سبق أن أشار إليه فيرو فيما يتعلق بوجود سبخة متصلة بالميناء و أن هناك أثار لمرافئ كانت موجودة حول ضفافها استخدمت كميناء للسفن الامبريالية، فربما فعلا كان ميناء القل ميناء مزدوجا[141]،

[140] Leadermane E, ibid. p 137.
[141] Leadermane E, ibid. P137.

بحيث يتكون من مرفأين، أحدهما عند الشاطئ و الآخر على مستوى هذه السبخة، إلا أنه لم يكن مهيأ على شاكلة ميناء قرطاج الشهير، و إنما فقط مجرد مرافئ حجرية تسمح برسو السفن الصغيرة.

أما ما يميز الميناء أكثر هو وجود نفق ينطلق من الميناء أسفل المدينة إلى الطرف المقابل (شاطئ البنات)، فهل كان هذا النفق ممرا سريا لأغراض دفاعية، أم أنه أنشئ لدواعي اقتصادية أم لأسباب أخرى؟

و يقدم لنا لوسياني وصفا عن هذا النفق قائلا: " ما لا نعرفه جيدا هي هذه الانفاق الرومانية التي تجري في اتجاهات مختلفة تحت الأرض أسفل المدينة الحالية، أحد هذه الأنفاق يصل إلى الشاطئ (شاطئ البنات) انطلاقا من المسجد و مركز الجمارك عابرا أسفل الطريق و الساحة العمومية، في اتجاه جنوب شرق – شمال غرب" ثم يتحدث بعد ذلك عن استغلال إدارة الجسور و الطرق لهذه الانفاق من أجل تفريغ فائض الملء من مياه النافورة[142].

وعلى الأقل فإن هذا النفق تحديدا قد تم استغلاله خلال الحقبة الاستعمارية خاصة خلال انجاز الميناء كسكة حديدية لنقل الحجارة بحسب الشهادات التي يتداولها السكان، وهو ما أكده رئيس جمعية حماية الأثار بالقل (الطيب الهواري) الذي أضاف بأن السكة الحديدية كانت ما تزال موجودة خلال السنوات الفارطة، إلا أن غلق هذا النفق من طرف السلطات وانعدام الصيانة حال دون معاينتنا له بالشكل المطلوب.

ي - معبد نبتون:

من بين المعالم الرومانية التي تسنى التعرف عليها، نجد معبد نبتون الذي بني على أنقاضه مسجد سيدي علي لكبير سنة 1756 من طرف أحمد باي القلي[143]، وقد استعمل في بناء المسجد العديد من المواد المعمارية للمعبد كالأعمدة والتيجان والحجارة، إذ يوجد بالمسجد حوالي ثلاثين عمود روماني مع بعض القواعد والتيجان الكورنثية، بالإضافة إلى أن بيت الوضوء كان يستخدم جرارا رومانية لتوفير الماء للمصلين[144]، كما عثر أثناء أعمال الحفر لبناء المسجد على نقيشة من الرخام كتب عليها:

NEPTVNO JOVI و قد وضعت هذه النقيشة فوق مدخل المسجد بشكل مقلوب، كما أن الجزء الذي كتب عليه JOVI كان قد تعرض للكسر و الضياع[145].

---

[142] Luciani, Op.cit. p 72.

[143] يعود سبب بناء هذا المسجد من طرف أحمد باي القلي إلى نذر نذره عندما كان جنديا في الجيش الإنكشاري بمدينة القل، إذ أنه عندما كان يسبح ذات يوم في ذلك الشاطئ تعرض إلى هجوم من قبل سمك القرش، فقام بالسباحة بكل قوته نحو الشاطئ، حيث نجا بأعجوبة، ولذلك نذر ببناء مسجد في المكان الذي خرج منه سالما. وهو ما قام به عندما أصبح بايا لقسنطينة.

[144] Feraud (Ch), Op.cit. p 22.

[145] Feraud (Ch), ibid.

وقد عرف مسجد سيدي علي الكبير عدة أعمال ترميم سابقا، سواء خلال المرحلة الاستعمارية أو بعد الاستقلال، أهمها تلك التي جرت تحت إشراف مديرية الثقافة سنة2011، حيث تم في أثنائها استدعاء فريق من المركز الوطني للبحث في علم الاثار بغرض القيام بأسبار أثرية تهدف إلى تحديد طبيعة المعلم الأثري القديم الذي بني فوقه المسجد. (الصور 8،9،10،11).

الصور 8،9،10، 11: تمثل الحفرية الانقاذية بمسجد سيدي علي الكبير

و من بين الأثار الرومانية أيضا، ما تم العثور عليه في خريف 1883 من طرف سائق إدارة أشغال الطرق و الجسور السيد قريمو Grimaud أثناء تهيئة الأرضية لبناء مسكن على عمق 3م[146]، حيث عثر في هذا المستوى على بلاطات خضراء[147]، فقام بإبلاغ السيد لوسيياني الذي بدوره قام بمراسلة رئيس جمعية الأثار لمقاطعة قسنطينة الذي لم يتوان في تخصيص مبلغ 100 فرنك للقيام بحفرية بهدف تحديد طبيعة الموقع، إلا أن النتائج لم تكن في مستوى التطلعات و لم يكن الحصاد بالشكل المأمول، و مما عثر عليه في هذا الموقع نجد:

- مصباح زيتي يحمل علامة Q Marc
- أنبوب عظمي بلون أخضر (الارتفاع 3.2سم – القطر 3.4 سم) يحتوي في أسفله على ثقب ويتميز بصناعة متقنة.
- مسامير من النحاس وميداليات برونزية في حالة حفظ سيئة، ونظرا لشدة تأكسدها لم يعد يتسنى قراءة الاشكال التي تحملها، ما عدا واحدة فقط حيث يلاحظ في الظهر امرأة تحمل قرن الخصوبة باليد اليسرى بينما اليمنى مرتخية.
- أجزاء تمثال رخامي، يحتمل أنه للامبراطور كلوديوس[148]، يتكون من أربعة أجزاء و هي: اليد اليمنى، جزء من الذراع الأيمن، جزء من الفخذ و الركبة و أخيرا الرأس و العنق، وجدت هذه الأجزاء دون العثور على أي كتابة توضح هوية صاحب التمثال.
- أخيرا، رأس تمثال من الرخام الأبيض منفذ بشكل جيد يمثل طفلا صغيرا[149].

و في نفس هذه المنطقة تقريبا قام بارس بالعديد من الحفريات التي لم تسفر حسبه على نتائج مهمة، ففقط بعض قطع الفسيفاء و الأعمدة الحجرية و تابوت، و كذا بناية بطول 24 م و عرض 12م[150]، و هي نفس البناية التي أشار إليها ليدرمان مع فارق في قياس العرض، فليدرمان أعطى قياسا بـ 14م؟؟[151].

ونظن أن هذه البناية التي أعتبرها كلاهما كنيسة ما تزال أثارها قائمة، حيث تتواجد وسط النسيج العمراني للمدينة بالقرب من حي "بر قايد"، فمقاسات البناء الروماني القائم هناك يوافق تقريبا نفس

146 لم يحدد لوسياني مكان هذه الحفرية، إلا أننا إذا ما تتبعنا سياق النص الذي سرد فيه مجمل هذا الاكتشافات فقد تكون جرت في الناحية الشمالية الغربية للمدينة، وتحديدا على بعد حوالي 300م شمالا من مقر الدائرة الحالي.

147 يبدو أن هذا النوع من الحجارة المتميز بجمال لافت يوجد في انحاء متفرقة من منطقة القل، فقد عثرت على مستوى الطريق الملتف حول شبه جزيرة الجردة (طريق افنار) عن عينة لذلك النوع من الحجارة. (انظر الصورة)

148 Gsell (St), AAA. F 08 N° 29.

149 Luciani, Op.citi p 78-72

150 Parres, Op.cit. p

151 Leadermane, Op.cit. P 138

الصور 12، 13،14 تمثل بقايا أثرية لبناية رومانية وسط حي بر قايد يحتمل أنها للبازيليكا او الكنيسة فيما بعد.

المقاسات المقدمة من طرفهما، وكذلك الوصف والموقع، وتوجد هذه الأثار في وضع مهمل دون أن تتقدم أي هيئة وصية على التراث للتكفل بها (انظر الصور 14،13،12).

كما عثرت أيضا خلال المعاينة الميدنية لمدينة القل بحي "لونقار" بملكية أحد الخواص على بقايا أثرية لبناء روماني كبير، مثلما تعكسه المواد المعمارية المتمثلة في عمود حجري بقطر 60 سم، وحجارة مصقولة، كثير منها لا يزال بموضعه، إلا أن وجود نباتات كثيفة غطت المكان حال دون إمكانية القيام بوصف أثري وأخذ القياسات.

و قد أكد لي رئيس الجمعية لحماية الاثار، أن هناك قطعة كاملة من الفسيفاء[152] دفنت تحت الردوم التي جلب معظمها من الموقع الذي بني فيه مقر الدائرة الحالي، و هو الموقع الذي استخرجت منه كثير من القطع الأثرية ومنها تمثال حجري لامرأة تحمل باقة من الزهور تيجان كورنثية- تتواجد حاليا بباحة مقر البلدية- كما استخرج أيضا خلال عملية تهيئة الأرضية كميات كبيرة من الحجارة المصقولة، و قد قام بمبادرة شخصية لنقل هذه الحجارة و مختلف القطع إلى أماكن مختلفة لحفظها، منها تلك الحجارة التي وضعت بجانب قطعة الفسيفاء قبل ردمها لتعليم المكان مستقبلا، إلا أن الاهمال طال تلك الحجارة و جعل المكان يبدو كمكب للنفايات. (الصورتان 16،15).

ويبدو أن هذا الاكتشاف الذي جرى أثناء بناء (مقر الدائرة؟) هو نفسه الاكتشاف الذي كان محل معاينة من طرف المحافظة المكلفة بالبحث في الأثار القديمة الرومانية، السيدة: نصيرة بن صديق سنة 1981، والذي تذكر فيه أنه أثناء القيام ببناء مقر إقامة رئيس الدائرة تم العثور على:

- بناية ذات حنية بارتفاع 1.50م في الاتجاه الجنوبي، مع وجود فراغ مخصص ربما لوضع تمثال بالاضافة لقطعة فسيفساء، وترجع المحافظة تاريخ هذه البناية لبداية العهد الروماني.
- بناء هندسي من الحجارة المنحوتة ذات سمك 0.50م، يأخذ اتجاه شمال جنوب ويقع أسفل مستوى قطعة الفسيفساء، يعود ربما لعهد سابق للعهد الروماني (بوني).
- على نفس مستوى البناء البوني توجد قبور، الدفن فيها داخل الجرار الفخارية، مغطاة بصفائح قرميد كبيرة، هذه القبور تعرضت صنادقها الجنائزية للتنقيب العشوائي من طرف العمال مما أفقدها محتواها العلمي.

وبناء على هذا الاكتشاف قامت المحافظة بعقد اجتماع مع مسؤول الدائرة لاتخاذ الاجراءات المناسبة ومنها:

- إعادة ردم الأسبار بشكل يسمح بحفظ الأشكال البنائية والقبور.

[152] هذه الفسيفساء هي التي يشير إليها ليدرمان على أنها بقايا فيلا رومانية تعرضت مع الوقت لضربات الأمواج، و التي قام بتنظيف إحدى غرفها و عثر بها على فسيفساء جميلة .Leadermane, Op.cit. P 154

- تغطية قطعة الفسيفساء بطبقة من الرمل.
- وضع هيكل حديدي لمنع الجدران القائمة من الإنهيار.
- تهيئة مجرى مائي حول الموقع لمنع تسرب مياه الأمطار.
- تسييج البناية ذات الحنية وتوظيف حارس لحمايتها.

و أردفت أن قلة الوسائل و الامكانيات المادية و البشرية تحد الآن من إمكانية القيام بحفرية منظمة في الموقع، و يمكن القيام بها في وقت لاحق[153].

الصورتان 15،16: الفسيفساء ومكان الطمر.

بينما كلل نشاط جمعية حماية الأثار بمدينة القل برئاسة السيد: هواري الطيب عن اكتشافات متعددة تمكنت خلالها الجمعية من جمع مئات القطع الاثرية المتنوعة و التي قد تصل إلى حدود الألف قطعة أثرية بحسب شهادة رئيس الجمعية، ما بين نقود (بينها قطعة ذهبية)، مصابيح زيتية، تماثيل، عناصر معمارية و أثار جنائزية، و قد سعت الجمعية جاهدة لدى السلطات المحلية من أجل تخصيص فضاء متحفي لاحتضان هذه القطع و هو ما كاد يتحقق من خلال موافقة المجلس البلدي في مداولة 17 ديسمبر 1995 على تخصيص قطعة أرض لفائدة مديرية الثقافة لانشاء متحف محلي، إلا أن هذا المتحف لأسباب نجهلها لم ير النور مطلقا،

[153] تقرير المحافظة بتاريخ 6 – 8 جانفي 1981 موجه للامين العام للثقافة والفنون الشعبية وإلى السيد مدير الأثار والمتاحف والمعالم والمواقع الأثرية. (أرشيف حصن 23).

و هو الأمر الذي استدعى نقل وتسليم الكثير من القطع المكتشفة فيما بعد إلى مديرية الثقافة لولاية سكيكدة و التي قامت بدورها بإيداعها في مخازن المتحف الوطني العمومي سيرتا إلى غاية يومنا هذا.

5- ضواحي مدينة القل:

و فيما يخص ضواحي مدينة القل، فعملية المسح التي قام بها لوسياني عبر مختلف جبال المنطقة و زياراته الاستكشافية التي قادته إلى مختلف القرى المتناثرة هناك لم تسفر عن اكتشافات مهمة مثلما يشير إلى ذلك قائلا: " يجب أن أعترف في الأخير أن طبيعة الأثار التي عثرت عليها لا يمكن أن نأمل منها اكتشافات مهمة مستقبلا"[154].

و مع ذلك، فقد قدم لنا وصفا مهما لمختلف الأثار التي عثر عليها في هذه المناطق الممتدة من القل غربا إلى وادي زهور، و في الاتجاه الجنوب الشرقي حتى تمالوس، و من بين أهم ما عثر عليه مقلع للغرانيت على الطري المؤدي إلى الزيتونة على بعد 2 كم من بلدية الشرايع بالإضافة إلى أثار لمقطع من قناة لنقل المياه التي كانت تزود مدينة شولو انطلاقا من عين دردار، أما بقرية الزيتونة فقد عثر على العديد من الحجارة المنحوتة المتناثرة بالمنطقة ثم يضيف أن من وراء الزيتونة إلى البحر لا يوجد أي مظهر للاستيطان الروماني ما عدا بعض المعالم الميغاليتية المنتشرة هنا و هناك بشكل معزول"[155].

لكنه يشير فيما بعد إلى موقعين مهمين على بعد 2 كم من مصب وادي تيزغبان في المكان المسمى مرسى الداموس، يطلق عليهما اسم " قصر الغولة " و "صومعة الغول" حيث يوجد بهما أثار غامضة، تمثلت بالنسبة للأول في ركام من الحجارة، يوجد في أحد حجارتها رسم لرأس حيوان أليف.

أما بالنسبة للمعلم الثاني فيتمثل في بناء تقريبا في حالة جيدة من الحفظ (2.88م لكل واجهة) ، يرتكز على قاعدة مربعة بعرض 4.22م، حيث قام بإرسال وصف لرئيس الجمعية Rébout الذي أكد له بحسب الوصف المقدم له أن البناء يتعلق بضريح[156]، إلا أننا لم نتمكن في إطار هذه الدراسة من الوصول إلى المكان لوقوعه في منطقة صعبة التضاريس و غير آمنة.

[154] Luciani, Op.cit. p 86.
[155] Luciani, ibid. p 86
[156] Luciani, Op.cit. p 93

و يضيف لوسياني انه انطلاقا من شاطئ تمنارت (مرسى الخراطين) مرورا بمرسى الزيتون (اخناق مايون) و حتى منطقة وادي زهور[157] لم يعثر على أي أثار مهمة أخرى ما عدى بعض الأثار البسيطة و القبور الميغاليتية.

هذا فيما يتعلق بالناحية الغربية أما من الناحية الجنوبية الشرقية لمدينة القل فإن أهم الأثار التي تسنى له العثور عليها هي بمنطقة سوق الخميس على بعد 150م من مسجد سيدي قاسم(الورقة 8، الرقم 34، AAA)، و تتمثل في حوض لتجميع المياه بطول 15م، معظم جدران هذا الحوض تعرضت للانهيار و قد بني بواسطة حجارة صغيرة تعترضها صفوف من الآجر، بينما في الاتجاه الأعلى من هذا الحوض يوجد خزان مائي يصل طوله إلى حدود 70م و عرض 8م، و المميز في هذا الخزان أنه بني على مستوى أعلى من الينبوع الذي يفترض أن يتغذى منه، كما يتساءل لوتسياني عن ضخامة هذه المنشأة في وقت لا نجد في كامل المنطقة أي تجمع عمراني يدعو إلى بنائها[158].

و من بين المواقع المهمة أيضا في هذه الناحية موقع يطلق عليه الأهالي تسمية المدينة (الورقة 8، رقم 35 AAA)، و يقع بين قرية الشعبة و وادي زدرا و هو موقع غني بالبقايا الأثرية التي يمكن " من خلال حفريات أن نكتشف بها أشياء مهمة"[159].

ثم يتحدث فيما بعد عن قبور الدولمن والتي أشار إليها ليدرمان أيضا فيما بعد من وجود عشرات قبور الدولمن المنتشرة شرقا و غربا من مدينة القل، منها 26 قبرا بسوق ليهود (الورقة 8، الرقم 32، AAA) و ثلاثون قبرا بمنطقة "عين سور دي لمعلم"، و لا أقل من عشرين قبرا ببرج تمالوس و أن هذه القبور تقريبا كلها محاطة بسور دائري من الحجر و بعضها حتى مزدوج الدائرة (double croemlesh)[160]، و يقارن لوسياني بين بعض الأشكال المنفذة على حجارة الأسوار الدائرية بمقبرة سوق ليهود و تتمثل في خطوط مستقيمة غائرة ذات مغزى غير واضح بتلك التي وجدت منفذة على واجهات مصاطب بعض المقابر الميغاليتية في فرنسا (غافرينيس)[161].

و على العموم، فإن اقليم دائرتي القل و اولاد عطية شاسع جدا و يستلزم لوحده دراسة مستقلة حتى يتسنى مسح المنطقة بالكامل، فوعورة التضاريس و الكثافة الغابية و انعدام المسالك و وجود معظم الأثار بشكل متفرق و حتى تدهور حالة الحفظ بمعظم المواقع نتيجة عملية الاستيطان و التعمير المستمر، كل ذلك ساهم

---

157 كنت قد عاينت شخصيا بعض هذه الأثار هنا وهناك بهذه المناطق إلا أنها مثلما يشير إليه لوسياني لا تكتسي أهمية تذكر ولا توفر أي معلومات موثوقة، عدا أنها تقوم دليلا على شكل من أشكال الاستيطان الروماني الذي لا يمكن تحديد طبيعته من مثل تلك الأثار التي أشرنا إليها في الفصل الثاني عند الحديث عن موقع وادي زهور..

158 Luciani, ibid. p 86.

159 Luciani, ibid.

160 Leadermane, Op.cit.

161 Luciani, ibid, p 154.

بشكل كبير في إعاقة دراستنا لهذه المواقع في الوقت الراهن، و هو ما نقترح أن يتم بشكل جزئي و على مراحل في إطار مختلف الدراسات و المواضيع التي بالإمكان أن تتناول اقليم مدينة شولو و ضواحيها و الذي نرى أنه غني بالمعطايات الأثرية الكفيلة بمنحنا معلومات جديدة لكتابة تاريخ المنطقة.

الصور 21،20،19،18: تمثل بعض القطع الأثرية المسترجعة من الجمعية الأثرية بمدينة القل.

I. **كاستلوم كلتيانوم: castellum celtianum** (الورقة 8، الرقم 91. AAA).

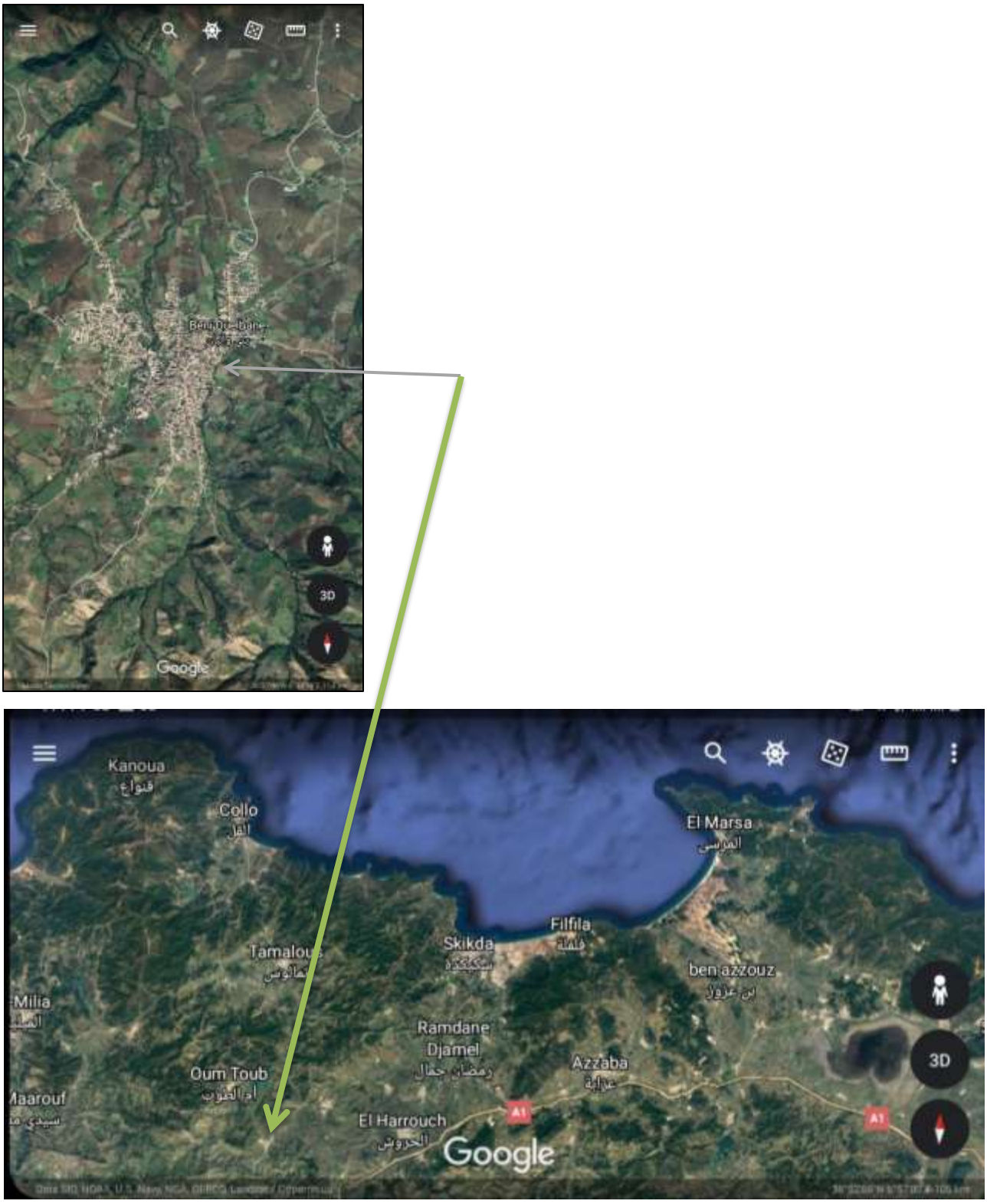

موقع كلتيانا google earth بتصرف

تعد كلتيانوم أو كلتيانا، الخربة و المرابع واحدة من بين أهم التجمعات العمرانية في اقليم ولاية سكيكدة في الفترة القديمة، كما أنها أيضا تعد من بين أكثر المواقع الأثرية تضررا عبر الولاية جراء الاستيطان الذي وقع عليها، فجزء كبير من بلدية بني والبان كان قد بني فوق الموقع تماما و هو الحي الذي يطلق عليه السكان اليوم اسم حي الخربة، و واضح من خلال دلالة التسمية أن الأمر يشير إلى وجود أثار قديمة بالموقع، و كذلك بالنسبة لتسمية "المرابع" التي غالبا ما ترتبط بالبقايا الأثرية المتمثلة في الانتشار المعتبر للحجارة المنحوتة.

1- الموقع الجغرافي:

تقع بلدية بني وألبان في الجهة الجنوبية الغربية على بعد حوالي 38 كم من مقر ولاية سكيكدة، و42 كم عن مدينة القل وقريبا من 40كم عن ميلة محتلة بذلك موقعا وسطا في القديم بين هذه المراكز العمرانية يحدها من الشرق كل من دائرتي سيدي مزغيش وعين بوزيان، من الشمال دائرة ام الطوب ومن الجنوب دائرة زيغود يوسف وغربا ولاية جيجل (بلدية بني حميدان).

2- أصل التسمية:

عثر على العديد من النقوش بموقع الخربة خلال الفترة الاستعمارية و التي مكنت من التعرف على الاسم القديم لهذا الموقع، و كان أول من عثر على هذه الكتابات هو شاريي Charrier و الذي نشر بخصوصها مقالا في مجلة جمعية الاثار لقسنطينة، ثم قام كل من ريبو Réboud و ماسكاراي Masqueray بمعاينة الموقع مابين سنتي 1881-1882 و جمع ما أمكن من الكتابات اللاتينية بالاضافة إلى أن ماسكاراي قام بحفريات أثرية في الموقع استغرقت 13 يوما تمكن خلالها من التعرف على بعض أجزاء المدينة (المقبرة و الفوروم)، و قد نشر نتائج أعماله هذه في العدد 26 من مجلة أكاديمية النقوش و الأداب لسنة 1882.

ومن خلال الدراسة الايبيغرافية لتلك الكتابات تبين لماسكراي أن الاسم القديم لهذا الموقع هو كلتيان Celtianeوهو ما استنتجه من خلال الحالات الإعرابية للكلمة في مختلف النصوص التي عثر عليها في تلك النقوش:

Celtianensis في حالة النسبة

Celtianis في حالة الاضافة[162].

[162] Masqueray (E), Etude sur les ruines d'El Mrabaa des Beni Ouelban, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres Année 1882 26-2 pp. 127-135

ويرى قزال تعقيبا على ما ذهب إليه ماسكراي أن حرف C في نص الكتابة:

Resp(ublica) C(astelli) C(eltianensis)،

يجب أن يقرأ Castelli و ليس coloniae، إذ أن قزال يعتقد أن كلتيانس لم تكن سوى مركزا حضاريا castellum تابع لسيرتا و لم تكن مستعمرة[163]، كما أن المؤرخين القدامى لم يشيروا أبدا إلى هذه المدينة ما عدا بطليموس الذي يضعها في الاقليم السيرتي، و الغريب أن لوح بوتنغر كان قد ذكر مراكز بسيطة مثل بالما و فيلا سال على طريق سيرتا روسيكاد، بينما غفل عن الإشارة لكلتيانس التي تفوقهما حجما و أهمية، و يعلل ماسكراي ذلك بأن اللوح كان قد غفل تقريبا عن الإشارة إلى كل تلك المنطقة إلى ميلة و ليس فقط كلتيانس[164].

و يتفق ريبو Réboud مع ما ذهب إليه ماسكراي فيما يتعلق باشتقاق الاسم القديم، إذ يرى ريبو أن الاسم يمكن أن يكون كلتيان أو كلتيانا، و قد عاين هذا الأخير موقع لمرابع سنة 1881 خلال رحلته الاستكشافية إلى المناطق المحيطة بوادي قبلي، و نشر حولها مقالا بمجلة جمعية الأثار لقسنطينة سنة 1882، متعرضا فيها و لو بشكل مقتضب لأثار موقع الخربة، حيث لفت انتباهه المقبرة الرومانية التي تبعد عن موقع الخربة الأصلي بحوالي 200م ، محاذية وادي الحمام وتغطي تقريبا معظم الضفة اليمنى للوادي، حيث تأثرت هذه المقبرة بالأشغال الفلاحية التي قام بها السكان في ذلك الموقع، بالإضافة إلى العوامل الطبيعية مثل الانتشار الكثيف لمختلف الشجيرات ما جعل معالم المقبرة تبدو متناثرة، و بعضها الأخر مجموع و مركوم على بعضه، و كذلك فإن من المعالم ما يظهر فوق سطح الأرض و منه ما هو مدفون تحته، و قد لاحظ ريبو عددا معتبرا من المذابح و النصب مخصصة لكبار شخصيات المدينة، و أن هذه المذابح أغلبها من الحجر الرملي، تتميز بأشكال لم تصنع بإتقان كبير على عكس الكتابة المنفذة عليها، حيث نفذت بشكل جيد و اتقان كبير[165].

و قد تمكن ريبو خلالها من جمع عدد لابأس به من الكتابات اللاتنية[166]، و قام بدراستها، و نظرا لأهميتها و عددها المعتبر، فقد ارتـأينا أن نتعرض لها في الفصل الأخير ضمن الدراسة الايبيغرافية.

في وقت ذهب فيه بارس للاعتقاد أن الموقع يتعلق بـ PACCIANIS MATDIAE التي أشير إليها في لوح بوتنغر ما بين إجيجلي و شولو، إلا أن هذا الاعتقاد لا يتفق مع تم اكتشافه من نقائش تؤكد التسمية

163 Gsell (St). AAA f 8 n° 91.
164 Masqueray, Op.cit. pp. 127-13

165 Réboud, Excursion de l'Oued Guebli, RASC 1882. P 174.
166 بعض هذه النصب والمذابح ما تزال موجودة إلى الآن بالحديقة أمام مقر بلدية بني وألبان وسنتعرض إليها بالوصف في مكان لاحق.

الصحيحة للمدينة، كما أن هذه المحطة التي وردت في لوح بوتنغر تعرض لها بعض الباحثين بالدراسة و قاموا بتحديد موقعها بداخل الأراضي أكثر بإقليم ولاية جيجل بدلا من كونها محطة ساحلية[167].

كما أنه من خلال النصوص الايبيغرافية التي تسنى جمعها و الأثار التي تم استخراجها و حتى بالعودة إلى مختلف القوائم الإكلينستية، فقد لوحظ أن المدينة لا تحمل أي مظهر من مظاهر الدين المسيحي، فلا توجد أي نقيشة من هذا النوع[168]، و لم يتسن التعرف أو تحديد أي معلم يحمل مظاهر دينية ما عدا الدين الوثني، و هو ما دفع إلى التساؤل عن السبب وراء ذلك، إلا إذا كانت هذه المدينة قد عرفت نهاية غامضة في غضون القرن الثالث للميلاد على إثر زلزال عنيف ضرب المدينة أو أنها تعرضت إلى هجومات لم يذكرها التاريخ أدت إلى خرابها بشكل مفاجئ[169]، و ربما هذا ما يفسر لماذا وجدت أغلب المعالم داخل الموقع منهارة و في وضعية متناثرة.

صورة 22 و23: حي الخربة حيث يلاحظ أثار إعادة الاستعمال لحجارة الموقع

[167] Gsell (St). AAA f 8 n° 91.
[168] Masqueray, Op.cit. pp. 127-135
[169] Parres, Op.cit. p 21.

3 - الدراسة الوصفية لموقع الخربة:

لم يتبق اليوم من الموقع سوى بعض الأثار المنتشرة هنا و هناك بين مختلف المباني التي شيدت على أنقاض المدينة القديمة، أين نلاحظ في كثير من الأحيان إعادة استعمال لحجارة الموقع في هذه المباني، وحتى استعمال أنصاب جنائزية تحمل كتابات قديمة، كما أن بعض هذه الأثار لا يزال مدفونا تحت الأرض ولا يظهر منها سوى بعض الأجزاء البسيطة (الصور 22،23)، ويبدو أن هذا الوضع لا يختلف كثيرا عن الوضع الذي كان عليه الموقع حتى في بداية الفترة الاستعمارية بحسب ما يمكن أن نفهمه من النصوص التي تعرضت له بالوصف في ذلك الوقت.

فبارس الذي زار الموقع في بداية القرن العشرين يتحدث قائلا: " لا يوجد شيء قائم بهذا الموقع، لا معلما و لا قوسا للنصر و لا أي شيئ، الأرض عامرة بالبقايا الأثرية: تيجان، قواعد، أعمدة، عتبات أبواب، عدة حجارة تحتوي على حلق لربط الماشية، نقائش متناثرة ... كمية كبيرة من الحجارة المنحوتة استعملت في المساكن العامة و الخاصة بشكل يعكس بوضوح مسارات الطرق و البنايات القديمة و بعض هذه الأثار تغطت بطبقة من التراب الذي جرفته السيول"[170].

و يضيف لاحقا أن المدينة كانت محاطة بسور عليه خمسة أبراج مربعة يفصل بينها مسافة 200م، حيث تمكن من معاينة خمسة منها في الجهة الجنوبية، و يرى بارس أن مساحة الموقع قد تصل إلى حوالي 50 هكتارا، كما أنه يفترض وجود كثير من معاصر الزيت بالموقع بالنظر إلى عدد أشجار الزيتون العتيقة التي وجدت هناك، و يختم في الأخير قائلا بأن "الموقع جملة تحت رحمة الفلاحين و الرعاة الذين يواصلون العمل على تخريبه"[171].

و قد سبق و ذكرنا أن ماسكراي قام بتعرية بعض المعالم التي منها الفوروم، الذي يصفه بأنه يتكون من ساحة مبلطة بحجارة جيدة التنسيق تحفها الأعمدة من جوانبها، كما قام أيضا بتعرية أحد المعابد من دون أن يترك لنا أي وصف عنه، إلا أن ريبو فيما بعد استدرك هذا النقص و قدم لنا الوصف التالي:" في وسط الخربة الرئيسية يوجد معلم كبير، عبارة عن معبد بطول 22م و 15م عرضا" و يرى أن الحفرية التي قام بها ماسكراي بهذا المعلم لم تبلغ الحد الخارجي للمعبد، و قد لاحظ ريبو في وسط المعبد صفا من الحجارة المحززة التي تفصل فيما بينها بمسافة صغيرة قواعد أعمدة من النوع المحزز أيضا، و يوجد داخل المعبد كتل كانت تحمل فيما يبدو تماثيل لأباطرة و شخصيات مرموقة مثلما يمكن أن تدل عليه مختلف النقوش و

[170] Parres ibid. p21
[171] Parres, ibid. p 22.

النقوذ التي تم العثور عليها بمحيط الموقع، و التي منها نقيشة تحمل اسم لوكيوس فيروس Lucius Verus[172].ص 186

و قد قام ماسكراي خلال أشغال الحفر بتقسيم الموقع إلى ثلاثة أجزاء a.b.c ، حيث تمت هذه الحفريات بكل من المقبرة a و التي تمكن من خلالها من جمع ما يربو عن 130 نقيشة جنائزية منفذة على قطع حجرية و مذابح، و وسط الخربة b حيث التركيز العالي للبنايات ثم أخيرا غير بعيد هناك الجزء c أين يتواجد الفوروم بمكان منبسط[173]. ص 130

و يبدو أن تركيز ماسكراي كان منصبا أكثر على النقائش منه على المعالم، كما مثل له هاجس معرفة الاسم القديم للمدينة و رتبتها كل الأهمية التي تسوجب العناية، و لذلك فإنه لم يقدم لنا وصفا مهما للأثار التي كانت منتشرة حينها بالموقع، بل أكثر من ذلك، فقد حاول أن يجد أدلة ما لربط المنطقة بأصول أوروبية من خلال محاولة ربط اسم كلتيان بالقبائل الكلتية الأوروبية التي جاءت حسبه مهاجرة ربما إلى المنطقة، و التي بمجرد نزولها بسواحل القل توغلت عبر وادي قبلي جنوبا لتجد ضالتها في السهول الشمالية لجبل سيدي ادريس أين استوطنت هناك، و يرى أن تسمية بني والبان نفسها قد تحيل إلى ذلك، إذ أنه لا يستبعد أن يكون اسم ألبان Alban يعود لإحدى القبائل الكلتية.

بقي أن نشير أنه في إطار انجازنا لهذا البحث تم العثور بالصدفة أثناء القيام بأعمال تهيئة لبناء منزل خاص على هيكل بناء تحت مستوى سطح الأرض (الصورة)، وذلك بالجهة الشمالية الشرقية لمدينة بني وألبان على بعد حوالي 300 م من مقر البلدية، ويتمثل هذا البناء في هيكل مستطيل بني بواسطة الحجارة المنحوتة الكبيرة، ويحتمل أن يكون هذا الهيكل ضريحا لإحدى العائلات الثرية بمدينة كلتيان بالنظر إلى وجود نقيشة جنائزية منفذة عليها كتابة مبتورة لم يبق منها إلا الكلمات التالية:

P. V II ……

V A LX

H S E

CELTIANENSES

…… ENII. FECIA

كما وجد أيضا بالقرب منه مذبح عليه كتابة جنائزية هذا نصها:

[172] Réboud, Op. Cit. P186.

[173] Masqueray, Op.cit. pp. 127-135.

D M. S

B. VIIRVV

S. BAIBIA

NVS. VA

XIII. H.S.E

و يدل هذا الاكتشاف على مدى الامتداد الكبير لمدينة كلتيان و التي يمكن من خلال عملية مسح منظمة و بعض الأسبار الأثرية الوصول إلى تحديد دقيق لهذا الامتداد، كما سيمكننا ذلك حتما من التعرف أكثر على معالم المدينة و استخراج كثير من اللقى الأثرية التي ستلقي بكثير من الضوء على تاريخ المدينة المعتم[174]

[174] في الحقيقة فإنه لا يمكن حصر عدد الاكتشافات الأثرية العرضية بالمدينة، فحسب روايات أبناء المنطقة فقد استخرج الكثير من اللقى الأثرية المختلفة من بينها العديد من الثوابيت الرخامية والحجارة المنحوتة وأغراض مختلفة وحتى كثير من القطع النقدية خلال مختلف الفترات، سواء في إطار مشاريع بلدية أو خاصة أو حتى بطرق عشوائية بحثا عن الكنوز.

الصورة 24: أساسات بناء يرجح أنها ضريح لإحدى العائلات المرموقة بكلتيليانا

الصورة 25: نقيشة جنائزية.

الصورة 26: جزء من نقيشة عليها اسم صاحب الضريح

IV باراسيانسPARATIANI : (الورقة 9، الرقم 4.AAA).

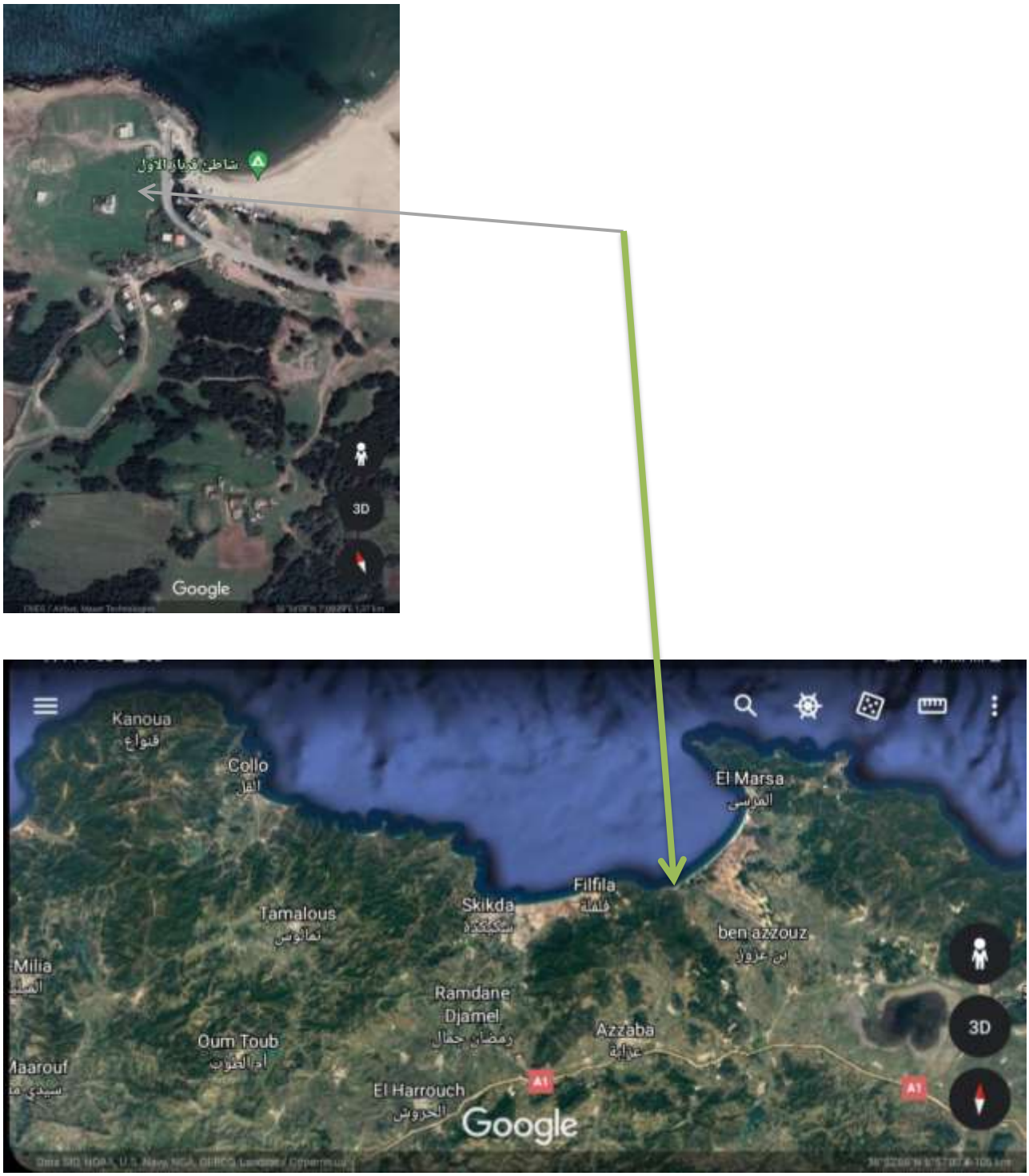

موقع باراسيانس، google earth بتصرف

من بين المحطات التي أشير إليها في كل من لوح بونتغر وخارطة انطونينوس على امتداد ساحل نوميديا من راس بوغارون إلى غاية راس الحديد، بالإضافة إلى كل من شولو وروسيكاد، نجد باراسيانس وروسوكورو وتاكاتوا، وقد أشير إلى هذه المحطات مقرونة بالمسافات (الميل الروماني) التي تفصل بينها، حيث تتواجد باراسيانس على بعد 25 ميلا من روسيكاد.

و كان أول من أشار إلى وجود أثار بهذا الموقع هو بيرار Birard سنة 1832، ثم دو لامال Dureau de lamall الذي كان أول من أعلن أن هذه الأثار تعود لباراسياناي Paratianae، المحطة التي ورد ذكرها في النصوص القديمة مثلما يمكن استنباطه من خلال التوافق بين لوح بوتنغر و خارطة انطونينوس فيما يخص مسافة الخمس و عشرين ميلا التي توافق تماما ذلك الموقع[175].

فيما كان قد اعتقد مانار Mannert أن تلك الأثار تتعلق ب توزيكات Tuzicath الوارد ذكرها حصرا دون بقية المؤرخين القدامى عند بطليموس، و هي المحطة التي لم يتسن إلى اليوم تحديد موقعها[176]

1- الموقع الجغرافي:

تتواجد أثار هذه المحطة القديمة على الجهة اليمنى في اتجاه البحر من مصب واد لمساجد بمنطقة قرباز التابعة إقليميا لبلدية جندل سعدي محمد – دائرة عزابة - شرقا من مقر ولاية سكيكدة، حيث تبعد عن مقر دائرة عزابة بحوالي 20 كم شمالا، وعن مقر الولاية بـ 23 كم شرقا.

2- الإطار الطوبوغرافي:

تتوضع أثار باراسيانيس على هضبة محاذية للساحل، تحدها من الشرق سهول قبيلة قرباز التي تغلب عليها طبقة من الرمال، أما من الناحية الجنوبية فنجد جبال صنهاجة ذات الغطاء النباتي الكثيف والتي تمتد إلى غاية الجهة الشرقية لمقر دائرة عزابة (عين شرشار)، ومن الشرق نجد مرتفعات راس فلفلة والتي يصل ارتفاعها إلى حدود 700م عن مستوى سطح البحر والمعروفة بتنوعها الليتولوجي ومناجمها المتعددة، على غرار مقلع الرخام ومناجم الحديد.

3- تاريخ الأبحاث بالمنطقة:

ما عدى بعض الإشارات الخاطفة هنا و هناك لهذه المحطة لدى بعض المهتمين بالأثار الرومانية في الفترة الاستعمارية، فإننا لا نكاد نجد أي دراسة متفردة خاصة بأثار باراسيانس، و أكثر من أشار إليها نجد فورنال في موسوعته حول الثروة المنجمية للجزائر، غير أن اهتمام هذا المهندس كان منصبا فقط على الإطار

[175] Fournel Henry ; Richesse minérale de l'Algérie, Paris, 1850, P 112.
[176] Pouydraguin, p 188

الجيولوجي و الجغرافي للمنطقة، و لم يقدم لنا أي وصف أثري حول الموقع، كذلك نجد بويدراغوين Pouydraguin الذي نشر مقالا قدم لنا فيه بعض المعلومات المفصلة عن شبكة الطرق بين روسيكاد و هيبو ريجيوس في الفترة القديمة بما فيها تلك المتواجدة بمحيط باراسيانس، لكنه أيضا لم يقدم لنا أية معلومات أثرية حول هذه المحطة، أما فيما يخص الأطلس الأثري فقد اكتفى قزال فقط بالاعتماد على ما تفضل به هذين الباحثين و بعض الإشارات البسيطة و المتفرقة هنا و هناك.

هذا و قد عثرت خلال بحثي في ارشيف حصن 23 على وثيقة تعود إلى الحقبة الكولونيالية غير مؤرخة للسيد H. de Wailly يقدم فيها وصفا مستفيضا للموقع الذي أطلق عليه تسمية الأثار المقدسة (les ruines saintes)، حيث قام بتقسيم الموقع إلى قسمين، قسم يوافق الجزء A من التقسيم المعتمد من طرف مخبر علوم القياس مثلما سنراه فيما بعد، و هو القسم الخاص بالحصن العسكري على قمة الهضبة، حيث و كما يبدو من خلال الوصف أن هذا المعلم كان في معظمه قائما بشكل يسمح بالتعرف على شكله و مكوناته، و قسم بمحاذاة الساحل حيث توجد قطعة الفسيفساء، و يبدو أيضا من خلال الوصف المقدم أن هذا الجزء من الموقع الذي كان حينها عبارة عن بناية قائمة جزئيا بداخلها فسيفساء قد كان في حالة حسنة من الحفظ، بحيث تمكن السيد والي من تحديد طبيعته المدنية على حد وصفه، كما وجد بجانب هذه البناية طريق مبلط (في حالة سيئة بحسب الوصف المقدم) يقود إلى الشاطئ و الذي رجح بالنظر الى المعطيات الأثرية أنه يعود إلى الفترة القديمة و ربما حتى أنه يقود إلى مكان غير بعيد على مستوى الشاطئ يحتمل أنه كان ميناء، ينقل من خلاله الرخام الذي كان يجلب على بعد 5 كم عن الموقع من مقلع الرخام براس فلفلة، و سنعود لاحقا للتفصيل أكثر في هذا الوصف.

وبالقرب من الحصن العسكري عثر والي على ثلاث قطع نقدية من البرونز تعود إلى الفترة الرومانية تحوي الكتابات التالية:

القطعة 1:

الوجه:

LICINIUS PERE

IMP. LICINIUS AUG

Buste cuirassé à gauche

الظهر:

PROVIDENTAE AUGG.

Porte de champ.

القطعة 2:

الوجه

CONSTANTINUS AUG

Buste diadémé à droite

الظهر:

GlORIA EXERCITUS

Deux soldats entre deux enseignes militaires.

القطعة 3:

الوجه:

غير واضح.

الظهر:

VOTX. MULT XX[177]

و من بين الدراسات أيضا التي ورد فيها الاشارة إلى باراسيانس هي تلك الدراسة التي قام بها لونسل سارج lancel Serge حول علاقة نوميديا بهيبون في زمن القديس اغسطين، حيث وضع باراسيانس بالقرب من الحدود الفاصلة بين افريقيا البروقنصلية و نوميديا (الشكل21)، و أنها بهذا الاعتبار تتبع اقليم روسيكاد، المدينة الوحيدة في المنطقة المكرسة كمستعمرة رومانية، بينما اطلق على باراسيانس في ذلك الوقت بحسب إحدى رسائل القديس اوغسطين "Saltus Paratianensis" أي الاقليم الباراسيانيسي[178].

[177] Wailly H. de, les ruines saintes. (Archive du bastion 23).

178 Serge Lancel, Études sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin. Recherches de topographie ecclésiastique, Mélanges de l'école française de Rome Année 1984 96-2 pp. 1085-1113

و في سنة 2011 قامت مديرية الثقافة بإعداد ملف لحماية الموقع وفق الإجراءات القانونية التي نص عليها قانون 04/98 المتعلق بحماية الممتلكات الثقافية، وتمت الموافقة بقرار ولائي في نفس السنة على وضع الموقع ضمن قائمة الجرد الإضافي للممتلكات الثقافية المحمية، كما قامت المديرية أيضا بتسجيل مشروع في إطار البرامج المخصصة للتدخل من أجل حماية المعالم التاريخية و المواقع الأثرية الموسـوم بـ : مخطط حماية و تثمين المواقع الأثرية و استصلاحها (PPMVSA) و الذي انجز منه الشطر المتعلق بالدراسة في انتظار استكمال بقية المشروع[179].

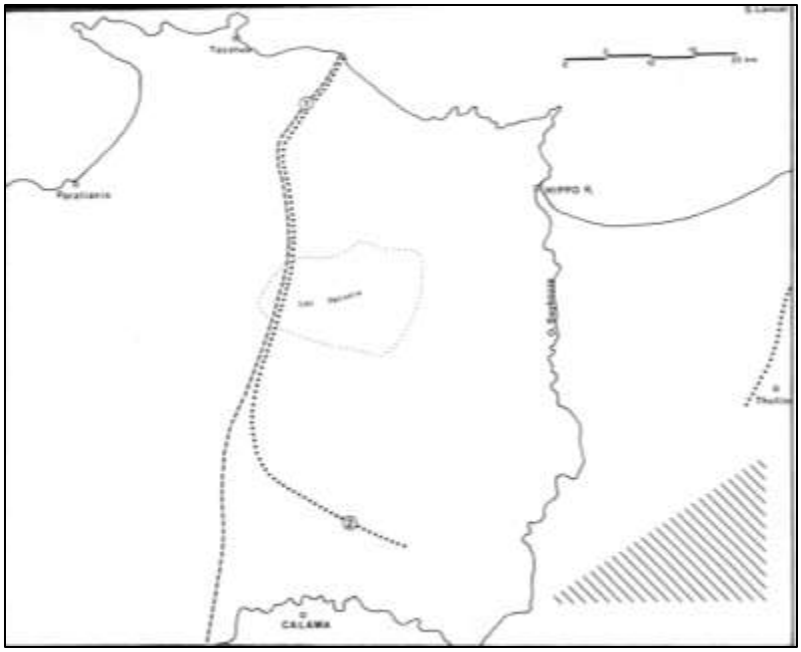

الشكل 21: خارطة تمثل حدود البروقنصلية المتاخمة لموقع بارسيانس، عن Serge Lansel

بينما تظل أهم دراسة انجزت حول الموقع بعد الاستقلال، هي تلك التي قام بها فريق مخبر الأثار وعلوم القياس بجامعة الجزائر 2 – معهد الأثار ببني مسوس- تحت إشراف كل من البروفيسور/ محمد المصطفى فيلاح والبروفيسور/ مصطفى دوربان، حيث كللت الدراسة في إطار التربص الميداني لطلبة المعهد بتقرير شامل عن الموقع مكنت من تقديم قراءة علمية أولية اعتمدنا عليها في الدراسة الوصفية للموقع.

[179] أرشيف مديرية الثقافة لولاية سكيكدة.

4- التوزيع الأثري بموقع باراسيانس:

تتركز الكثافة الأثرية للموقع بربوة قريبة من الشاطئ الصخري على ارتفاع 19م عن سطح البحر، و تتمثل في بناية منهارة تعود إلى الفترة الرومانية، بنيت بتقنية النظام الافريقي Opus Africanum بواسطة حجارة الملء و الحجارة المنحوتة، و من خلال إعادة التصور التي قام بها فريق المخبر، فإن الأمر يتعلق بحصن عسكري castrum يتكون من قسمين، قسم خاص بالخزانات المائية بني بالجهة الجنوبية الشرقية للمبنى و يتكون من ثلاثة غرف صغيرة مقببة، متراصفة من الجنوب إلى الشمال و محاطة بأروقة من جهاتها الثلاث، الجنوبية و الشرقية و الشمالية بينما من الناحية الغربية فيتواصل الرواق مع القسم الثاني في الجهة الغربية و الذي يتكون من مجموعة من الغرف، ثلاثة منها صغيرة الحجم في الجهة الشرقية و ثلاثة أكبر منها بقليل في الجهة المقابلة لها، و يتوسط صفي الغرف فضاء كبير، و تتواجد على مستوى زوايا هذا القسم ثلاثة أبراج ذات شكل هندسي يشبه الحرف L[180].

ويوجد بمحيط هذا المعلم على مستوى سطح الأرض أثار جدران أخرى تدل على أن هناك انتشار وامتداد للمباني في تلك الأنحاء ويمكن من خلال خفريات منظمة بالموقع العثور على عدة مباني مدفونة تحت الأرض، يحتمل أنها كانت تشكل النسيج العمراني لمحطة باراسيانيس.

الشكل 22: توزيع العناصر الاثرية بموقع قرباز (باراسيانس). عن تقرير المخبر.

و يتفق هذا الوصف للمخبر بناء على إعادة التصور تقريبا مع ذلك الذي قدمه والي في الوثيقة التي بين أيدينا بناء على المعاينة التي أجراها عندما كان الحصن قائما إلى حد ما: "الأثار تقع في قمة الهضبة، الجدران ذات سمك يصل إلى 40 سم مشكلة من حجارة مستطيلة الشكل عند الزوايا كما أن هذه الحجارة

[180] Rapport de la mission à skikda

تتخلل الجدران كل 5 أمتار للتعزيز من تماسكها، و تتوسط ما بينها حجارة صغيرة بحجم 15سم×10 سم " و هي إشارة واضحة للنظام الافريقي، ثم يقدر والي المساحة التي يحتلها البناء ب 15 م × 12 م[181].

وقد قام فريق المخبر بتقسيم الموقع عامة إلى عدة اقسام وتم الترميز لها بحروف لاتينية A.B.C.D، وإذا كنا قد قدمنا وصفا للقسم A المتعلق بالحصن العسكري، فإن القسم B يحتوي على مجموعة من المقالع الصخرية متواجدة على مستوى الشاطئ الصخري، في الجهة الشمالية الشرقية وكذلك الجنوبية للحصن، وعددها ثلاثة:

- أحدها يتواجد مباشرة بمكان ضيق عند الشاطئ، حيث نلاحظ بشكل واضح أثار الطرق والقلع على الحفرة المتدرجة.
- يوجد المقلع الثاني غير بعيد عن الأول ويطلق عليه السكان تسمية المسبح (la piscine) ويتميز بحجم أكبر، أين نلاحظ أربع مستويات للقلع ويحتمل أن هذا المقلع لوحده كاف للتموين بالحجارة المنحوتة كل مدينة باراسيانيس والمحطات القريبة منها.
- أما المقلع الثالث فيتواجد جنوبا من الحصن، ونلاحظ فيه مستوى واحد للقلع.

يوجد في القسم C بنايتان، إحداهما ربما لبرج للمراقبة ويتكون من مجموعة من الأدراج وعددها ثلاثة، كما تنطلق من جهته الشمالية مجموعة أخرى من الجدران، أما البناء الثاني والذي يتواجد في الجهة الغربية منه فلم يتبق منه سوى قطعة فسيفساء بني عليها في وقت قريب مركز للحماية المدنية، وتتميز هذه القطعة بأشكال هندسية متكررة باللونين الأبيض والأسود.

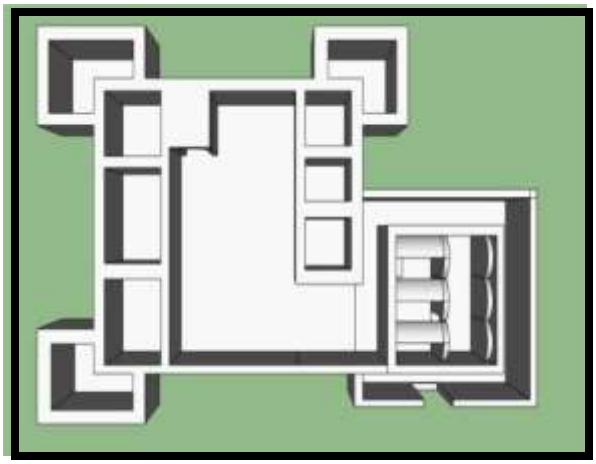

الشكل 22: إعادة تصور للحصن العسكري من طرف فرقة المخبر.

الصورة 24: الوضعية الأثرية للحصن العسكري

[181] Wailly, Op.cit.

أما فيما يخص القسم D والمتواجد في الناحية الجنوبية من قطعة الفسيفساء فيحتوي على عدة عناصر أثرية منها بناء دائري على مستوى المنحدر المحاذي للشاطئ ويتكون من حجارة الملء والملاط الجيري، وبعض الحجارة المنحوتة، ويحتمل أن يكون فرنا لشوي الفخار، وغير بعيد عن هذا البناء توجد أثار قباب من الحجر والميلاط الجيري تعود على الأرجح لخزانات مائية، وأخيرا هناك المقبرة التي من خلال الأثاث الجنائزي الذي عثر عليه هناك (قطع من الفخار) فإنها تعود إلى القرن الثاني والثالث للميلاد.

تجدر الإشارة إلى أن عملية جمع الكسر الفخارية (ramassage) التي قام بها فريق المخبر، وهي منتشرة بكثافة كبيرة عبر الموقع، قد أسفرت نتائج دراستها على تأريخ الموقع ببداية القرن الأول للميلاد وصولا إلى القرن السادس منه، ما يعني أن هذه المحطة قد استمر وجودها طيلة الفترة القديمة تقريبا، وأن أهميتها الاستراتيجية كمركز للمراقبة الجمركية على اعتبار أنها تقع قريبا من الحدود البروقنصلية جعلتها تستمر طيلة هذه الفترة الطويلة.

ويرى فورنال أن تواجد أثار تعدين الحديد (scories de fer) بالمنطقة إنما يدل على استغلال قديم لعنصر الحديد المستخرج من جبال فلفلة، حيث لوحظ وجود مناجم قديمة تعود إلى العهد الوندالي هناك[182]، و ربما هذا ما يتوافق مع النتائج التي خلص إليها فريق المخبر فيما يتعلق بتأريخ الموقع من خلال الفخار.

أخيرا، فقد تبين من خلال الدراسة الفيزيائية للموقع من طرف خبير في علم الزلازل أن الموقع قد تعرض إلى هزة زلزالية عنيفة أدت إلى انهيار المباني على النحو الذي نلاحظه عليها من تصادم للجدران وتراكمها فوق بعضها مثلما يتجلى ذلك أكثر في مبنى الحصن العسكري، وكذلك مثلما يلاحظ في التصدعات على مستوى الشاطئ الصخري ذات الاتجاه شمال شرق - جنوب غرب.

[182] Fournel (H), Op.cit. P 114.

الصورة 25،26 الوضعية الاثرية لقطعة الفسيفساء، حيث نلاحظ هالة التدهور الكبير الذي تعرضت له، نتيجة بناء مركز للحماية المدنية

الشكل 23: إعادة تصور لشكل قطعة الفسيفساء، عن تقرير المخبر.

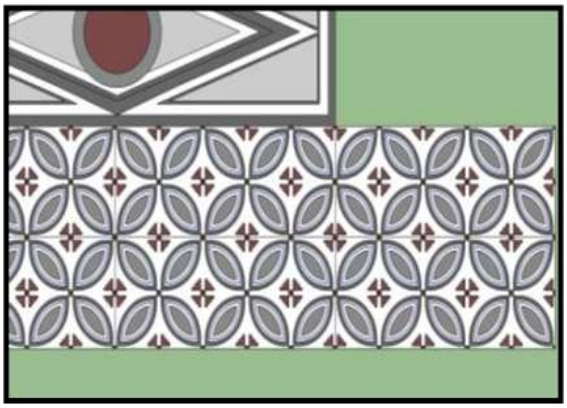

قراءة عامة للفصل الأول:

من خلال ما عرضناه في هذا الفصل المتعلق بالمراكز الحضرية بإقليم الولاية قديما، يتبين لنا أن حدود هذا الاقليم يكاد يتطابق قديما وحديثا، فقد ارتبطت هذه المراكز ببعضها لتشكل لنا نفس الكيان الاداري تقريبا إلى اليوم، حيث نجد أن كبرى المراكز في القديم هي نفسها المراكز الكبرى اليوم، بدءا من روسيكاد (سكيكدة)، شولو(القل)، كلتيانا (بني والبان)، بالما(الحروش)، فيلا سال عين بوزيان)، باراسيانس (قرباز)، ندبوس (بكوش لخضر)، تاكاتوا (سيدي عكاشة)، و لو أننا لاحظنا تفاوتا كبيرا في المعطيات الأثرية و المعلومات التاريخية حول هذه المراكز، بحيث استحوذت روسيكاد على القدر الأكبر منها، إلى درجة تبدو فيها بقية المراكز الأخرى مقارنة بروسيكاد مجرد بؤر عمرانية تشكلت من حولها عبر التاريخ.

كما أن شبكة الطرق قديما هي نفسها المشكلة للمحاور الرئيسية لشبكة الطرق اليوم، فالطرق الثلاثة الرئيسية قديما: سيرتا – روسيكاد، روسيكاد – هيبو ريجيوس، روسيكاد – شولو ما تزال تعتبر إلى يومنا هذا المحاور الرئيسية ضمن شبكة طرق اقليم ولاية سكيكدة، ومن الواضح أن السلطات الاستعمارية كان لها دور كبير في بقاء هذا الكيان واستمراره من خلال اتباعهم لخطى أسلافهم الأوروبيين، تجديدا للعهد بأن تظل شمال افريقيا وليس روسيكاد وضواحيها فقط في صورة ونمط الحضارة الشمالية لحوض المتوسط.

وإذا تتبعنا شكل الانتشار السكاني قديما بالمنطقة من خلال كبرى المراكز الحضارية نلاحظ أن هذا الانتشار ارتكز في البداية على مدينتين أساسيتين هما: روسيكادا وكلوبس الفنيقيتين، فهاتين المدينتين نشأتا أساسا كمرفأين تجاريين، ثم سرعان ما استقطبتا حولهما تفاعل السكان، وهو ما نجم عنه تحولهما إلى مركزين حضاريين مهمين خاصة في ظل العهد القرطاجي.

هذا التحول خلق حول المركزين شكلا من الاستيطان الساحلي في البداية، و يمكن فهم هذا الاستيطان بالحاجة التي دفعت السكان إلى التقرب من المركزين و الاستفادة من التجارة القرطاجية ، و حتى لاحقا من خبرة القرطاجيين في مجال التصنيع و الزراعة، فقد تحولت كلوبس على نحو ما أشار إليه صولان إلى مدينة صناعية تنتج منسوجات تضاهي جودة تلك التي تنتج في مدن فنيقيا الأم، و عرفت روسيكاد انتاج الرخام، كما يلاحظ أيضا أن توزع السكان كان حول المنخفضات و الأنهر مما يدفع للاعتقاد بممارستهم الزراعة - مثلما سنراه في الفصل الموالي - و تحقيق نوع من الاستقرار.

كما كان لبروز سيرتا كعاصمة لاقليم نوميديا قبيل الاحتلال الروماني دور بارز أيضا في تشكل العديد من المراكز في عمق الأراضي، بفضل ازدهار شبكة الطرق التي كانت تربط ما بين تلك العاصمة ومنافذها على البحر، خاصة في عهد الملوك النوميديين، لتتحول هذه المراكز في عهد الاحتلال الروماني إلى تجمعات حيوية كان لها دور بارز في الانتشار المكثف للسكان بداخل الأراضي.

لقد بعث الاحتلال الروماني للمنطقة ديناميكية جديدة، بحيث يمكن من خلال استقراء الشواهد والمخلفات الأثرية المتوزعة عبر مختلف ربوع الولاية أن نلاحظ أن الاستيطان الروماني كان عميقا جدا، وأن نشاطا اقتصاديا واجتماعيا جديدا ساهم في تغيير وجه التنظيم الجغرافي للمنطقة، بحيث ملأ هذا النشاط كامل أجزاء الاقليم الولائي، ويعود الفضل في ذلك بالدرجة الأولى لتلك المراكز التي وفرت الاستقرار والأمن في الأراضي التي كانت تعرف فيما سبق اضطرابات ناجمة عن التحولات المصيرية التي اعقبت التواجد الروماني.

الفصل الثاني

الآثار الريفية قبل رومانية

1- بوسكة

الاقليم	بلدية عين زويت - دائرة الحدائق
الاحداثيات	36°52’32.61’’N 6°47’29.24’’E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	فجر التاريخ
البيبليوغرافيا	غير منشور

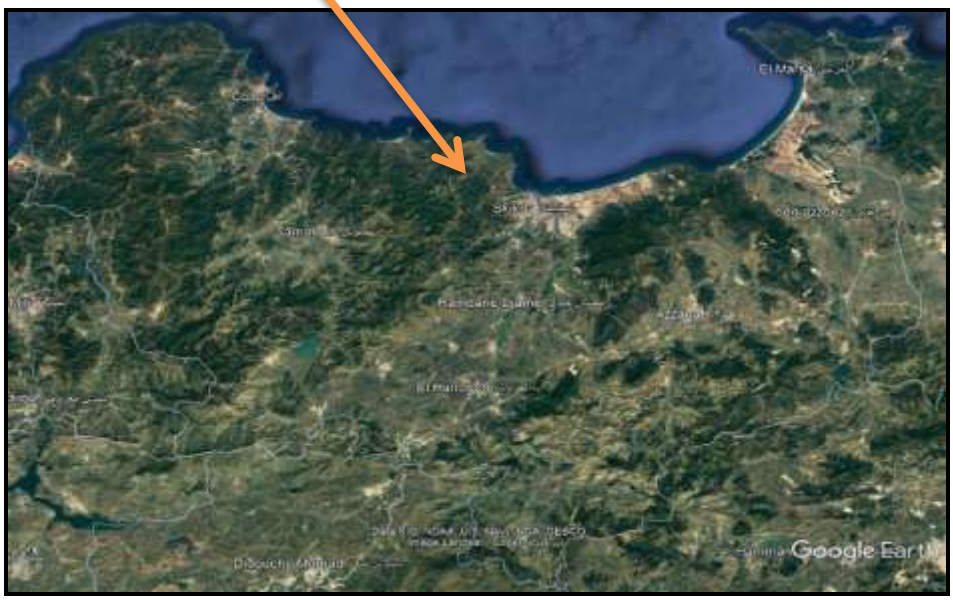

1- الموقع الجغرافي

يقع في الجهة الجنوبية الشرقية على مسافة 2 كم من مقر بلدية عين زويت، يمينا من الطريق الرابط بين البلدية ومقر الولاية، ضمن خصائص طبوغرافية تتميز بواقعها الجبلي ما بين المتوسطة وشديدة الانحدار والتي تكسوها غابات كثيفة.

2 - الوصف

يتميز الموقع بوجود مجموعة من القبور الميقاليتية (الدولمن) ذات الانماط والأحجام المختلفة والمتوزعة عبر عدة نقاط من الموقع، أغلبها يتواجد على امتداد قمة جبل بوسكة وعددها سبعة (7) إذا أخذنا بالحسبان تلك التي توجد في حالة سيئة جراء الاعتداءات كما سنفصل فيه لاحقا، أما بقية القبور فتتواجد على مسافات متباينة من المجموعة الأولى، بالاضافة إلى وجود عدد من المقالع الحجرية متفرقة هنا وهناك.

أغلب القبور الموجودة تتميز تنميطيا بكونها من نوع القبور الشبيهة بالبازينات، حيث تتكون من بناء حجري يتموضع داخل قاعدة دائرية بعلو من 0.50م إلى 1م، أما الغرفة الجنائزية فيقارب علوها 2 م و عرض من 0.70 إلى 0.80 م، أما قطر القواعد المحيطة بالبناء فهي على العموم تتراوح من 6 إلى 10م، و هي بهذا الاعتبار شبيهة إلى حد بعيد بعديد القبور التي وجدت في كثير من المواقع بمناطق الشرق الجزائري، خاصة منها تلك المتواجدة بمقبرتي البرمة و جبل الفرطاس[1]، بالاضافة إلى وجود بعض الدولمانات ذات الاشكال البسيطة (MONOLITHE) الخالية من القاعدة الدائرية مع وجود سياج.

و حتى يتسنى إعطاء فكرة أوضح حول هذه القبور نقدم الوصف التالي لبعض العينات التي لا تزال في معظمها في حالة حفظ تسمح بذلك، و من بينها المعلم القائم بمدخل الموقع مباشرة من الجهة الشمالية و الذي هو عبارة مثلما أشرنا إليه سابقا عن قاعدة دائرية (أسطوانية) تتوسطها غرفة جنائزية بنيت بواسطة الحجارة المصقولة بشكل شبه منتظم، بحيث يتم غالبا التركيز في عملية الصقل على الجهات الداخلية فقط للحجارة (بالنسبة للغرفة الجنائزية) أو الجهات الخارجية (بالنسبة للجدار الدائري)، بينما يتم إهمال بقية الجهات أو تهذيبها جزئيا لتتلاءم مع النظام المعمول به في البناء، و قد اعتمد في نظام البناء على نظام التقاطع مما يجعل البناء أكثر تماسكا، و لم يحترم في هذا النظام الشكل و الحجم الموحد لحجارة البناء، بحيث أنها تأخذ أحجاما و أطوالا مختلفة و قد يتراوح سمكها ما بين 15 إلى 35 سم، بينما يصل طولها في بعض الحالات إلى أكثر من 1 م.

- [1] محمد الصغير غانم، المقبرة الميقاليتية ببونوارة (الشرق الجزائري)، مجلة العلوم الانسانية، عدد 15 جوان (2001)

يصل قطر الدائرة إلى 8 م، أما فتحة الغرفة الجنائزية ذات الشكل المستطيل فتصل إلى 75 سم، وهي تتوسط مركز الدائرة وتستمر إلى نهاية محيط الدائرة من الناحية الشرقية حيث مدخل الغرفة، وفي جميع القبور فإن غرف الدفن كلها ذات اتجاه شرقي.

يمكن إجمالا بالنظر إلى مستوى سطح الأرض وعمق الغرفة الجنائزية الجزم بأن الارتفاع لا يتجاوز 2 م، ولا يمكن أن يكون أقل من 1.5 م، إذ لا يمكن تقديم رقم محدد بهذا الشأن نظرا للانهيارات المتعددة. سواء بالنسبة للجدار الدائري أو الغرفة الجنائزية التي كانت تعلوها بلاطة انهارت أجزاءها داخل الغرفة، ما يجعلنا نجهل ما إذا كانت عبارة عن بلاطة من كتلة واحدة أو عبارة عن مجموعة من البلاطات المصقولة.

يمكن تتبع المسار الدائري للجدار الخارجي من خلال وجود الحجارة في موضعها (In situ)وذلك في عدة نقاط من محيط الدائرة، وغالبا ما نجد أنه يتكون من صفين من الحجارة أو ثلاثة صفوف، ما عدى الجهة الغربية التي يلاحظ أنها كانت الأكثر تضرر بفعل الانهيار، كما يلاحظ أيضا أن المساحة ما بين غرفة الدفن والجدار الخارجي قد ملئت بالحجارة الصغيرة والتراب بغرض تقوية توازن البناء وتثبيته.

الصورةA1 : المعلم رقم 1، حيث نلاحظ الشكل الدائري للقبر المتكون من صفين من الحجارة المنحوتة.

الصورة A2: المعلم رقم 1، الغرفة الجنائزية التي يسبقها رواق.

الصورة A3: المعلم رقم 1، نظام التقاطع المتبع في هندسة البناء.

الصورة A4: صفوف الحجارة المنتظمة للغرفة الجنائزية ودقة البناء.

بالنسبة للمعلم الموالي، فهو يقع على بعد 1 م في الاتجاه الجنوبي من المعلم السابق، غير أن الملاحظة الأولية التي يمكن ابدائها بخصوص هذا المعلم هو مدى حجم الانهيار الكبير الذي تعرض له، فما عدا بعض الأجزاء التي نراها في موضعها فإن بقية البناء قد تعرض للتلف و التشوه بحيث صار عبارة عن ركام من الحجارة حيث غمرت الحجارة غرفة الدفن كما لم يبق من هذه الغرفة - التي بنيت من جلاميد صخرية على عكس المعلم السابق- إلا الضلع الشمالي و سدادة الغرفة من الجهة الغربية، أما الجدار الخارجي فقد حافظ على شكله الدائري فقط من خلال بقاء بعض الحجارة في عدة نقاط من محيطه في موضعها، خاصة نصف الدائرة الشمالية، كما تبدو هذه الحجارة أقل انتظاما و صقلا مقارنة بالمعلم السابق، وعموما فإن قطر الدائرة بهذا المعلم قد تصل إلى 6 م، بينما ارتفاع الجدار الخارجي عن مستوى الأرض إلى 0.5 م.

الصورة A5: المعلم رقم 2، الشكل الدائري للمعلم.

يوجد معلم ثالث من نفس النوع بجوار هذين المعلمين في الاتجاه الجنوبي بحيث تبدو المعالم الثلاث متراصفة، وهو في حالة متوسطة من الحفظ حيث ما زال يحافظ في شكله العام على هيئته الاسطوانية ومعظم الغرفة الجنائزية، هذه الأخيرة ومثلما نلاحظه بنيت وفق نظام التقاطع بواسطة حجارة مصقولة، ويلاحظ نوع من الانفراج على مستوى فتحة الغرفة مما يدل على قوة الحركة التي تعرض لها المعلم اثناء الانهيار، يبلغ عرض الغرفة 75 سم بينما يمكن أن يصل قطر الدائرة إلى 6 م.

2- الحارة

الإقليم	بلدية عين زويت- دائرة الحدائق
الاحداثيات	36°54’45.89’’ N E 6°46’31.48’’ E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	فجر التاريخ
البيبليوغرافيا	غير منشور

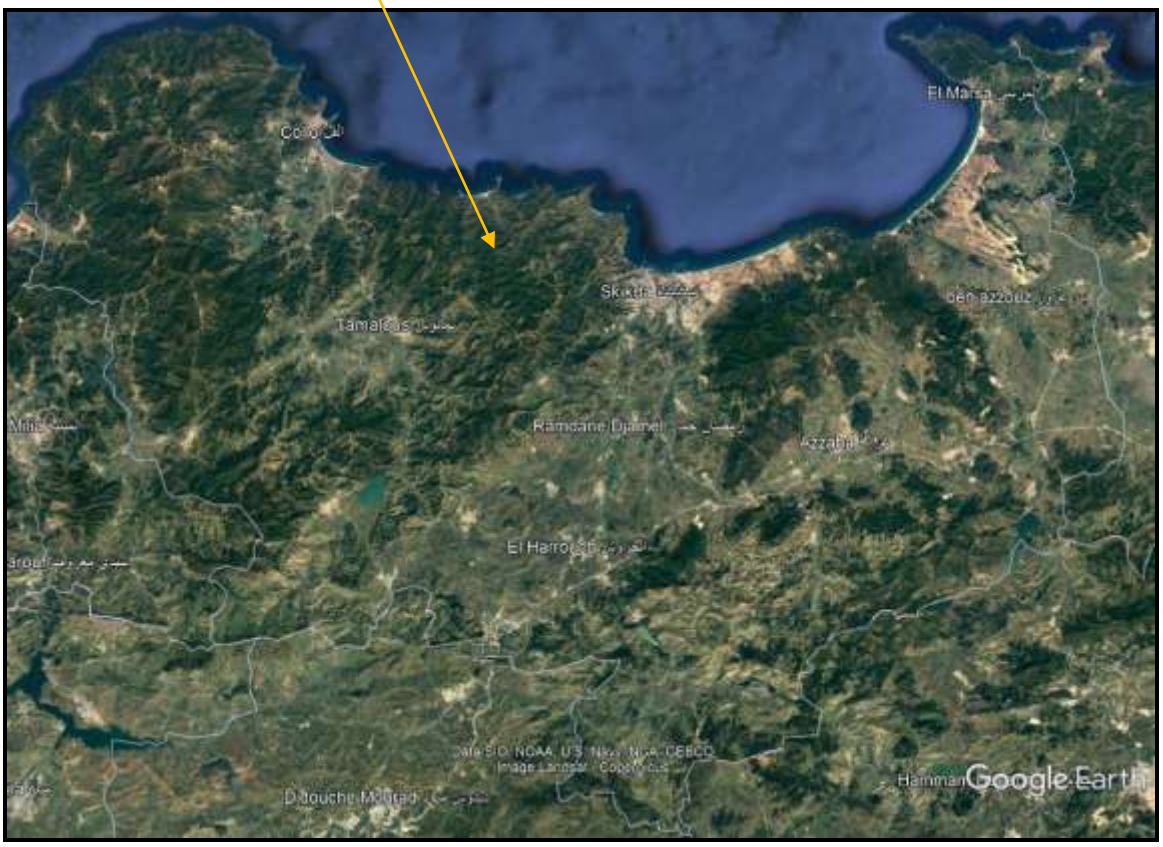

1- **الموقع الجغرافي**:

يقع شمالا من مقر بلدية عين زويت على مسافة 2.5 كم– على الطائر- بمنطقة تسمى الحارة قرب ضريح سيدي سعيد، ضمن نطاق طوبوغرافي يتميز بتضاريس جبلية حادة تتخللها بعض النقاط المنبسطة نوعا ما وغير بعيد عن ساحل البحر.

2- **الوصف:**

عبارة عن قبر ميقاليتي من نوع الدولمن، يتكون من مجموعة من الجلاميد العمادية، تعلوها بلاطة حجرية، يترواح سمك كل منها ما بين 30 إلى 40 سم، بينما تتراوح أطوالها بين 1 إلى 1.5 م وتصل فتحة غرفة الدفن الى 70 سم، أما العلو فلم نتمكن من تحديده نظرا لامتلاء غرفة الدفن بالتربة.

يحيط القبر من الخارج بناء دائري على هيئة جدار بني من حجارة شذبت بطريقة غير منتظمة ويحتمل ان يصل قطره إلى حوالي 6 م، وارتفاعه إلى نصف المتر.

يبدو من خلال الهندسة العامة للبناء أنه قد حافظ على حالته الأصلية ما عدا الجدار الدائري الذي تأثر كثيرا بالعامل النباتي مما أفقده الكثير من أجزائه خاصة من الجهة الغربية والجنوبية، حيث نلاحظ تناثر الحجارة التي كان يتشكل منها بمحيط الموقع.

كما يلاحظ أيضا تعليق أعلام من القماش على فروع الشجرة التي تغطي القبر، مما يدل على استعماله كمزارة ومكانا للتبرك.

يوجد بجوار هذا المعلم على جهة الجنوب على مسافة 1.5 م دولمن آخر، إلا أنه تعرض إلى تلف كبير، بحيث لم يعد يبدو منه إلا بعض الأجزاء التي يحتمل أنها تمثل غرفة الدفن.

ورغم أنني قمت بمسح للمنطقة المحيطة بالموقع إلا أنني لم أعثر على معالم جديدة، وهذا لا يعني أنها تخلو من ذلك، بقدر ما يمكن ايعاز سبب اختفائها الى كثرة الاشغال الفلاحية بمحيط الموقع وكذلك إلى شدة الأحراش الغابية التي تعوق عملية الاكتشاف.

الصورة A8: قبر الدولمن الجلمودي بمنطقة الحارة

3- لحجر لمركب

الإقليم	بلدية كركرة- دائرة تمالوس
الاحداثيات	
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الإضافي بقرار يحمل رقم: 671 مؤرخ في: 22 جوان 2011.
الفترة التاريخية	فجر التاريخ
البيبليوغرافيا	غير منشور

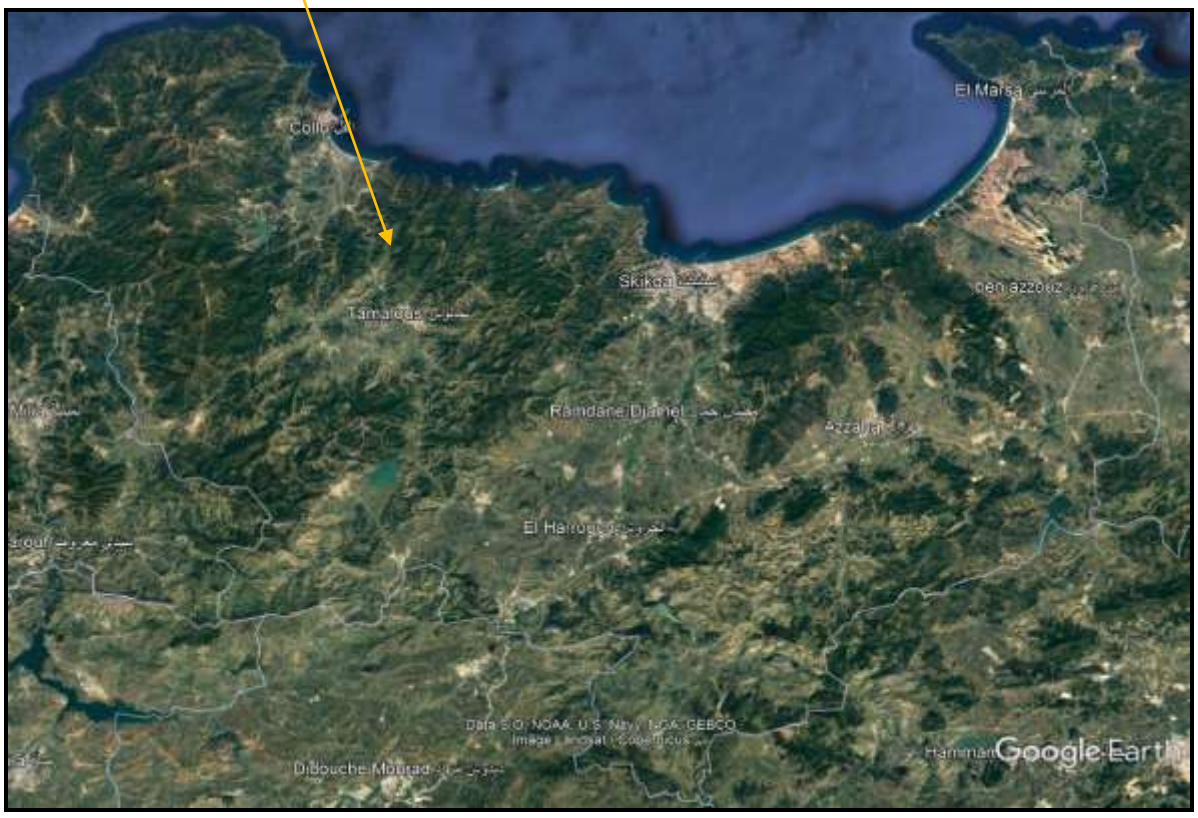

1- **الموقع الجغرافي**:

يقع على بعد حوالي 500م من مقر بلدية كركرة في الاتجاه الشمالي الشرقي، على أحد المنحدرات المقابلة للوسط العمراني للبلدية قريبا من حي لمخارط، ضمن نطاق جبلي يتميز بإطار غابي كثيف ومنحدرات حادة.

2- **الوصف**:

الموقع عبارة عن مجموعة من قبور الدولمن المبنية بواسطة الحجارة الضخمة، ويبلغ عددها ثلاثة قبور، ويبدو من خلال القطع الحجرية المتناثرة بالموقع أن عددها قديما كان أكثر من ذلك، هذه القبور في حالة متوسطة من الحفظ كونها ما زالت تحافظ على شكلها العام، ما عدا القبرين 1 و2 أين نلاحظ سقوط بعض الحجارة من موضعها، مما جعل هيكل القبر يبدو مجوفا.

أ- **المعلم 1:**

يوجد على يسار الطريق الترابي داخل حقل مسيج مما يوفر للمعلم حماية ضد الاعتداءات، بني القبر بواسطة حجارة ضخمة مصقولة من الداخل، أما واجهات الجدران الخارجية فقد تركت على حالها، القبر بارتفاع حوالي 2.50 م عن مستوى سطح الأرض وحوالي 2 م طولا أما العرض فهو يقارب 1.50م، ويأخذ اتجاه شمال – شمال شرق.

يتكون الجداران الجانبيان من ثلاثة صفوف من الحجارة ذات الأشكال غير المنتظمة، بعضها بطول 2م وارتفاع 1م، بينما تتميز البقية بحجم أقل، بنيت هذه الحجارة وفق نظام التقاطع حتى يتسنى من خلالها تحقيق توازن أكبر وتماسك قوي، أما من الخلف، فقد وضعت سدادة تتكون من بلاطة حجرية ضخمة، كما تعلو البناء أيضا منضدة حجرية كبيرة ذات شكل شبه دائري، حوالي 2.50م × 2.50م)، هذه المنضدة تتميز من الداخل بصقل جيد على غرار بقية الحجارة ومهملة من الخارج.

عرض الغرفة الجنائزية يصل إلى 1.10م وطول 2م باتجاه شمال شرق، ويبدو أنها كانت مزودة بمدخل بحسب ما يتضح من خلال وجود حجارة معدلة أما مدخل الغرفة، كما يلاحظ أيضا بمحيط القبر وجود حجارة صغيرة كانت تعمل فيما يبدو على رفع مستوى الأرض من أجل تسويتها لإقامة البناء، وما عدا الهيكل الحجري للمبنى فإنه لا توجد أي مخلفات أثرية أخرى، إذ يبدو أنها تعرضت في أوقات سابقة للنهب والتنقيب.

الصور A9,A10,A11,A12: زوايا مختلفة للمعلم 1 من الداخل والخارج

ب- المعلم 2:

يوجد على بعد حوالي 5م من المعلم 1 في الاتجاه الشرقي على الجانب الأيمن من الطريق الترابي، مسيج ضمن حدود حقل آخر، يتميز هذا الدولمن بتآكل هيكله، فمعظم حجارته سقطت من موضعها، كما أنه بني بنفس تقنية البناء وبنفس الحجم أيضا، فجداريه الجانبيين يتكونان من ثلاثة صفوف من الحجارة الضخمة غير المنتظمة وفق مبدأ التقاطع والمصقولة جيدا من الداخل.

ما يميز هذا المعلم هو احتمال وجود معلم آخر ملاصق له في الاتجاه الجنوبي الشرقي، إذ لاحظنا أن الجدار في هذه الجهة مصقول جيدا على كلتا واجهتيه، بالاضافة إلى وجود بعض الحجارة المعدلة و المستمرة في نفس الاتجاه، كما أن الأرضية في هذه الجهة مسواة، فربما كان قديما مشكلا من أكثر من غرفة جنائزية واحدة، و ما يعزز هذه الفرضية أكثر هو الشكل غير المعتاد للمنضدة العلوية ذات الشكل المستطيل، حيث نلاحظ أنه تم تشذيبها بشكل جيد من جانبيها و هذا حتى تتلاءم و تتراصف فيما يبدو مع منضدة أخرى، ضف إلى ذلك هو وجود سدادتين على مستوى المعلم، إحداهما وقعت في وسط الغرفة الجنائزية و الأخرى وجدت قائمة بمكان المدخل، و هو ما يدفع للاعتقاد بأن إحداها هي المنضدة التي كانت تعلو الغرفة الجنائزية الثانية.

صورتان A13,A14للمعلم 2 من الداخل والخارج

ج- المعلم 3: يوجد بالقرب من المعلم 2 في الاتجاه الشرقي على بعد 3 أو 4 م، نمت في الجهة الجنوبية منه شجرة بلوط كبيرة، وتحيطه شجيرات من مختلف جهاته، كما يتميز بوجود معظم الهيكل تحت مستوى سطح الأرض، وهو نتيجة لذلك يتمتع مقارنة ببقية المعالم بحالة حفظ حسنة، ومع ذلك فقد لاحظنا بعض المظاهر التي تنم على أن المعلم عانى من مشكلة الضغط التي أحدثها الغطاء النباتي وخاصة شجرة البلوط، منها وجود انحناء في الضلع الغربي للمعلم، ويشبه هذا المعلم أكثر في شكله العام المعلم 1،

جدرانه من الداخل مصقولة جيدا بينما من الخارج فهي على حالتها الطبيعية، كما أنها تتميز بالضخامة وعدم الانتظام ووجود تعديلات على بعض زواياها مع انعدام تام كما في بقية المعالم للمحتويات الجنائزية.

الصورة A15 تمثل المعلم 3.

4- مول الكدية.

الإقليم	بلدية تمالوس- دائرة تمالوس
الاحداثيات	36°50’38.75’’N 6°38’21.75’’E
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الإضافي بقرار ولائي يحمل رقم: 535 مؤرخ في: 08 افريل 2013.
الفترة التاريخية	فجر التاريخ
البيبليوغرافيا	AAA, F 08. Luciani,ibid

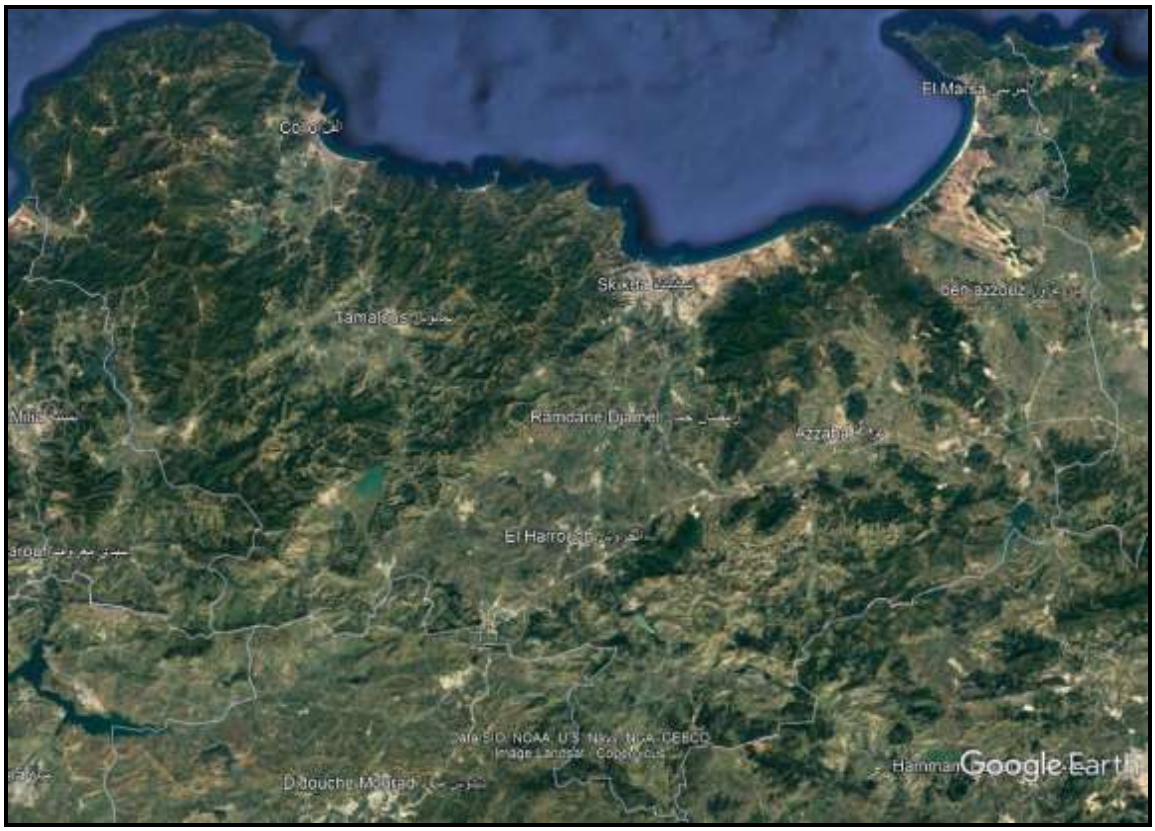

1- **الموقع الجغرافي**:

يقع على بعد 600م من مقر بلدية تمالوس في الاتجاه الشمالي الغربي على قمة الهضبة، ويتشكل من مجموعتين من القبور الميغاليتية، أما الخصائص الطبوغرافية التي تميز المنطقة فهي تتسم عموما بكونها عبارة عن منخفض تتخلله تضاريس جبلية ومجموعة من الهضبات ذات الشدة المتوسطة.

2- **الوصف**:

يتكون الموقع من عدة قبور ميغاليتية، لم يتبق منها إلا ثلاثة أو أربعة قبور مثلما تدل عليه الحجارة المبعثرة والمتوزعة بأنحاء الموقع في نقطتين متباعدتين نوعا ما، هما كدية الرفيس ومول الكدية، علما أنه توجد بإقليم بلدية تمالوس عدة نقاط للأثار الميغاليتية، أغلبها يتواجد ضمن مناطق صعبة الوصول وفي ملكيات خاصة، من ذلك موقع بوغرارة، سرا بوحنش، بارون، هدايل.. وحسب المعايانات الميدانية التي قام بها بعض المتخصصين فإنها تتشابه نمطيا من حيث بنائها والشكل الهندسي أو التقنيات المستعملة، لذلك فسنقتصر في هذه البطاقة على التركيز فقط على موقع واحد هو مول الكدية وكدية الرفيس المجاور.

بالنسبة لمجموعة الدولمانات الموجودة بموقع كدية الرفيس وعددها ثلاثة فهي ذات شكل بسيط بحيث تتكون من عدد من المصاطب الحجرية ذات الأحجام المتراوحة ما بين 1.50م إلى 2م، محاطة بحلقات دائرية ودائما ما نجد أن الغرف الجنائزية خالية تماما من الأثاث نتيجة أعمال الحفر العشوائي التي عرفها الموقع، كما توجد حاليا اشغال تهيئة لاقامة مجمع عمراني هناك وهو ما أضر كثيرا بالموقع، وفيما يلي وصف تنميطي لأحد هذه الدولمانات. المصطبة تتكون من غرفة جنائزية بارزة وتحتوي على ثلاثة حلقات حجرية دائرية مركزية، يقدر طول المصطبة 2.46 م وعرضها 1.93م، المائدة الحجرية موضوعة فوق ثلاثة دعامات اثنتان جانبيتان ذات الشكل المستطيل وأخرى عرضية، قياسات الدعامة الجانبية اليمنى 1.95 م، أما الداعمة الجانبية اليسرى فطولها يقدر ب 2 م.

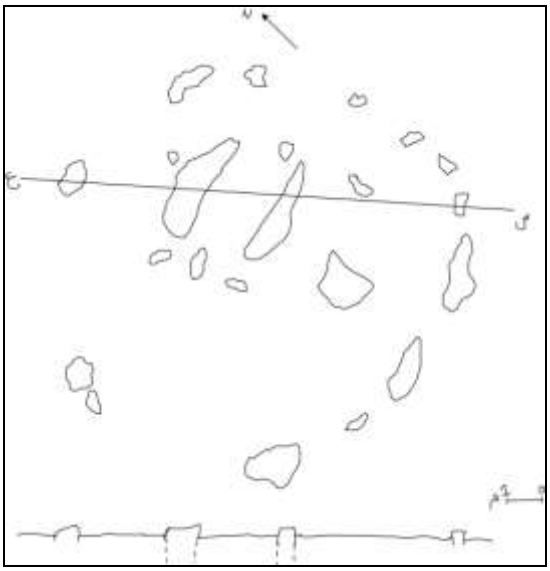

صورتان ومخطط تمثل قبور الدولمن بموقع مول الكدية

صورة A16 تمثل دزلمن موقع كدية الرفي

5- دومبو

الإقليم	بلدية القل- دائرة القل
الاحداثيات	36°00’40.86’’N 6°34’11.52’’E
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الإضافي بقرار ولائي يحمل رقم: 535 مؤرخ في: 08 افريل 2013.
الفترة التاريخية	فجر التاريخ
البيبليوغرافيا	AAA, F 08. Luciani,ibid.

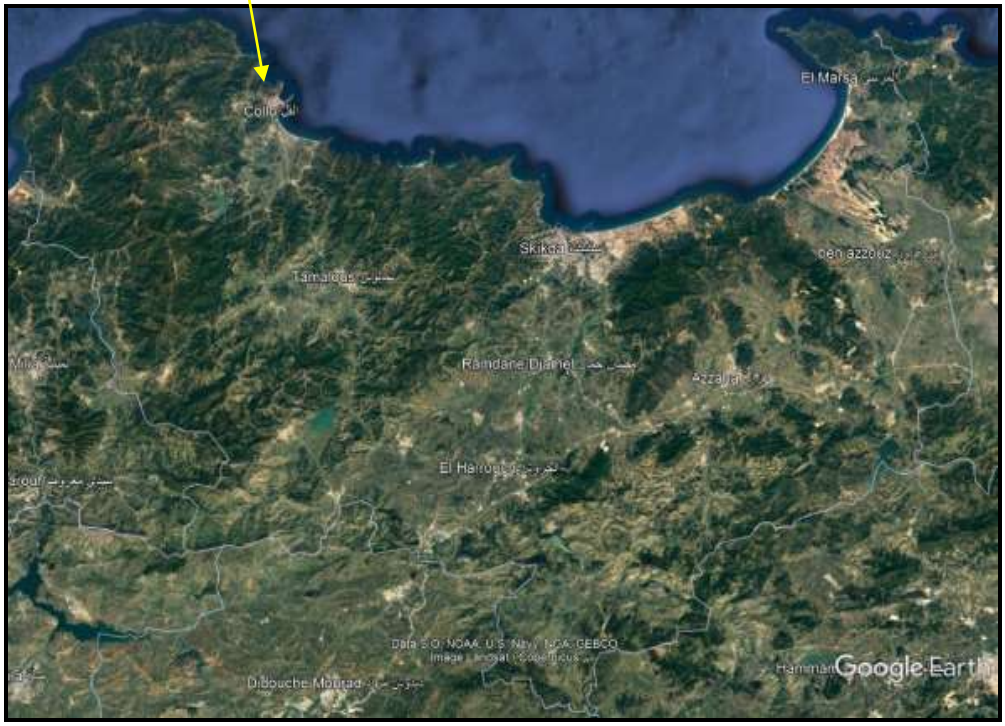

1- **الموقع الجغرافي:**

يقع بالجهة الشمالية الغربية لمدينة القل على مسافة تقارب 500م، على المنحدر الشرقي لجبل دومبو المحادي للشواطيء الصخرية لخليج القل، وتتميز المنطقة طبوغرافيا بواقع سلسلة جبال رأس بوقارون الشهيرة والمعروفة بشدة انحدراتها وعمق أوديتها.

2- **الوصف:**

يتشكل الموقع من مجموعة من القبور الميقاليتية ذات النمط البسيط (monolithe) و عددها ستة قبور متناثرة هنا و هناك، أغلبها تعرضت للاعتداءات المتكررة مما شوه كثيرا من معالمها و هندستها الأصلية بالاضافة الى تواجدها ضمن أحراش غابية، بحيث نبتت الاشجار حولها و بداخلها الامر الذي أعاق إلى حد بعيد دراستها بشكل مفصل، علما أن هذه القبور كانت قد تعرضت في أوقات بعيدة إلى النبش و إتلاف بل و نهب أثاثها الجنائزي تماما، و لذلك فتأريخ هذه القبور لا يمكن تحديده إلا من خلال جملة المقابر الميقاليتية المتوزعة عبر ربوع المنطقة و التي تتشابه نمطيا.

كما نشير أيضا إلى أن هذه المقبرة ليست الوحيدة بمحيط مدينة القل، فقد ذكرت بعض التقارير الاستعمارية وجود مقبرة مجاورة بكدية السند بالجهة الجنوبية تتألف من عشرات القبور من نوع الدولمن، إلا ان الخرجات الميدانية التي قمنا بها إلى تلك النقاط المشار إليها جعلتنا نكتشف أن تلك القبور قد تعرضت بشكل كلي إلى التخريب نتيجة التوسع العمراني، بحيث أننا لم نعثر إلا على بعض الحجارة المبعثرة في الأرجاء والتي يحتمل أنها كانت تشكل همادات وبلاطات لتلك القبور.

ونظرا للتشابه الكبير بين القبور الموجودة على مستوى منحدر الدومبو فإننا نكتفي فقط منها بوصف أحد القبور السليمة، وهذا حتى نشكل فكرة أوضح عن نوع هذه الدولمن التي انتشرت في فجر تاريخ المنطقة بتلك الربوع.

يتميز القبر بنمط بسيط بحيث يتكون من عمادتين جانبيتين بطول (1.10م× 0.90 م)، ذات أوجه داخلية مصقولة بشكل متوسط وغير منتظكة الاضلاع، يوجد في الجهة الخلفية سدادة بنفس الاسلوب ـيضا، وتعلو الثلاثة منضدة حجرية ضخمة صقل وجهها الداخلي بشكل جيد بينما تركت بقية الأجزاء على وضعها الطبيعي، تأخذ غرفة الجنازة اتجاها شرقيا بعرض 60 سم.

صور A17,A18,A19 تمثل بعض قبور الدولمن بجبل دومبو

6- الركوبة

الإقليم	بلدية واد زهور- دائرة اولاد عطية
الاحداثيات	36°53’56.89’’N 6°15’43.09’’E
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الإضافي بقرار يحمل رقم: 671 مؤرخ في: 22 جوان 2011.
الفترة التاريخية	فجر التاريخ
البيبليوغرافيا	AAA, F 08. Luciani, ibid.

1- **الموقع الجغرافي**:

يقع على بعد حوالي 3 كم غربا من مقر بلدية اولاد زهور وسط قرية صغيرة (الركوبة) ضمن نطاق طبوغرافي جبلي وفي وسط شبه حضري عند سفوح جبال اولاد زهور، قريبا من مصب وادي زهور الكبير ومن ساحل البحر.

2- **الوصف:**

يتميز الموقع بوجود معلمين جنائزيين من نوع الدولمان وبعض الحجارة المتناثرة هنا وهناك، مما يدل على أن الموقع كان يضم في القديم عددا كبيرا من القبور، ولم يتبق إلا قبرين، أحدهما في حالة متوسطة من الحفظ والثاني كان قد استغل في الفترة الاستعمارية من طرف الأهالي في بناء كوخ لتعليم القرآن.

يتكون كل معلم من ثلاث مصاطب حجرية تصل أطوالها (2.80م × 1.60م) وارتفاع يقدر بحوالي 80 سم، كما نلاحظ وجود صفوف من الحجارة المحيطة بالمعلمين، غير أن الحالة التي وجدناهما عليها لا تعطي أي دلالات علمية أخرى.

في الاتجاه الشمالي الشرقي من هذا الموقع على بعد حوالي 5 كم وعلى الساحل مباشرة لاحظنا أثارا تعود للفترة الرومانية (كسر فخارية، حجارة منحوتة، جدران مع مستوى سطح الأرض..) إلا أن هذه الأثار كانت قد تعرضت في وقت سابق إلى التخريب نتيجة حركة العمران بالموقع، بالاضافة إلى اندثارها بسبب مشروع إنشاء ميناء للصيد هناك.

صور A20,A21 تمثل أحد قبور الدولمن بواد زهور

7- موقع مراح الزرد:

الإقليم	بلدية عين بوزيان- دائرة الحروش
الاحداثيات	36°33’59.61’’N 6°47’34.15’’E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	فجر التاريخ
البيبليوغرافيا	غير منشور

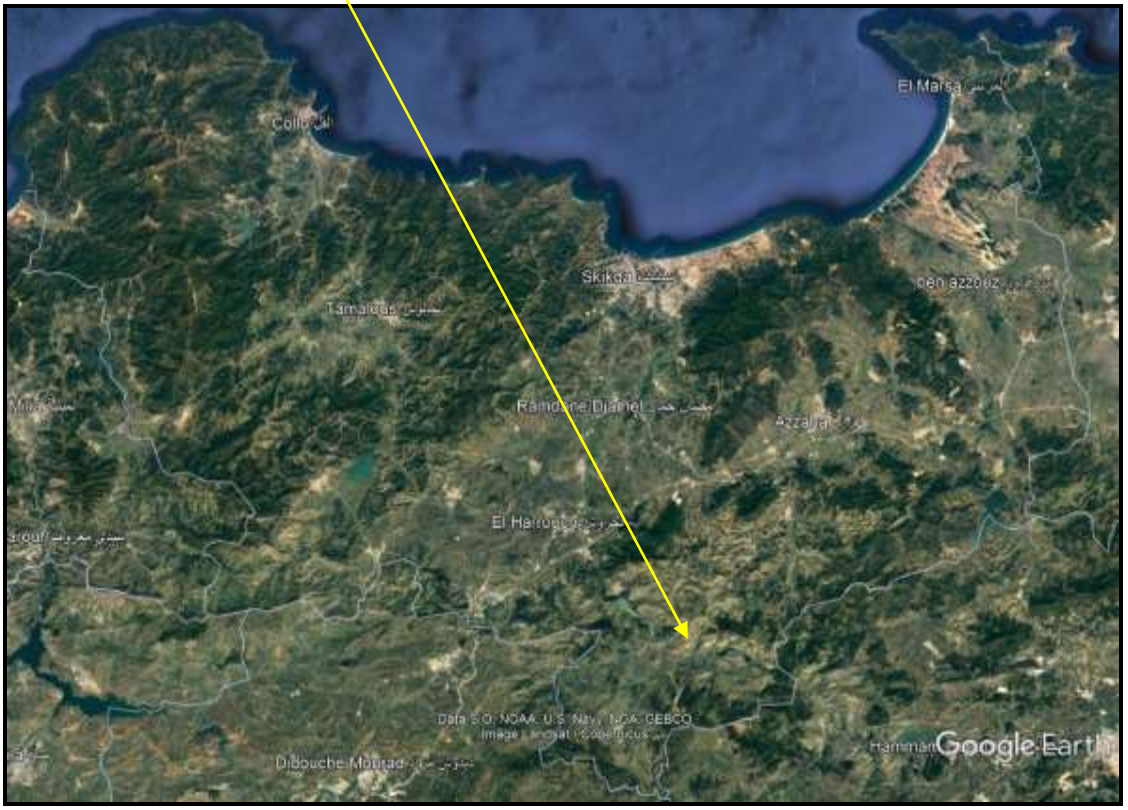

1- **الموقع الجغرافي**:

يقع على بعد حوالي 100م في الاتجاه الشمالي لقرية بوزيتون الواقعة بدورها على بعد حوالي 5 كم في الاتجاه الجنوبي الشرقي لمقر بلدية عين بوزيان، ضمن نطاق طبوغرافي يتميز بالطابع الجبلي الصخري شديد الانحدار، متموضعا على السفح الغربي لجبال التوميات، والذي كان محل استغلال لقلع الحجارة سابقا، وبشكل عام فالمنطقة تنتمي لما يطلق عليه بسلسلة جبال نوميديا.

2- **الوصف**:

يحتوي الموقع على قبرين ميغاليتيين من نوع الدولمن، أحدهما في حالة حفظ حسنة، أما الثاني فقد تعرض لاعتداءات مما أفقده المنضدة العلوية.

يشبه هاذين الدولمانين تلك الموجودة بكل من بلديتي كركرة وعين زويت، فقد بنيا بواسطة حجارة مصقولة جيدا من الداخل مع إهمال الوجه الخارجي، وفق نفس نظام البناء، مع وجود اسطوانة أو قاعدة دائرية تحيط بالمعلم.

يتميز الدولمن الأول بمنضدة علوية ضخمة، ذات شكل هرمي، بقطر يصل إلى 3م و ارتفاع 2م، و يبدو أن صانعوا هذا المعلم قد حاولوا إزالة الجزء الجزء العلوي من هذه المنضدة مثلما تؤكده تلك الحزات الجانبية، إلا انهم لسبب ما توقفوا عن ذلك، توجد الغرفة الجنائزية (العرض:70سم) تحت مستوى سطح الأرض، و تتكون من ثلاثة صفوف من الحجارة الضخمة ذات الشكل غير المنتظم، أغلبها مستطيل و قد تصل إلى أكثر من 1.50م و عرض 40سم، و يلاحظ أن مدخل الغرفة يقع في الجهة الشمالية الشرقية، ففي تلك الجهة فقط تنعدم صفوف الحجارة، أما ببقية الجهات فنلاحظ نظاما بنائيا دقيقا، أرضية الغرفة تعرضت للنبش، و هذا النبش فيما يتداوله أبناء المنطقة كان من عهد قريب من طرف مجهولين يبحثون عن الكنوز، حيث قامو باستخراج جرار فخارية من الموقع.

صور A22,A23,A24 قبر الدولمن ذو الشكل الهرمي

غير بعيد في الاتجاه الشمالي الغربي يوجد المعلم الثاني، والذي لم يتبق منه سوى الغرفة الجنائزية، حيث نلاحظ نفس مواد وتقنية البناء مع سقوط بعض الحجارة من موضعها داخل الغرفة، عرض الغرفة هو 70 سم.

ونظرا للتناثر الشديد للحجارة في مختلف أرجاء الموقع نتيجة مختلف العوامل الطبيعية، والتي من بينها الزلزال العنيف الذي ضرب المنطقة سنة 2018، ووجود هذا النوع من المعالم تحت الأرض فإننا لا نستطيع في حدود عملية المسح التي قمنا بها التأكيد على وجود معالم أخرى بالموقع.

صورتان A25,A26 لقبر الدولمن بموقع مراح الزرد

8- وازان.

الإقليم	بلدية عين زويت- دائرة الحدائق
الاحداثيات	36° 54 40’’ N 6° 47 44’’ E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	القديمة
البيبليوغرافيا	غير منشور

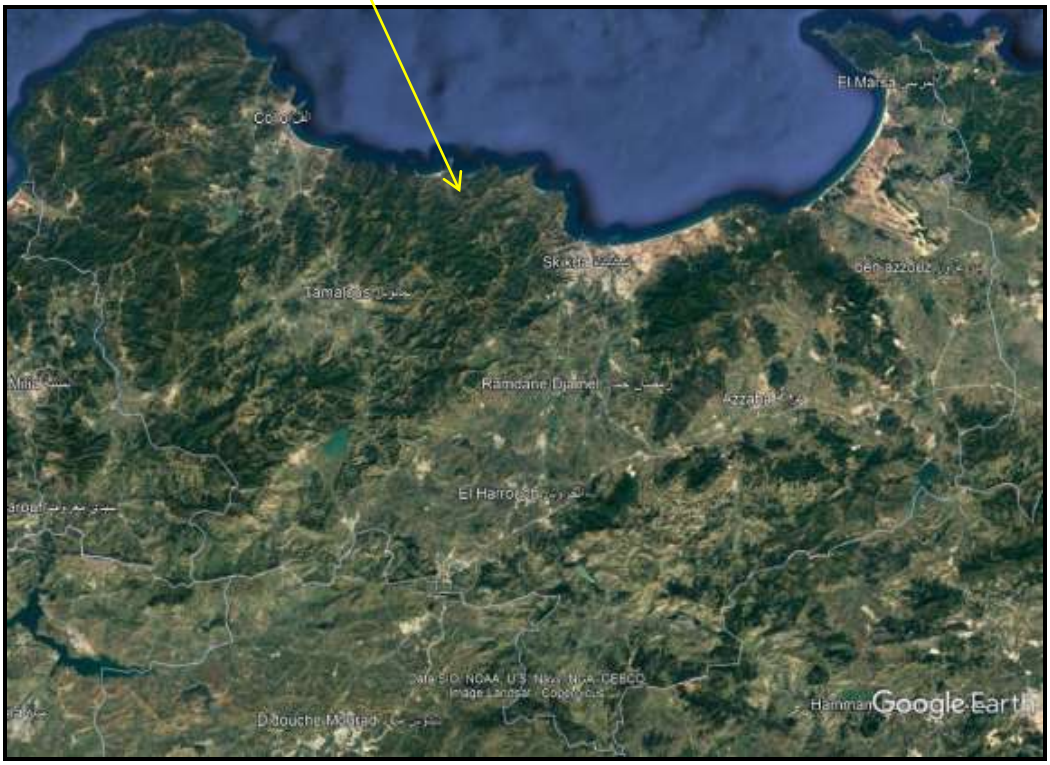

1- الموقع الجغرافي:

يقع بأعلى جبل وزان على مسافة 2 كم شمال شرق مقر بلدية عين زويت ضمن النطاق التضاريسي لسلسلة جبال دوار مصلى الممتدة ما بين مدينة سكيكدة إلى حدود مدينة القل والمتميزة بانحدراتها الشديدة وكثافة الغابات.

2- الوصف:

يوجد في عدة نقاط من الموقع الكثير من الكسر الفخارية المتنوعة والتي منها كسر فخار السيجيلي وكذلك أثار للدفن في الجرار وحتى بقايا ابنية من الحجر، حيث تسنى لنا مشاهدة جدرانها المتهدمة الى مستوى سطح الارض.

بالنسبة للقبور اعتمدت طريقة الدفن داخل الجرار من خلال تهيئة القبر المحفور الى مستوى لا يزيد عن 30 سم بالحجارة أو بمادة القرميد المنحني الحواف وذلك حول مختلف جوانب القبر، لتوضع عظام الميت (أحيان تكون محروقة وأحيانا من دون حرق) داخل جرار اسطوانية بعضها متداخل، ثم تغطى بواسطة القرميد او بواسط شقف فخارية كبيرة.

وفيما يتعلق بالأبنية، فقد وجدت في ثلاث نقاط إما محادية للطريق الغابي او في عرضه تماما، وأولى هذه الأبنية وجدت على بعد حوالي 30 م من مدخل الطريق، وهي عبارة عن بقايا لبعض الاسوار على شكل مستطيل، يصل طول أحدها إلى ما يزيد عن 10 م بينما العرض فيقارب 5 م وسمك الجدران 50 سم، ولم نعثر على أي نوع من الملاط، إذ يبدو انه تم استعمال خليط من التراب والطين للربط بينها.

يوجد البناء الثاني في منتصف رأس الجبل الممتد، وهو عبارة عن كومة من التراب المتناثرة بها مجموعة من الحجارة وبعض أثار الاسوار، أما البناء الثالث فيتواجد بالطرف الشمالي على مستوى عرض الطريق بحيث يمكننا من خلال بقاياه التعرف على ثلاث من الغرف التي تتراوح أطوالها حوالي 3×4 م، وفي جميع هذه المباني فقد استعملت نفس تقنية البناء.

يمكن الإعتقاد أن هذا الموقع يعود إما إلى أواخر الفترة النوميذية أو إلى بداية الفترة الرومانية بالنظر إلى الدلائل الأثرية الموجودة، و تفيدنا شساعة مساحة الموقع على أنه عرف استيطانا معتبرا في تلك الفترة، و يحتمل أن الموقع الذي يتميز بالإشراف على رؤية شاملة للمنطقة تصل إلى حدود القل غربا و مقر الولاية شرقا و عرض البحر شمالا و إلى أقصى الأفاق من الجهة الجنوبية قد استعمل كنقطة للمراقبة العسكرية في تلك الفترة، كما أنه غير بعيد عنه في الاتجاه الشرقي توجد منطقة يطلق عليها اسم "لقصر" و التي تدور بشأنها بعض الروايات التي لم نتمكن من التحري بشأنها.

ملاحظة: يوجد في عدة نقاط وبشكل متناثر من المنطقة – اقليم بلدية عين زويت وبلدية بوشطاطة محمود وحتى بلدية تمالوس – العديد من المواقع الأثرية الشبيهة بهذا الموقع، دفن في الجرار الفخارية وبقايا أبنية ذات تقنيات بناء بسيطة وفي بعض الأحيان حجارة مصقولة، أكثرها تعرض للتلف الكلي أو الجزئي وأصبح من الصعب دراستها مثلما سنراه بالنسبة لمقبرة سيدي زرزور.

صورة A27 تمثل كسر فخارية من نوع سيجيلي

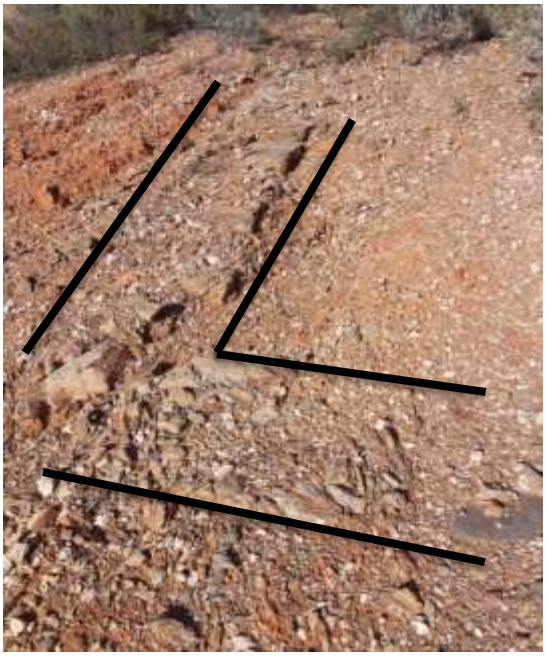

صورة A28 تمثل بقيا جدران مع مساوى سطع الأرض

صورتان A29, A30 لقبور داخل الجرار

9- سيدي زرزور.

الإقليم	بلدية عين زويت- دائرة الحدائق
الاحداثيات	36°51''47.69''N 6°49''06.35''E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	القديمة
البيبليوغرافيا	غير منشور

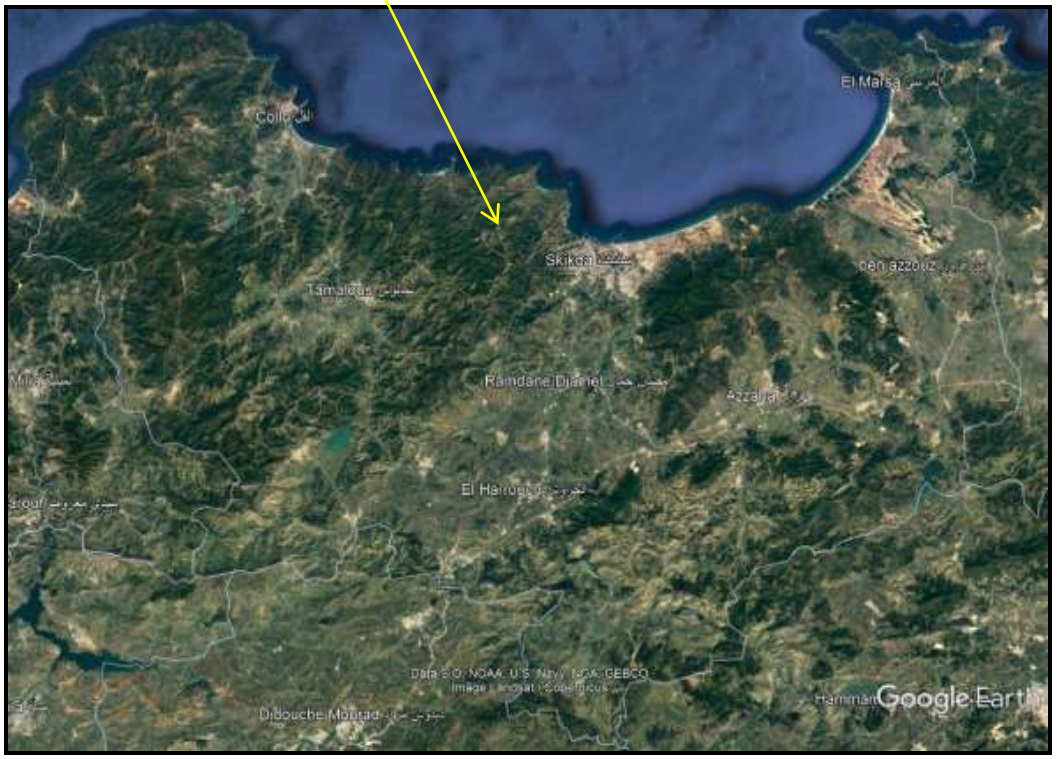

1- الموقع:

يقع ع-لى بعد حوالي 5 كم في الاتجاه الجنوبي الشرقي لمقر بلدية عين زويت، بمحاذاة الطريق الولائي الرابط بين البلدية ومقر الولاية، ضمن نفس النطاق الطبوغرافي المتميز بالطابع الجبلي لمنطقة دوار مصلى.

2- الوصف:

يوجد الموقع على جانب الطريق بمكان معروف منذ أزمنة طويلة كمزار لممارسة طقوس التبرك، على اعتبار أن الموقع يتوسطه ضريح سيدي زرزور، حيث لا تزال الاعلام المستعملة في هذه الطقوس معلقة على أغصان الاشجار فوق الضريح، وقد ظهر هذا الموقع للعيان نتيجة توسيع الطريق الولائي، بحيث باتت القبور التي كانت مدفونة على عمق بسيط من سطح الارض (من 50 إلى 60 سم) ماثلة على مستوى حافة الطريق.

ما يميز الموقع هو التواجد الكثيف للكسر الفخارية، إما لجرار أو لقراميد منحنية الحواف، استعملت مثلما يمكن استنتاجه في عمليات الدفن و تهيئة القبور و تغطيتها و كذلك لأغراض أخرى، كما وجدنا سلسلة من الحجارة المنحوتة على هيئة الآجر موضوعة بشكل منتظم مما يوحي بوجود هيكل انشائي نجهل ماهيته و التاريخ الذي يعود إليه، بالموازاة مع وجود طبقة أثرية ممتدة على طول الحافة تدل على ان هناك انهيارا لبناية قد حدث بالموقع، بالاضافة إلى كل هذا فقد عثرنا بالموقع على مستوى حافة الطريق على قبر يحتوي عظاما أدمية داخل جرة من الفخار، و ما يميز هذا القبر هو طريقة الدفن المعتمدة و التي نجدها شائعة في عدة نقاط بالمنطقة مثلما مر معنا بموقع وزان و في نقاط أخرى غير بعيدة عن موقع سيدي زرزور، و هي الطريقة يرجح أنها تعود إلى العهد النوميدوبونيقي.

الصورة A31 : حافة طريق سيدي زرزور حيث تتجلى بقايا عظام ادمية داخل جرار فخارية

الصورة A32: طبقة أثرية قريبة من سطح الأرض

10- السطايح.

الإقليم	بلدية عين بوزيان- دائرة الحروش
الاحداثيات	36°33’59.61’’N 6°47’34.15’’E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	القديمة
البيبليوغرافيا	غير منشور

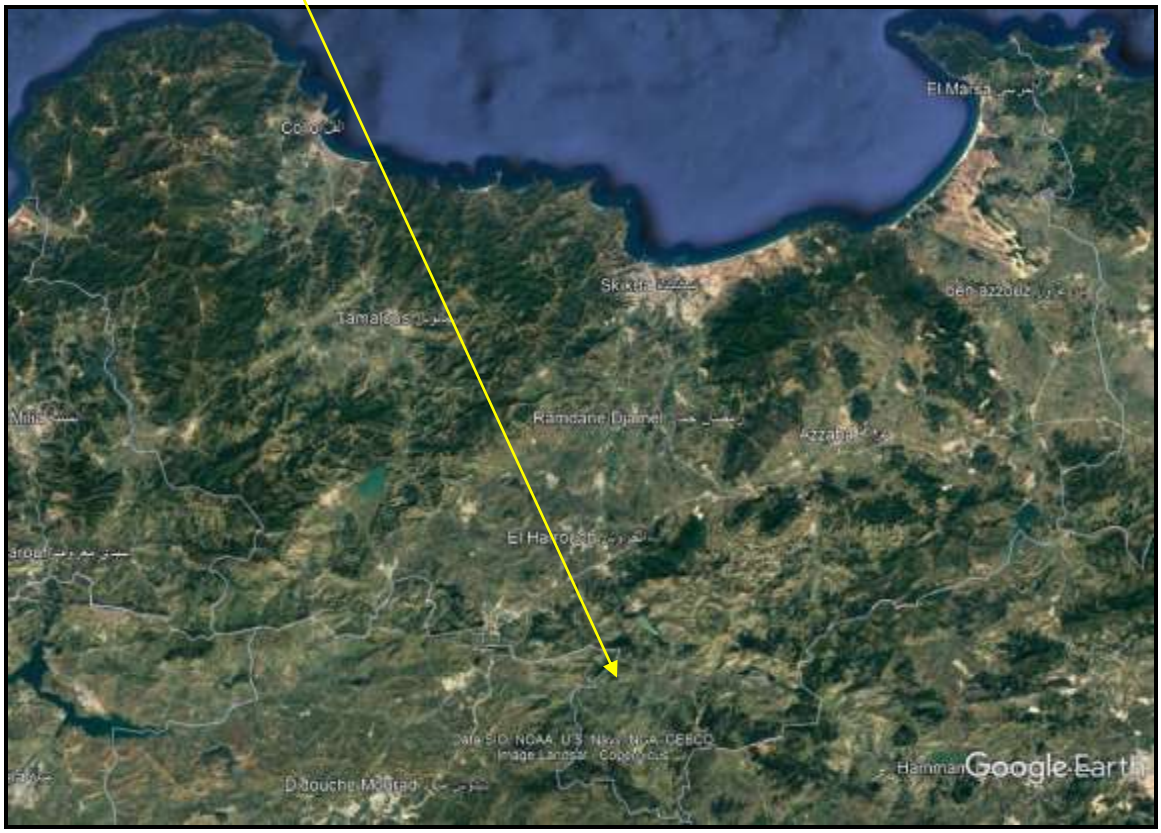

موقع السطايح:

لا يبعد هذا الموقع إلا بحوالي 50م عن قرية بوزيتون في الاتجاه الشمالي، حيث يوجد به مجموعة من النقيشات النوميدو بونيقية، خمس منها عبارة عن نصب حجرية عليها رسومات وكتابات بونية، وقطعة عبارة عن الجزء العلوي لرحى قمح قديمة، بالإضافة إلى انتشار كثيف للكسر الفخارية المتنوعة، قراميد منحنية الحواف وجرار.

فيما يتعلق بالأنصاب فهي في حالة سيئة من الحفظ وبالكاد يمكن التعرف على بعض الاشكال التي تحتويها، بالإضافة إلى تعرضها للكسر بحيث أصبح من المتعذر في بعض النصب قراءة محتواها أو فهم الرسومات التي كانت منفذة عليها.

النصب 1: عبارة عن لوح حجري نصف دائري بطول 1.10م وعرض 1م، أما سمك القطعة فهو حوالي 15 سم، يبدو من خلال الأشكال ساقين متوازيين في وضعية الحركة، إلا أن الحالة السيئة للنقوش حالت دون امكانية التعرف على بقية التفاصيل.

الصورة A33 : نقش حجري عليه اشكال قوائم حيوان

النصب 2: تعرض هذا النصب للكسر عبر مختلف زواياه، ولم يبق منه إلا جزءا صغيرا يحتوي كتابة ليبية من ثلاثة سطور، في كل سطر ما بين ثلاثة إلى خمس حروف، ومن بين هذه السطور الثلاثة هناك سطرين فقط قابلان للقراءة بينما تعرض السطر الثالث للتشهوه.

الصورة A34 نقش يحتوي حروفا ليبية

النصب 3: كغيره من الانصاب الأخرى فإن هذا النصب أيضا تعرض لكسر، ويحتوي على شكل أدمي في حالة تضرع، يوجد بجانب هذا الشكل إلى اليسار سطر يتكون من ثلاثة حروف ليبية، أما من اليمين فتوجد اشكال مبهمة.

الصورة A35 نقش يحتوي حروفا ليبية و أشكال مبهمة

النصب 4: يتكون هذا النصب الذي تعرض للكسر أيضا من قطعتيين حجريتين منفذة عليهما أشكال غير واضحة.

الصورة A36 نقش مكسور عليه اشمال غير واضحة

النصب 5: عبارة عن زاوية فقط من نصب يحتوي هو الآخر على أشكال غير واضحة.

الصورة 37 اشكال غير واضحة

القراءة التحليلية.

1- التوزيع الجغرافي:

من خلال هذا الاستعراض المنتخب لأهم المواقع الأثرية العائدة إلى الفترة ما قبل رومانية، و على ضوء ما توصلنا إليه من المعطيات الميدانية، فإنه بإمكاننا القول أن الاقليم الترابي لولاية سكيكدة قد عرف تواجدا مهما للسكان في تلك الفترة التي لا تزال رغم كل شيء مبهمة و بحاجة للدراسة أكثر، خاصة في الجانب الميداني، إذ و رغم ما بذلته من التحري حول الشواهد التي تمكن من الإلمام بما يكفي لتشكيل عناصر إجابة شافية إلا أن الواقع الصعب للميدان وقف حائلا دون ذلك، و هو ما اضطرني في النهاية إلى قبول الحد الأدنى، و لو أنه قد يمثل في هذه الدراسة حدا لا بأس به في اطار المقاربة المعتمدة من قبلي لمعالجة الموضوع ، حيث أنني رأيت ضرورة لاستكمال ما بقي من عناصر الإجابة الاعتماد على الخارطة الأثرية لستيفان قزال، بالرغم من أن هذه الخارطة لم تزل بعد لم تحين على مستوى المنطقة محل الدراسة فضلا عن كون أغلب ما كان قد أشير إليه في هذه الخارطة إما ضاع أو تعرض للتلف أو انغمر تحت العمران الجديد.

يجب التنويه قبل كل شيء اننا آثرنا إطلاق هذا المصطلح –ما قبل رومانية- على تلك الفترة اعتبارا من أن فجر التاريخ في شمال افريقيا يوافق إلى حد ما معظم الفترة القديمة من خلال التواجد الفنيقي بالمنطقة، ما يجعل في تصورنا الآثار الميغاليتية التي تنسب لفجر التاريخ تنضوي تحت عنوان الفترة القديمة التي تسبق التواجد الروماني[2].

و مهما يكن من أمر فإن انتشار الآثار العائدة إلى فجر التاريخ بالمنطقة قد احتل تقريبا أجزاءا معتبرة من الاقليم الولائي، حيث ان أكبر تركيز لهذه المعالم كان بالمناطق الشمالية الغربية، ما يوافق تقريبا كل النصف الغربي لخارطة الولاية، و ذلك انطلاقا من بلدية عين الزويت المتاخمة حدوديا لبلدية عاصمة الولاية – سكيكدة- نحو كل من بلديات: تمالوس، كركرة ، القل، بني زيد، الزيتونة، واد زهور، إذ أن كل هذه البلديات قد احتوت أقاليمها على عدد معتبر من المقابر الميقاليتية المختلفة العدد و الأنماط، كما أن هذه المناطق كلها تدخل تقريبا ضمن ما يطلق عليه " المصيف القلي" المطل على ساحل البحر و المتميز طبوغرافيا بطابعه الجبلي ذو الغطاء الغابي و النباتي الكثيف، كما تتخلله بعض السهول الضيقة و الأودية الكبيرة.(انظر الخارطة)

[2] ساحد عزيز طارق، فترة فجر التاريخ في الجزائر (حالة معارف)، دراسات في العلوم الانسانسة والاجتماعية، مجلد 11 العدد 2. ص 105-114.

كما أن ذلك لم يمنع من وجود بعض القبور المعزولة في بقية مناطق الولاية، خاصة المناطق الجنوبية و الجنوبية الشرقية على غرار مقابر التوميات ببوزيتون و بعض القبور الأخرى بكل من "سبع رقود" ببلدية زردازة القريبة حدوديا من بلدية الركنية بولاية قالمة المعروفة بمقبرتها الميقاليتية الشهيرة، إلا أن معظم هذه القبور في تلك المناطق قد تعرضت للاندثار و لم نتمكن في اطار الدراسة الميدانية لهذه الاطروحة من الوصول إليها، و انما بالاعتماد فقط على ما ورد من شهادات الهواة المهتمين بالأثار في هذه المناطق، و رغم أن الاطلس الأثري لا يشير إلا إلى عدد قليل من نوع هذه القبور في تلك الجهات من الولاية فإن ذلك لاينفي وجودها، فقزال في أطلسه الأثري لا يقدم بدوره إلا ما تمكن من استخلاصه من معلومات متفرقة في مختلف التقارير و الدراسات عن المنطقة دون أن يقوم بمسحها مسحا شاملا، و مع ذلك فإن ما ورد في الأطلس الأثري و ما توصلنا إليه من خلال الاستطلاعات و المعاينات الميدانية و ما استقيناه من شهود العيان بالمنطقة متطابق إلى حد كبير، و يؤكد أن التركيز العالي للمعالم الميقاليتية كان أكثر بالمناطق الغربية و الجنوبية الغربية و أن وجود هذه المعالم يتضاءل بنسبة كبيرة في الجهات الوسطى و الشرقية حيث تكثر المنخفضات السهلية.

و يمكن تفسير ذلك بأن تلك المناطق (الوسطى و الشمالية الشرقية) لم تكن تمثل بيئة مناسبة للاستقرار بسبب طابعها الرطب، فلكونها تتميز بالمنخفضات السهلية و الممتدة أحيانا على مساحات شاسعة مع التقاء مجموعة من الأودية الكبيرة التي تشكل بالتقائها مستنقعات كبيرة، بالاضافة إلى الميزة الجيولوجية لتلك المناطق المتكونة في أغلبها من الشيست و الطين و التراب الرملي مما يعطي في النهاية شروطا لا تتوافق مع ما تتطلبه ظروف الاستيطان في تلك الفترة التي تعتمد اساسا على وفرة المواد الصلبة و الأراضي الرعوية أو الزراعية المتناسبة مع الاحتياجات الضرورية فقط من الماء الطبيعي.

هذا من جهة، و من جهة أخرى فإن غياب تأريخ دقيق لتلك القبور و المعالم الجنائزية يجعلنا بالاعتماد على النتائج المتوصل إليها في هذا الجانب - من أن تاريخ هذا النوع من المعالم لا يمكن أن يزيد في الجزائر و شمال افريقيا عامة عن حدود القرون الخمس الاولى قبل الميلاد[3] - ترجيح أن ساكنة هذه المناطق كانوا على احتكاك مباشر مع الشعوب التي وفدت إلى شمال افريقيا و بخاصة الفنيقيين أو القرطاجيين بعد ذلك، و أنهم نتيجة لذلك توطنوا في ذلك المجال المحصور القريب من الساحل للاستفادة من المبادلات التجارية عن طريق المقايضة مع التجار الفنيقيين.

و ربما ما يعزز هذه الفرضية هو ظهور لاحقا و في فترة متقدمة من الزمن طرق دفن جديدة في تلك المناطق تميزت بالدفن داخل الجرار الفخارية و التي هي بالأساس طرق دفن فنيقية، الامر الذي يعكس مدى تغلغل

[3] Abdelkader Haddouche, Questionnement sur la protohistoire d'Algérie, revue ATHAR, N° 6- 2007. Pp 172-19

التواجد الفنيقي بهذه المناطق و تفاعله الايجابي مع السكان، و هو ما نلمسه في القبور المنتشرة بكثافة في الجهات الغربية من مقر الولاية كبلدية عين زويت (مقبرة وزان، سيدي زرزور) أو في العمق الغربي مثلما وجد بتيزيغبان، و هذه الشواهد الدالة على مدى الامتزاج بين الثقافتين موجودة و بكثرة في تلك الأرجاء بحيث يمكن مصادفتها في كل مكان تقريبا، فجميع الاراضي الفلاحية في تلك المناطق حافلة بالكسر الفخرية العائدة إلى الفترة القديمة، و لطالما كان يعثر السكان خلال مزاولة نشاطاتهم الفلاحية أو غيرها على جرار فخارية مليئة بالعظام الآدمية.

أما ما يتعلق بالاثار التي تعود إلى ما يصطلح عليه بالنوميدوبونيقة، و المتمثلة في الانصاب و الكتابات الليبية فإننا نجدها مركزة أكثر في المناطق الجنوبية، و تحديدا بكل من بلديتي بني والبان و عين بوزيان، و إذا كنا قد قدمنا نموذجا عن تلك المتواجدة ببلدية عين بوزيان من خلال موقع بوزيتون، فإن تلك المتعلقة ببني والبان قد أشير إليها من خلال الكاتالوجات التي أعدت حول مقتنيات متحف فليب فيل من طرف كل من ستيفان قزال و لويس برتران و فرونسوا برتران، حيث أشاروا فيه إلى أن معظم الانصاب النوميدوبونيقية التي جلبت إلى المتحف - و التي مازال بعضها موجودا إلى اليوم - قد جلبت من بني والبان و المناطق المتاخمة لها.

و إذا رجعنا إلى الأطلس الأثري فإننا نلاحظ من خلال توزيع المخلفات الأثرية التي تدل على تلك الفترة - و التي غالبا ما يطلق عليها قزال تسمية الآثار الليبية - ان وجود هذا النوع يتركز فعلا في تلك المناطق الجنوبية و التي يتواجد معظمها خارج الاقليم الترابي لولاية سكيكدة على غرار تلك الموجودة بكل من مناطق السمندو (زيغود يوسف) أو تلك التي تقع في الاقليم الترابي لولاية ميلة بالقرب من الحدود الاقليمية لبلديتي بني والبان و عين بوزيان، و لا يشير الأطلس إلا إلى أثر واحد عثر عليه ببلدية بالشعور (رقم 216)، أي دائما في المحور الجنوبي للولاية.

إذن، وانطلاقا من هذه المعطيات الاولية المستقاة من الميدان ومن خلال الاطلس الأثري يمكن الاعتقاد أن التأثير الحضاري النوميدوفنيقي على المنطقة كان عالي التركيز بالمناطق الجنوبية للولاية منه على المناطق الشمالية، وهو ما يدفعنا للتساؤل عن دور تلك البلدة الفنيقية التي أشير إليها في غضون القرن الرابع للميلاد تحت مسمى طابسوس، ونعني بها "روسيكادا" الفنيقية، وأيضا دور كولوبس مانيا (القل) من تأثير حضاري على المنطقة؟ ألم يكن لهاتين المدينتين دور حضاري مهم يؤدي بالضرورة إلى مخلفات مادية تبصم عليه؟

لقد رأينا سابقا من خلال الفصل الأول لهذه الدراسة مدى العمق الفنيقي في هاتين المدينتين وأن نشأتيهما تعود بالاساس إلى الدور الكبير للتجار الفنيقيين وتأثيرهم الكبير الذي أدى إلى ظهورهما وشهرتهما في ذلك

الوقت، فلماذا اذن لم نشهد بهما مخلفات من النقيشات الفنيقية أو الليبية أو حتى ما يصطلح عليه بالنوميدونيقية على غرار ما هو حاصل في المناطق الجنوبية؟

إن الاجابة البديهية التي يمكن أن تتبادر إلى الذهن عن كل هذه الأسئلة، أنه إذا لم نشهد مثل تلك المخلفات في هاتين البؤرتين الحضاريتين الكبيرتين بالمنطقة إنما ذلك يعود إلى مدى عمق الاستيطان الروماني لاحقا بهاتين المدينتين، الأمر الذي يكون قد أدى إلى اختفاء إرث كبير من التراث الأثري الفنيقي، ناهيك عما عرفتاه لاحقا من تعاقب استيطاني بحيث جعل من المتعذر العثور على شواهد متنوعة للتأثير الحضاري لهما على المنطقة، و أنه إذا كانت الأثار النوميدوبونيقية صمدت في جنوب الولاية فلأنها تواجدت ضمن نطاق ريفي، شدة الاستيطان فيه ضعيفة.

ويمكن إلحاق بهذا التفسير وجهة نظر أخرى فحواها أن هناك مدا حضاريا جديدا، لشكل حضاري جديد، كان فيه للاسهام المحلي نصيب وافر وقد شكلت سيرتا، كبرى مدن نوميديا مركز هذا الشكل، وأنه تبعا لذلك انطلق شعاع التأثير الحضاري الجديد من مركز هذه العاصمة في مختلف الاتجاهات ليشمل المراكز المحيطة بها شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، وأن أحداث وظروف التاريخ جعلت من هذا المد يتوقف في منتصف الطريق.

وعلى العموم، ومن خلال ما سبق نستنتج أن الانتشار السكاني وتوزيعه في الفترة التي سبقت التواجد الروماني قد شمل معظم أجزاء الولاية، وأن هذا الانتشار كان قد تركز بداية في المناطق الجبلية القريبة من الساحل، ثم بدأ يتغلغل مع مرور الوقت نحو المناطقق الداخلية، كما أدى التفاعل الايجابي للعنصر المحلي مع المؤثرات الحضارية الخارجية (الفنيقيين أساسا) إلى بلورة شكل حضاري جديد يصعب معه التمييز بين المحلي منه والوافد.

2- الدراسة التنميطية للمعالم الجنائزية:

يمكن اجمالا تقسيم المعالم الميقاليتية بمنطقة الدراسة - و هي كلها من نوع الدولمن[4]- إلى ثلاثة أنماط رئيسية، فقد عثرنا على الدولمان البسيط أو ما يصطلح عليه " الجلمودي" و كذلك نمط الدولمان المندس، بالاضافة

[4] كان يطلق في السابق على هذه القبور من طرف السكان المحليين مصطلح " قبور الجهالة"، لكن بعد مرحلة الاستعمار الفرنسي أطلق عليها من طرف الفرنسيين تسمية " الدولمن، وهي تسمية بروطونية تتكون من قسمين: TAOL وتعني الطاولة، و MENأي الحجر وتعني مجتمعة المائدة الحجرية، وقد استساغ الباحثون الفرنسيين هذه التسمية وشجعوا على استعمالها كونها تكرس " الانتماء أكثر إلى فرنسا " مثلما يذكر ديشولت (Déchelette). انظر: مراد زرارقة، المدافن الميغاليتية وشبه الميغاليتية، بين الأصالة والتأثيرات الخارجية، مجلة هيرودوث، العدد 7، 2018. ص 39 – 52. وكذلك: رزارقة مراد، المدافن الميغاليتية وشبه الميغاليتية لمنطقتي البرمة وجبل الفرطاس، رسالة لنيل شهادة الماجستير، 2006/2005.

إلى الدولمان ذو القاعدة الدائرية و من دون قاعدة، أما نصيب الحوانيت البونية فقد كان قليلا جدا و لم نعثر إلا على إشارة إلى هذا النوع عند السفح الشرقي لجبل كدية السند ضواحي مدينة القل.[5]

و من بين جميع هذه الأنماط لاحظنا أن النمط الجلمودي البسيط المتكون من مجموعة من المصاطب أو الجلاميد الصخرية (monolithe)[6] هو الأكثر انتشارا، بحيث وجد تقريبا بأغلب المواقع التي أمكن العثور بها على قبور ميغاليتية (عين زويت، تمالوس، القل، واد زهور)، و قد عثرنا على هذا النمط إما مسيجا أو بدون سياج حجري أو ما يعرف بالحلقات، إلا أن هذه الملاحظة تبقى محل شكوك بسبب الظروف التي غالبا ما نجد في كنفها هذه القبور، فقد تعرضت كلها تقريبا إلى عوامل أدت إلى تدهورها، ما يجعل التأكيد أو النفي صعبا للغاية. و قد عرف هذا النوع من القبور انتشارا واسعا في عموم شمال افريقيا، خاصة في المناطق الساحلية المحصورة بين غربي تونس و شرق الجزائر، حيث تعتبر مقبرتي جبل الفرطاس و الركنية و بونوارة خير مثال على ذلك، لكنه ايضا انتشر انتشارا واسعا بأوروبا و غربي أسيا[7]، ما يجعلنا نغرق في دوامة من التيهان بشأن معرفة أصول هذا النوع من المقابر، هل هو شمال افريقي، أم أنه وفد إلى المنطقة ضمن مختلف العناصر الحضارية التي استقبلها الشمال افريقي، و هنا يرى كامبس أنه بسبب الاضطرابات المناخية المتمثلة في الجفاف، استقبلت المناطق البربرية لشمال افريقيا التأثيرات النافعة من وراء البحر المتمثلة في حلول الانصاب الحجرية.[8]

و هذا الرأي يقول به تقريبا جل الباحثين الفرنسين، أمام رفض الكثير من الباحثين المغاربة هذه المزاعم اعتبارا من أن هذه المعالم وجدت حتى في عمق الأراضي في شمال افريقيا و ليس على الساحل فحسب، اذ تم العثور على العديد من انواع المعالم الجنائزية الضاربة في القدم في شمال السودان و جنوب الصحراء.[9]

و على العموم، فإن الجدل حول هذه المسألة لا يلوح فيه الحسم قريبا، و يحتاج إلى دراسات و أبحاث معمقة، و كل ما يمكن أن يقال أن هذه المعالم وجدت منتشرة حول حوض البحر الأبيض المتوسط، بضفتيه، الشمالية و الجنوبية، و هذا ما يؤكد التفاعل الحضاري الموغل في القدم بالمنطقة، و إذا أمعنا الملاحظة في مختلف أنواع المعالم الجنائزية العائدة إلى فجر التاريخ في ضفتي المتوسط نرى أن أهم ميزة ميزت نظام الدفن في عمق الصحراء و جنوبها هي ما يعرف بالجثوات أو التيميلوس، أي أن نظام الدفن كان يعتمد على الشكل

---

[5]

[6] عمري عبد النوري، المعالم الجنائزية في منطقة الزيبان خلال العصور القديمة، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10 العدد 4، 2020. ص 9-20.

[7] زرارقة مراد، المرجع السابق. 2018. ص 39-52.

[8] Camps (G), Aux origines de la berbèrie, monuments et rites funéraires protohistoriques de l'Afrique du nord, A.M.G. 1961.p 207.

[9] مراد زرارقة، المرجع السابق، 2018. ص 39- 52.

الدائري أو الهرمي أو ما يعرف بالتلال، أما في المناطق الشمالية فيعتمد على الهياكل المبنية وفق أنظمة هندسية ذات اشكال مختلفة، و هو ما يدفعنا للاعتقاد أن هناك مميزات أساسية ميزت كل منطقة عن الأخرى فيما يتعلق بالمعالم الجنائزية لفجر التاريخ، و ربما يكون العامل الجغرافي بشكل كبير وراء هذا التباين، إلا أن الفوارق بين هذه المعالم تتضاءل كلما اتجهت الواحدة منهما نحو الأخرى، أي من الجنوب إلى الشمال أو من الشمال إلى الجنوب، إلى درجة نجد أن النموذج الأمثل لهذا التقارب هو البازينة، فهذه الـأخيرة هي المعلم الوحيد الذي يجمع بين خصائص و مميزات الدفن الجنوبي مع الشمالي[10].

وعلى العموم، فتنميطيا بالنسبة لمجال دراستنا فإن المعالم الجلمودية (المصاطب)، قد وجدت على عدة اشكال وانماط، منها البارزة والمندسة الغرف، وكذلك المزدوجة الغرف، بعضها محاط بسياج حجري وبعضها من دون ذلك، وتتراوح أحجامها في العموم ما بين 2 م طولا و1.50 م عرضا، ومن 1 إلى 1.30 م ارتفاعا، مثلما هو موضح في الأشكال التالية:

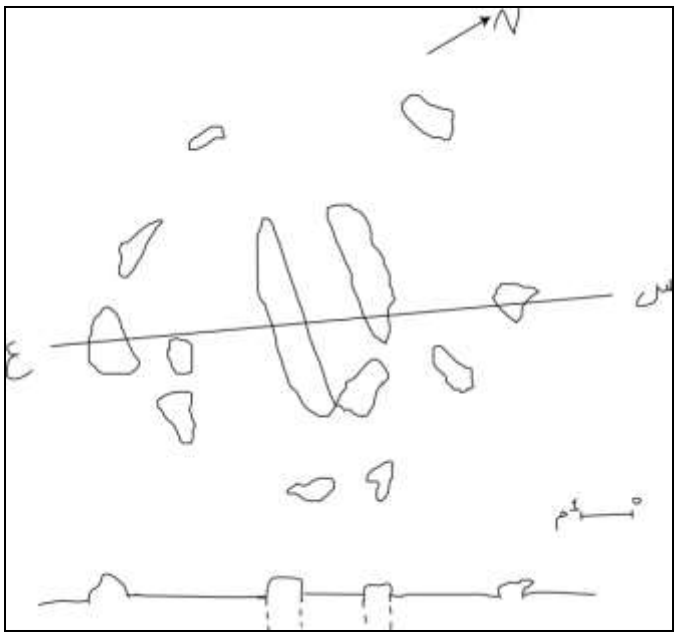

الشكل A1 يمثل رفع أثري لدولمن عمادي محاط بسياج دائري.

[10] مراد زرارقة، نفسه.. ص 39- 52.

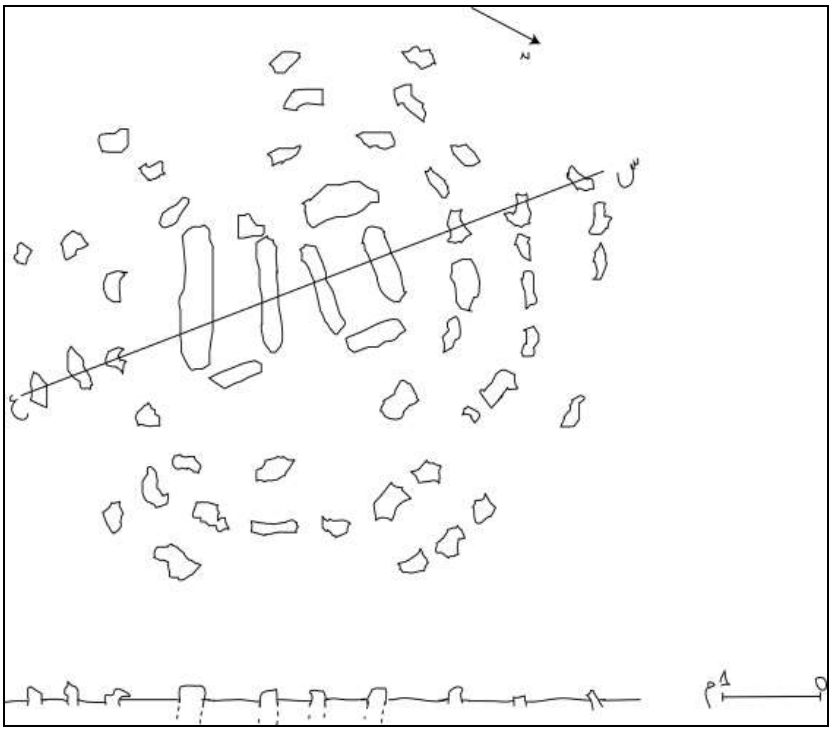

الشكل A2 يمثل رفع أثري لقبرين داخل سياج دائري واحد.

أما النوع الثاني من قبور الدولمن فهو ذلك المتميز تنميطيا بالبناء الهندسي بواسطة الحجارة المنحوتة والتي غالبا ما تكون منحوتة جزئيا فقط، مع وجود قواعد دائرية وأحيانا ذات شكل غير منتظم، كما أن الغرف الجنائزية إما مندسة مثلما رأيناه في قبور بوزيتون أو بارزة كقبور كركرة، كما أنها تتميز بنوع من الضخامة إذ تتجاوز المعالم في المتوسط 3 م طولا، وارتفاع يزيد عن 2.50م، أما قطر القاعدة فقد يصل حتى 8م، بالاضافة إلى كل هذا فقد وجدت بعض المعالم المتلاصقة مكونة أكثر من قبر واحد.

وأخيرا، فإن النوع الثالث يتميز بقرابة الشبه بالبازينة، حيث تتوسط غرفة الدفن قاعدة دائرية بارتفاه 0.50م مع وجود ممر إلى غرفة الدفن، وقد يصل قطر القاعدة لأكثر من 10 م، وتتميز هذه القبور بنظامها الهندسي المتناسق، مع تشذيب أكثر للحجارة المستعملة في البناء، كما أنها بنيت ضمن مجموعات بشكل متسلسل ومتراصف على قمم الجبال (بوسكة).

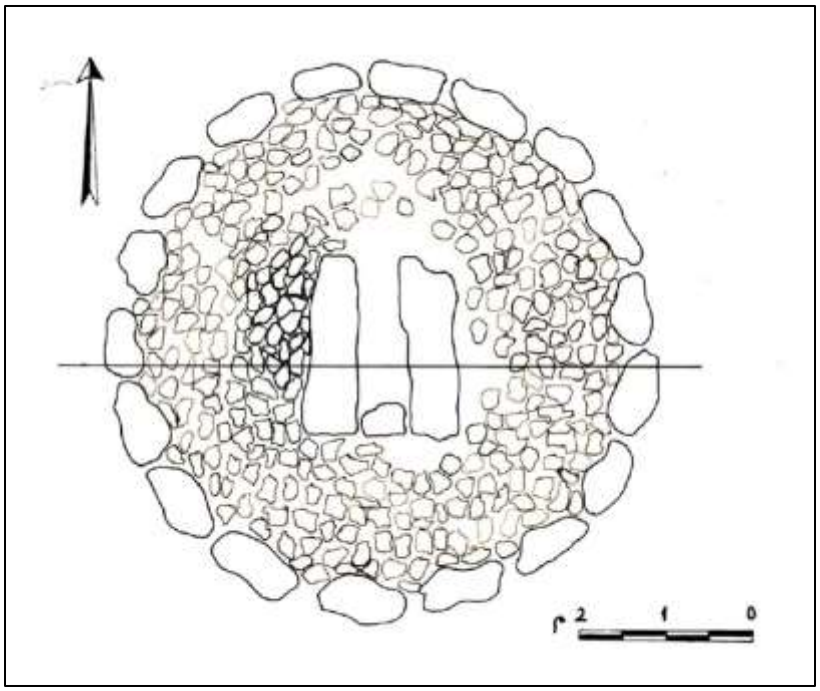

الشكل A3 يمثل رفع أثري لقبر دولمان ذو قاعدة أسطوانية

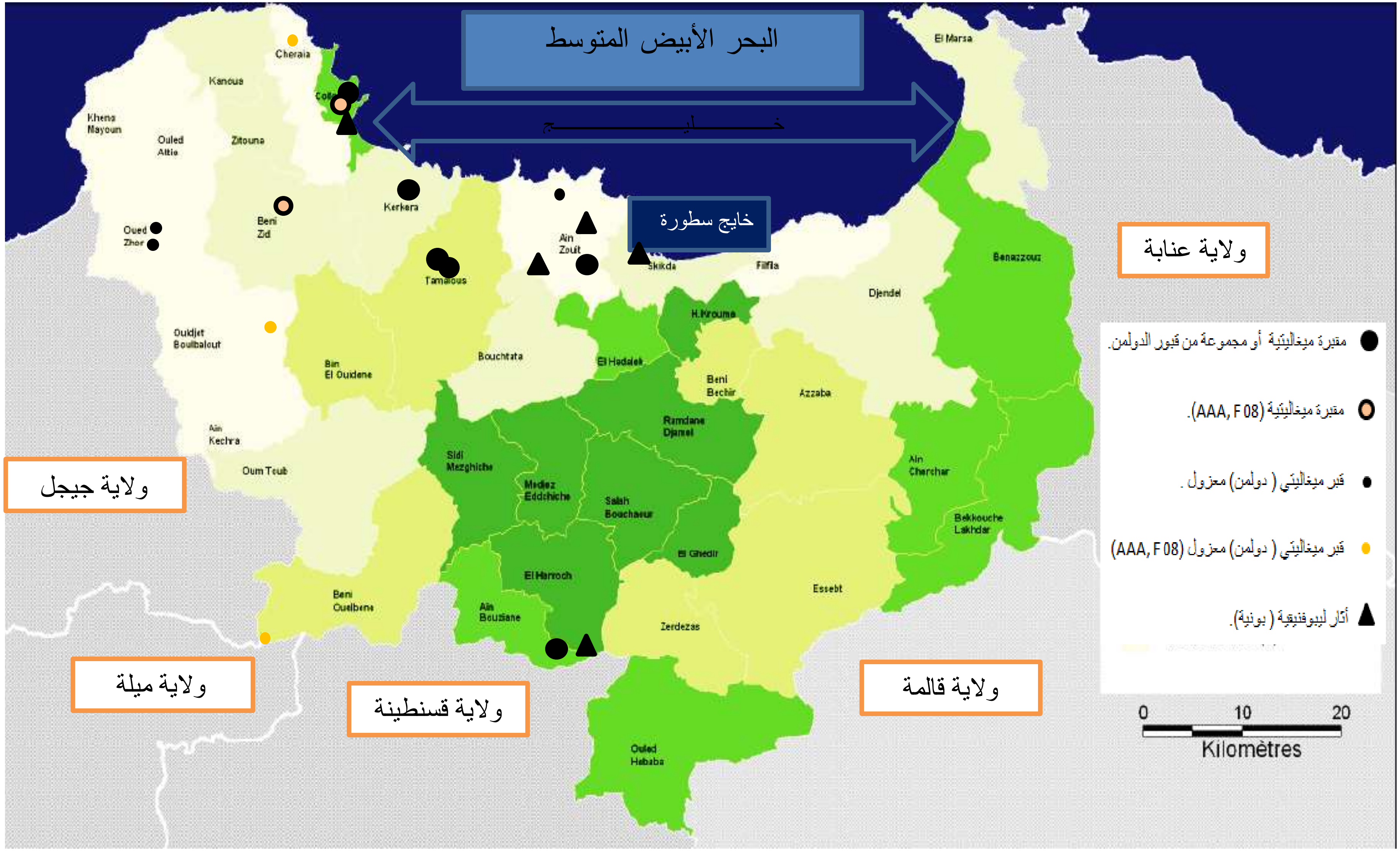

خارطة تمثل توزيع المعالم الميغاليتية (الدولمن) عبر ولاية سكيكدة استنادا إلى الدراسة الميدانية و الأطلس الأثري، الطالب.

الفصل الثالث

الآثار الريفية الرومانية

1- لبليدة

الاقليم	بلدية عين زويت- دائرة الحدائق
الاحداثيات	N 36° 56’50.92 E 6° 46’ 18.81
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الإضافي بقرار ولائي يحمل رقم: 529 مؤرخ في: 08 افريل 2013.
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	-Luciani M.D, Excursion dans la région de Collo. RASC, 2eme volume 3eme série. 1883-1884 -AAA, F 08.

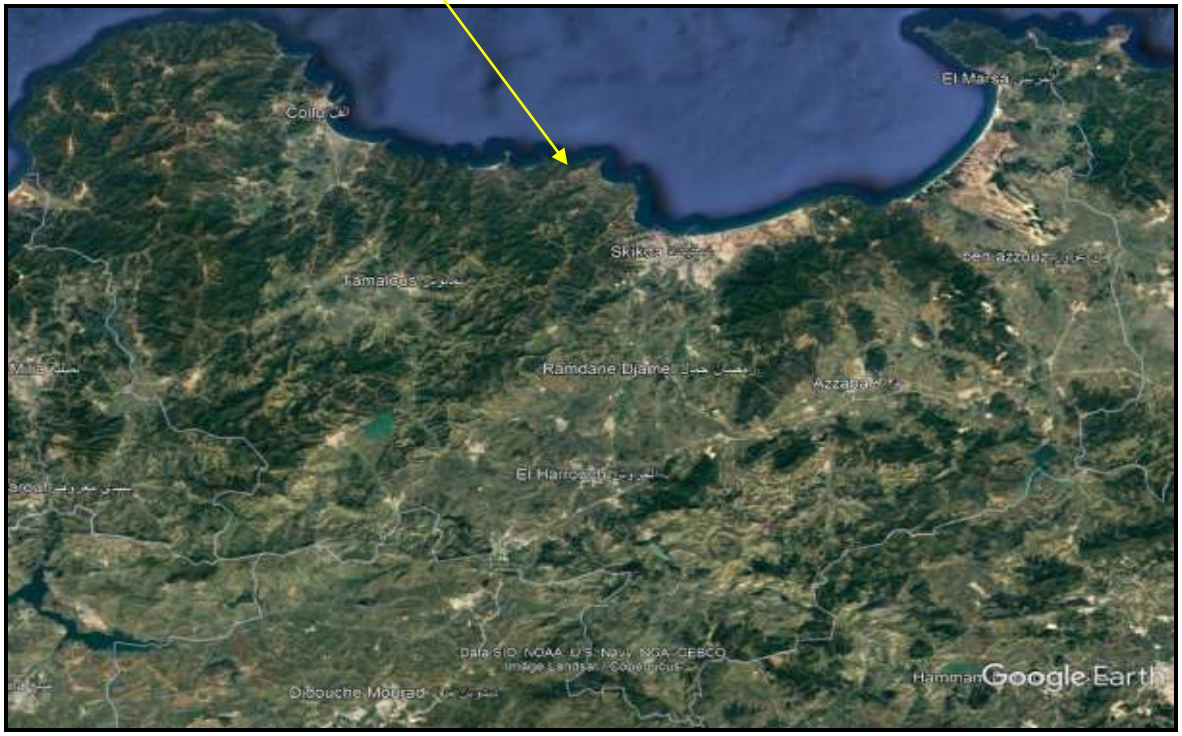

1- الموقع الجغرافي:

يقع على ساحل شاطئ واد طنجة الذي يتبع اقليميا لبلدية عين زويت على مسافة 10 كم في الاتجاه الشمالي الشرقي، ويتميز الموقع طبوغرافيا بواقعه الجبلي ذو الساحل الذي تغلب عليه الحواف الصخرية.

2- الوصف:

على هضبة منبسطة عند قدم الجبل تتوضع كثل من المباني غير واضحة المعالم، بسبب ما لحق بها من التلف، سواء نتيجة العامل البشري أو نتيجة العوامل الطبيعية المختلفة، كالانجراف والتعرية والاكتساح الغابي وغيرها من العوامل الطبيعية الاخرى.

أكثر ما يمكن ملاحظته للوهلة الأولى هو بقايا أجزاء من الجدران المنتصبة عند حافة المبسط الأرضي جيهتي الشمال والشرق، والتي هي عبارة عن جدران بنيت بحجارة صغيرة مشذبة، تتخللها كل 40 سم صفوف من الطوب المشوي باللون البني الفاتح. (انظر الشكل).

وقد توزعت هذه البقايا في أنحاء متفرقة من الموقع على مساحة تزيد عن 1 هـ، من دون أخذ في الحسبان تلك التي تتواجد على مسافة 300 م في عمق الوادي ناحية الجنوب، وهذه الأخيرة عبارة عن كثلة ضخمة من جدار بني بطريقة الملء يتوسط الوادي، حيث يقوم كحاجز هناك لتجميع مياه الوادي في حوض صخري.

ونظرا للكثافة الغابية فلم أتمكن من العثور على القناة التي كانت تنقل هذه المياه المحجوزة إلى الخزان، أو ربما تكون قد انجرفت نتيجة جريان النهر، و قد أشار إليها لوسياني Lucciani خلال رحلته الاستكشافية ناحية القل، حيث ذكر سنة 1886 أن هذه القناة لا تزال قائمة على امتداد 200 م باتجاه أعلى الوادي على حافته اليمنى[1].

يوجد عند مصب الوادي على الجهتين عدة بقايا لمباني تعرضت كلها للاندثار والتلف الكلي أو الجزئي نتيجة للعامل البشري – شق طرق عن طريق ألان ميكانيكية – وكذلك نتيجة العوامل الطبيعية المختلفة وخاصة نمو شجيرات كثيفة في وسط المباني.

وعموما، فهناك بعض المباني لا تزال في حالة متوسطة من الحفظ ويمكن من خلالها فهم بعض الوظائف التي كانت تؤديها، على غرار أحد الاحواض الذي يوجد على يمين المصب (المقاسات)، إذ من الواضح أن هذا الحوض يشكل جزءا من سلسلة من المنشآت المائية بالموقع.

[1] Lucciani, Op. Cit. p 91

و من بين هذه المنشآت نجد بقايا جدار على يسار المصب يحتوي على فتحة في الوسط (مقاساتها)، تقنية البناء و شكل الجدار لا يدع مجالا للشك بأنه يتعلق بخزان مائي، و للأسف، فإن هذا المبنى تعرض مؤخرا إلى الإعتداء من طرف أحد المواطنين و الذي حاول إقامة مبنى بجواره قبل أن يتم توقيفه من قبل مصالح الدرك، و هو ما أدى إلى إتلاف بعض أجزائه، و يبدو أن مبنى الخزان المائي يقوم على أرضية تم تهيئتها مع حافة الوادي كما تدل عليه بقايا جدار داعم على مستوى هذه الحافة، كما تعرض أيضا في وقت سابق إلى الاعتداء بواسطة جرافة من أجل فتح طريق بوسط الموقع باتجاه الشاطئ، حيث يلاحظ في عرض الطريق الكثير من الحجارة و الكسر الفخارية و خاصة منها القرميد (tegulae).

الصورة ب1 تمثل منظرا عاما لموقع لبليدة بشاطئ واد طنجة

صورة ب2 تمثل شق طريق وسط الموقع

صورة ب 3 اعتداء على سور روماني

صورة ب 4 حاجز مائي على مستوى الوادي

في الجهة الغربية هناك مبنى آخر، تعرض هو الآخر إلى التلف نتيجة شق الطريق، ويمتد بشكل مواز لحافة الهضبة الشمالية على مسافة 11 م، ويحتمل أنه كان يستمر إلى أكثر من ذلك، غير أن عامل التعرية أدى إلى انهيار بعض أجزائه كما نراه على مستوى الشاطئ. (الصور ب 7 ص 190 و37-88 ص 368)

يحتل هذا المبنى مساحة شاسعة من الهضبة كما تدل عليه الأثار، التي بعضها على مستوى سطح الأرض، والبعض الآخر بارز إلى حدود نصف المتر، وتتمثل في حجارة مصقولة عند زوايا الجدران مع بعض الجدران الممتدة فيما بينها كما يبدو من خلال هذا المخطط الذي قمت بإعداده.

غربا من هذا البناء على مسافة حوالي 10م يوجد مبنى مستطيل (10 م × 3.10 م) حيث تحفه شجيرات غابية كثيفة من جوانبه الثلاث عدا الجهة الشمالية، بالإضافة إلى كونه مدفون في معظمه تحت الأرض، تغطي هذا البناء بلاطة سمكها 15 سم، مقسمة إلى ثلاثة اقسام، ويصل سمك جدرانه إلى حوالي 80 سم، وقد بني بحجارة صغيرة بطريقة الملء. (الصورة ب6).

وعلى مسافة 1 م من الجدار الشرقي للبناء تم الحفر من طرف مجهولين يبحثون عن الذهب؟ حفرة بعمق 1.5م وعرض 1م، نلاحظ فيها امتداد البناء إلى عمق منتصف الحفرة من خلال وجود أثار أرضية المبنى تعلوها مباشرة قطع من القرميد، مما يدل على انهيار لسقف المبنى في وقت موغل في القدم. (انظر الصورة).

كذلك فقد تم حفر الواجهة الشمالية وتهديم أجزاء من جدار الواجهة، كما تم أيضا التعدي على قسم من البلاطة التي تعلو البناء وتكسيرها.

وبالاتجاه غربا دائما، على بعد بعض الأمتار نجد كتلة أخرى لبناء تحفه الغابات من كل جانب ولا يمكن التعرف عليه، كما تنتشر الأحراش الغابية بقوة في هذه الجهة، أما من الناحية الشرقية لمصب الوادي فتوجد العديد من البقايا الأثرية داخل الوسط الغابي، بقايا جدران وبلاطات أرضية وغيرها، كما

صورة ب 5 لحوض مائي

صورة ب 6 للخزان المائي وسط الموقع

صورة ب 7 لجدران ذات نظام بناء افريقي على طرف الموقع

2- الملاحة

الاقليم	بلدية عين زويت- دائرة الحدائق
الاحداثيات	36°57’00.10’’N 6°45’16.09’’E
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الإضافي بقرار ولائي يحمل رقم: 525 مؤرخ في: 08 افريل 2013.
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	-Luciani M.D, Excursion dans la région de Collo. RASC, 2eme volume 3eme série. 1883-1884 -AAA, F 08.

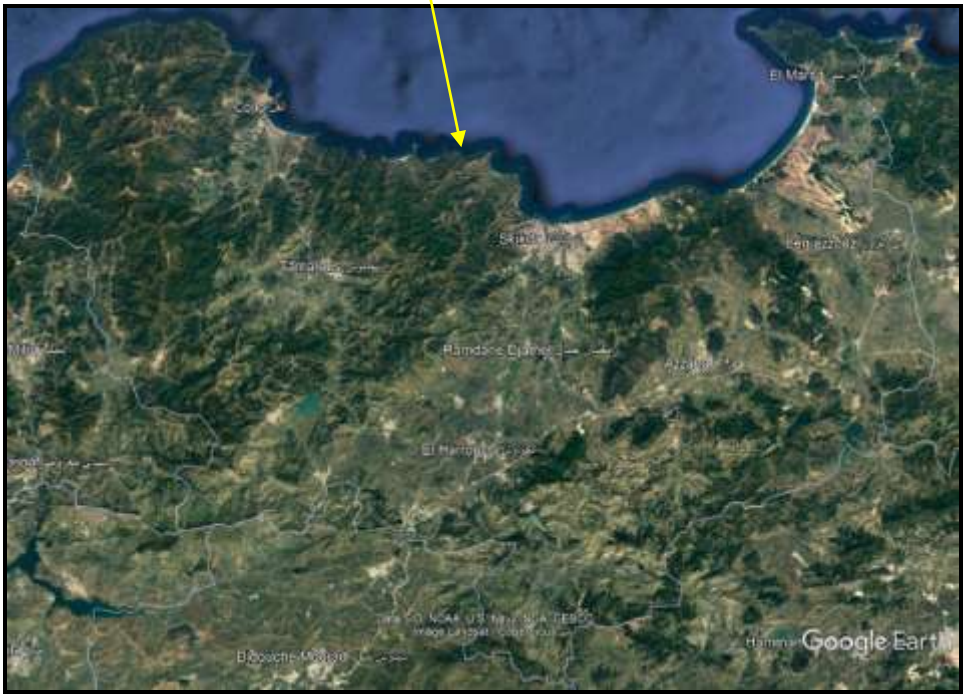

1- **الموقع الجغرافي**:

يقع في خليج أطلق عليه في السابق مرسى تيسي، ويمتد من جبل رجال لقلوع إلى غاية جبل صغروات، بني فوق لسان بحري يمتد داخل البحر إلى حدود حوالي 100م، ضمن ساحل صخري تتخلله بعض الشطآن الصغيرة ومحاط بتضاريس جبلية حادة تعد امتدادا للكتلة الجبلية لدوار مصلى، ويتضح من خلال الصخور البركانية أن الموقع عرف ثورانا بركانيا في فترات قديمة لم يتسن لنا تحديد تاريخها الزمني.

2- **الوصف**:

يوجد الموقع فوق لسان بحري، يحيطه البحر من الجيهات الثلاث: الشرق، الغرب والشمال، ويتصل جنوبا بسفح جبل المعدن، وأول ما يصادفك عندما الوصول إلى الموقع عبر طريق ترابي ضيق – كان يسمح بمرور العربات سابقا - انطلاقا من وادي بيبي - بناء ضخم يتمثل في خزان مائي بني بشكل مسند على منحدر جبل المعدن باتجاه شمال غرب - جنوب شرق(صورة ب 8.)

المبنى عبارة عن شكل مستطيل (21م × 5 م وارتفاع يصل إلى 6 م)، تعلوه قبة نصف اسطوانية، مقسم إلى ثلاثة أقسام، مقاسات كل قسم: (6.30 م × 4.60 م) وتتصل هذه الأقسام فيما بينها بفتحات على هيئة عقد في منتصف الجدران الداخلية (80 سم × 50 سم) مما يسمح بالمرور لأغراض الصيانة.

صورة 8ب: الخزان الكبير المسند على منحدر جبل المعدن

تم تلبيس الجدران من الداخل بالملاط الهيدروليكي الصلب على طبقتين، وقد تم نقر الطبقة الأولى من أجل تعزيز اللحمة بينهما كما هو واضح في الصورة، أما الأرضية التي تغطيها طبقة سميكة من التربة فتصل إلى حوالي 60 سم، ومن خلال الحفر العشوائي الذي قام به مجهولون بحثا عن الكنوز فإن سمك الأرضية يصل إلى 15 سم، كما تعلو الأقسام الثلاثة فتحات مربعة الشكل (60 سم × 60 سم) في منتصف القبة.(الصور صور ب 9، ب 10، ب 11، ب 12)

صور ب 9، ب 10، ب 11، ب 12 توضح شكل الخزان من الداخل مع مختلف المظاهر الفنية وظواهر التلف الطبيعية والبشرية التي تعرض إليها

صورة ب 13 تهيئة الجدار للتلبس عن طريق النقر

صورة ب 14 تصدعات على مستوى القبة

يلاحظ العديد من التصدعات على مستوى جدران الخزان وحتى على مستوى القبة، وبعض هذه التصدعات ذات شرخ يصل إلى 30 سم، كما انهارت بعض زوايا المبنى مثلما حصل بالنسبة للقسم الشمالي الغربي والقسم الجنوبي الشرقي حيث أصبحت تستخدم هذه الزوايا كمداخل إلى الخزان، بالإضافة إلى بعض الانهيارات على مستوى القبة.

على التماس المباشر للجدار الخارجي المواجه للبحر بنيت ستة أحواض، تعرضت في مجملها إلى التلف الكلي ما عدا واحدا فقط حافظ على بعض أجزائه، وهو عبارة عن نصف دائرة قطرها 2.5م وعمق 50 سم مبلطة القعر، ونظرا لغياب الأدلة الأثرية الكافية فإننا نجهل وظيفة هذه الأحواض اللهم إلا إذا كانت مخصصة لاستقبال فائض المياه عند امتلاء الخزان وتوزيعها فيما بعد عبر قنوات باتجاه أحد (الصورتان ب 15 وب 16).

الخزانات الموجود على بعد على بعد حوالي 100م في الاتجاه الشمالي الشرقي أو حتى توزيعها قبل ذلك على المرافق التي يحتمل انها كانت موجودة بينهما مثلما تدل على ذلك المخلفات الأثرية المطمورة و التي يمكن الاستدلال على وجودها من خلال الطبقة الأثرية على عمق 1 م من مستوى الحافة.

الصورتان ب 15 وب 16: الأحواض الدائرية بمحاذاة الجدار المواجه للبحر من الخزان

ويبدو هذا الخزان – الذي هو أقل حجما - للوهلة الأولى معلقا بالهواء، إذ أنه يتواجد بواجهة الحافة التي تمثل انزلاقا أرضيا، واضح أنه قد أخذ معه أثناء حركة الانهيار الأجزاء التي كانت مبنية هناك، بينما بقيت الأجزاء الأخرى ثابتة في مكانها على غرار الخزان الذي يبدو معلقا على مستوى الحافة بسبب عوامل التعرية التي تعرض إليها.

بني هذا الخزان بنفس التصميم الهندسي للخزان الكبير، إلا أنه يتكون من قسمين، يتصلان فيما بينهما بفتحة ذات عقد (175 سم × 70 سم) تصل مقاسات كل قسم إلى (3.60 م × 3.20 م) كما تعلو كل قسم فتحة مربعة (50 سم × 50 سم) على مستوى منتصف القبة نصف الاسطوانية أما الأرضية فتتكون من بلاطة هيدروليكية ذات سماكة تصل إلى 15 سم.

ما عدا الزاوية الشمالية الشرقية للقسم الجنوبي للخزان فإن هذا القسم يكاد يكون كامل العناصر، أما القسم الشمالي فقد تعرض إلى انهيار نصفي مائل (diagonal) نتيجة عوامل التعرية التي تعرض

إليها الأرضية وتآكلها المستمر إلى اليوم، ما يهدد بانهيار بقية المبنى، خاصة وأن هذه الأرضية تتكون من طبقة رملية.

الكتل المبنية، المنهارة من الخزان

فتحة المرور بين القسمين لغرض الصيانة

صورة تبين تآكل أرضية الخزان الرملية

شكل ب 1 يمثل صور للخزان الصغير

عند أسفل الخزان يلاحظ تناثر العديد من الكتل المنهارة من المبنى، وقد بدى لي من شكلها وعددها ومحاولتي إعادة تصور المبنى من خلالها أنها أكثر من أن تكون لخزان واحد من قسمين، فقد تكون لأجزاء إضافية من الخزان نفسه، أو ربما لمبنى آخر محاذيا له، خاصة وأنه غير بعيد في الاتجاه الشرقي يوجد بقايا جدران على واجهة الحافة، فهل كان هناك خزان ثالث بذلك الجزء من الموقع يتغذى أيضا من فائض الامتلاء للخزان الكبير؟

بني الخزان بشكل غائر في باطن الأرض، وهو ما تدل عليه بعض الأسوار التي اتخذت من أكتاف الخزان قاعدة لانطلاقها، هذه الأسوار أو الجدران تنطلق في عدة اتجاهات لتغطي كامل مساحة اللسان البحري بما في ذلك الاجزاء المنهارة منه في عرض البحر، ونظرا للكثافة الغابية بالموقع فإننا لم نتمكن من تتبع بشكل دقيق الشكل الهندسي لهذه الجدران، كما أن معظمها منها إما مدفونا تحت السطح أو

متساو معه، أما البقية فهي ذات ارتفاعات محدودة لا تتجاوز في أحسن الحالات 1.50 م إما مدفونا تحت الأرض

شكل ب 2 يمثل صور لطبقة الاستيطان بالجرف تمتد من بقايا جدارين إلى الخزان الصغير

ومع ذلك فإنه يمكن تمييز في بعض المساحات الصغيرة بعض الغرف، والأبواب المؤدية إليها وحتى البلاطات الأرضية، وهذه الأخيرة وجدت في بعض الأماكن متراكبة فوق بعض، مما يدل على حدوث انهيار للبناء وأنه يتكون من أكثر من طابق واحد، كما وجد على بعضها قطع صغيرة جدا من الفسيفساء، ونرى أنه يمكن من خلال أعمال حفر منظمة العثور على قطع كاملة بالنظر إلى أن كثير من البلاطات الأرضية ما زالت مدفونة تحت الأرض.

في مختلف أرجاء الموقع، لوحظ الكثير من الكسر الفخارية المتنوعة: قرميد، أجزاء جرار وأواني منزلية مختلفة، من بينها كسرة فخارية لمصباح زيتي عثر عليها بجانب الخزان منحوت عليها رأسين أدميين، كما أن نسبة كبيرة من المواد الأثرية لطبقة مستوى الاستيطان السابق ذكرها هي من الفخار المتنوع. (صور 31 ص 369).

وتعتبر الجهة الغربية من أكثر الجهات غنى بالكتل المبنية المنهارة، وحتى تلك التي ما تزال ثابتة في مكانها، بحيث يمكن الربط بشكل واضح بين بعض المباني التي بقيت معلقة في مكانها بأجزائها المنهارة، كما يمكن بسهولة التعرف على أحد هذه المباني من خلال تراصف عند مستوى طابقه السفلي لمجموعة من الأفران التي بنيت من الآجر وعليها أثار الحرق، مما يدفع إلى التساؤل ما إذا كان الأمر يتعلق بنظام تسخين أو أنه حمام صغير ملحق بالبناء؟ (الصور 35 و36 ص 365).

للأسف، لم نعثر بأنحاء الموقع على قطع نقذية أو كتابات، كما لا يشار إلى هذا الموقع في أي نص من النصوص القديمة رغم حجمه الكبير، كما أنه لم يحض بأي دراسة أثرية من قبل، و الوحيد الذي تمكن من الوصول فيما يبدو إلى هذا الموقع و كتب عنه هو لوسياني M.D. Luciani في خرجته الاستكشافية من فليب فيل إلى القل سنة 1883.[2]

إلا أن الطابع الاستعجالي لهذه الخرجة وصعوبة الموقع حالت دون تقديمه وصفا مفصلا للموقع، واكتفى فقط بوصف سريع مقتضب لبعض المعالم، وقد ميز في تلك الفترة وجود ثلاثة خزانات على عكس ما نراه اليوم، وهو ربما ما يعزز فرضيتنا بوجود خزان آخر بجانب الخزان الصغير.

وجد بالموقع بعض الحجارة المصقولة، إلا أن استعمال هذا العنصر في عمارة الموقع قليل جدا، فهو لا يستعمل إلا كحجر زاوية في جدران المباني، علما أن النظام المتبع في البناء هو النظام الافريقي Opus africanum ويبدو أنه مناسب جدا لطبيعة الموقع ذي التضاريس الحادة، مما يسهل عملية النقل من المقالع التي توجد في الاتجاه الشرقي على بعد حوالي 150 م، وهي مقالع شبيهة إلى حد بعيد بمقالع موقع باراسيانيس Paratianis بمنطقة قرباز ومدينة القل وغيرها من المواقع الساحلية.

3- **قراءة تحليلية للموقع**:

من خلال المعطيات الأثرية والطبيعية للموقع، فإننا نخلص في النهاية إلى بعض الاستنتاجات التي نرى من الواجب تضمينها في هذه البطاقة التقنية والتي قد تسمح بفهم أكثر لهذا الموقع.

أولا: أن هذا الموقع قد عرف نشاطا زلزاليا عنيفا، و ذلك في في فترة لاحقة للفترة الرومانية أو معاصرا لها و هو ما تدل عليه الأجزاء المنهارة من أبنية الموقع و تناثرها بالساحل، و لا يمكن استبعاد أن يكون هذا الزلزال العنيف ناتج عن ثوران بركاني مثلما تشهد به الصخور البركانية المحاذية للجانب الغربي من الموقع، حيث يمكن بسهولة ملاحظة بقايا الحمم البركانية المتحجرة التي كانت تصب من أعلى جبل المعدن

[2]Luciani M.D, Excursion dans la région de Collo, in Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine, 2eme volume 3eme série. 1883-1884. PP 64-68.

باتجاه البحر، بل و حتى اختلاطها مع بقايا يحتمل أنها معمارية تعود للموقع الروماني، و عموما، فإن هذا النشاط الزلزالي أدى إلى حدوث العديد من الانهيارات الصخرية على مستوى الساحل، بما في ذلك أطراف اللسان البحري الذي أقيمت عليه الأبنية، بحيث يمكن الجزم من خلال حجم الكتل المعمارية بالبحر أن عرض الأرضية المنهارة تقارب 10 م عبر كامل محيط اللسان البحري.

ثانيا: لم نجد في انحاء الموقع ما يدل على أنه ذو طابع عسكري، في مقابل وجود بقايا أثرية كثيرة تدل على أن المباني الموجودة عبارة عن مسكن أو فيلا رومانية لأحد الأثرياء.

ثالثا: لم نعثر أيضا على أي نوع من أنواع الامفورات، ولا على أي مرفأ يدفعنا للاعتقاد بأن الموقع عبارة عن مركز للمبادلات التجارية أو أي نشاط بحري آخر، فهل يكون قد تعرض للغمر في مياه البحر على إثر الزلزال الذي ضرب المنطقة؟ خاصة وأن وجود خزانات مائية بتلك الضخامة والعدد وبالقرب من الشاطئ يجعل من المتعذر قبول ألا يكون لهذا الموقع مرفأ أو ميناء للضرورات التي يتطلبها من ناحية النقل وغيرها.

و المرفأ الوحيد الموجود هو عبارة عن كتلة اسمنتية في الاتجاه الشمالي الغربي على بعد حوالي 500 م و هو المرفأ الذي كان يطلق عليه السكان مرسى تيسي Tessier Nouvion[3] و الذي هو ملكية لشركة كولونيالية خاصة بالمناجم و التعدين société des mines de l'oued oudina[4]، و ربما لهذا السبب نفهم لماذا اطلق السكان على الجبل المجاور اسم المعدن، حيث يوجد به بعض المغارات التي كانت تستخرج منها مختلف المعادن من طرف هذه الشركة، كما يوجد به أيضا منبع مائي غني بالعناصر المعدنية " عين الصديد" يحتمل أن الخزانات كانت تتغذى من مياهه، إذ معروف عن الرومان تفضيلهم لهذا النوع من المياه كما هو الشأن بالنسبة لمنبع المياه بسطورة la source ferrugineuse.

ثالثا: لم نعثر أيضا على ما يدل على النشاط الزراعي، فالموقع بعيد عن الأراضي الخصبة الموجودة في جهة الغرب على بعد حوالي 1 كم خلف الجبال، حيث أشار لوتشياني إلى عثوره على بعض الأثار الرومانية البسيطة[5]، كما عثرنا خلال معاينتنا لتلك الانحاء بالقرب من ملكية أودينة بأعلى التل على أحواض محفورة في الصخر يحتمل أنها تمثل مطامير للقمح، فهل يكون مالك هذه الأراضي الفلاحية هو نفسه صاحب الفيلا على البحر؟ أخيرا، إن عديد الأسئلة المطروحة هنا لا يمكن الإجابة عنها في هذه الدراسة من دون القيام بعملية مسح شاملة للموقع ومحيطه وحتى إجراء تنقيبات أثرية للبحث عن أدلة جديدة يمكن الاستناد إليها في فهم أعمق لطبيعة هذا الموقع.

[3] Luciani, Op. Cit. P 64
[4] www.entreprises-coloniales.fr
[5] Luciani, Op. Cit. P 64

3- لقصر

الإقليم	بلدية كركرة- دائرة تمالوس
الاحداثيات	36°57’18.00’’N 6°38’29.57’’E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

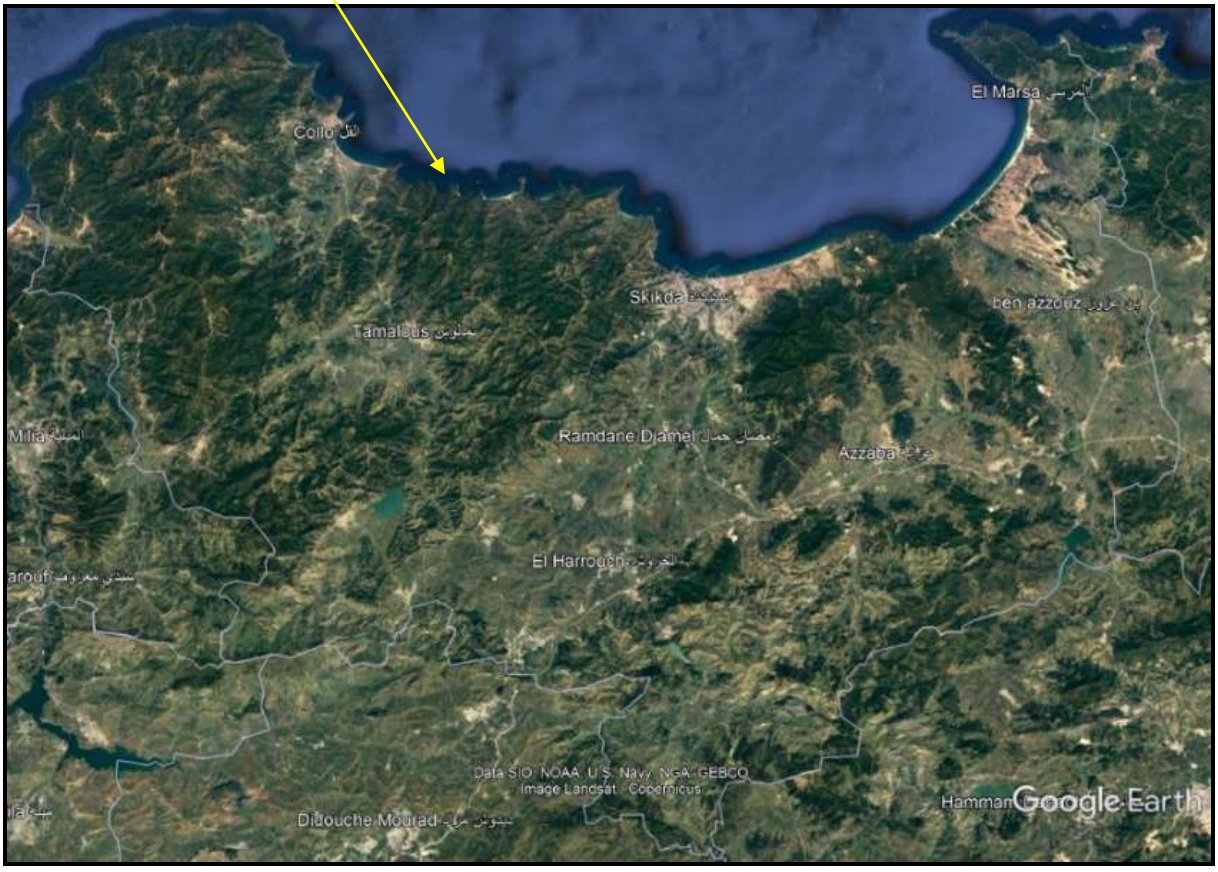

1- **الموقع الجغرافي**:

يقع بمحاذاة شاطئ لقصر على بعد حوالي 5 كم من مقر بلدية كركرة في الاتجاه الشمالي الشرقي، ضمن نطاق طبوغرافي يتميز بالتضاريس الجبلية الحادة التي تعد امتداد لسلسلة جبال دوار مصلى.

2- **الوصف**:

أكثر ما يلاحظ بالموقع هو وجود بناية ذات شكل مربع (6م × 6م)، تتجه واجهتها الرئيسية نحو الشرق، بنيت بواسطة حجارة الملء وزينت جدرانها بقطع من الآجر، سمك الجدران 1م، وتعلو البناية قبة اسطوانية قطرها من الداخل حوالي 4م، يصل ارتفاع الغرفة من الأرض إلى سمت القبة حوالي 6م، الجدران من الداخل مزينة هي الأخرى بصفوف من الآجر الأحمر، ما عدا القبة فإننا لم نر أي أثر للتلبيس.

يوجد بوسط الجدران الثلاث فجوات صماء مربعة (50 سم × 70 سم) يزينها من الأعلى عقد من الآجر، كما يلاحظ أيضا أن الجدارين الجانبيين مقسمان إلى مستويين، الأول يبدأ من الأرضية إلى علو 3م ، أما المستوى الثاني فمنه إلى بداية القبة على امتداد 1م، نلاحظ أن المستوى الأول مغطى بصفوف من الآجر أما المستوى الثاني فمجرد حجارة، أرضية المبنى تعرضت للنبش من طرف مجهولين بحثا عن الكنوز، و يبدو أنها كانت مبلطة بواسطة ملاط هيروليكي، مخلوط بالحصى الدقيق، و هو ما ينسحب أيضا على سطح البناء من فوق، حيث نلاحظ أرضية مبلطة بنفس المادة.

يتوسط الواجهة الرئيسية للمبنى مدخل، ويبدو أنه مستحدث لاحقا ولم يكن ضمن عناصر البناء، كما يعلو هذا المدخل عقد كبير، فربما كان مكانه فجوة صماء أيضا مثلما هو موجود بالداخل، ويحتمل أن يكون هذا البناء عبارة عن خزان مائي، تم تعديله في وقت لاحق ليؤدي وظيفة أخرى.

من خلال وجود بقايا جدران ملاصقة للمبنى و موازية له فهذا يعني أن هناك استمرارية للبناء في ذلك الاتجاه، و بإمكان حفريات في الموقع التأكيد على ذلك، على غرار ما حصل على بعد حوالي 20م في الاتجاه الجنوبي من المبنى، أين نلاحظ من خلال أعمال حفر عشوائية (بحثا عن الكنوز) وجود بناء، معظم أجزائه تحت مستوى سطح الأرض بعمق يزيد عن 1.50م أو أكثر، و يلاحظ في هذا المبني ذو الشكل المستطيل و الذي كانت تعلوه قبة نصف اسطوانية (4م × 3م) وجود عناصر معمارية شبيهة بتلك التي وجدت في المبنى السابق، عدا أن هناك مدخلا بني بواسطة حجارة منحوتة، إلا أن الظروف التي وجدنا عليها البناء حالت دون إمكانية قيامنا بأخذ القياسات.

وقد لاحظنا انتشارا كثيفا للكسر الفخارية، تتمثل في كسر لصفائح القرميد منحنية الحواف وجرار فخارية من مختلف الأنواع وقطع من الآجر السميك، ويلاحظ أن بعضها قد كسر حديثا من طرف اللصوص بعد استخراجه من باطن الأرض.

يوجد في الجهة الأمامية للموقع جدار داعم بني بالحجارة على امتداد أكثر من 30م في الاتجاه الشمالي الغربي، إلا أن معظم هذا الجدار قد تعرض للانهيار في عدة نقاط، كما أعاقنا النسيج الغابي الذي نبت فوقه التحري حوله أكثر.

وعموما فقد عثرنا في نقاط أخرى بوسط الموقع على بقايا جدران تعلو مستوى السطح بحوالي 0.50م، إلا أنها لا تكشف شيئا مميزا أكثر من كونها تشير إلى وجود أبنية في مجمل مساحة الموقع التي تزيد عن 500م^2.

الصور ب17، ب 18، ب 19، ب20، ب 21، ب 22 تمثل زاويا مختلفة لمعلم لقصر من الداخل والخارج

صورتان ب 23، ب 24 للبناية المجاورة للمعلم والتي تعرضت للحفر العشوائي

الصورة ب 25 منظر عام لموقع لقصر

4- المربوبة (لمرابع).

الاقليم	بلدية فلفلة - دائرة سكيكدة
الاحداثيات	36° 53’29.36’’ N 7°05’38.89’’E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

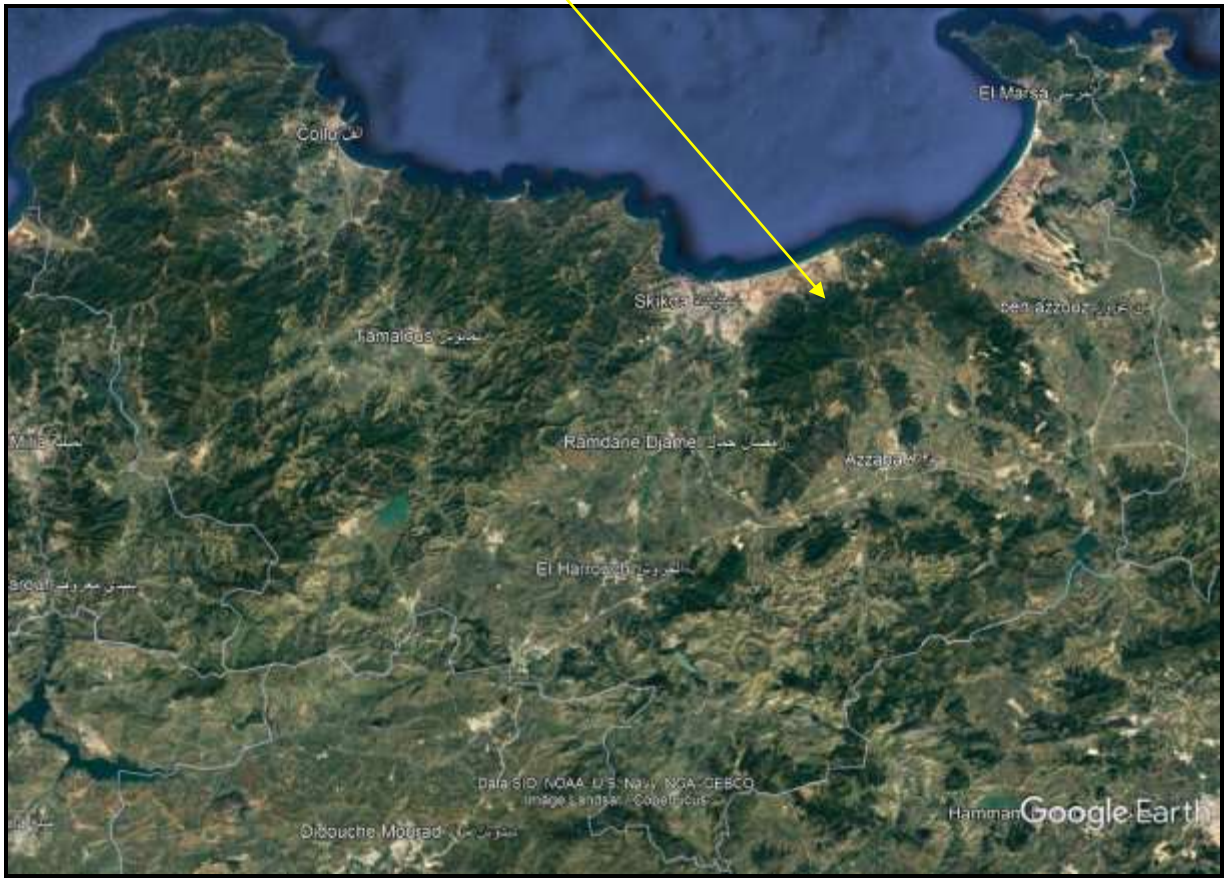

1- **الموقع الجغرافي**:

يقع على بعد حوالي 7 كم في الاتجاه الشرقي لمقر بلدية فلفلة، على منحدر يعلو الطريق المؤدي إلى شاطئ قرباز ، بالقرب من مقبرة عائلة مغلاوي (لمرابع)، ضمن نطاق طبوغرافي جبلي (سلسلة جبال العالية) المتميزة بانحدراتها المعتبرة وكثافتها الغابية. وتحديدا على المنحدر الجنوبي لجبل فلفلة حيث يوجد مقلع الرخام المعروف.

2- **الوصف:**

يتميز الموقع بوجود أثار قناة رومانية لنقل المياه، حيث نلاحظ بعض أجزاء هذه القناة على مسافة تقارب 20م بين الأحراش الغابية و تأخذ اتجاهها عبر المنحدر نحو وادي ريغة، يبلغ قطر فوهة هذه القناة المبنية من الحجارة 20 سم بينما سمك الجدران فيمكن أن يصل في بعض الحالات إلى 30 سم، بعض هذه الأجزاء في حالة حفظ جيدة أما بقية الأجزاء فقد تعرضت للتلف أو الطمر، ما يميز هذه القناة هو وجود أبار صغيرة في عدة نقاط منها يحتمل أنها استخدمت كنفاسات للقناة، و قد تمكنا من معاينة إحدى هذه الأبار المتميزة بدقة صنعها و عمقها البسيط الذي لا يتجاوز في أحسن الأحوال 1م بينما قطرها فيصل إلى 1.10م، و قد لاحظنا أيضا في هذه البئر وجود فتحتين، واحدة بالأعلى لاستقبال مياه القناة و أخرى في الأسفل لإعادة توزيها في الطرف المقابل.

من المرجح أن هذه القناة كانت تشكل مصدرا من مصادر تموين القناة المحمولة (aqueduc) بالمياه، هذه القناة المحمولة التي كانت تنطلق من وادي ريغة عبر مسافة تصل إلى 22 كم نحو مدينة روسيكاد، والتي عثر خلال فترة الاحتلال الفرنسي في عدة نقاط على أثارها عبر الأودية التي تقطع المنطقة بين وادي ريغة وروسيكاد، إلا أن هذه الأثار قد ضاعت تماما ولم يبق إلا بعض المخططات التي قام بانجازها ريفول(Riffault) سنة 1842م والذي كلف حينها بدراسة تلك.

صورة ب 27 تمثل قناة لنقل المياه فوق الأرض

صورة ب 28 تمثل سمك القناة

صورة ب 26 جانبية لبئر متصل بقناة لنقل المياه

صورة ب 27 رأسية للبئر

5- بوغلبون.

الاقليم	بلدية عين بوزيان- دائرة الحروش
الاحداثيات	36°34’05.62 ‘’N 6°46’09.21’’E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

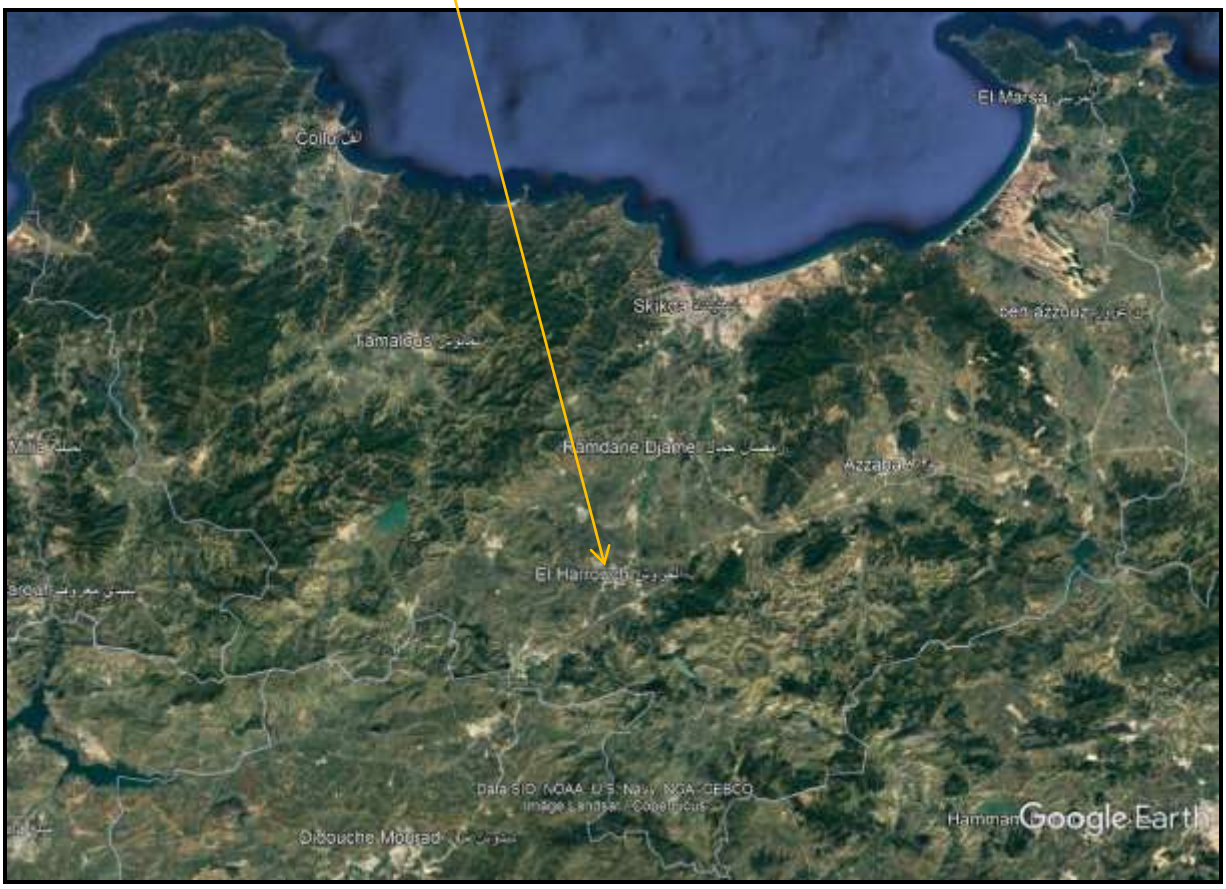

يعتبر الموقع شاهدا على طريق سيرتا روسيكاد، حيث يوجد في عدة نقاط من الموقع أثار ماثلة لبعض مقاطع هذا الطريق، أين نلاحظ وجود الحواف الحجرية و عرض الطريق المبلط بصفائح حجرية مسودة بنفس الشكل الذي يصفه ليون الافريقي عندما قال" ويمتد بينها (أي سكيكدة) و قسنطينة طريق مبلط بالحجارة السوداء على نحو ما نشاهده في ايطاليا من بعض الطرق المسماة الطرق الرومانية "6.

إلا أنه نتيجة الاستعمال المستمر إلى اليوم لمقاطع هذا الطريق من طرف السكان وكذلك نتيجة مشروع الطريق السيار الذي اخترق بعض مقاطع هذا الطريق فإن حالته ساءت بشكل كبير، حيث تم تدمير أجزاء مهمة من الموقع نتيجة لذلك.

ويلاحظ في الموقع العديد من الحجارة المنحوتة المتراصفة في خط واحد في عدة نقاط، بالاضافة إلى حجارة التبليط المتنوعة الاشكال والأحجام وحتى في نوعية الحجارة نفسها المستعملة في هذا الطريق.

كما عثرنا خلال المعاينة على الكثير من الحجارة المنحوتة المتناثرة، والتي يشكل بعضها اشكالا بنائية في حالة متقدمة من التدهور مما صعب من امكانية التعرف على وظيفتها، فقد تكون مرافق عسكرية للمراقبة أو مرافق متعلقة بعمليات الصيانة المختلفة للطريق.

6 الحسن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص 54_55.

صور ب 27، ب 28، ب 29، ب 30 تمثل مقاطع الطريق الروماني سيرتا – روسيكاد

6- لمسد (الرضاونية).

الاقليم	بلدية السبت- دائرة عزابة
الاحداثيات	36°38’16.03’’N 7°04’47.58’’E
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الاضافي بقرار ولائي يحمل رقم 462 مؤرخ في 09 ماي 2011.
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

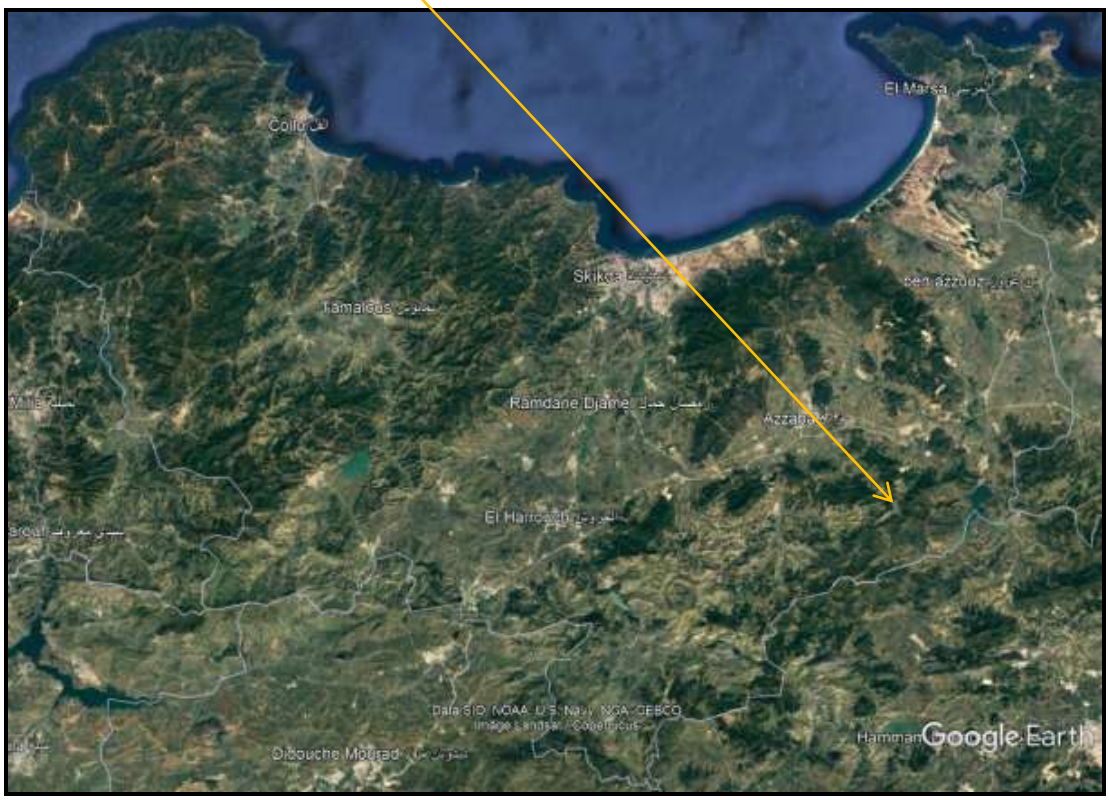

1- الموقع الجغرافي:

يقع في الاتجاه الجنوبي من مقر بلدية السبت على بعد حوالي 7 كم، وسط سهول تتميز بالخصوبة العالية، والتي تتخلل سلسلة جبال الوادي الكبير.

2- **الوصف**:

يتميز الموقع بوجود أثار رومانية متناثرة بأنحاء الموقع (حجارة منحوتة، مضادات ثقل، كسر فخارية) أهمها عبارة عن بناية مستطيلة تتوسط ملكية عائلة رضاونية، تأخذ البناية اتجاه شرق – غرب و قد اعتمد في بنائها على تقنية الملء مع احتوائها على قبة نصف اسطوانية انهارت في معظمها وسط البناء و يرجح بالنظر إلى الهندسة المتبعة في هذه البناية أن الأمر يتعلق بخزان روماني للمياه، كما يلاحظ بمحيط البناية و على مستوى سطح الأرض استمرار لبعض الأسوار المنطلقة من زوايا البناية معظمها مدفون تحت الأرض مما يعطي الانطباع بامتدادها على مساحة كبيرة، و يستلزم الأمر القيام بحفريات أو أسبار أثرية للتعرف على المساحة الحقيقية لامتداد الموقع، و يمكن من خلال الأدلة الأثرية الاعتقاد أن الموقع يتعلق بضيعة رومانية كانت موجهة للاستغلال الفلاحي، كما تم العثور في وقت سابق (اندثرت الآن) على بعض القبور ذات نمط دفن يتميز بالتأثيرات الرومانية و النوميدوبونيقية.

وقد أعاقنا خلال العمل الميداني بهذا الموقع كثرة الحشائش ذات الارتفاع العالي وكذلك تواجد أجزاء معتبرة من الموقع ضمن ملكيات خاصة ومسيجة مما صعب من القيام بمسح دقيق لأجزاء الموقع.

الصورتان ب 31 وب 32 تمثل كثلا مبنية لخزان مائي.

الصورتان ب 33 وب 34 تمثلا غناصر معمارية

7- فرفور.

الاقليم	بلدية السبت- دائرة عزابة
الاحداثيات	36°39 05 N 7° 10 04 E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

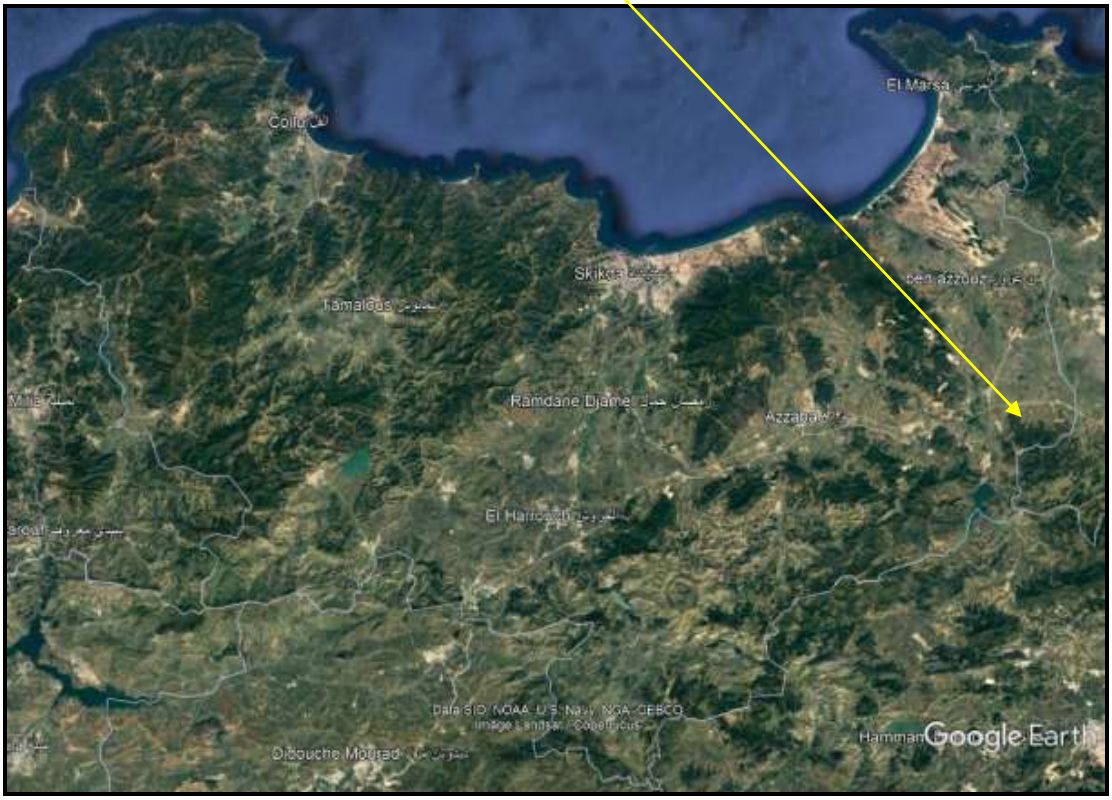

1- **الخصائص الطبوغرافية**: يتواجد ضمن نطاق ريفي متميز باعتدال تضاريسه المشكلة في معظمها من سلسلة من الهضاب المنبسطة مه وجود كثافة غابية معتبرة.

2- **الوصف**:

يحتل الموقع مساحة معتبرة (حوالي 500م^2) من ربوة تقع بمحاذاة الطريق المؤدي إلى بلدية الركنية (ولاية قالمة)، ويتميز بوجود مجموعة كبيرة من الحجارة المنحوتة متناثرة بأنحاء الموقع، من بين هذه الحجارة هناك مجوعة من مضادات الثقل المستعملة في معاصر الزيت، إحدى هذه المضادات تحمل على واجهة منها نحتا غائرا لعجلة الخصوبة.

بعض حجارة الموقع تبدو في مكانها لكونها على استقامة واحدة، وذلك في عموم الموقع، بينما في وسط الموقع فقد عاينا وجود مجموعة من البنايات كلها تحت مستوى سطح الأرض، إحدى هذه البنايات وبالنظر إلى خواصها الهندسية يرجح أن تكون خزانا مائيا، حيث يصل طولها إلى حوالي 10م بالاضافة إلى احتوائها على ملاط هيدروليكي، بالقرب من هذه الخزان هناك بناية صغيرة تعرضت إلى الاعتداء والحفر العشوائي.

غير بعيد عن هذه الأبنية توجد معصرة محفورة في الصخر، تعرضت هي الأخرى إلى الاعتداء مما أدى ذلك لفقدان معظم أجزائها، أما بقية الموقع فإما أنه يوجد ضمن الأحراش الغابية أو مغمورا تحت الغطاء العشبي وهو ما أعاق من إمكانية التعرف عليه أكثر، غير أننا نرجح أن يكون عبارة عن ضيعة رومانية ذات مساحة معتبرة، كما أنها تحتوي على العديد من العناصر الأثرية المتنوعة والتي توفر حقلا للدراسة الخصبة لهذا الموقع من خلال حفرية منهجية ودقيقة.

الصورة ب 35 تمثل عناصر معمارية

الصورة ب 36 تمثل ثقل مضاد عليه نحت لعجلة الخصوبة

الصورة ب 37 تمثل بعض مظاهر الاعتداء والحفر العشوائي

الصورة ب 38 تمثل حفرا عشوائيا بالموقع

الصورة ب 39 تمثل سطح الخزان الموجود تحت الأرض

8- عين غراب.

الاقليم	بلدية رمضان جمال- دائرة رمضان جمال
الاحداثيات	36° 43’ 42’’ N 6° 56’ 03’’ E
الوضعية القانونية	
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

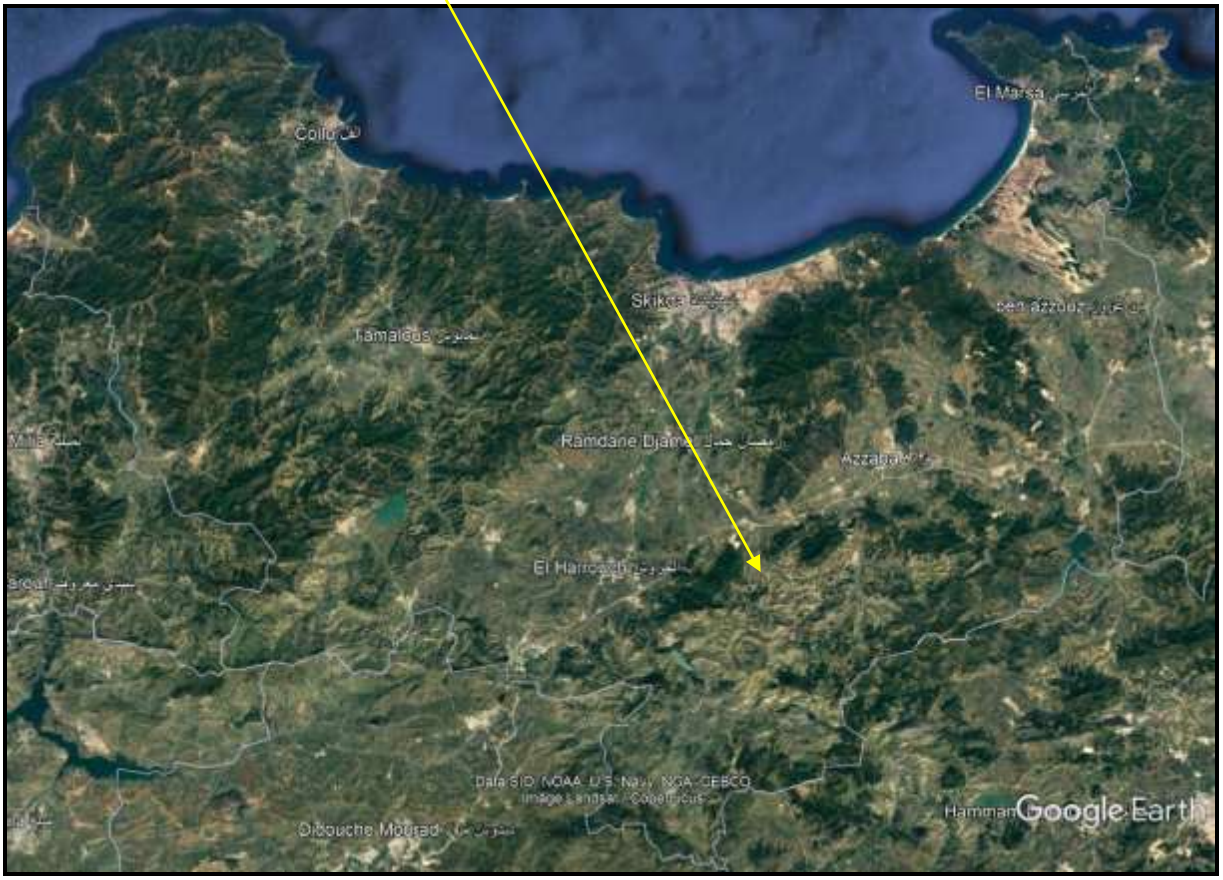

1- **الموقع الجغرافي**: يقع في الجهة الشرقية على بعد حوالي 8 كم من مقر بلدية رمضان جمال بمحاذاة الطريقي الوطني 44، قريبا من مفترق الطريق نحو قسنطينة جنوبا وعنابة شرقا، ضمن نطاق ريفي تميزه سهول ممتدة بين مرتفعات ذات انحدار ضعيف الشدة تعد امتدادا لسلسلة جبال العالية.

2- **الوصف**: يعود اكتشاف هذا الموقع بطريقة عرضية إلى سنة 2012، وكان محل معاينة ميدانية وأعمال تنقيب في نفس السنة من طرف بعثة من المركز الوطني للبحث في علم الأثار ويتمثل هذا الموقع في وجود هيكل انشائي (خزان مائي) تحت مستوى سطح الأرض وبعض المعاصر المحفورة في الصخر منتشرة هنا وهناك.

وكإجراء احترازي قامت فرقة الدرك الوطني لرمضان جمال بسد المدخل المؤدي إلى غرف الخزان، إلا أن المعاينة الأولية لمصلحة التراث الثقافي بالولاية في وقت سابق مكنت من أخذ صور عن تركيبة هذا الخزان من الداخل والذي يتكون من مجموعة من الغرف ذات الشكل المربع موصولة فيما بينها بفتحات نصف دائرية بطول حوالي 1م وعرض 40 سم، كما لوحظ ايضا وجود ميلاط غير مسامي على جدران المبنى بالاضافة إلى قباب نصف اسطوانية تعلو البناية.

على بعد حوالي 100م جنوبا من هذا الخزان توجد مجموعة من المعاصر المحفورة في الصخر، وهي من نوع تلك المعاصر التي وجدت في عدة نقاط من الولاية، خاصة في الجهات الجنوبية، والمتميزة بهندسة تكاد تكون متطابقة في جميع المعاصر، حيث نلاحظ وجود أحواض ذات أشكال دائرية ومربعة أو مستطيلة مع قنوات تصل هذه الاشكال مع بعضها، وقد لوحظ وجود ثلاث معاصر في هذا الموقع ذات أحجام متباينة نوعا ما.

وفي التالي وصف لأحد هذه المعاصر حيث تتكون من صخرة يبلغ قطرها ازيد من 4 م، تحتوي على أربعة أحواض ذات أحجام وأشكال مختلفة تتراوح بين المربع والمستطيل موزعة بشكل متجاور تقريبا، يزيد طول بعض اضلاع هذه الأشكال عن 2 م، بينما يبلغ أقصر ضلع 0.50 أما العمق فهو يتباين من حوض لآخر ما بين 10 سم إلى 30 سم، في وسط أحد الاحواض الصغيرة نجد حفرة ذات شكل مربع تقريبا وفي وسط حوض آخر لعبة "الضامة"، وكل هذه الاحواض موصولة فيما بينها إما بثقوب محفورة أسفل الضلع أو عن طريق مجاري صغيرة.

بعض المعاصر الأخرى مزودة بدائرة محفورة في شكل مجرى دائري عميق مخصص لاستقبال الألة الخاصة بالعصر، ويرجح أن هذه المعاصر استخدمت لعصر الزيتون والعنب معا.

40

41

الصور 40، 41، 42، 43 تمثل معاصر مخالفة الأشكال محفورة في الصخر

9- بومرجة.

الاقليم	بلدية اولاد احبابة- دائرة الحروش
الاحداثيات	36°30’09.06’’N 6°55’18.85’’E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

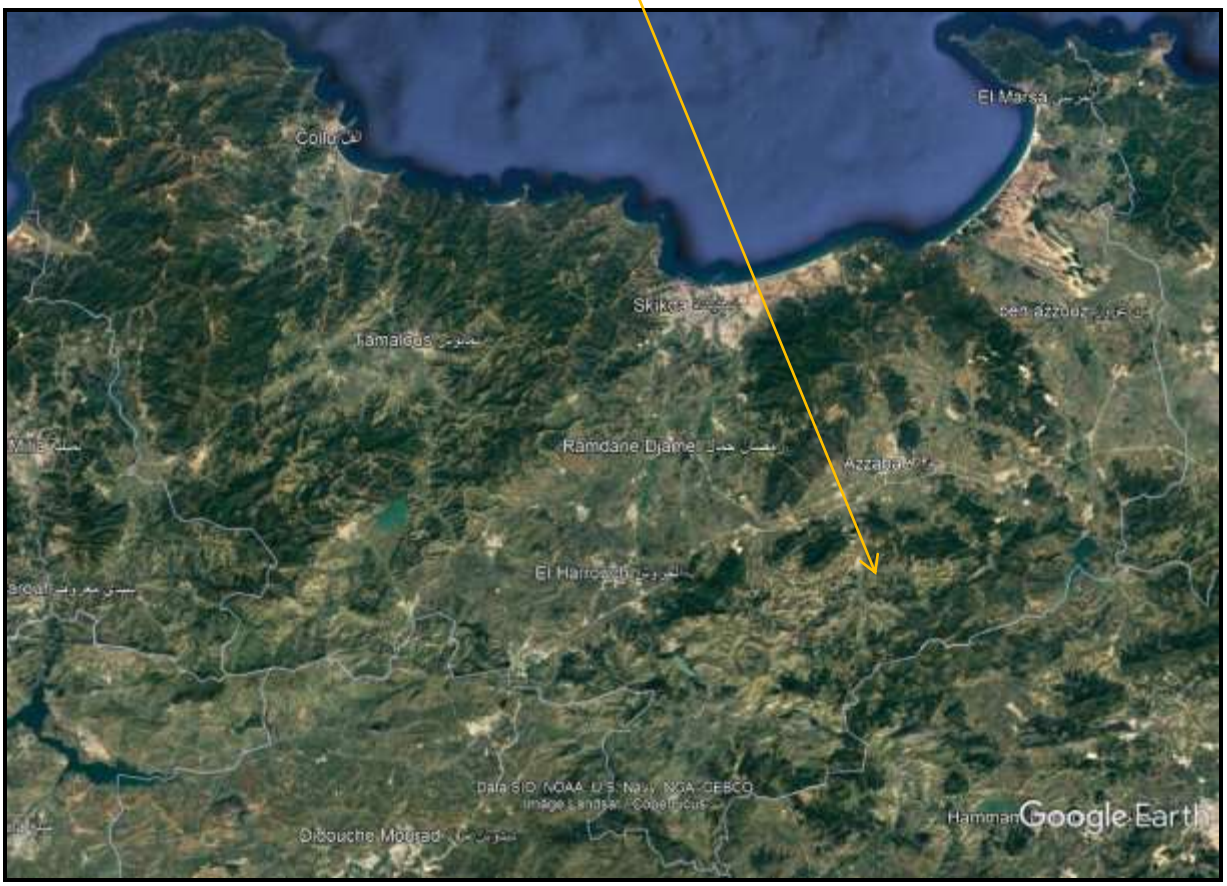

1-الموقع الجغرافي: يوجد هذا الموقع على بعد 5 كم في الجهة الشمالية الغربية لمقر بلدية اولاد احبابة وعلى بعد حوالي 1.5 كم شرقا من موقع قلعة القلة، ضمن نطاق ريفي جبلي، اذ تدخل المنطقة في نطاق سلسلة جبال قسنطينة التي

تزداد حدة كلما اتجهنا غربا.

2-الوصف:

يتشكل الموقع من مجموعة من المعاصر المحفورة في الصخر، بعضها تحت الأرض والبعض الآخر ما يزال ماثلا وفي حالة حفظ حسنة، بالاضافة إلى وجود عدة عناصر أثرية أخرى على غرار الكسر الفخارية، الحجارة المنحوتة، نقيشة في حالة سيئة، مضادات الثقل.

توجد فقط من بين هذه المعاصر معصرة كبيرة كاملة الأجزاء وفي حالة حفظ حسنة وتمثل نموذجا لمعاصر الزيت المحفورة في الصخر والمنتشرة بكثرة في هذه المناطق من الولاية، حيث تتكون من عدة أحواض ذات أشكال مختلفة، بعضها كبير (1.50 م × 0.50 م)، كما يوجد بالجهة الخلفية للمعصرة ثلاث درجات لتمكين العامل من الصعود لصب المنتج الفلاحي، إضافة إلى بعض الحفر التي يحتمل أنها كانت مخصصة للسواري التي يوضع فوقها غطاء للحماية من الشمس.

الصورة 44: معصرة محفورة في الصخر

لصورة 45: قاعدة دائرية خاصة بآلة الضغ

الصورة 46: حوض مربع كبير

10- **عين سلامات:**

الاقليم	بلدية اولاد احبابة- دائرة الحروش
الاحداثيات	36°28’27.95’’N 6°52’52.18’’E
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الاضافي بقرار ولائي يحمل رقم 537 مؤرخ في 08 افريل 2013.
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

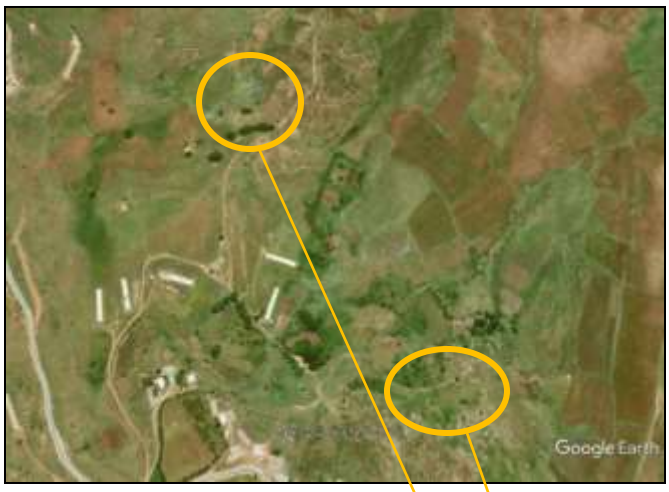

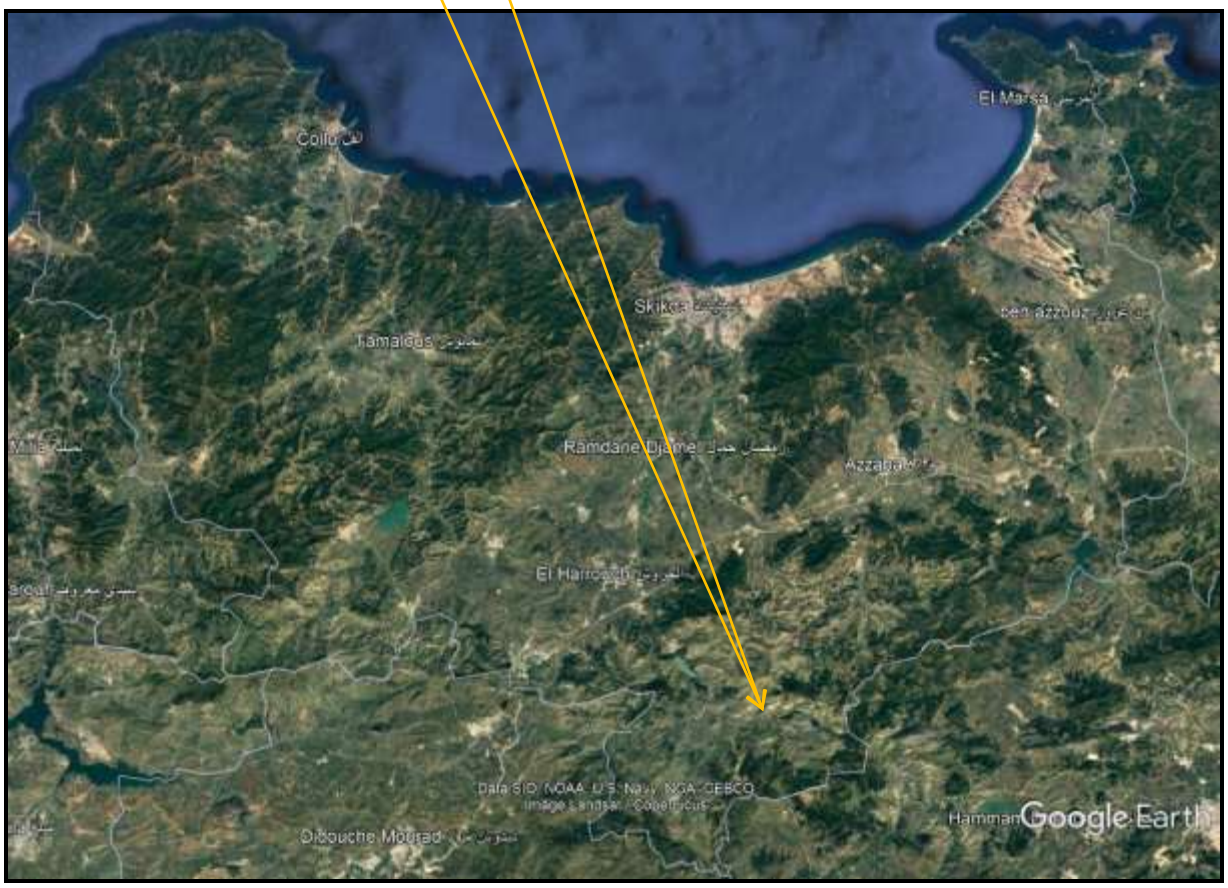

1-الموقع الجغرافي:

يوجد على بعد حوالي 10 كم في الجهة الشمالية الغربية لمقر بلدية اولاد احبابة بدوار عين سلامات ضمن نطاق ريفي جبلي ويعد امتدادا لسلسلة جبال قسنطينة.

2-الوصف: ينقسم الموقع إلى قسمين، قسم يحتل المبسط الأرضي بالجهة الجنوبية لأعلى قمة عين سلامات المتواجدة في الاتجاه الشمالي للقرية، وقسم ثاني يوجد على السفوح الغربية على بعد 200 م في الاتجاه الجنوبي الشرقي من القسم الأول.

يتميز القسم الأول بوجود مجموعة كبيرة من الحجارة المنحوتة على منبسط أرضي، بعضها ما يزال بموضعه (in situ) مشكلا بعض الجدران المستقيمة، أما الأغلبية من الحجارة فقد أعيد استعمالها من أجل تشكيل بناء مستطيل كبير، مقسم إلى مجموعة من الغرف، و واضح أن من حاول اعادة استعمال الحجارة قد اعتمد تقريبا نفس مخطط البناء القديم، إلا أن اسلوب البناء في إعادة الاستعمال و المتميز بالبدائية الشديدة شوه كثيرا من معالم الموقع مما يصعب في غياب تدخل دقيق التعرف على هوية المباني القديمة، هذا و قد لاحظنا وجود علامات على بعض الصخور، إلا أن عوامل التعرية و التلف صعب من امكانية التعرف عليها بشكل واضح، بالاضافة إلى وجود العديد من العناصر المعمارية كعتبات الأبوب و أعمدة من الحجارة.

في القسم الثاني من الموقع وعلى بعد حوالي 200 م من القسم الأول توجد مجموعة من المعاصر المحفورة في الصخر وعددها ثلاثة، اثنتان في حالة سيئة أما الثالثة ففي حالة جيدة من الحفظ، وما يميز هذه الاخيرة هو الحوض الكبير (5م × 3.5م) كما أن عمق الحوض أكبر من العمق المعتاد في المعاصر التي وجدت بالمنطقة (بومرجة، عين غراب) مما يحمل على الاعتقاد أن هذه المعصرة خاصة بالعنب.

ويبدو من خلال حالة الموقع المتميز بوجود - بالاضافة للمعاصر - بعض العناصر المعمارية (حجارة منحوتة بأحجام مختلفة) أنه قد تعرض في وقت سابق إلى زلزال شديد، وهو ما يمكن أن نفسر من خلاله وجود شقوق معتبرة على الصخور ووجود بعض الصخور التي حفرت فيها المعاصر مقلوبة.

الصورة 47: حجارة منحوتة على استقامة مشكلة بناية مستطيلة

الصورتان 48، 49: عتبات ابواب

الصورة 50: بقايا معصرة محفورة في الصخر

لصورة 51: حوض كبير لمعصرة

11- قلعة القلة.

الاقليم	بلدية اولاد احبابة- دائرة الحروش
الاحداثيات	36°30’53.50N 6°55’59.66E
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الاضافي بقرار ولائي يحمل رقم 1348 مؤرخ في 14 نوفمبر 2010.
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

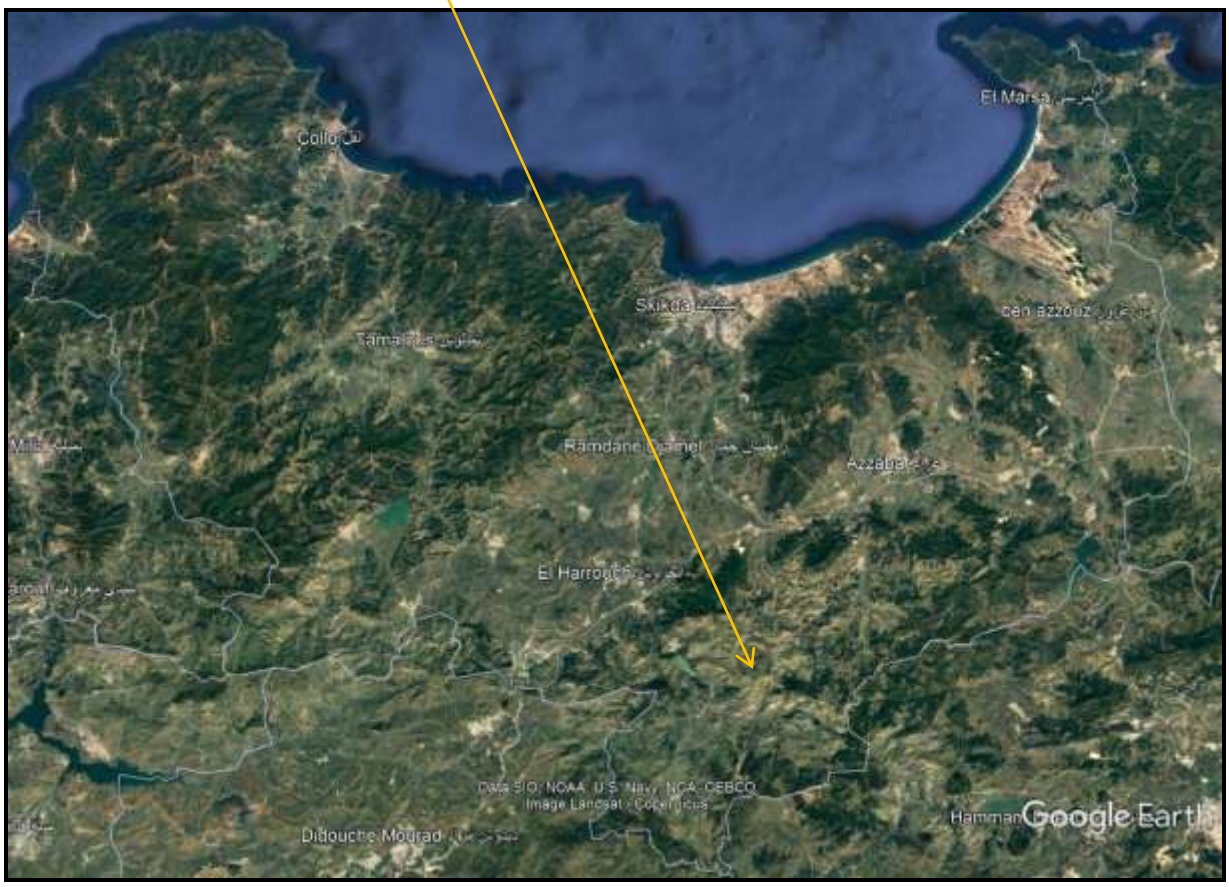

1-الموقع الجغرافي:

يوجد هذا الموقع على بعد 2 كم في الجهة الشمالية الشرقية لمقر بلدية اولاد احبابة متوضعا على ربوة تطل على مساحات واسعة من المنطقة في نطاق سلسلة جبال قسنطينة التي تزداد حدة كلما اتجهنا غربا.

2-الوصف:

تعتبر قلعة القلة من بين أكبر المواقع الأثرية حجما بالولاية وكان يمكن أن يكون هذا الموقع نموذجيا لو تسنى القيام فيه بحفريات مبرمجة، إلا أن الظروف التي عرفها الموقع أدت إلى تشويهه أكثر واتلاف العديد من أثاره، سواء من خلال أعمال النهب والحفر العشوائي أو من خلال توسع المساحة الزراعية على حساب مساحة الموقع.

يحتل الموقع حاليا مساحة تزيد عن 4 ه، حيث تقلصت هذه المساحة لتشمل فقط الربوة التي تعلو المنطقة والتي لم يتسن للمزارعين استغلالها في المجال الفلاحي، علما أن أكثر الأجزاء كثافة بالمادة الأثرية هي تلك الواقعة على المنبسط الأرضي بالجهة الشمالية الغربية من الربوة.

وقد وجد بهذا الموقع عدة هياكل مبنية كلها تحت مستوى سطح الأرض، بحيث لا يبدو من السطح سوى بعض الحجارة المنحوتة على استقامة واحدة وعتبات الأبواب وعدة عناصر معمارية مختلفة (حجارة منحوتة، أجزاء اعمدة رخامية ومن الحجر، تيجان وقواعد أعمدة قرميد، آجر، أنصاب ...) متناثرة في انحاء الموقع وحتى بأماكن خارج محيط الموقع على شعاع يزيد عن 500 م أو أكثر، وقد أخذت بعض هذه القطع ووضعت بساحة ـأمام مقر بلدية اولاد حبابة، بينما تم نهب الكثير من القطع الأخرى ومنها قطع نقدية تعود إلى الفترة الرومانية مثلما أفادنا به شهود عيان، كما أن الأحراش الغابية التي تغطي أغلب أجزاء الموقع أعاقتنا عن القيام بعملية مسح شاملة.

وقد حاولت مديرية الثقافة للولاية حماية هذا الموقع سنة 2012 من خلال مشروع مخطط حماية المواقع الأثرية واستصلاحها (PPMVSA) إلا أن هذا المشروع توقف في طور الدراسة لأسباب لم يتسن لنا الاطلاع عليها.

كما نشير أنه لم يعثر إلى اليوم على أي نقيشة أو كتابات تفيدنا بمعطيات عن الموقع إلا أن يكون الموقع عبارة عن ضيعة فلاحية كبيرة أو محطة هامة لم تشر إليها المصادر القديمة.

الصورة 52: منظر عام لموقع القلة

صور تمثل مختلف العناصر الأثرية بموقع القلة

صور لبعض القطع الاثرية لموقع القلة

12- اخماخم.

الاقليم	بلدية اولاد احبابة- دائرة الحروش
الاحداثيات	36°33’02.87’’N 6°55’35.83’’E
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الاضافي بقرار ولائي يحمل رقم 538 مؤرخ في 08 أفريل 2013.
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

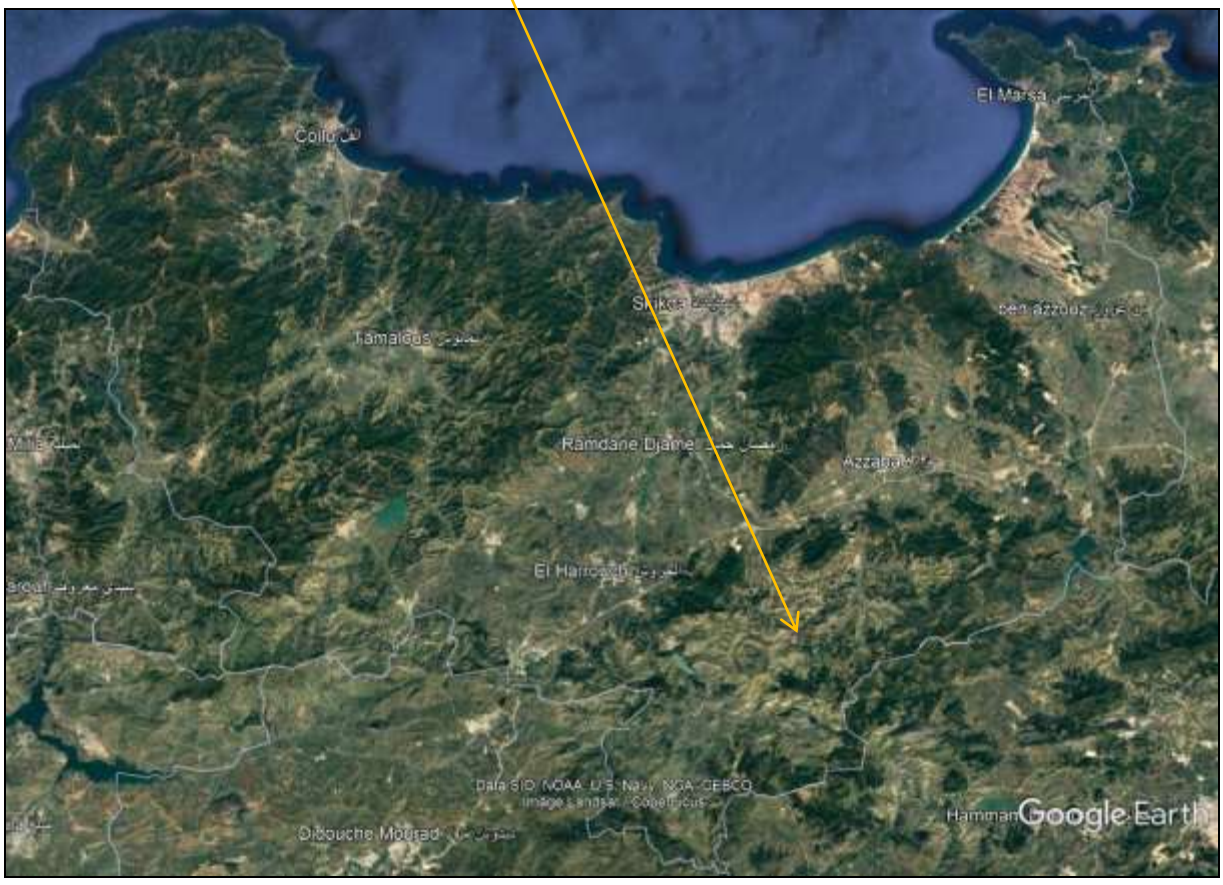

1-الخصائص الطبوغرافية: يتواجد ضمن نطاق شبه حضري، حيث يتوسط قرية اخماخم الصغيرة التابعة اقليميا لبلدية زردازة.

2-الوصف: اكتشف الموقع بالصدفة سنة 2011 خلال القيام بأعمال التهيئة، مما استدعى التدخل و اتخاذ الاجراءات المناسبة من طرف بعثة المركز الوطني للبحث في علم الاثار (CNRA)، أين أجريت حفرية انقاذية على مرحلتين، تم في الأولى التعرف على بعض أجزاء الموقع بينما استكمل في المرحلة الثانية جمع بقية المعطيات و التعرف على امتدادات الموقع الذي يتربع على مساحة تفوق حوالي 500م^2، و يتميز الموقع بوجود مجموعة من الأسوار ذات التقنية (opus africanum) على ارتفاعات متباينة لم تتجاوز في أحسن الأحوال 1 م مشكلة عددا من الغرف المستطيلة الشكل يزيد عددها عنستة أو سبعة غرف مع وجود عدة مداخل مثلما دلت عليه عتبات الأبواب المكتشفة عند كل غرفة، كما وجدت خلال أشغال الحفريتين عدة بقايا أثرية أخرى متمثلة في عدد من كسر فخار السيجيلي و بعض النقود المتأكسدة و يلاحظ أيضا من خلال وجود القرميد في حالة انهيار على مستوى الأرضية و بعض أثار الحرق أن البناء ربما قد تعرض في وقت ما للاعتداء.

ومن خلال جمع المعطيات المتعلقة بهذا الموقع اتضح أنه يعد امتدادا لمجموع المواقع الأثرية التي يزخر بها اقليم بلادية اولاد احبابة (قلعة القلة، عين سلامات، كتف ونار..) والذي عرف استيطانا رومانيا معتبرا، وبالتالي فالموقع يمكن أن يهود لضيعة رومانية كبيرة.

بقي أن نشير في الأخير إلى وجود سور داعم من الحجارة الكبيرة على مستوى الضفة الشرقية للوادي المجاور للموقع (وادي بوحاجب) ما يحملنا على الاعتقاد بكونه كان يشكل حاجزا مائيا لجمع مياه الوادي واستغلالها للسقي قديما.

الصورتان 56، 60 للحفرية الانقاذية بموقع اخماخم

الصورتان 61، 62 للحفرية الانقلذية بموقع اخمتهم

الصورة 63: كسر فخارية من نوع السجيلي بالموقع **الصورة 64:** تاج كورنتي من الرخام

13- الخربة.

الاقليم	بلدية اولاد احبابة- دائرة الحروش
الاحداثيات	36°35’58.21’’N 6°53’41.32’’E
الوضعية القانونية	مسجل في قائمة الجرد الاضافي بقرار ولائي يحمل رقم 471 مؤرخ في 09 ماي 2011.
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

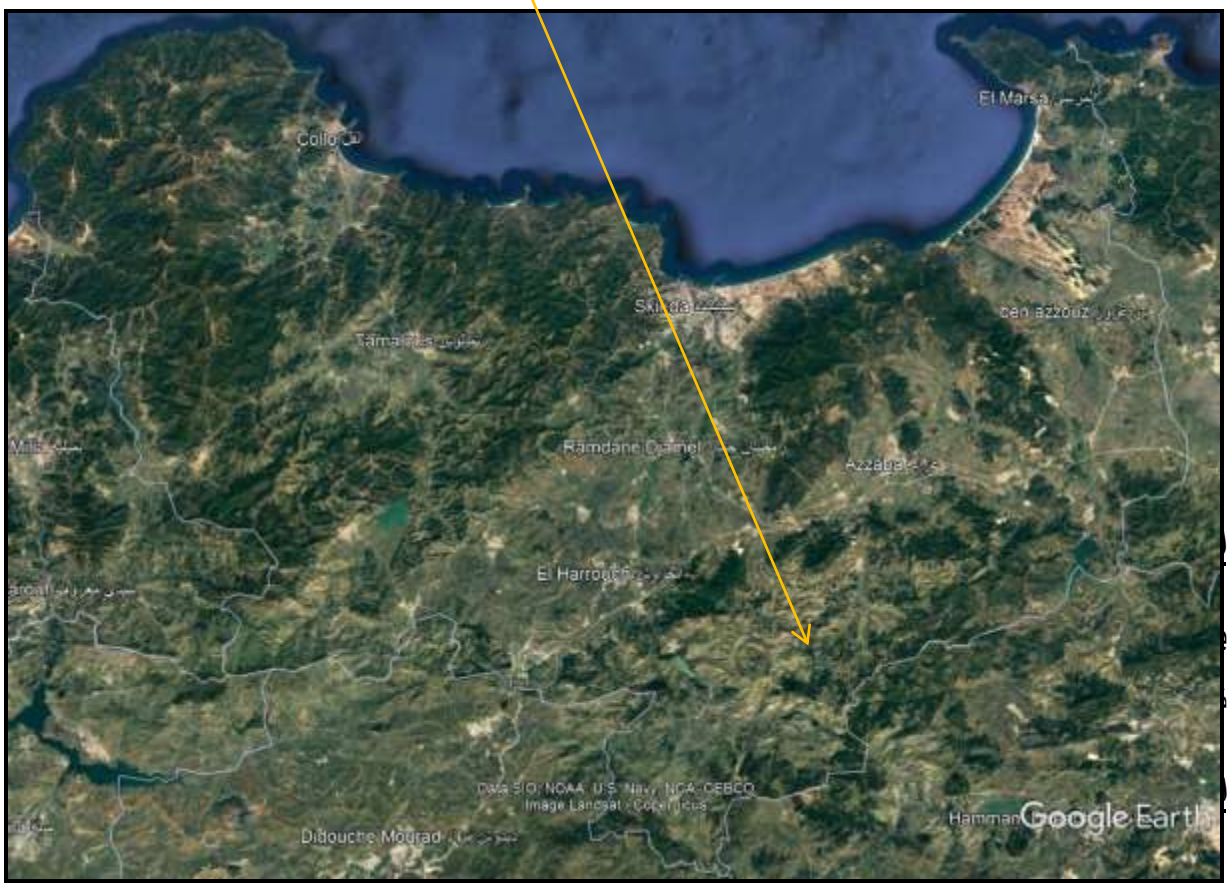

عثر على هذا الموقع أثناء القيام بأشغال تهيئة لإقامة سكن ريفي لأحد الخواص في الجهة الشمالية الشرقية للمدينة بمنطة عين نعمون، أين تم العثور على بقايا لعناصر معمارية متمثلة في أعمدة حجرية و حجارة منحوتة، و من خلال الحفرية الانقاذية التي جرت من طرف بعثة وزارة الثقافة في شهر جويلية 2009 اتضح أن الموقع عبارة عن مسكن قديم (الفترة الرومانية) يتكون من غرفتين مبلطتين بصفائح حجرية، كما عثر خلال تلك الحفرية على قطع نقذية في حالة متقدمة من الأكسدة و مسمارين و مجموعة من الكسر الفخارية الرومانية (قراميد، جرار)، و عموما فقد اقتصرت الحفرية فقط على القطعة الأرضية التي تم تهيئتها لاقامة السكن، بينما يوجد بأنحاء الموقع حول هذه القطعة عدة بقايا أثرية متنوعة أغلبها عبارة عن حجارة منحوتة متناثرة في كل مكان نتيجة حركة التعمير في الفترة الأخيرة، هذا و قد اطلق على الموقع في السابق اسم الخربة بسبب تلك الاثار المتناثرة.

كما لاحظنا العديد من النقاط الأثرية بمحيط مدينة زردازة، منها تلك المتواجدة على مستوى المقبرة في الجهة الغربية وتتمثل في بقايا جدران بنيت وفق تقنية الملء وكذلك نقيشة جنائزية منفذة على قطعة حجرية غير منتظمة، بالاضافة إلى عدة اكتشافات سابقة مثلما تعكسه لنا الباحة الأمامية لمقر بلدية زردازة التي خصصت لاحتضان مجموع القطع الاثرية التي عثر عليها بالمنطقة.

الصورة 65: تبين جدران بناية من غرفتين خلال الحفرية الانقاذية

الصورة 66: للحفرية الانقاذية

الصورة 67: لمسامير معدنية

الصورة 68: لقطع نقذية من البرونز

الصور تمثل مجموعة من العناصر الاثرية في الجهة الغربية من موقع الحفرية الانقاذية.

14- العاذر

الاقليم	بلدية اولاد احبابة- دائرة الحروش
الاحداثيات	E 36° 34'' 20.6 f 06° 52' 48.7
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

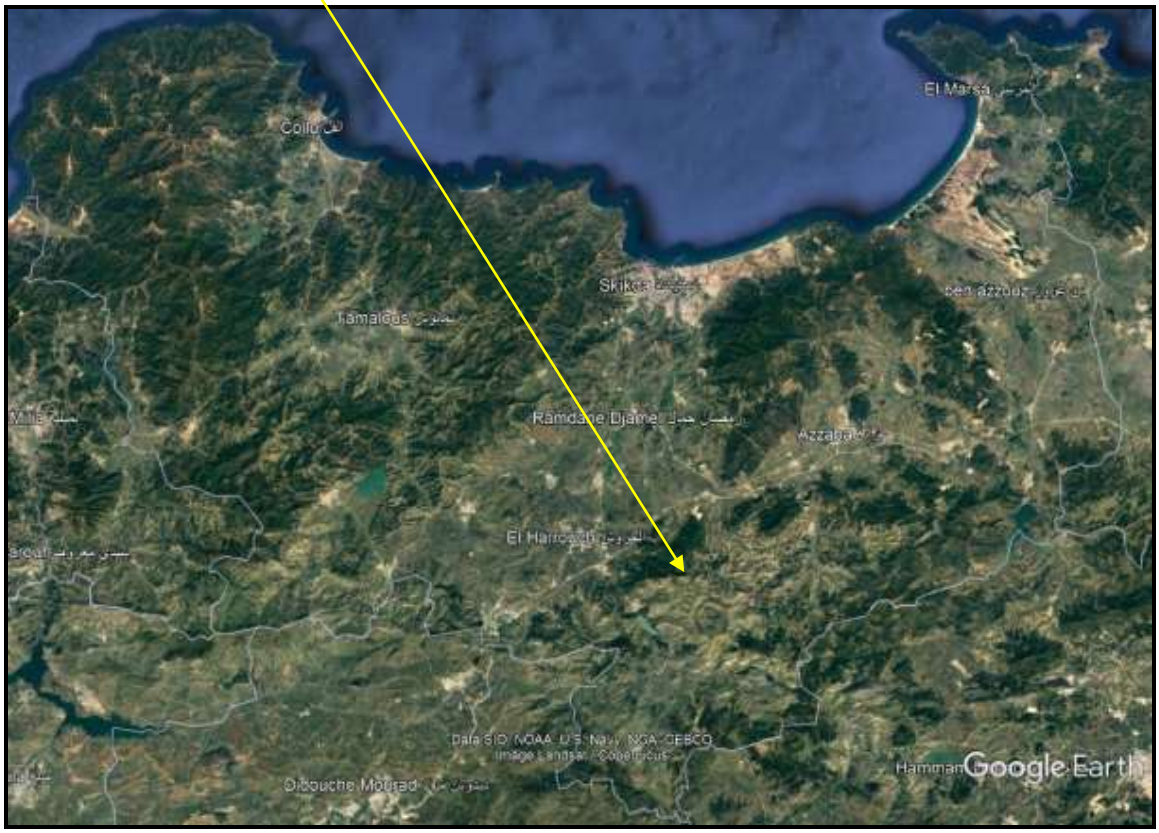

1-الموقع الجغرافي:

يوجد الموقع بالقرب من جبل العاذر، بدوار خندق عسلة على بعد حوالي 4 كم في الاتجاه الشمالي الغربي عن مقر بلدية زردازة بدائرة الحروش ضمن نطاق جبلي، بالجهة الشرقية لسلسة جبال قسنطية.

2-الوصف:

يتميز الموقع بوجود أثار رومانية متنوعة، حيث لاحظنا على مساحة تبلغ حوالي 1 ه وجود أسوار منتظمة على مستوى سطح الأرض مثلما دلت عليه الحجارة المنحوتة ذات الاستقامة الواحدة مشكلة بالتالي فضاءا مستطيل الشكل، و قد لوحظ استعمال في نظام البناء تقنية النظام الافريقي (Opus Africanum)، كما تم العثور أيضا في وقت سابق أثناء قيام مالك الأرضية (زاحي) بحفر بئر و على عمق 1 م على عناصر معمارية تمثلت في عمود حجري رباعي الأضلاع بطول 1.62م و قاعدة عمود دائرية بقطر 0.45م بالاضافة إلى القراميد التي وجدت في حالة انهيار.

كما وجدت أيضا بأنحاء الموقع أثار معصرة للزيت في شكل قطعتين لمضادات الثقل وأجزاء أحواض وكذلك بعض أثار للدفن بالقرب من جبل العاذر (عظام بشرية) وقطعة نقذية في حالة أكسدة متقدمة.

وعموما فإن المخلفات الأثرية بهذا الموقع تحمل على الاعتقاد بأن الأمر يتعلق بضيعة رومانية لأحد الشخصيات المهمة بالمنطقة.

15- **الباصو**

الاقليم	بلدية الباصو- دائرة الحروش
الاحداثيات	36°37’35.82’’N 6°25’19.50’’E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

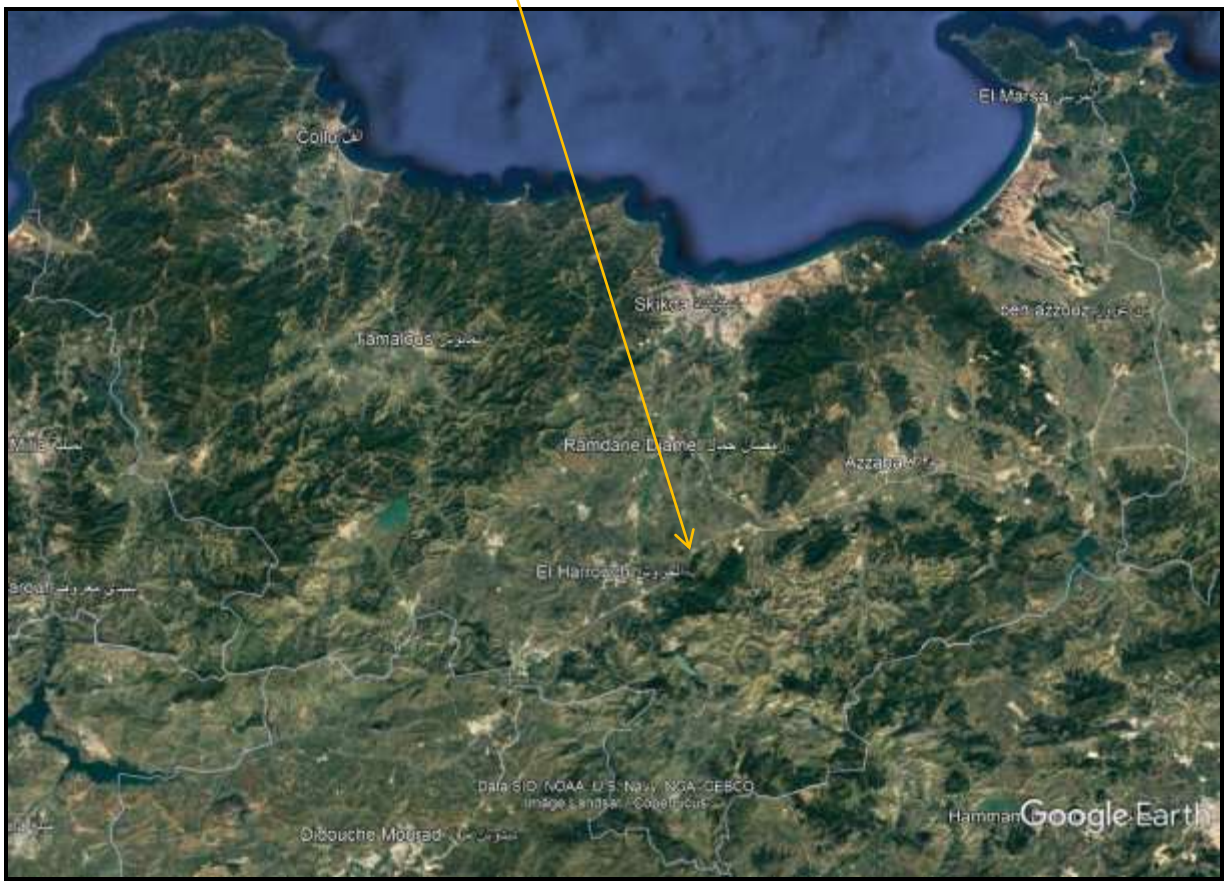

1-الموقع الجغرافي: يقع على بعد حوالي 4.5كم بالجهة الشرقية لمقر بلدية الحروش وحوالي 800 م بنفس الاتجاه عن قرية الباصو، عند دلتا واديي الصفصاف ومحيقني، ضمن نطاق طبوغرافي يتميز بالتضاريس الجبلية التي تتخللها منخفضات سهلية واسعة.

2-الوصف:

أهم ما يميز الموقع وجود حاجز أو سد روماني، بني بواسطة الحجارة المنحوتة وحجارة الملء في شكل حاجز مائي عند مصب واد محيقني، يفوق طول السد 20 م وعرض 1.30م، أما الارتفاع فهو يتباين ما بين 0.80 م إلى 1.10م، يتوسط السد خرق بقطر 30 سم يسمح بنفاذ الماء نحو الحوض الكبير بالاضافة إلى عديد الفتحات الصغيرة على امتداد الحاجز.

يتكون الحوض الكبير من سرير الواد المشكل في معظمه من قاع صخري وجدار داعم على مستوى الضفة الشرقية للوادي حيث يزيد طوله عن 30 م، وقد بني الجدار بواسطة حجارة الملء، تتخلله أعمدة مبنية بواسطة الحجارة للربط وإعطاء تماسك أقوى للجدار.

في نهاية الحوض الكبير على مسافة 50 م من السد وعند نقطة التقاء الواديين (وادي محيقني وواد الصفصاف) توجد أثار جدار على مستوى الضفة الغربية لوادي محيقني يفترض أنها كانت تمثل قديما جدارا يمتد الى الضفة المقابلة كمغلاق للحوض الكبير.

من خلال عملية المسح على امتداد ضفة الوادي لم نعثر على أي قناة أو منشأة مائية، مما يرجح أن وظيفة السد هي بالأساس حجز المياه على مستوى الحوض والابقاء على منسوب مياه الوادي في حالة جريان دائم ومنتظم، خاصة وأن منبع مياه وادي محيقني تتميز بتدفق عالي، وبالتقاء مياه هذا الاخير مع مياه وادي الصفصاف فإن الكمية الناجمة عن ذلك تكون معتبرة وتضمن تزويد المنطقة بالحاجة الضرورية من المياه بشكل دائم طوال السنة وخلال مواسم الجفاف.

كما لا حظنا بمحيط الموقع وجود العديد من المخلفات الأثرية المتمثلة في حجارة منحوتة وبقايا جدران غير واضحة المعالم، بالاضافة إلى وجود طريق يظهر من خلال بعض المقاطع المهيأة منه أنه يعود إلى الفترة الرومانية وأنه من المحتمل أنه كان ينطلق قديما من الحروش (بالما) نحو بكوش لخضر(ندبوس).

صورة للحاجز المائي بواد محيقن

صورة للحوض الصخري

صورتان للجدار الذي بني مع حافة الوادي

16- الحامة (بن عزوز)

الاقليم	بلدية بن عزوز- دائرة بن عزوز
الاحداثيات	36°37’35.82’’N 6°25’19.50’’E
الوضعية القانونية	مسجل
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

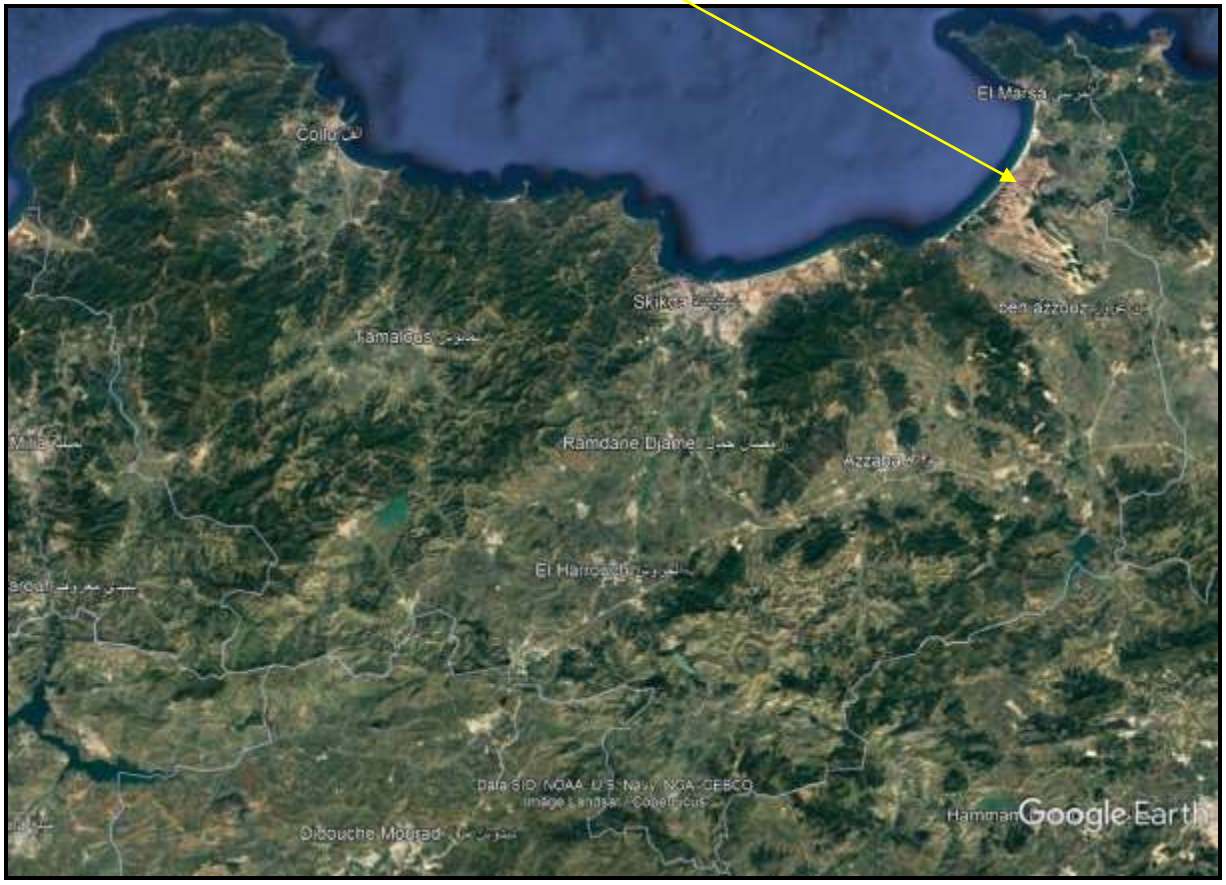

1-الموقع الجغرافي:

2-الوصف:

يعتبر هذا الموقع مثالا حيا عن المواقع التي تعرضت عبر مختلف مناطق الولاية للتخريب و الاعتداء، فرغم أن الموقع يحظى بالحماية القانونية من خلال تسجيله ضمن قائمة الجرد الاضافي للولاية، إلا أن ذلك لم يقف حائلا أمام الاعتداء عليه، جهلا بالتراث الأثري و ما يكتسيه من الاهمية البالغة في اضفاء لونا من العراقة و الامتداد التاريخي على المنطقة ، فقبل عشر سنوات من الآن كان الموقع غنيا بالعناصر الأثرية الدالة على مدى عمق و تجذر الاستيطان القديم بالمنطقة، إلا أن الجهل دفع بالجميع إلى ازالة معظم هذه العناصر لصالح المقبرة و لصالح أغراض أخرى كان يمكن ايجاد فضاءات أخرى لها بسهولة.

وتشير الأثار التي كانت موجودة من قبل، كما يمكن ملاحظته من خلال الصور التي التقطت حينها، إلى تواجد مجموعة من البنايات القديمة مثلما تعكسه بقايا الجدران المتهدمة والحجارة المنحوتة والموضوعة على استقامة واحدة، وكذا مجموعة من الآبار الرومانية التي ترتفع فوهاتها الاصلية عن سطح الأرض بحوالي 30 سم، بالاضافة إلى وجود مجموعة من المطامير، كل هذه العناصر تعرضت للاعتداء ومحيت تماما من سطح الأرض، ولم يبق من الموقع إلى بعض العناصر القليلة التي تشوهت وفقدت كثيرا من صورتها الأصلية.

الصورة ا: بقايا بنايات متمثلة في جدران بنيت بتقنية الملء.

الصورة ب: تقنية الملء remplissage التي بنيت بها جدران الأبنية.

الصورة ج: حجارة منحوتة على موضوعة على استقامة واحدة.

17- فلفلة

الإقليم	بلدية فلفلة- دائرة فلفلة
الاحداثيات	36°37’35.82’’N 6°25’19.50’’E
الوضعية القانونية	غير مسجل
الفترة التاريخية	الرومانية
البيبليوغرافيا	غير منشور

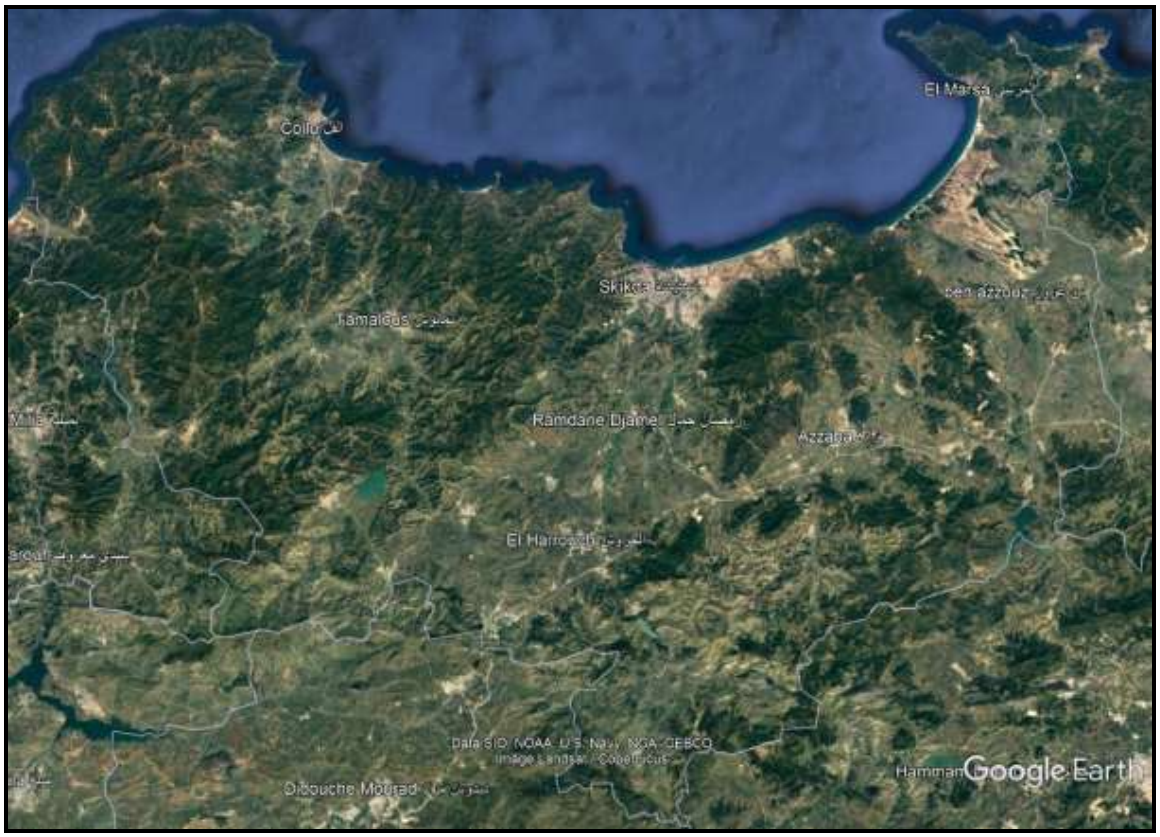

1-الموقع الجغرافي:

يوجد الموقع على بعد حوالي 3 كم شرقا من مقر بلدية فلفلة، بأعلى جبل فلفلة الذي يعتبر امتدادا لسلسلة جبال العالية، والذي يتميز ليتولوجيا بالتنوع الكبير.

2-الوصف:

موقع فلفلة من أشهر المواقع المعروفة بالولاية، وقد أشير منذ القديم إلى هذه الشهرة كما مر معنا في وصف صولان للمنطقة من أنها تشتهر بانتاجها لأجواد أنواع الرخام بنوميديا، ولا أدل على ذلك من أن تكون روسيكاد واحدة من بين أجمل مدن افريقيا الرومانية لوقوعها بالقرب من المقلع الرخامي لفلفة الذي لا يزال إلى اليوم رغم القرون الطويلة يقدم انتاجا وفيرا لمادة الرخام.

وقد عثرنا بالمقلع خلال معاينتنا له على بعض أثار الاستغلال القديم للرخام، إلا أن بقاء المقلع حيز الخدمة طيلة السنوات الطوال أدى إلى اختفاء الكثير من هذه النقاط، حيث لاحظنا في بعضها أثار القلع المتمثلة في ثقوب مربعة وأثار للخرز الطولي في شكل حزوز طويلة، بالاضافة إلى اثار الطرق بواسطة الازاميل.

وعموما فإن ما يتوفر عليه المقلع من أثار للاستغلال القديم يحتاج إلى بحث دقيق ومعمق للتعرف أكثر على التقنيات التي اتبعت في عملية الاستغلال، وكذلك للتعرف على الطرق التي كان ينقل من خلالها الرخام إلى مدينة روسيكاد، والتي نرجح أن هناك ميناء قريبا كان مخصصا لذلك بدل الطريق البري الذي يسنزف كثيرا من الجهد والوقت حتى في وجود طريق سالك لذلك مثلما مر معنا.

الصور 85،86،87: أثار قديمة لعمليات قلع الرخام

قراءة تحليلة للمواقع والآثار الريفية الرومانية:

من خلال ما تم استعراضه من البطاقات التقنية لمختلف المواقع عبر ربوع اقليم ولاية سكيكدة، نلاحظ أن الاثار الرومانية بالمنطقة قد انتشرت بشكل كبير، إلى درجة أنها غطت جميع تراب الولاية، حيث أننا نجدها ممتدة عبر سواحل الخليج النوميدي ونحو داخل الأراضي بشكل متوازن تقريبا، وهو ما يعكس مدى التجدر العميق للاستيطان الروماني بالمنطقة. (انظر خارطة توزيع المراكز والأثار الريفية الرومانية ص259).

فقد لاحظنا أنه و على امتداد الساحل النوميدي تتواجد العديد من المحطات و المراكز البحرية مما يدل على نشاط بحري مكثف، فانطلاقا من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق عاينا العديد من الآثار التي تتشابه تقريبا في بنيتها الأثرية، و ذلك بكل من واد زهور، مرسى الزيتون، القل، لقصر، زقور، وادي بيبي، وادي طنجة، الشاطئ الكبير، سكيكدة، فلفلة، المرسى، سيدي عكاشة، ففي كل هذه النقاط وجدت بقايا رومانية، بعضها مع الأسف اندثر تماما سواء في الفترة الأخيرة على غرار أثار وادي زهور و بعضها كان قد اندثر حتى في الفترة الاستعمارية، حيث أشير إليها بشكل ضبابي في بعض وثائق تلك الحقبة .

ومن بين النقاط التي سلمت من حالة الاندثار نجد بعض المواقع التي لحسن الحظ توفر مجالا خصبا للدراسة، علما أنه لم تجر بها إلى اليوم أي دراسات علمية، منها مواقع كل من وادي بيبي، وادي طنجة وشاطئ لقصر، ففي هذه المواقع عثرنا على اثار رومانية كثيفة ما تزال في مجملها في حالة حفظ تسمح بالقيام بدراسات ميدانية، كما انها تكتنز بالمعطيات التي بإمكانها تزويدنا بطبيعة النشاط الذي عرفته هذه المحطات من خلال التعمق في دراسة عناصرها الأثرية.

والملاحظ على هذه المواقع هو التشابه الكبير في بنيتها الأثرية، حيث تتشكل من مجموعة من الخزانات المائية والأبنية المرفقة، كما أنها تتموضع بجانب الشواطئ، واستعملت فيها تقريبا نفس تقنيات ومواد البناء مما يدل على أنها متزامنة، كما أننا لم نعثر في هذه المواقع على ما يدل على النشاط العسكري، إذ يبدو أنها كانت موجهة إما للنشاط البحري أو نشاطات اقتصادية أخرى كالبحث عن المعادن أو استغلال الثروة الخشبية والحيوانية للمنطقة.

و يعتبر موقع الملاحة بوادي بيبي من بين أهم و أكبر هذه المواقع و أغناها بالعناصر الأثرية، حيث مكن موقعه البعيد و المعزول من حماية تلك الأثار، و لو أن ذلك لم يمنع من تعرض الموقع في الآونة الأخيرة إلى الاعتداءات المتكررة من طرف الباحثين عن الكنوز، الذين قاموا بتخريب العديد من أجزاء الموقع عن طريق الحفر في عدة نقاط منه (الصور42-43 ص 370)، خاصة على مستوى الخزان المائي الكبير، بالإضافة إلى تعرض الموقع نفسه على مستوى اللسان البحري الذي أقيمت عليه أغلب الابنية إلى انهيار حوافه نتيجة نشاطات زلزالية، و في الحقيقة إن هذه الاعتداءات قد مست جميع مواقع الولاية و ليس فقط

هذا الموقع، حيث نجد أثار هذه الاعتداءات في كل من موقع وادي طنجة و موقع لقصر و في جميع المواقع تقريبا في عموم اقليم الولاية.

وتعكس لنا المخلفات الأثرية بموقع وادي بيبي مدى التغلغل الروماني في هذه المنطقة، حتى في إطار التضاريس الوعرة، حيث أننا لاحظنا القدرة على تطويع تلك التضاريس وانشاء عليها مرافق ضخمة ومكلفة، مما يدل أن ذلك قد حدث ضمن مخططات استراتيجية ولم يكن عملا معزولا، ويمكن الاعتقاد أن هذه المحطات قد أنشئت بهدف ربط الساحل النوميدي ببعضه واتخاذه كطريق بحري لتعزيز حركية النشاط الاقتصادي بالمنطقة وبغرض تسهيل أيضا المراقبة والسيطرة على هذه الأجزاء الجبلية الصعبة.

و يبدو أن الرومان فيما بعد قد توغلوا داخل الأراضي بالولاية و ذلك عبر المنخفضات السهلية، منخفض وادي قبلي بالجهة الغربية و منخفض وادي الصفصاف وسط الولاية و منخفض الوادي الكبير غربا، حيث تم العثور أكثر عبر هذه المنخفضات على أثار رومانية في مقابل قلتها ضمن سلسلة الجبال التي تتخلل تلك السهول، حيث أشير إلى العديد من الأثار الرومانية مثلا في الرحلة العلمية للوسياني بالجهة الغربية إلى تركيز معتبر للأثار عبر منخفض وادي قبلي إلى غاية كاستلوم كلتيانوم، و نفس الأمر بالنسبة لرحلة ريبو Rébout عبر وادي قبلي، فقد أشير في هاتين الرحلتين إلى عدة أثار بكل من ضواحي القل، كركرة، تمالوس، بني والبان، و التي ما يزال بعضها موجودا إلى اليوم (الصورتان53-54 ص 374).

و نفس هذه الملاحظة حول الانتشار الكثيف للأثار الرومانية عبر منخفض وادي قبلي يمكن سحبها على المنخفضات الكبرى بالولاية، فعبر منخفض الصفصاف وصولا إلى حدود ولاية قسنطينة عثرنا على تركيز عال للأثار و كذلك بمحيط الوادي الكبير، و يمكن تفسير ذلك برغبة المعمرين الرومان وضع أيديهم عبر هذه المناطق على الأراضي الفلاحية الخصبة، إذ و كما يشير إلى ذلك المؤرخ الجزائري الكبير محمد البشير شنيتي:" أن السيطرة الرومانية على امتداد خمسة قرون - قد ارتبطت- بالاستغلال الاقتصادي المكثف الذي ركز على الزراعة بوجه خاص".[7]

إذن، فقد أدى الاستغلال الزراعي من طرف المعمرين أو الارستقراطية الرومانية بتوسيع الانتشار الروماني بالمنطقة، و فرض شكل من التنظيم الريفي الذي أعتمد أساسا على وحدة نموذجية قاعدية مثلما يطلق عليها فليب لوفو و هي الضيعة الفلاحية (VILLAE)، حيث يعتبر أن تنظيم الفضاء الريفي بشمال افريقيا حديث الدراسة و يحتاج إلى الكثير من الحفريات حتى يتسنى وضع تفسيرات علمية دقيقة لطريقة انتشاره، "و لكن بالاعتماد على ما تم جمعه من المعطيات و المعارف يمكن الاقرار بأنها متنوعة حتى داخل المقاطعة

[7] محمد البشير شنيتي، التوسع الروماني نحو الجنوب وأثاره الاقتصادية والاجتماعية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، عدد جانفي 1977، ص3.

الواحدة، اذ نجد تقريبا في كل مكان النموذج القاعدي (VILLAE)، تجمعات، سكنات معزولة"[8]، و هو الأمر الذي ينطبق على اقليم دراستنا، ففي أغلب المواقع التي عايناها نجد نفس النمط العمراني، و المتمثل في الضيعات الفلاحية التي قد تختلف في بعض الجزئيات البسيطة تبعا لمناطق انتشارها، بالإضافة إلى تجمعات و سكنات محدودة و معزولة، و يغلب على جميع المواقع الريفية بالولاية الأثار الفلاحية المتمثلة في مضادات الثقل و معاصر الزيتون و العنب المحفورة في الصخر و الخزانات المائية، كما أنها غالبا ما تكون مصحوبة بأشجار الزيتون العتيقة، و أخيرا فإننا نجد أن هذه الأثار منتشرة أكثر بمحيط المراكز الحضارية الكبرى أو قريبة منها و ذلك نظرا لتلك العلاقة الوثيقة التي غالبا ما تربط الريف بالمدينة و يعبر فليب لوفو عن ذلك بالقول: " في العالم الروماني القديم بشمال افريقيا هناك علاقة متبادلة بين المدينة و الريف، فالأولى تمثل مقرا للعلاقات العامة بين مختلف الطبقات، أما الريف فهو يمثل المراكز الفلاحية التي تغذي ثراء الارستقراطية في المدينة"[9].

و هو ما تؤكده على سبيل المثال تلك الآثار الريفية المنتشرة بقوة حول المركز الحضري كاستلوم كلتيانتوم، فحول هذا المركز اكتشفت الكثير من المواقع و التي نظرا لعزلتها و تعرضها للتخريب لم نتمكن من اعداد بطاقات تقنية حولها، إلا أننا قمنا بجمع مختلف الصور التي أخذت لها في وقت سابق من طرف الجمعية المحلية لحماية الأثار ببلدية أم الطوب و بعثات مديرية الثقافة للولاية، حيث نلاحظ من خلالها انتشارا كبيرا لنفس النمط العمراني الريفي الموجود عبر ربوع الولاية من معاصر محفرة في الصخر و ضيعات فلاحية و مضادات الثقل، إلا أن ما يميز أثار بلدية ام الطواب المترامية الاطراف هو وجود أيضا العديد من النقيشات الجنائزية، إذ تم العثور على العديد منها في عدة جهات من البلدية منها تلك التي تزين مدخل إحدى السكنات بمنطقة سيدي قنبر و منها ما أعيد استعماله في إحدى البنايات الحديثة (الصور 62-73 ص 368-370).

و عموما، فإن الأثار الريفية بولاية سكيكدة من خلال المواقع الأثرية التي عايناها و أعددنا لها بطاقات تقنية تتميز بالتنوع و الانتشار في كامل ربوع الولاية، فمن حيث التنوع رأينا أن من المواقع الأثرية ما هو عبارة عن منشآت قاعدية كالحواجز المائية و السدود، و منها القنوات المائية و الآبار و كذلك رأينا المقالع الحجرية و الرخامية، و كل ذلك يدل على أن الانتشار السكاني في الوسط الريفي خلال الفترة الرومانية قد تنوع ما بين الفلاحي و الصناعي، و أن اقليم الولاية في تلك الفترة كان مزدهرا بالأنشطة المختلفة التي فرضتها الحاجيات الضرورية للمنطقة.

[8] Philippe Leveau, l'organisation de l'espace agricole en Afrique à l'époque romaine, collection de l'école française de Rome, Année 1990/134. PP 129-141.
[9] Ibid.

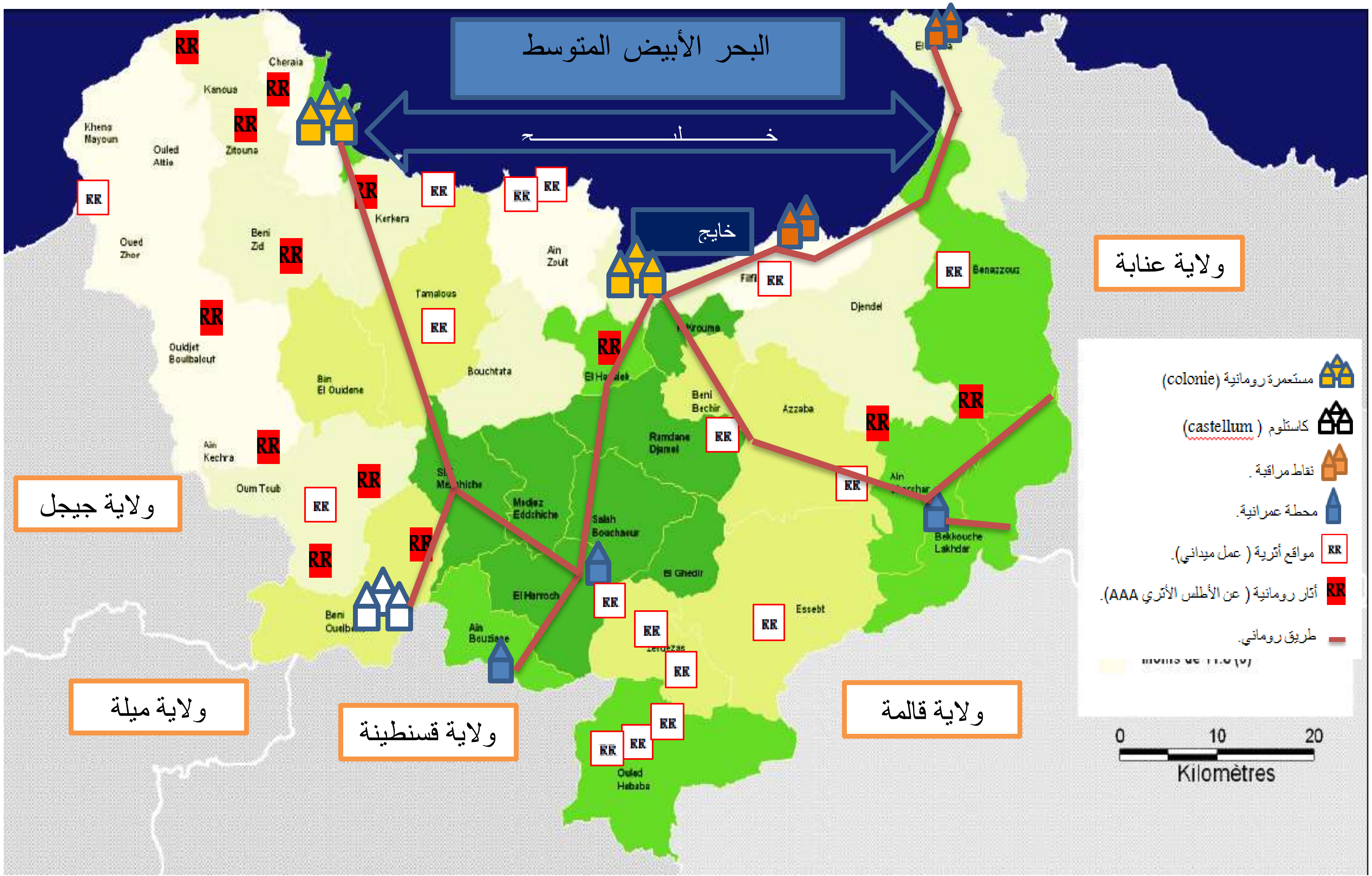

خارطة تمثل توزيع المراكز والأثار الريفية الرومانية استنادا إلى العمل الميداني والأطلس الأثري، مع شبكة الطرق القديمة التي كانت تربط بينها. الطالب

الفصل الرابع

المجموعات المتحفية والدراسة الابيبغرافية.

I. المجموعات المتحفية:

من العناصر الأساسية المساعدة على استكمال دراسة طبيعة الانتشار السكاني بالولاية هي المجموعات المتحفية، حيث تقدم لنا هذه المجموعات نظرة تفصيلية سواء عن الحياة اليومية و كذلك عن مختلف الأنشطة الأخرى، الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، و قد وجدت بالولاية بعض هذه المجموعات هنا و هناك، الا ان أهمها هي تلك المتعلقة بعاصمة الولاية، مدينة سكيكدة، حيث تعتبر من اثرى المجموعات و اكثرها تعبيرا عن تلك التفاصيل اليومية، و قد قمنا خلال في هذا المبحث بتتبع نشأة و مسار الواقع المتحفي للمدينة من البداية الى اليوم، كما حاولنا أيضا الإشارة الى مختلف الفضاءات المتحفية الأخرى بالولاية.

1- متحف فليب فيل Philppeville الأثري:

قبل أن ينشأ لمدينة فيليب فيل فضاءا متحفيا على مستوى المسرح الروماني سنة 1859[1] ثم متحفا خاصا فيما بعد سنة 1898، فإن أثار المدينة القديمة كانت ترسل إما إلى فرنسا أو إلى قسنطية أو إلى العاصمة[2] أو يحتفظ بها في أماكن خاصة لدى بعض الأشخاص المهتمين بالأثار، و كثيرا ما كانت أيضا تطمس و تدفن تحت عمران المدينة الجديدة[3]، ناهيك عن السرقة و النهب الذي كان يحدث بعلم أو بدون علم السلطات التي كانت تشرف على سير الأشغال أثناء إنشاء المدينة.

و قد قدر أحدهم حجم ما تم استخراجه من الأثار خلال تلك الأشغال بأنه " لو تم وضعه بالطريق الرئيسي للمدينة لملأه عن آخره"[4]، و لا يبدو أن هذا الوصف مبالغ فيه، بل العكس هو الصحيح، فتفكيك مدينة كاملة بكل محتوياتها حتما يفترض أن يكون حجم أثارها أكثر من ذلك بكثير، و ما يؤسف له في هذا هذا الجانب هو الصمت الذي رافق اختفاء هذه الأثار دون ترك و لو مجرد إشارة عنها، مما حرم المدينة من حقها العلمي الذي كان بالإمكان أن تفيد به في كتابة التاريخ القديم للمدينة[5].

---

[1] في الواقع هذه هي السنة التي اعتمد فيها فضاء المسرح كمتحف بشكل رسمي، أما البداية فكانت سنة 1845 عندما قام أحد عمال إدارة الجسور والطرق وهو السيد لابوري Laborie بتجميع عدد معتبر من القطع الأثرية بالمسرح، ونتيجة لكون مكتب السيد لابوري بالقرب من المسرح الذي لم يكن حينها مسيجا، فإنه كان يقوم بنفسه في الوقت ذاته بحراستها. (انظر: Bertrand, Op.cit.187.)

[2] وكمثال على ذلك ما أورده ليدرمان من أنه سمع من صديقه الذي كان حاضرا ذات يوم عندما تم استخراج تمثالين من الحجم الكبير بأحد الاحياء واللذان نقلا فيما بعد إلى الجزائر العاصمة. (انظر ليدرمان ص 18). وكذلك ما قام به دولمار الذي كلف بنقل العديد من النقائش والتحف إلى فرنسا وذلك قبل أن يصدر في هذا الشأن قرارا بمنع نقل الأثار من الجزائر إلى خارجها، حيث نقلت العديد من التحف والنقائش إلى كل من متاحف اللوفر وتولون ومرسيليا. انظر Gsell (St)،Musée de Philippeville ; Musée de l'Algérie et de la Tunisie ، Ernest Leroux, Paris 1898. P10

[3] من ذلك ما تعرضت له النافورة العملاقة والتي عثر عليها بالقرب من ساحة ماركي Marqué (أول نوفمبر) حيث تم تحطيم قاعدتها إلى قطع لاستخدامها في بناء الجدار الداعم بينما دفنت بقية أجزاءها تحت الساحة على عمق أربعة أمتار للأبد. Leadermane, Op.cit. P 19

[4] Gsel (st). Op. cit; 1898. P 11.

[5] وقد علق ليدرمان بحسرة كبيرة على التخريب الذي طال أثار المدينة قائلا:" روسيكاد، كانت مدينة معتبرة إذا ما وثقنا بمعالمها التي وجدناها ومسارحها العظيمة، هذه المدينة التي كان من الواجب احترامها وكان بإمكانها اليوم أن تكون في مستوى مدينتي تيمقاد وجميلة من الناحية الأثرية وأن تكون مركزا مهما للابحاث والدراسات.. هذه المدينة تم تدميرها على يد إدارتين كبيرتين على التوالي: الهندسة العسكرية وإدارة الجسور والطرق" Leaderman, Op.cit.p 18

و بالعودة إلى الحديث عن أول فضاء خاص بأثار روسيكاد و الذي كما أشرنا إليه في الهامش كان قد وضع نواته الأولى السيد لابوري Laborie الذي كان يشتغل سائقا بإدارة الجسور و الطرق قبل أن يستكمل المسيرة من بعده السيد: جوزيف روجي Josèphe Roger و الذي تمكن بعد إلحاحه الشديد من استصدار قرارات بلدية بتخصيص مبالغ مالية خاصة بحماية الأثار الموجودة على مستوى المسرح الروماني على توالي سنتي 1853 و 1854، حيث تمثل هذا التخصيص في مبلغ مالي قدره 1000 فرنك على دفعتين، و هو ما مكن روجي من تنظيم القطع الأثرية و بناء مستودع خشبي على مستوى اوركسترا المسرح لاحتضان القطع الصغيرة و القابلة للتلف، و بتاريخ 13 ديسمبر 1859 اعتمد فضاء المسرح الروماني متحفا بشكل رسمي من خلال قرار بلدي أصدره رئيس البلدية الكسندر والي Alexandre Wallet كما تم تعيين روجي كأول محافظ عليه، حيث قام هذا الأخير على امتداد 17 سنة بالسهر بحماسة بالغة على صيانة و إثراء هذا المتحف بمختلف اللقى التي كانت تحدث يوميا بالمدينة أو بضواحيها[6] (الصورتان ص 254 و الصورة 8 ص 353) ، بالإضافة إلى إعداده لكتالوج خاص بمقتنيات المتحف إلى ذلك الحين، إلا أن هذا الكاتالوج الذي لم تطبع منه إلا نسخ محدودة قد فقد و لم يعثر له على أثر إلى اليوم، كما قام أيضا بنشر عدد محدود من نسخ ألبوم خاص بالمتحف تحت عنوان "ruines romaines et musée de Philippeville " و الذي يحتوي على 23 صورة[7].

يبدو أن المحافظين– معظمهم من إطارات البلدية- الذين تعاقبوا على إدارة هذا المتحف فيما بعد لم يكونو بمستوى ذلك الاهتمام و لا الحماس الذين أبداهما روجي إزاء المتحف[8]، و نتيجة لذلك تعرض إلى التدهور و ساءت حالة التحف الموجودة به و تعرضت البناية الخشبية التي كانت تضم مختلف القطع الصغيرة إلى الاهتراء، ما اضطر السلطات البلدية لنقل قسم كبير من التحف إلى الطابق الأرضي لمقر البلدية السابق (مقر المكتبة الشعبية بوسط المدينة حاليا)، و قد أدى هذا النقل إلى كسر و ضياع الكثير من التحف، حتى أن بعض العمال قاموا باستغلال بعض القطع الأثرية كالنقائش و التيجان و القواعد و غيرها في مختلف أشغال البناء الجارية حينها و في ترصيف الطرق[9]، بالإضافة إلى أنه كان يجري سنويا في ذلك الوقت تغيير القطع بالمقر من مكانها خلال المناسبات الرسمية ما أدى إلى اتلاف الكثير من القطع، أما القطع الكبيرة التي بقيت على مستوى المسرح و نظرا لعدم الاهتمام بها و تحت تأثير العوامل الطبيعية فقد تعرضت هي الأخرى إلى التلف..

[6] العيدي طويل، متحف روسيكاد الأثري: 1859، ذاكرة المدينة بين مسار التأسيس وصراع الهوية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5 العدد 11 (ديسمبر 2017). ص 105- 118.

[7] Gsell (St), Op.cit. 1898. P12.

[8] Bertrand (L), Op.cit.p187

[9] Leadermane, Op.cit. p19

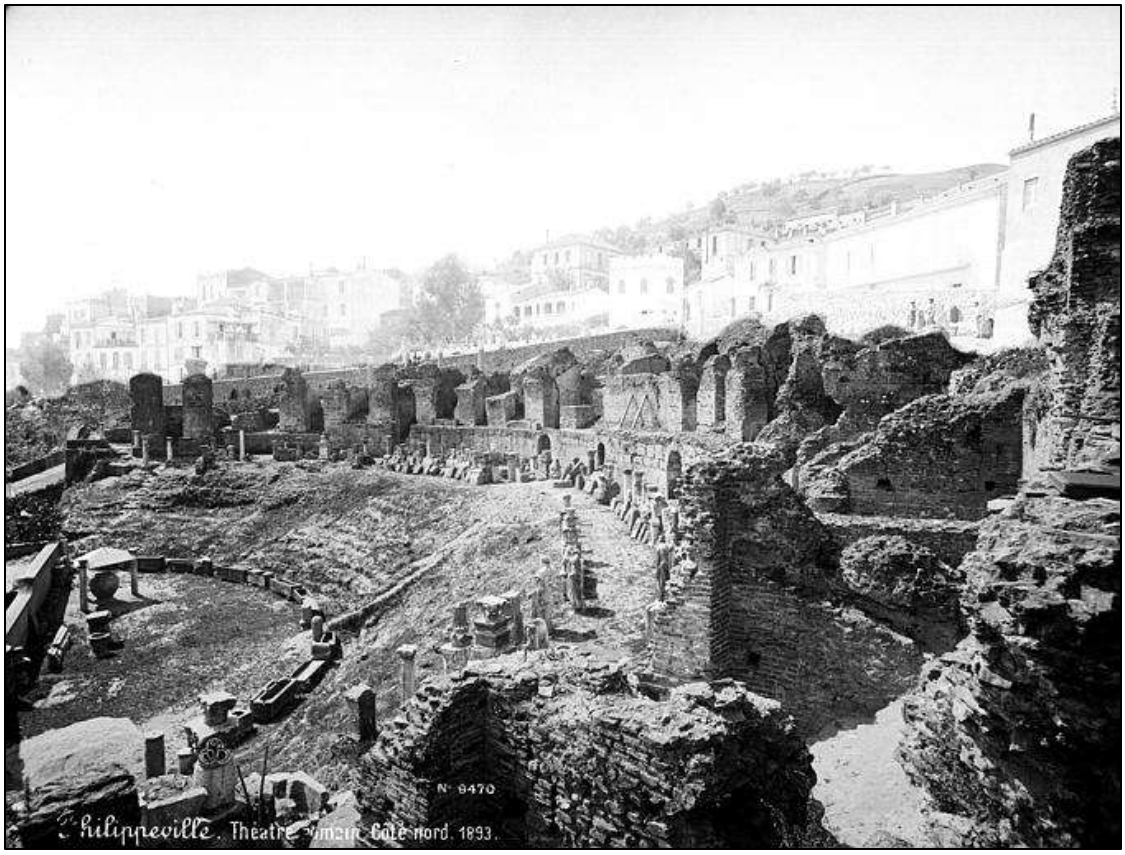

صورتان لأثار روسيكاد بالمسرح الروماني سنة 1893.

و قد استمر هذا الأمر على هذا النحو إلى غاية مجيء السيد لويس برتران الذي كان أول من نادى بضرورة بناء متحف وفق المعايير العلمية لاحتضان أثار روسيكاد و العناية بها، و قد كللت جهود برتران بموافقة السلطات البلدية على المقترح، و تخصيص مبلغ 16000 فرنك لمشروع بناء متحف بالمدينة، كما جمع له من أموال التبرعات ما قيمته 2100 فرنك و من أموال المقاولين 1000 فرنك و أسندت مهمة تصميم المبنى و الإشراف على انجازه للمهندس هنري رانو Henri Ranoux[10].

احتل المبنى مساحة 2726م^2، بين شارعي فالي Vallet (قدور بليزيدية حاليا) وانطوان برونو Antoine Bruno (علي عبد النور حاليا)، وقد بني من طابق أرضي وطابق أول والبناية ككل موزعة على ثلاثة أجنحة، احتوى الجناح الأول (الأوسط) على قاعتين، أولاهما بالطابق الأرضي مخصصة للأثار بينما خصصت قاعة الطابق الأول للفن الحديث.

الجناح الثاني بالجهة الشمالية ويتكون من قاعة بالطابق الأرضي مخصصة للمسكوكات وتضم 7000 قطعة ما بينها نقود وميداليات، ويوجد أيضا بهذا الجناح مكتب محافظ المتحف.

أما الجناح الثالث و الأخير بالجهة الجنوبية فيتكون من قاعة بالطابق الأرضي مخصصة للأسلحة و قاعة بالطابق الأول خاصة بالأسلحة البحرية، و قد قام بتصميم هذا الجناح المهندس جون بابتيست مارتن Jean Baptiste Martin، بالاضافة إلى تصميمه لحديقة أمامية و سياج المتحف[11]

عموما فقد كان يضم هذا المتحف الذي أعتبر حينها من بين أثرى متاحف الجزائر أكثر من 3000 قطعة أثرية متنوعة، بحيث نجد 61 عمودا ، 52 قاعدة عمود ، 106 من تيجان الأعمدة، 9 تماثيل كبيرة، 6 أنصاف تماثيل، 8 تماثيل صغيرة، 15 تابوت، كل هذه القطع من الرخام ، 174 نقيشة بالإضافة إلى الكثير من القطع الفخارية و أجزاء القطع المختلفة و الزجاج و الفسيفساء و الأدوات القديمة[12] (الصور ص 266) و قد تولى كل من المحافظ لويس برتران و العالم الكبير ستيفان قزال مهمة ترتيب التحف المعروضة بقاعات المتحف مع إعداد كاتالوج خاص بمحتوياته، كما كان برتران قد قام بإعداد كاتالوج خاص بمشاركة ابنه فرونسوا برتران قبل ذلك عندما كانت التحف الأثرية على مستوى المسرح الروماني و قبل أن ينشأ المتحف[13].

[10] Bertrand (L), OP.cit.p188
[11] Bertrand, ibid.
[12] Leadermane, Op.cit.
[13] Gsell (St), op.cit.1898.p 10.

صور لمحتويات المتحف الأثري فليب فيل من الداخل و الخارج.

استمر هذا المتحف إلى غاية العام 1953 حيث نشب به حريق مهول، و هو ما أدى بالسلطات إلى نقل المجموعة المتحفية كلها و إيداعها في أماكن و فضاءات متفرقة بالمدينة، و منها مستودع فساس (مكان محطة نقل المسافرين محمد بوضياف اليوم) و إعادة بعضها إلى المسرح الروماني و كذلك بالطابق الأرضي لمقر البلدية السابق و أقبية عمارات HBM و HLM وسط المدينة و حتى بالملعب البلدي الأمر الذي تسبب في ضياع و تلف أكثر من 50% من القطع الأثرية إلى اليوم، بينما تم تهديم مبنى المتحف و أقيم مكانه عمارة جديدة للسكان أطلق عليها عمارة النخيل و التي رغم مرور السنين لا تزال إلى اليوم تحتفظ بالتسمية القديمة بين أبناء المدينة: " الميزي".

و يبدو أن الوضع قد بقي على حاله بعد حصول الجزائر على استقلالها، إذ لم يلتفت أحد للأثار المشتتة في مختلف الأماكن رغم جردها مبدئيا من طرف المديرية الوطنية للمعالم و المواقع التاريخية سنة 1967، بينما قامت ممثلة المديرية المحافظة: نصيرة بن صديق سنة 1981 برفقة ممثل اليونيسكو و بعض المهتمين بالأثار باقتراح تحويل صرح قصر بن قانة إلى متحف و هذا بعد ما تم اقتراح في الوقت ذاته تصنيفه كمعلم وطني[14]، إلا أن السلطات الولائية قررت تخصيص هذا القصر الذي تم تصنيفه بالخطأ تحت اسم " قصر مريم عزة "[15] كدار للضيوف[16]، و هو ما حرم المدينة من أن تحظى بمتحف لائق في مكان رائع و ذو مساحة شاسعة يمكنها استقبال بالاضافة الى التحف مختلف النشاطات ذات العلاقة بهذا الجانب.

و في سنة 1987 شرع في تهديم مستودع فساس الذي كان يضم أكثر عدد من القطع الأثرية و هو ما أدى إلى اتلاف الكثير منها نظرا للجهل بوجود هذه القطع هناك، ليتجند بعدها أفراد من جمعية التاريخ و الأثار لولاية سكيكدة بالضغط على السلطات البلدية بضرورة التخصيص العاجل لفضاء يحتضن أثار المدينة و عرضها، و هو ما تحقق بعد عناء كبير من خلال تخصيص فضاء الطابق الأرضي للمركز الثقافي احسن شبلي - الذي هو بالأساس عبارة عن خزان مائي روماني - كمتحف بلدي اطلق عليه اسم " متحف روسيكاد البلدي"[17]، و هو المتحف الوحيد بالولاية، بالإضافة إلى الحديقة الأثرية التي أنجزت لاحقا سنة 2008 ضمن مشروع خاص بترميم المسرح الروماني، حيث تم خلال الشطر الأول من العملية استغلال المشتلة بجانب المسرح كفضاء لاحتضان الأثار الموجودة بمدرجات و أروقة المسرح في شكل حديقة أثرية، و هو

---

[14] نصيرة بن صديق تقرير للمديرية الوطنية للاثار والمواقع التاريخية،

[15] أثناء الإعداد لملف تصنيف المعلم، ونظرا للتسرع في إعداد الملف قرئت العبارة الشهيرة فوق مكتب السيد بول كيطولي الذي بنى القصر بشكل خاطئ، ففي الشريط الكتابي بالخط الكوفي المغربي المذهب نقرأ " بني هذا القصر سنة 1914 من طرف النائب بول كيطولي عزة لمريم" وبما أن الكلمتين " عزة لمريم" كانتا فوق بعض فقد قرئت "لمريم عزة" اعتقادا من معدي الملف أنه من الأسماء الشائعة المتداولة بالمنطقة.

[16] محي الدين شبلي، دليل متحف روسيكاد، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 2006.ص 6.

[17] محي الدين شبلي، نفسه ص 8..

ما سنتطرق إليه بشيء من الاستفاضة في العناصر التالية من هذا المبحث، بالاضافة للحديث عن مختلف الفضاءات الاثرية الأخرى و الموجودة في عدة بلديات و دوائر.

2- مجموعة المتحف البلدي روسيكاد:

مثلما سبق ذكره فإن هذا المتحف كان قد انشئ سنة 1987 بعد العثور على مجموعة فساس عند تهديم مستودع صناعة الغليون سابقا، وبالتالي فإن أغلب القطع الموجودة به هي نفسها تقريبا تلك التي كانت متواجدة هناك، والتي تقارب حوالي 200 قطعة من مختلف التحف الأثرية.

و كما سبق أيضا أن ذكرنا فالمتحف عبارة عن خزان مائي روماني قديم يتكون من خمس غرف كبيرة، بني فوقه في البداية ثكنة عسكرية حيث خصص الخزان حينها كمستودع لعلف الأحصنة الخاصة بفرق الفرسان العسكرية، ثم مستودعا لتخزين البضائع فيما بعد و هذا حتى بعد الاستقلال، و قد أجريت عليه تغييرات هامة خلال مختلف الفترات، منها تقسيم غرف الخزان إلى طابقين، حيث يستعمل الطابق الأرضي منها اليوم كمقار للجمعيات البلدية، أما الطابق الأول فاستعمل كمتحف، كما استحدثت بالطابق الأول فتحات كبيرة على شكل رواق يصل الغرف الخمس ببعضها، و يقسم كل غرفة منها إلى جناحين.

و بالتالي، فإن قاعات العرض تبعا لهذا التقسيم تتكون من خمس غرف مقسمة إلى جناحين، حيث توزعت القطع الأثرية فيها دون مراعاة لأي نظام من الأنظمة المعمول بها في المتاحف، كنظام التسلسل التاريخي أو نظام النوع أو غير ذلك من الأنظمة، فالتحف المعروضة في القاعة الواحدة متنوعة و يمكن أن تعود لفترات تاريخية مختلفة، و يعود السبب في ذلك إلى أن الهدف الذي أنشيء من أجله هذا المتحف البلدي البسيط هو الحماية أكثر منه أي شيء آخر، بالاضافة إلى أنه لم يشرف على إدارة هذا المتحف إطارات مؤهلة تسمح بترتيب التحف و تحقيق شروط عرض علمية.

كما توزعت بباحة المتحف الأمامية مجموعة من التماثيل الرخامية (كلها بدون رأس) وبالحجم الطبيعي تقريبا تمثل أعضاء بمجلس الدوكريون، بالاضافة إلى تمثال من البرونز يمثل جاندارك تمتطي حصانا، أما بالباحة الشرقية فنجد مجموعة من التوابيت الرخامية الجميلة ذات النحوت والموضوعات المتنوعة.

و قد قامت وزارة الثقافة سنة 2006 في إطار سياسة الجرد العام للممتلكات الثقافية بجرد كل التحف الموجودة بالمتحف وحتى تلك المتواجدة أيضا على مستوى الحديقة الأثرية و إعطاء كل تحفة أثرية رقما خاصا، علما أن المتحف كان قد تعرض في السابق إلى السرقة، بحيث تسبب ذلك في فقد ست قطع أثرية

ثمينة، منها رأس تمثال من الرخام يمثل الامبراطور ماركوس اوريليوس، و هو الذي استرجع من طرف الانتربول بعد قيام وزارة الثقافة بايداع شكوى متعلقة بذلك لدى هذه المنظمة[18].

وفي المقابل فقد استقبل المتحف بعض التحف المكتشفة حديثا على غرار القبر البوني الذي عثر عليه بمنطقة تيزيغبان سنة 2002 حيث يتواجد هذا القبر بكل عناصره الجنائزية من جرار فخارية ومصابيح و هيكل عظمي في القاعة 03.

وعلى العموم، فسنتعرض خلال هذا المبحث إلى الحديث عن محتويات هذا المتحف والتي تمثل مختلف المراحل التاريخية التي عرفتها الولاية، بدءا من من مرحلة ما قبل التاريخ وإلى غاية انتهاء المرحلة القديمة.

أ- **محتويات المتحف**:

القاعة 1:

- **الجناح الأول**:

توجد هذه القاعة مباشرة عند مدخل المتحف، وقد خصص فيها الجناح الأول للإدارة، بحيث يحتوي على مكاتب خاصة بمسير المتحف والأعوان وخزانة للأرشيف كما يحتوي أيضا على سجل ذهبي.

- **الجناح الثاني**:

يتوسط فضاء الجناح تمثال رخامي بعلو2.10م للامبراطور انطونينوس التقي، و الذي عثر عليه سنة 1855 أثناء تهيئة حديقة القديس فيليب بوسط المدينة[19]، أي بموضع الفوروم قديما، حيث كان يزين مع تماثيل أخرى الساحة العامة (area)، و يلاحظ أن الامبراطور يرتدي زيا عسكريا paludentum مطرزا برسومات تمثل طائرين مجنحين، يتأبط بيده اليسرى سيفا بينما اليد اليمنى تحمل رمحا، إلا أن تعرض التمثال أثناء مختلف الفترات للكسر و خاصة أثناء تهديم مستودع فساس أدى إلى فقده الذراع الأيمن و الأنف و بعض الأجزاء الأخرى و المتواجد بعضها بالمتحف.

بالقرب من تمثال الامبراطور يوجد جزء سفلي لتمثال امرأة من الرخام تم استخراجه من طرف غواصي جمعية نجوم البحر بالقرب من المنارة بسطورة، ويلاحظ أن القطعة قد تعرضت نتيجة لوجودها الطويل

[18] في الواقع يعود الفضل في ذلك للعالم الامريكي هيرمان الذي/ زار المتحف البلدي روسيكاد في إطار اتفاقية مبرمة مع وزارة الثقافة متعلقة بدراسة مصادر رخام القطع الأثرية في الجزائر، حيث علم بأمر هذه القطعة الثمينة والتي وجدها معروضة بإحدى قاعات المزاد العلني بلوس انجلس، غير أن التحفة لم تعد إلى متحف سكيكدة، بل بقيت بالجزائر العاصمة بالمتحف الوطني للآثار القديمة.

- [19] محي الدين شبلي، المرجع السابق، ص6.

تحت البحر إلى التآكل، وفي الطرف المقابل لهذه القطعة، وفوق حامل من الاسمنت يوجد تمثال صغير (50 سم) من الرخام الأبيض دون رأس يمثل إله الخصوبة.

كما يوجد بهذا الجناح مجموعة متنوعة من الأجزاء والشظايا المعمارية (أجزاء أعمدة حلزونية صغيرة للتزيين، ثلاث تيجان كورنثية، قاعدة عمود..) بالإضافة إلى شظايا تماثيل وامفورة من الفخار وعدة بقايا رومانية أخرى.

كما يحتوي الجناح أيضا على طاولة زجاجية تضم مجموعة من القطع النقذية من البرونز ذات أحجام مختلفة تعود في كعظمها للفترة الرومانية.

القاعة 2:

- **الجناح الأول**:

يحتوي هذا الجناح على قطع أثرية متنوعة أهمها ثابوت من الرخام، مزين بنحت بارز يمثل موضوعا ميثولوجيا رومانيا، حيث يظهر لنا صورة المتوفي داخل دائرة يحملها موكبان لإله الخمر (على اليمين) و زوجته (على اليسار) في جو احتفالي بهيج، عثر على هذا الثابوت سنة 1851 بالمقبرة التي كانت داخل سور المدينة من الناحية الجنوبية الشرقية (قرب دار المعلم اليوم) حيث كانت هذه المقبرة موجهة للأغنياء، و يرى قزال أن هذا الثابوت يرجح أن يعود إلى القرن الثالث للميلاد.

كما يحتوي هذا الجناح على انصاف تماثيل من الحجم الصغير موضوعة على حوامل من الاسمنت، وبعض الشظايا وأجزاء الكتابات الموضوعة على حوامل معدنية، وثلاث رؤوس تماثيل بعضها غير مكتمل، بالاضافة إلى ثلاث تيجان كورنثية من الرخام وأجزاء مطاحن القمح وامفورة مستخرجة من البحر.

- **الجناح الثاني**:

يوجد بهذا الجناح ثلاث تيجان كورنثية من الرخام ذات أحجام مختلفة، وقناتين لنقل المياه من الحجر الكلسي، واحدة ذات شكل أسطواني والأخرى مربعة، قطعة فسيفساء باللونين الاسود والابيض جلبت من حي باب الاوراس بالجهة الشمالية الغربية للمدينة، ويوجد إزاءها مجموعة من شظايا ألواح تذكارية عليها كتابات لاتينية مبتورة، وتتميز بحروف منفذة بشكل جيد، كما يوجد نص مكتمل من أربعة سطور منفذة بجودة أقل على قاعدة تمثال.

بالاضافة إلى كل هذا يوجد مدق حجري (جرن) من الحجم الكبير وثلاث طاولات زجاجية، تضم الأولى منها أكثر من مائتي قطعة من النقوذ البرونزية المتأكسدة والعائدة في معظمها إلى الفترة الرومانية، من بينها قطعة للملك النوميذي ماسينيسا.

أما الواجهة الثانية فتضم تمثالا مكسورا من الرخام لشخص لم يتبق منه إلا الساق الأيمن، يوجد بجانبه حيوان خرافي يضع قدما على سلة، و في الواجهة الزجاجية الثالثة يوجد بها نصب بوني (20 سم × 15سم) عليه كتابة نذرية للإلهة تانيت من طرف " سمهاتا بنت ادو نيبعل، ابن حميلقارت"، و قد جلبت هذع القطعة من قرطاجة بتونس خلال الحقبة الاستعمارية من طرف القس جنسبورك[20]، كما يوجد بنفس الواجهة أيضا ست (6) قطع نقذية من البرونز تعود للفترة الرومانية.

القاعة 3:

- **الجناح الأول**:

يحتوي على بعض الحوامل الاسمنتية و الموضوع عليها تماثيل نصفية صغيرة الحجم من الرخـــــــــام (bustes) و بعض رؤوس تماثيل، أحدها من الرخام لامرأة رومانية ذات شعر مموج و مفرق، و الأخر من الحجر الرملي يعود للفترة البونية، كما يوجد تمثال نصفي من الرخام وضع فوق حامل معدني رفقة بعض القطع المختلفة يعود لسيدة رومانية و التي يحتمل من غطاء الرأس و العصابة أنها تعود لفترة حكم الامبراطور هاديارانوس (القرن الأول و الثاني ميلادي)[21].

بالاضافة إلى احتواء هذا الجناح على جزء من قطعة رخامية كبيرة بها منحوتات تمثل شخصين بزي بلدي، وكذلك على تاج كورنثي من الرخام.

- **الجناح الثاني**:

يحتوي هذا الجناح على أربع واجهات حائطية وطاولتين زجاجيتين، تضم الواجهة الأولى مجموعة من الأواني الفخارية (جرار باحجام مختلفة) تعود إلى الفترة الرومانية، أما الواجهة الثانية فتضم عينات حجرية لطبقات جيولوجية متنوعة ومستحاثات حيوانية، بينما في الواجهة الثالثة أدوات حجرية تعود لمرحلة ما قبل التاريخ (رؤوس سهام مكروليتية، مكاشط وفأس حجري)، وأخيرا فإن الواجهة الرابعة تضم مجموعة من القطع الفخارية متمثلة في مصابيح زيتية متنوعة الاشكال والاحجام وأدوات للزينة.

بالنسبة للطاولة الزجاجية الاولى فإنها تضم قبرا فنيقيا عثر عليه بتاريخ 20 فيفري 2001 بمنطقة تيزغبان – دائرة أولاد عطية – غربا من مدينة القل، وهو عبارة عن هيكل عظمي دفن داخل ثلاث جرار فخارية متداخلة مع وجود مصباح زيتي بجانب الهيكل العظمي الذي تعرضت أجزاءه إلى عديد مظاهر التلف.

[20] Gsell (St) , musée de Philippeville P 15
[21] Ibid.

صور لمحتويات المتحف البلدي روسيكاد

أما الطاولة الزجاجية الثانية فتضم بقايا تمثال رخامي من الحجم الصغير لإله الخمر الروماني باخوس يحمل عنقود عنب.

كما يحتوي هذا الجناح على ثلاثة أنصاب بونية من الحجر، يلاحظ في كل واحد منها شخص يحمل رمز الخصوبة الذي يشبه حرف آلفا، وقد جلبت هذه الانصاب في العهد الاستعماري من منطقة سمـــــــــــــــندو (زيغود يوسفا حاليا)، وكذلك يوجد في هذا الجناح من مخلفات الفترة البونية رأس أسد من الحجر الرملي ذو صناعة خشنة.

القاعة 4:

- **الجناح الأول**:

يحتوي هذا الجناح على طاولة زجاجية تضم مجموعة من مختلف أجزاء لتماثيل رخامية (أيدي، أرجل، أصابع، أذرع ...)، من بينها يد لتمثال الامبراطور انطونينوس التقي يقبض على ذراع سيف.

كما يحتوي أيضا على حوامل اسمنتية وضعت عليها قطع لعناصر معمارية تزينية، من بينها تاج أيوني من الرخام (يحتمل أنه يعود للفترة البونية)، و يوجد به جزء من تمثال رخامي مسند إلى الحائط يمثل امرأة تحمل طفلين (روموس و روميلوس) و بجانب هذه القطعة نصف نقيشة لاتينية كبيرة من الرخام (1 م× 1 م) تخلد لذكرى بناء مخازن القمح بروسيكاد، النصف الآخر من هذه النقيشة كان قد نقل خلال بداية الفترة الاستعمارية إلى متحف تولون بفرنسا من طرف دولمار[22]، و قد قام المؤرخ دولافيل فوص لاحقا باستخراج النص الكامل من جزأي الناقشة و هو كالتالي:

(Pro Mag) ificentia Temporum

(Primcipum) Maximorum Domi (norum

Orbis) valentinai Et (Valentis Se)

Mper Augg Horrea (Ad Securita) tem

Populi Romani (Pariter Acp) rovincialium

(Con) structa Om ni maturate

[22] Gsell (st),1898, op.cit. p 20

(Dedicavit P) ublilius caionius (Caeci)

Na Albinus VC cons. Sexf. P N Cons

- الكلمات بين قوسين من النقيشة الثانية بمتحف تولون.

" من أجل عظمة عهد أميرينا الكبيرين، سيدي العالم، الجليلين على الدوام، فالنتيانس و فالنس، بنيت هذه المخازن لضمان أمن الشعب الروماني، و أمن سكان الأقاليم الموالية، كايسينا ألبينوس، الرجل الذائع الصيت، والي اقليم نوميذيا الفنصلية، صاحب الأشعة الست"[23].

وواضح من خلال النص أن بناء هذه المخازن كان مع نهاية الاتحاد السيرتي وبداية القرن الرابع للميلاد.

- **الجناح الثاني**:

في هذا الجناح يوجد ثلاث واجهات زجاجية، تضم تماثيل جلبت من معبد ميثرا، وهي عبارة عن تماثيل من الرخام صغيرة الحجم، أحدهما يمثل رمز الخلود، والثاني ميثرا يمتطي الثور والثالث يرمز إلى تعاقب الفصول.

كما يحتوي الجناح أيضا على قطع أخرى متنوعة، منها نصب جنائزي يحتوي على صورة المتوفي، وآخر يحتوي على كتابة جنائزية، وقاعدة عمود وتاج كورنثي وعناصر كنسية.

القاعة 5:

الجناح الأول:

يوجد بهذا الجناح مجموعة من التحف العائدة إلى الفترة الاستعمارية الفرنسية تتمثل في تمثال كبير من البرونز لجوزيف يحمل الصبي المسيح والذي جلب من كنيسة لويس فليب بعد تهديمها، ورأس تمثال من البرونز أيضا لنابليون الثالث والتي أهديت إليه من طرف أحد الأعيان المحليين عندما قام الملك بزيارة المدينة في بداية الاحتلال، وفي طرف الجناح خزانة لمجموعة من البنادق الحربية تعود إلى بداية الاحتلال الفرنسي.

الجناح الثاني:

يحتوي هذا الجناح على طاولة زجاجية تضم مجموعة من مخلفات الثورة التحريرية المظفرة بمنطقة سكيكدة، منها مقذوفات وقنابل ومسدسات.

[23] Vars. Op. cit. p 14.

بالاضافة إلى وجود خزانة تحتوي على أرشيف للجرائد الاستعمارية وعديد الوثائق المختلفة.

ب- **ساحة المتحف**:

أما بالساحة الخارجية بجانب المتحف فنجد كما أسلفنا خمسة تماثيل رخامية بدون رأس لشخصيات مرموقة بحسب اللباس والأدوات المرافقة، امرأتان وثلاث رجال، يحتمل أنهم يمثلون أعضاء لمجلس الديكوريون المحلي لروسيكاد، كما نجد أيضا ثلاث ثوابيت من الرخام تحوي نحوتا منفذة بإتقان شديد، يرجح من خلال الموضوعات المنحوتة أنها تعود للعهد المسيحي، حيث نجد مشاهد لرعي الخراف وتخلو من المظاهر الوثنية.

صور لمحتويات المتحف البلدي روسيكاد

صور للقطع الأثرية المعروضة بالساحة الجانبية لمتحف روسيكاد البلدي

3- **الحديقة الأثرية:**

مثلما أشرنا إليه سابقا، فقد انجز سنة 2008 بجانب المسرح الروماني حديقة أثرية في مكان كان في السابق مشتلة زراعية، و قد كان ذلك في إطار مشروع خصص لترميم المسرح الروماني، حيث أن القطع الأثرية الكبيرة الحجم و الثقيلة و التي لم يتسن نقلها سواء في المرحلة الاستعمارية أو في فترة الاستقلال الوطني إلى فضاءات متحفية أخرى بقيت بالمسرح الروماني، و قد تعرض معظمها عبر السنوات الطويلة و في ظل الاهمال الذي كانت عليه إلى الطمر، مما تطلب ذلك جهودا كبيرة لاستخراجها و تنظيفها و إعادة توزيعها من جديد بشكل منظم بالحديقة المجاورة و التي تم تهيئتها في شكل معابر أو أروقة تتخللها فضاءات عرض مكشوفة كما هو موضح في المخطط.

وتضم الحديقة ما يزيد عن 300 قطعة من مختلف القطع الأثرية، أعمدة من الرخام والغرانيت متنوعة الأحجام، وقطع معمارية متعددة والأنصاب التذكارية والجنائزية وعديد من الأدوات الفلاحية (مجموعة متنوعة من الرحى) والثوابيت وغيرها، والتي جلبت إما من مدينة روسيكاد أو من مناطق متفرقة من الولاية، ونظرا لكثرة هذه القطع وتنوعها والذي قد يستدعي ذلك بحثا مستقلا لإبرازه والحديث عنه، فإننا سنقتصر في هذا العنصر فقط على محاولة لمسح عام لمجمل القطع المودعة بهذه الحديقة.

ومثلما نلاحظه في مخطط الحديقة فهي مقسمة إلى سبع وحدات للعرض، ذات هندسة متباينة، حاول من خلالها مكتب الدراسات مع طاقم مديرية الثقافة للولاية توزيع القطع الأثرية فيها حسب نوعية كل تحفة، إذ نجد مثلا في الوحدة رقم 1 و2 النقيشات وفي الوحدة رقم 4 الثوابيت الرخامية وهكذا، ولأن عدد القطع الأثرية كبير ولاتسعه هذه الدراسة فإننا سنقدم فقط في هذا العنصر بعض البطاقات الفنية لبعض القطع التي سوف نختارها من كل نوع.

- نقيشة تذكارية من الرخام.

المقاسات:

الطول: 0.97 م

العرض: 0.68 م

السمك: 0.65 م

الوصف: نقيشة مستطيلة، النص منقوش في حقل عرضه 0.48 م وطوله 0.78 م عدد أسطر الكتابة بها 19 سطر.

- نقيشة جنائزية من الرخام.

المقاسات:

الطول: 0.70 م

العرض: 0.24 م

السمك: 0.12 م

الوصف: نقيشة مستطيلة الشكل من دون إطار، يوجد في الجزء العلوي منها نحت غائر على شكل نصف دائرة يتوسطها قرص، نص النقيشة يتكون من 6 أسطر.

- نقيشة جنائزية من الحجر الرملي:

المقاسات

الطول: 0.97 م

العرض: 0.54 م

السمك: 0.20 م

الوصف: نقيشة هرمية الشكل ذات قاعدة مستطيلة تحتوي على حقل كتابي غائر (0.22 م × 0.33 م) عدد أسطر الكتابة 04 أسطر.

- تابوت جنائزي من الرخام.

المقاسات

الطول: 2.09 م

العرض: 0.66 م

الارتفاع:0.64م

الوصف: تابوت حنائزي مستطيل الشكل مصنوع من الرخام الأبيض خالي من النحوت والمشاهد الميثولوجية.

- تابوت مغطى من الرخام.

المقاسات

الطول: 2.08 م

العرض: 0.61 م

الارتفاع:0.52 م

الوصف: تابوت من الرخام الأبيض ذو واجهات ملساء خلية من النحت وهو من الثوابيت القليلة التي تملك غطاء رخاميا على شكل هرمي.

- تمثال رخامي لرجل.

المقاسات

الطول: 0.83 م

العرض: 0.45 م

الوصف: تمثال أقل من الحجم الطبيعي لرجل يرتدي ثوبا ديكوريونيا، توحي الهيئة التي يقف بها الرجل أنه كان موضوعا على قاعدة تذكارية، الرأس والأطرف العلوية وجزء من الجانب الأيسر مفقودة.

- تمثال رخامي لامرأة

المقاسات

الطول: 1.36م

العرض: 0.47 م

الوصف: تمثال رخامي في الحجم الطبيعي لسيدة رومانية، التمثال في حالة سيئة، حيث يلاحظ على كامل محيط التمثال أثار التآكل والتحات نتيجة الإهمال الذي تعرض له طيلة السنوات الطويلة.

- معصرة رخامية

المقاسات

الطول: 1.06 م

العرض: 0.63 م

الوصف: عبارة عن معصرة من الرخام مكونة من حوضين، أحدهما مربع الشكل والآخر دائري، تربط بينهما قناة محفورة، يحتوي الحوض الدائري على ثقب يسمح بنفاذ عصارة العنب في إناء يفترض أن يكون أسفل الحوض.

- جرن رخامي

المقاسات

القطر: 0.45م

العرض: 0.63 م

الارتفاع: 0.52 م

الوصف: من الرخام الأبيض منحوت من الداخل ومملس بعناية فائقة بعكس منظره من الخارج

- رحى قمح من الحجر.

المقاسات

الطول: الجزء العلوي/ 0.36 م – الجزء السفلي/ 0.31 م

القطر: 0.44 م

الوصف: مطحنة مصنوعة من الحجر متكونة من جزئين، جزئ علوي متحرك وجزئ سفلى على شكل مخروطي ثابت، يأخذ الجزء العلوي شكل قمعين متعاكسين في جانبيه ذراعين دائريين يحتوي كل منهما على ثقب مخصص للاذرع الخشبية التي تربط وتدار من خلالها الرحى بواسطة الحيوانات.

- عمود رخامي:

المقاسات

الطول: 2.50 م

العرض: 0.76 م

الوصف: عمود عملاق من الرخام الأبيض كان يزين واجهة أحد المعابد وسط المدينة (معبد النصر) حيث عثر عليه هناك.

- عمود رخامي:

المقاسات

الطول: 2.15 م

العرض: 0.47 م

الوصف: عمود من الرخام المجزع وضع بشكل مقلوب، يتميز بقاعدة عريضة ورأس ضيق، أي أن القطر يضيق بشكل طفيف كلما اتجهنا إلى الأعلى.

- عمود وتاج من الرخام.

طول العمود: 0.64 م وقطر 0.31 م

الوصف: عمود من الرخام الرمادي، يعلوه تاج كبير من النوع المركب مصنوع من الرخام الأبيض.

جزء لعمود من الرخام الابيض بقطر 47 سم وطول 1.50 م مزين بحزوز بارزة.

جزء لعمود من الحجر الرملي يعلوه تاج أيوني من الحجر الرملي كذلك.

قطر العمود 31 سم.

تاجان كورنثيان من الرخام الأبيض مزخرفان باتقان شديد يتراوحان ما بين 37 و43 سم طولا و50 سم عرضا

تاج كورنثي ضخم من الرخام الأبيض

الطول: 1.19 م

القطر: 0.95 م

من الواضح أن هذا التاج كان يعلو إحدى الأعمدة العملاقة التي كانت تزين واجهات المعابد الفخمة بالمدينة.

4- المجموعات المتحفية لمدينة القل:

في المبحث الذي كنا قد خصصناه للمركز الحضاري القديم – شولو- أو القل اليوم، ذكرنا أن هذه المدينة لم تعرف أبحاثا أثرية كبيرة، و نتيجة لذلك فإن الحصاد الأثري المتعلق بتراث هذه المدينة كان هزيلا إلى حد ما، و بالإضافة إلى هذه القلة فقد كانت القطع الأثرية المكتشفة في ذلك الوقت تنقل إلى مختلف المتاحف الجزائرية التي كانت موجودة حينها، و على رأسها متحف قسنطينة (المتحف العمومي الوطني سيرتا) إذ يوجد بهذا المتحف اليوم كثير من القطع الأثرية التي جلبت من مدينة القل في الفترة الاستعمارية، أما خلال فترة الاستقلال فإن الاهتمام بجمع القطع الأثرية و الحفاظ عليها اقتصر فقط على النشاط الجمعوي و الذي جاء متأخرا نوعا ما، فقد بدأ هذا النشاط أواخر الثمانينات من طرف الجمعية الوحيدة التي كانت تنشط بهذا المجال و هي جمعية حماية التراث الأثري لمدينة القل برئاسة الطيب الهواري، و الذي تمكن خلال ذلك النشاط من جمع العديد من القطع الأثرية المختلفة، و بخاصة البقايا المعمارية التي تسنى جمعها من عدة نقاط في المدينة خلال العديد من أشغال التهيئة و التي خصص لها فضاء الحديقة العامة وسط المدينة حيث لا تزال متواجدة هناك، و من بين الاكتشافات أيضا قطع نقدية تعود لعدة فترات تاريخية، آثرنا أن نتعرض لها في هذه الدراسة بشيء من الوصف لما لها من أهمية علمية كبيرة، علما أن ما تم جمعه من طرف الجمعية قد سلم لمديرية الثقافة بالولاية و التي بدورها قامت بتسليمه للمتحف العمومي الوطني سيرتا بغرض الإيداع المؤقت هناك بسبب افتقار الولاية لمتحف يتوفر على الشروط العلمية و الأمنية التي تسمح بالاحتفاظ بها، و مع ذلك فإن هذا الأخير قد استقبل في اوقات سابقة بعد انشائه سنة 1987 بعض القطع الأثرية من منطقة القل.

5- القطع الأثرية المسلمة لمتحف سيرتا:

من خلال البطاقية التي حصلنا عليها من مديرية الثقافة لولاية سكيكدة فإن أكبر حصة من القطع التي استرجعت وتم تسليمها للمتحف العمومي الوطني سيرتا تعود لمدينة القل، حيث بلغ عدد هذه الحصة أكثر من اربعمائة قطعة (400) كما هو موضح في الجدول التالي:

المصدر	العدد	نوعية القطع الأثرية
بلدية القل	402	قطع نقذية من البرونز و الرصاص، قطع فخارية، تماثيل صغيرة، غلايين، مصابيح زيتية
بلدية عين زويت	05	قطع فخارية، مصابيح زيتية
بلدية كركرة	10	جرار فخارية
بلدية ام الطوب	04	جرار فخارية، مصابيح زيتية
بلدية الحروش (حفرية انقاذية)	01	مصباح زيتي
بلدية عين قشرة	289	أدوات حجرية تعود لفترة ما قبل التاريخ
بلدية الحدائق	02	مصباح زيتي و حجر الصقل

ويغلب على حصة مدينة القل المسترجعة والمسلمة إلى المتحف القطع النقذية، إما من البرونز والرصاص والتي تعود إلى فترات مختلفة (نوميذية، رومانية)، مع وجود قطعة ذهبية واحدة صغيرة الحجم، وسنحاول إعداد بطاقيات تقنية لبعض هذه النقوذ حتى يتسنى قراءة محتواها والاستفادة من معطياتها العلمية.

القطعة 1:

مادة الصنع: الذهب.

الفترة: الوندالية.

الوزن: 4.4 غ.

الوصف: يوجد على الوجه صورة لوجهين أحدهما يبدو ملتحيا والآخر على اليمين غير واضح

حالة الحفظ: حسنة.

القطعة 2:

المادة: البرونز.

الفترة: نوميدية.

المقاسات: 2.3 سم.

الوصف: يحمل الوجه صورة جانبية لوجه ملك نوميدي ملتح بينما الظهر فيحمل صورة حصان يرفع قدميه الأماميتين، لا يوجد أي كتابة.

حالة الحفظ: متوسطة.

القطعة 3:

مادة الصنع: نحاس.

الفترة: نوميدية.

المقاسات: 2.5 سم.

الوصف: يحمل الوجه صورة جانبية لوجهين متلاصقين ينظران في نفس الاتجاه، وفي الظهر صورة لحصانين في حالة الحركة، من دون كتابة.

حالة الحفظ: سيئة.

القطعة 4:

مادة الصنع: البرونز

الفترة: نوميدية

المقاسات: 2.5 سم

الوصف: يوجد على الوجه صورة جانبية لوجه ملتح ورأس مكلل بالغار، أما على الظهر فيوجد حصان في وضعية الركض.

حالة الحفظ: متوسطة.

القطعة 5:

مادة الصنع: البرونز

الفترة: الرومانية

المقاسات: 3 سم

الوصف: يحوي الوجه اكليلا مزدوجا من الغار تتوسطه الكتابة التالية: CIVIS، أما من الجهة العلوية فنجد الكلمة: ob ومن الأسفل: SERVATOS، وفي الظهر نلاحظ في وسط القطعة الحرفين S C بقياس كبير تحيطهما العبارة التالية: CASINIVS CF CALIVS…

حالة الحفظ: متوسطة.

القطعة 6:

مادة الصنع: برونز

الفترة: رومانية.

المقاسات: 2.7 سم.

الوصف: الوجه يحمل صورة جانبية لرأس تحيط به كتابة غير واضحة، أما على الظهر فنجد هيكلا على شكل ضريح يتوسط الحرفين S C وتحته توجد الكلمة التالية: .PROVIDENTIA

حالة الحفظ: سيئة.

القطعة 7:

مادة الصنع: البرونز

الفترة: الرومانية.

المقاسات: 2.9 سم

الوصف: يوجد على الوجه صورة جانبية لرأس رجل مكلل بالغار ينظر في اتجاه اليسار، تحيط به كتابة: IMP COMD……..VS PIVS…… AVG ، أما على الظهر فصورة امرأة واقفة (فينوس) تحمل باليد اليمنى ما يشبه الميزان و باليد اليسرى شيئا غير واضح مع وجود الكتابة التالية: (SC) .AVGG

القطعة 8:

مادة الصنع: البرونز.

الفترة: رومانية.

المقاسات: 2.8 سم

الوصف: على الوجه صورة جانبية لرأس رجل مكلل بالغار يرتدي زيا عسكريا، تحيطه الكتابة التالية: .IMP ALEXANDER PIVS AVG، أما على الظهر فنجد صورة رجل عار في وضعية الحركة يحمل بيده ما يشبه الرمح على جانبية الحرفين S C تحيط به الكتابة التالية: PM TRP XIII COS III

هذه بعض نماذج القطع النقدية التي وجدت بمدينة القل والتي يمكن لوحدها أن تشكل موضوعا خصبا للدراسة إذ يمكن من خلالها التأريخ للمدينة ومعرفة طبيعة المبادلات التجارية والوضعية الاقتصادية التي عرفتها في ذلك الوقت، فعدد القطع المكتشفة مؤخرا أو تلك التي أشير إليها في وثائق الفترة الاستعمارية كبير جدا ويوفر مجالا لدراسته.

الساحة العامة:

تتواجد الساحة العامة بالجهة الجنوبية لمقر الدائرة بمواجهة مدخل المدينة، غربا من مسجد سيدي علي الكبير، و تنقسم إلى قسمين، قسم عبارة عن ساحة كبيرة خالية تماما، و قسم شمالي عبارة عن حديقة عامة، و في هذه الحديقة توجد أغلب القطع الأثرية الكبيرة التي تم اكتشافها إما بمدينة القل نفسها أو في عدة نقاط أخرى تابعة لها، سواء خلال الفترة الاستعمارية أو في فترة الاستقلال، و تتألف من عناصر معمارية مختلفة: أجزاء أعمدة من الحجر و الرخام، قواعد و تيجان ، حجارة منحوتة...، كما يوجد بها أيضا أثار جنائزية (تابوت) و غيرها من المخلفات الأثرية كما سنأتي على تبيانه في هذا العنصر.

1- جزءان لعمودين اسطوانين من الرخام الأبيض مباشرة عند مدخل الحديقة الرئيسي، بقطر يصل إلى 30 سم وارتفاع 50 سم.

2- جزءان لنقيشة من الحجر ذات سمك كبير (20 سم)، لم يتبق منها سوى بعض الحروف المشوهة وزاوية الإطار المكون من خطين غائرين.

3- قاعدة وجزء من عمود رخاميين موضوعان فوق بعض.

4- جزءان علويان لعمودين اسطوانين من الرخام الابيض بقطر يصل إلى 30 سم وارتفاع 1 م.

5- تاج كورنثي من الحجر.

6- تاج كورنثي من الرخام الابيض.

7- قاعدة عمود من الحجر ذات شكل سداسي الأضلاع.

8- تاج كورنثي من الرخام الابيض.

9- مجموعة من البقايا المعمارية المختلفة.

10- تابوت من الرخام الابيض في حالة سيئة من الحفظ، يبدو انه تعرض للكسر على مستوى الواجهة الرئيسية أثناء استخراجه من الموقع، تحمل الواجهة نحت بارز منفذ بطريقة متوسطة لبوابة العالم الآخر.

11- صندوق جنائزي من الحجر (65 سم × 40 سم).

12- عمود من الرخام بطول 1.30 م وقطر 30 سم.

تقريبا هذه هي مجمل القطع المتواجدة على مستوى الحديقة العامة للمدينة، أما بباحة مقر البلدية فتوجد مجموعة من القطع الأخرى التي اكتشفت من طرف الجمعية وتتمثل في:

- تمثال نصفي لامرأة (50 سم) حانية الرأس، مسدلة الشعر، تحمل إلى صدرها باقة من أزهار (اللوتس؟)، التمثال من الحجر الرملي.

- جزء من تاج كورنثي من الرخام الابيض.

- رحى قمح من الحجر بجزئيها السفلي والعلوي.

- تاج كورنثي من الحجر، وضعت عليه كرة حجرية (قذيفة منجنيق).

- نقيسة جنائزية على شكل مذبح.

كما يوجد في عدة نقاط من المدينة بعض البقايا الاخرى التي لم تحظ بالعناية، حيث توجد في وضعية سيئة ومهملة تماما على غرار أحد الثوابيت المرمى أمام قاعة سينما شولو، وعموما فمدينة القل بما تكتنزه من اثار رغم قلتها بحاجة إلى إنشاء متحف ولو بسيط يسمح بحفظ ما يوجد بها اليوم من أثار وما يمكن حتى اكتشافه لاحقا.

تابوت من الرخام بساحة قاعة سينما شولو

6- **المجموعة المتحفية بني وألبان**:

أغلب القطع الأثرية الموجودة بالحديقة أمام مبنى مقر بلدية بني وألبان والتي يشملها سياج هذه الأخيرة جلبت خلال الحقبة الاستعمارية من المقبرة الرومانية لمدينة كلتيانس، حيث تتمثل في مجموعة من الأنصاب الجنائزية والمذابح والتي تحوي كلها تقريبا كتابات لاتينية، بالاضافة إلى وجود بعض الأنواع الأخرى من القطع الأثرية مثل الأجران والرحى.

وبالعودة إلى النصوص الكولونيالية المتعلقة بكلتيانس فإننا نلاحظ أن عدد الأنصاب والكتابات المستخرجة من المنطقة يفوق بشكل كبير العدد الذي نراه اليوم، فماسكراي لوحده استخرج ما يزيد عن 130 قطعة، دون الحديث عما استخرجه شاريي وبارس وريبو وغيرهم، أو حتى ما استخرج في السنوات الأخيرة مثلما أشرنا إليه في الفصل الثاني من هذه الدراسة، إلا أن ذلك كله قد ضاع دون معرفة الوجهة التي أخذ إليها، ما عدا ما أشير إليه في بعض الوثائق الكولونيالية من أن بعضا منها قد نقل إلى متحفي قسنطينة وفليب فيل.

ويبلغ عدد القطع الموجودة على مستوى الحديقة اليوم أربعة عشرة قطعة، منها 10 نصب جنائزية و03 أجران ذات أحجام متفاوتة وقطعة معمارية، وفيما يلي نماذج من هذه القطع الاثرية والتي كما يمكن ملاحظته من خلال الصور تعرض أغلبها للاعتداء بواسطة الصباغة وحالة الإهمال.

صورتان للحديقة الأمامية لمقر بلدية بني والبان

نقيشة جنائزية منفذة على قاعدة رخامية (90 سم × 40 سم) تحوي الكتابة التالية:

CERIRIMN

II FIL. AVG.SACRV

C.BOTIVS.S.L.FIL

Q. SAIVR.NINVS

A. BDVS.MAIOR

AR.A.CVM.AHARIB

V.S.H.A

نقيشة جنائزية على هيئة مذبح (100 سم× 36سم) تحوي كتابة غير واضحة ومبتورة نتيجة التشويه الذي اعتراها.

نقيشة جنائزية على هيئة مذبح تحوي الكتابة التالية:

D M S

ACILIA.L. E

MARINA.ATRI

BOTTIORVM

V A LXXV.

نصب جنائزي بطول 127 سم يحوي على جانب نحتا عبارة عن مانسيا وفي الجانب الآخر ابريق، وهو من الأنصاب المتكررة في الحديقة.

جرن من الحجر ذو صناعة جيدة، طوله 50 سم وبقطر 37 سم.

جرن من الحجر مكسور على مستوى الحافة طوله 62 سم وبقطر 50 سم.

.

قطعة معمارية من الحجر (75 سم×60 سم)

قراءة عامة للمجموعات المتحفية بولاية سكيكدة.

من خلال ما سبق عرضه من مجموعات متحفية، و الذي لايمثل في الحقيقة إلا جزءا بسيطا مما تزخر به الولاية من قطع أثرية، لا يزال في معظمه مفقودا أو تحت طائلة الاعمال التخريبية و التهريب، فإن الملاحظة الاولية التي يمكن أن نبديها بشأن هذه المجموعات هو هذا المصير المأساوي الذي تعرضت إليه، إذ أن جزءا كبير من التراث الأثري للولاية كان قد ضاع في بداية الاحتلال الفرنسي، و هذا قبل أن ينشأ مبدئيا فضاء لإيواء ما أمكن اللحاق به من الأثار المختلفة و التي كانت تستخرج يوميا من باطن الارض لتترك فيما بعد للمجهول، فقد شكل فضاء المسرح الروماني في البداية حلا لوقف الاستنزاف أمام رغبة سلطات الاحتلال في استبقاء الأثار المكتشفة في المظان التي عثرت بها، ثم ليشكل لاحقا متحف فليب الأثري نقلة كبيرة في مجال حفظ أثار دائرة فليب فيل، حيث استقبل تحفا من عديد المناطق بالولاية، بل و مساهمته الفعالة في بعث النشاط الأثري و العلمي بالمنطقة، من خلال الزيارات التي حظي بها لشخصيات لها وزنها في الحقل الأثري و التاريخي بالجزائر، على غرار لا الحصر، العالم الكبير ستيفان قزال و الذي أنجز كاتالوجا خاصا بمتحف فليب فيل، قدم من خلاله قراءات و استنتاجات علمية أثرت ساحة النقاش العلمي و سلطت كثيرا من الاضواء على تاريخ الولاية القديم.

غير أن النهاية لم تكن في مستوى المأمول، فاندلاع حريق ببناية المتحف سنة 1953 أدى إلى عودة قصة الشتات من جديد، وعادت التحف التي كان يزخر بها هذا المتحف للتشتت في مختلف الأماكن والفضاءات المغلقة، مع ما رافق ذلك من حوادث وجرائم تهريب، وربما لا يتعدى ما تم استرجاعه فيما بعد سوى نسبة 50% أو أقل، فضلا عما لا يزال بعد في طي المجهول.

ورغم أن مختلف البلديات قد حاولت خلال الآونة الأخيرة تقديم اسهامات في هذا المجال من خلال تخصيص فضاءات - على تواضعها- إلا أن ذلك لم يكن كافيا ولم يلق الدعم الضروري والمرافقة العلمية المستوجبة لمثل هذا النشاط، وحتى المتحف البلدي الوحيد على مستوى الولاية لم يعد بمقدوره توفير الشروط العلمية ولا حتى الفضاءات الكافية لايواء ما يتم اكتشافه إلى الآن من أثار، ما دفع بالمسؤولين على القطاع لارسال القطع الاثرية إلى مخازن متحف قسنطينة العمومي، وهو ما يعصعب أكثر من عملية البحث العلمي.

أما الملاحظة الثانية التي نبديها هو غنى هذه المجموعات وتنوعها، إذ لم تقتصر فقط على مرحلة بعينها من التاريخ، بل شملت جميع فتراته، بدءا من مراحل ما قبل التاريخ، فجر التاريخ، الفنيقية، الليبوفنيقية أو البونية، النوميدية، الرومانية بقسميها والبزنطية، ولو أن حصة كل مرحلة من مراحل هذا التاريخ كانت متفاوتة.

فحصة ما قبل التاريخ ضئيلة جدا، ولا تمثل سوى نسبة صغيرة لا تتجاوز 1% من المجموعة ككل، وهو أمر يمكن تعليله بغياب الأبحاث المتخصصة في هذه الفترة، كما أنه يعكس إلى أن يثبت العكس قلة الانتشار البشري في المنطقة خلال تلك المرحلة الموغلة في القدم، إذ أن الاكتشافات العائدة إلى هذه الفترة لا تشير إلا إلى وجود نقطة واحدة في أقصى غرب الولاية (عين قشرة – حجر مفروش).

أما مرحلة فجر التاريخ، فقد كان بالامكان أن تكون حصيلة التحف التي تخص هذه الفترة وفيرة جدا بالقياس إلى عدد المعالم الجنائزية المتوزعة عبر أنحاء الولاية، إلا أن ذلك لم يكن، فلو أنه تسنى حفظ ما تم استخراجه من الاثاث الجنائزي فقط من مختلف القبور الميغاليتية لكان وحده كافيا ليشكل جناحا خاصا بمتحف محترم، لكن، يبدو أن الحفريات العشوائية و النهب الذي تعرضت له هذه المعالم جعله يضيع إلى الأبد، بحيث أننا لا نكاد نعثر سوى على بعض الفخاريات المبهمة، خاصة في ظل وجودها بالمتحف من دون معلومات مرفقة، فحتى أرشيف المتحف الأثري لفليب فيل ما يزال مفقودا، و الكاتالوجات التي أعدت حول مقتنيات ذلك المتحف بحاجة ماسة لتحقيقها و إعادة نشرها بشكل يسمح بقراءة محتواها بسهولة، فالشكل الذي صممت به تلك الكاتالوجات اعتمد على طريقة العرض التي كانت عليه التحف في ذلك الوقت، و في أغلب الأحوال من دون صور، و هو ما يجعل قراءتها امرا بالغ الصعوبة.

و فيما ما يتعلق بالمرحلة الموالية، و التي هي عبارة عن مزيج بين ثقافتين انصهرتا معا و اندمجتا بشكل تام، فيلاحظ من خلال المجموعات المتحفية أنها من الثراء و التنوع – سواء من حيث نوعية المقتنيات أو الانتشار الجغرافي- ما يجعلنا نستخلص من ذلك أن هناك نوعا من الازدهار السكاني بالمنطقة، قياسا إلى الفترات السابقة، و أن هناك توسعا عمرانيا في مختلف اتجاهات الولاية، فقد عثرنا من ضمن المقتنيات على العديد من الانصاب البونية و جرار الدفن (قبر تيزيغبان) وعناصر معمارية و تماثيل أدمية و حيوانية و كتابات ليبية و مسكوكات نقدية، كل ذلك يفهم منه حتما أن هناك نوعا من الحركة العمرانية و التحولات الاجتماعية و الاقتصادية في تلك الفترة بالمنطقة، وأن دراسة متأنية لمقتنيات تلك الفترة سيسمح لا ريب في فهم طبيعة و ظروف هذه الحركة و التحولات و سيكشف لنا مدى عمق الاستيطان في تلك الفترة بحدود اقليم الولاية قديما.

أما فيما يتعلق بالمرحلة الرومانية، فإن حصة التحف ضمن المجموعات المتحفية السالفة الذكر يكاد يكون كاسحا، إذ أنها تشكل أكثر من 80% من التحف، هذا دون الحديث عن تنوعها الكبير و سعة انتشارها، و إذا كنا نعلم مدى الاهتمام الكبير الذي كانت توليه السلطات الاستعمارية في بادئ الأمر للأثار الرومانية[24]

[24] Paul-Albert Fevrier. Approches du Maghreb romain, tome 1 Edisud la calade 13090 Aix-en-provence. P 38.

فإن هذا لا يلغي الحقيقة الميدانية لطغيان المخلفت الرومانية على باقي الفترات السابقة من تاريخ الولاية، و هذا راجع بالأساس إلى نشاط الألة الرومانية في مجال الإنشاءات الهندسية و إلى النهج الشمولي المتبع في تنظيم المجال الجغرافي، و كذلك الى فرط النشاط الاقتصادي و التحول الاجتماعي، بالإضافة للمدة الزمنية الطويلة التي قضاها الرومان في منطقة شمال افريقيا و بروسيكاد وضواحيها على الخصوص، و دون أن نغرق في سرد طويل للمجموعات المتحفية للمرحلة الرومانية بإقليم ولاية سكيكدة، فإن ما تتوفر عليه من تحف كفيل لوحده بتوفير ما يكفي لإقامة متحف كبير يضاهي عظمة متحف فيليب فيل الأثري الذي كان يعد حينها واحدا من بين أثرى و أغنى المتاحف بشمال افريقيا، كما أنها تعطينا أيضا صورة واضحة لسيرورة التاريخ الروماني بالمنطقة من خلال تنوعها ما بين الوثنية و المسيحية و كذلك بما تزخر به من نقيشات ذات المواضيع المختلفة و الأبعاد الأنوماستية.

وأخيرا، فإن المجموعات المتحفية لا تضم إلا نزرا يسيرا من الأثار التي تعود للفترة البيزنطية، حيث نجدها ممثلة في عدد قليل جدا، منها قطعة نقدية ذهبية وجدت بمدينة القل، ولو أن هذه المرحلة أساسا ما تزال غامضة جدا حتى من حيث الدراسات المتخصصة التي تجعلنا نفهم بشكل أوضع وضعية المنطقة خلال تلك الحقبة.

II. الدراسة الابيبغرافية.

1- الإيبغرافيا في الجزائر:

غذاة الاحتلال الفرنسي للجزائر و بعد قرار الحاكم العام سولت القاضي بضرورة أن ينخرط الجنود في جمع المخلفات الأثرية العائدة إلى الفترة الرومانية على أرض الجزائر بهدف اقتفاء أثار الأجداد و استكمال الرسالة الحضارية في افريقيا، و نتيجة للجهل الذي ميز الفرق العسكرية و الجشع كذلك فقد تعرضت أثار الجزائر إلى العبث و الفوضى و التخريب، و هو الأمر الذي أدى ببعض المتخصصين مثل ويلمانس الألماني بدق ناقوص الخطر و التحذير من هذا العبث الذي تتعرض إليه النقوش من طرف جنود الاحتلال في تقرير نشره سنة 1873 و هذا عقب المعايانات الميدانية في مختلف المدن القديمة للجزائر[25]، إذ طالها التخريب و التهريب ما أدى إلى إتلاف الكثير من النصوص و إختفاء العديد منها بشكل جعل المجتمع العلمي يحرم من رصيد هائل من المعطيات التي تفيد في الدراسات التاريخية للمنطقة، و يبدو أن هذا التنبيه قد كان له صدى في الأوساط الأكاديمية الفرنسية بشكل دفع بالبعض إلى التفكير في إعداد مجمعات لحفظ نصوص النقيشات الرومانية و الليبية و غيرها من الكتابات المختلفة في الجزائر.

لكن و قبل ذلك فقد كانت هناك بوادر لدراسة النصوص من طرف بعض المتخصصين الفرنسيين أمثال ريني و دولمار و رافوازي و حتى بعض الهواة الذين نشروا كثيرا منها في مختلف الدوريات و المجلات، أما ظهور أول مجمع فقد كان من طرف الألماني ويلمانسن بداية من سنة 1872 تحت مسمى " مجمع النقيشات اللاتينية" corpus inscriptionorum latinarum و الذي ضم حوالي10988 نقيشة عن شمال افريقيا، كما أضيفت إليه فيما بعد بعض الملاحق من طرف كل من ريني كانيا و شميدت و تكفلت أكاديمية برلين بتبويبها و شرحها[26].

ثم ظهر سنة 1922 كتاب النقوش اللاتينية بالجزائر لستيفان قزال، والذي جمع فيه النصوص المتعلقة فقط بإفريقيا البروقنصلية، إلا أن الموت المفاجئ لهذا العالم واندلاع الحرب العالمية الثانية حال دون اتمام الجزء الثاني المتعلق بالكونفدرالية السيرتية الذي كان قد جمع معظم نصوصه، حيث تكفل العالم بيفلوم H.G Pflaum بتحقيقه والاشراف على تصفيفه ونشره بمساعدة مجموعة من العلماء الآخرين أمثال ريني وألبرتيني.

[25] جهيدة مهنتل، مساهمة الكتابات اللاتينية في المحافظة على التراث الثقافي في الجزائر، مجلة آثار، العدد 11' 2 ص 123-129
[26] جهيدة مهنتل، نفسه.

وقد اعتمدنا في هذا العنصر من البحث على هذا الجزء بالاضافة إلى مختلف الدراسات والمقالات التي تناولت النصوص المتعلقة بروسيكاد وضواحيها في محاولة التعرف على أهم الأسماء والقبائل والوظائف التي انتشرت بإقليم ولاية سكيكدة قديما، بالاضافة إلى اعتمادنا كذلك على الدراسة القيمة التي أعدها الدكتور توفيق حموم حول "النخب الإدارية والاجتماعية للكونفدرالية السيرتوية والمدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني"، والتي قدم فيها بعض الاحصائيات التي نرى أنها مفيدة جدا في دراستنا هذه.

2-الألبوم الاييغرافي لروسيكاد:

بالنسبة للنقوش اللاتينية بالجزائر في جزئه الثاني فقد ضم أربعمائة وسبعة و ستون (467) نقيشة عن روسيكاد و شولو، و الف و ثلاثمائة و ثمانية و تسعون (1398)[27] نقيشة جلبت من موقع كلتيانا معظمها عبارة عن نقيشات جنائزية، و قد نشرت بعض هذه النقيشات في العديد من الدوريات التي كانت تصدر حينها، من بينها المجلة الأثرية لجمعية قسنطينة و المجلة الاييغرافية، كما قام كل من دولمار و رافوازي بجمع و رسم لوحات للعديد من النصوص، و التي من بينها النقيشة المعروفة التي عثر عليها بالمسرح الروماني و التي تسنى من خلالها معرفة الاسم الكامل لروسيكاد و رتبتها السياسية و التي ما تزال موجودة بالحديقة الأثرية رفقة العديد من النقيشات الأخرى إلى اليوم.

ويتحدث النص عن قيام إحدى الشخصيات المهمة بروسيكاد والذي لم يذكر وظيفته بالانفاق من ماله الخاص على تزيين المسرح وإقامة تمثالين وتمويل ألعاب واحتفالات مع توزيع للهدايا، وفيما يلي النص الكامل للنقيشة:

GENIO COLONIAE

VENERIAE RVSICADIS

AVG SACR

M. AEMLIVS BALLATOR

PRAETER-IS X.M.N. QVAEIN

OPVS CVLTVMAE THEATRI

POSTVLANTE POPULO DE

DIT STATVAS DVAS GENI

VM PATRIAE N ET ANNO

NAE SACRAE VRBIS SVA

PECVNIA POSVIT. AD.

QVARVM DEDICATIO

[27] Gsell (St), les inscriptions latines de l'Algerie, tome II, publié par H.G. Peflaum, librairie ancienne Honoré champion Paris 1947.

NEM DIEM LVDORVM

CVM MISSILIBVS EDIDIT

L D D D

ونص هذه النقيشة مترجما إلى العربية:

مهدى لإلهة مستعمرة روسيكاد الفينيرية، فبالاضافة للعشرة ألاف سيسترس التي قام بتخصيصها ماركوس ايميليوس بلاطور لتزيين المسرح فقد قام أيضا بطلب من الشعب بإنشاء تمثالين من ماله الخاص، أحدهما لإلهة البلاد و الثاني لأنونة المدينة المقدسة، و في ذلك اليوم أهدى يوما من الألعاب مع توزيع الهدايا، مكان التمثالين اختير بأمر بلدي[28].

وقد تم العثور فيما بعد أيضا على الكثير من النصوص بالمدينة على هذا المنوال والتي تحمل بين سطورها معلومات وفيرة عن وضعية بعض النخب التي تولت العديد من المهام الادارية، سواء بروسيكاد أو عبر مسيرتها المهنية في العديد من مقاطعات الامبراطورية، بالاضافة إلى المنجزات التي استحق بموجبها التخليد من خلال هذه النقيشات، وفيما يلي بعضا من تلك النصوص التي تخص مدينة روسيكاد مترجمة إلى العربية استنادا على الترجمة الفرنسية التي وردت في مختلف الدراسات:

Victoriae augustae sacrum / imp (eratoris) caes(aris)

/-----/ -----/ ------// max(imi) //------// l(ucus) Cornelius

L(ucii) fil(ius) Quir (ina tribu) FrontoProbianus eq(uo)

P(ublico) orn (atus). / dec(urio) IIII col(oniarum).

Fl(amen) p(er)p(etuus),/diui Magn Antotoini, / statuam

Cum tetrastylo, qua mob honorem flam(onii), praeter

HS LXXXII (milia) n(ummum)/ quae rei p(ublicae)

Praesentia intulit, ex (HS) XXX mil(ibus) n(ummum)

[28] Claude Briand-Pansart, les lancers de cadeaux (missilia) en Afrique du Nord romaine, in Antiquités Africaines, année 2007/43 pp 79-97.

Dedit/ idemque decauit, ad cuius dedicatiunem

Etiam ludos/ scaenicos cum missilibus edidit.

الترجمة:

مهدى للانتصار الاوغسطي للامبراطور قيصر

لوكيوس كورنليوس فرونتو بروبيانوس، ابن لوكيوس، المسجل ضمن قبيلة كويرينا، الموشح برتبة الحصان العمومي، عضو بمجلس المستعمرات الأربع، فلامين (كاهن) أبدي لعبادة الامبراطور انطونينوس الأكبر، منح التمثال والهيكل الذي وعد بمناسبة حصوله على رتبة الكهانة، بالاضافة إلى 82000 سيسترس صبها في الخزينة العمومية و20000 لفائدة المجلس البلدي وعدة هبات أخرى منحها بسخاء لوطنه، وبهذه المناسبة أقام ألعابا احتفالية تخللها توزيع للهدايا.

وعلى منوال هذه النقيشة عثر أيضا على نقيشة أخرى للمدعو كايوس جاء فيها:

C(aius) annius c(ai)fil(ius) Qu (irina tribu) ----/

Dec(urio) IIII col(oniarum). Pont(ifex)/----- praeter/ HS

XX (milia) n(ummum). Quae ob honorem de(corionatus)

Rei p(ublicae) intulit et/ HS LV (milia) n(ummum)

Quae ob honorem pon(tifecatus) rei(poblicae) intulit/ et

Status aeneasduas vic(toriae) augustae et fortunam

(sic) reducis, quas ob (honorem) dec(urionatus)et ob

Honorem pont(ifecatus) pollic(itus) est ----- ad per(fectionem)

Operis i(h)eatri pollic(itus) est contulit, itemq(que)

II(!) (milia) n(ummum)quae---ad per(fectionem)

Operisi(h)ea (tri pollic(itus) est contulit, itemq(ue) HS

XXX(milia)qua ad opus/ amp (b)it(b)eatri

Pollc(itus) est dedit, statuam Herculis cum tetrastylo

Ex HS XXXIII (milbus) n(ummum) ex liberalitate sua

S(ua) p(ecunia) fec(it) idemq(ue) dedicauit, ad cuius

Dedicationem e(tiam) ludos scaenicos cum m(issil(ibus)

Edi/dit.

الترجمة:

كايوس آنيوس ابن كايوس المسجل ضمن قبيلة كويرينا، عضو مجلس المستعمرات الأربع، كاهن .....، بالاضافة إلى 20 ألف سيسترس التي صبها في الخزينة العمومية على شرف العضوية بالمجلس و55 ألف سيسترس التي صبها في الخزينة العمومية على شرف رتبة الكهانة، أهدى تمثالين من البرونز للنصر الاوغسطي والإلهة فورتونا اللذان وعد بهما على شرف عضوية المجلس (الديكوريونا) ورتبة الكهانة (البونتيفيكا)، كما منح أيضا 2000؟ سيسترس وعد بها لاتمام بناء المسرح و 30 ألف سيسترس لأشغال بناء المدرج، و كذلك أقام بسخاء من ماله تمثالا لهرقل (هركول) مع الهيكل بمبلغ قدره 33 ألف سيسترس، و بمناسبة هذا الاهداء أقام احتفالات تخللها توزيع للهدايا[29].

CIL VIII, 7978 (= ILS 1147) (= ILAlg II, 29).

Claudiae p(ubli) f(ilae)/ Quir(ina) Gallitae/ coniugi/ Q(uinti) Austurni p(ubli) f(ilii)/ Quir(ina) lapiani eq(uo)/ p(ublico) exor(nati) aed(ilis) IIIvir(i) IIIIcol(oniarum)/ praef(ecti) III col(oniarum) duc(enarii) bis/ sorori/ ti(ber) Claudi Claudiani leg(ati) / Augg(ustorum) pr(o) pr(aetore) c(larissimi) v(iri) consol(aris)/ provinc(iarum) et exerc(ituum) Pann(oniarum) / inferior(is) et superior(is) / praepositi vexillation(um) / Daci scrum leg (ato) leg(ionum) XIII Gem(inae) / et V macedonicae piae / candidato Augg(ustrum et/ eis devotiss(im)o prae/tori tutelar(io sacer) / doti septemv(ir) / epulonum (sacer)

[29] Claude Briand-Pansart, Ibid.

do/ti Laurent(ium) Lavinat(tium) / Q(uintus) Austurnius Lapplanus coniug(i) ra rissimae s(ua) p(ecunia)p(osuit) d(ecurionum)

الترجمة:

لأجل زوجته كلوديا غاليتا ابنة بوبليوس من قبيلة كويرينا، قام كوينتوس اوستوريانوس لابيانوس ابن بوبليوس من قبيلة كويرينا الموشح بالحصان العمومي، ايديل، تريومفير المستعمرات الأربع، برايطور المستعمرات الثلاث بصب 200000 سيسترس، و لأخته، قام تيبريوس كلوديوس كلوديانوس قائد المقاطعات الامبراطورية، الرجل النبيل، ايديل، تريومفير المستعمرات الأربع، برايطور المستعمرات الثلاث، قنصل مقاطعة بانونيا العليا و السفلى و قائد مفارز الداكيين و الفيلق الجرماني الثالث عشر و المقدوني الخامس، مقدم الاباطرة و حاميهم المخلص، كاهن السيفيرية، كاهن الليفانتيين، كوينتوس اوستورنيوس لابيانوس بوضع بأمر بلدي لأجل زوجته الثمينة[30].

CIL VIII, 7990 (= ILS 6861) (= ILAlg II, 42).

Sex(tus) Otacilius M(arci) f(ilius) / Quir(ina) Restitutus / M(arci) Otacili Fructi / pontificis frater / IIIvir aed(ilis) quaes/toriae potestatis / augur super (sestertium) XX (milia) / legit(ima) quae ob hono(rem) / aedilitat(is) r(ei) p(ublicae) dedit / et (sestertium) VI(milia) ob diem lud(orum) / et (sestertium) XXXIV (milia) inibi legit(ima) ob hono(rem) augurat(us) / r(ei) p(ublicae) intulit et at (sestertium) IIII(milia) / quae in voluptat(es) promi/ser(at) adiectione a se facta / dextros duos sua pec(unia) posuit / dedicavitq(ue) d(ecreto) d(ecurionum)

سكستوس اوتاكليوس رستيتوس ابن ماركوس من قبيلة كويرينا، من ماركوس اوتاكليوس فروكتوس الكاهن و الأخ، تريومفير، ايديل، كويستور بالاضافة لمساهماته المستحقة، دفع للخزينة العمومية 20000 سيسترس على شرف انتخابه ايديل، و 6000 سيسترس خاصة بالالعاب، و قد استحق عليه للخزينة العمومية 34000 سيسترس على شرف منصب الكهانة (اوغور) و 4000 وعد بها للاحتفالات مع نصب تمثالين للألهة بامر بلدي[31].

[30] Montagne Geofroy, les notables minicipeaux en Numidie, (IIème siècle ap. J.-C. – IVème siècle), MASTER 2, Sous la direction de Mme Françoise Des Boscs, maître de conférences en Histoire Ancienne, Université de Pau et des Pays de l'Adour, UFR Lettres, Langues et Sciences Humaines, Département Histoire, Histoire de l'Art, Archéologie et Anthropologie, 2012-2013. P 250.

[31] Claude Briand-Pansart, Op.cit. 255.

CIL VIII, 7986 (= ILS 6862) (= ILAlg. II 36)

C(aius) Caecilius Q(uinti) f(ilius) Gal(eria) Gallus hab(ens) / equum pub(licum) aed(ilis) hab(ens) iur(is) dic(tionem) q(uaestoris) pro / praet(ore) praef(ectus) pro IIIvir(is) IIII praef(ectus) fabr(um) co(n)s(ularis) / II et praet(orius) II hab(ens) orn(amenta) quinq(uennalicia) d(ecreto) d(ecurionum) ex V decuriis / decuriarum III quinquennalis praef(ectus) i(ure) d(icundo) Rusicadi / flam(en) divi Iuli / nomine suo et Proxiniae M(arci) f(iliae) Proculae uxoris suae et / fil(iorum) Gallae et Galli et Coruncaniae et Nigellinae tribunal / et rostra / s(ua) p(ecunia) f(acienda) c(uravit) // C(aius) Caecilius Q(uinti) (!) Gal(eria) / Gallus s(ua) p(ecunia)

كايوس كايكيليوس غالوس، ابن كوينتوس من قبيلة غاليريا، الموشح بالحصان العمومي، ايديل حاصل على حقوق مقدم الاباطرة، حاكم و عضو التريومفيرا اربع مرات، مرتين قنصل و مرتين كاهن، موشح بأوسمة الخماسية بمرسوم ديكوريوني، قاضي للمجالس الثلاث الأولى، حاكم مفوض (يور ديكوندو) على روسيكاد، كاهن المؤله يوليوس، باسمه و باسم زوجته بروكسينا بروكولا ابنة ماركوس و اولاده غالا و غالوس و كورونكانيا و نيجلليناقام بالاشراف على بناء مدرج الخطابة و المحكمة على نفقاته[32].

الترجمة:

CIL VIII, 7989 (= ILAlg. II, 38).

M*(arcus) Fabius L(uci) fil(ius) Quir(ina) Fronto augur [praef(ectus) i(ure) d(icundo) ob] / honorem praef(ecturae) [3]m [3] a [3] / dedit praeter oblationem den(ariorum) 3 n(omine)] / fili(i) sui Senecionis ad cultum thea [tri*

ماركوس فابيوس فرونطون ابن لوكيوس، كاهن وحاكم مفوض (يورديكوندو) أنفق بسخاء من ماله على شرف البرايفيكتورا ..... وباسم ابنه سينكيون (أنفق) على تزيين المسرح.

[32] Vars (charles), Op.cit. 1896. P 120.

ILAlg. II, 3

Belolonae Aug(ustae) sacrum sex. Horonatius sex fil(ius) Q(uirina) Felix sacrados, cum fili(i)s Proculu triump(h)ale felice sacradotes templum cum omnibus ornementis et pictura sua peq(unia) renovit.

مخصص للإله بلون

سكستوس فليكس ابن كوينتوس كاهن الألهة من قبيلة كويرينا، بمساعدة أبنائه بروكولوس وتريونبال و هما أيضا كاهنين، أعاد بناء المعبد من نفقاتهم مع كامل الزينة والطلاء[33].

Imp(eratori) caes(ari) M(arco) Au(relio) servo Antonio, pio felici aug(usto), parth(ico) maxim(o), britanic(o) max(imo), pontif(ici) max(imo) trib(unitia) pot(estate) XVIII, imp(eratori) III, co(n)s(uli) IIII, p(atri) p(atriae), proco(n)s(oli), divi septimii servi, pii arab(ici), adiab(enici), parth(ici) maxim(i) britanic(i) max(imi) filio, divi m(arci) antonini, pii, Germ(anici) sarm(atici) nep(oti), divi antonin pii pronepoti, divi Hadriani abnepoti, divi trajani parth(ici) et divi nervaea bnepot(i),domino nostro invectissimo, augusto ca(ius) Garnius c(aii) f(ilius), Q(uirina), larensis devostissimus numini ejus, cumgraniis aculino et stullu et festo filiis suis, sua p(ecunia) p(osvit). Loc(us) dat(us) d(ecreto) d(ecurionum).

كانت هذه نماذج لبعض النقيشات التذكارية التي عثر عليها بمدينة روسيكاد، بعضها ما يزال بالحديقة الأثرية و بعضها الآخر مفقود أو تعرض للتلف[34]، و فيما يلي نماذج أخرى لبعض النقيشات الجنائزية الموجودة

[33] Vars (charles), ibid. p 122.

[34] للأسف فقد تعرض السور الداعم من الجهة الغربية للحديقة الأثرية في شتاء سنة إلى الانهيار على القطع الاثرية الموجودة بمحاذاة السور والمتكونة في أغلبها من مجموعة من النقيشات الرومانية، حيث لا تزال إلى اليوم تحت الركام.

بالحديقة و التي تمثل جزءا بسيطا مما تم العثور عليه في مختلف مقابر المدينة خلال الفترة الاستعمارية، حيث كانت مودعة في المتحف الأثري فليب فيل حينها، لتنقل بعد تهديم المتحف سنة 1953 إلى مختلف الأماكن و المستودعات مما أدى ذلك إلى ضياع جزء كبير منها.

1- نقيشة من الحجر الكلسي (87 سم × 47 سم)

D M S

C. ANTONIVS

GAMVS

V. A XXXXV

2- نقيشة من الرخام الابيض (70 سم × 24 سم)

D.M.S

IVLIVS

IMPVRI

IANIVS

VA. AN

XXXI

3- نقيشة من من الحجر الرملي على شكل هرمي (97 سم × 54 سم) مع وجود حقل للكتابة.

M. CAECILIVS.

M. F. Q. AFRIC

ANVS.V.A.LXV

H.S.E

4- نقيشة من الرخام الابيض على شكل مذبح مع حقل للكتابة (84 سم × 45 سم).

D.M.D

C. CAECILIVS

FELICANV S

V. A XXI

H.S.E

5- نقيشة من الحجر رديئة الصنع (1.12م × 0.64م)

D.M

BABVLIA

TITIA. V.A

LXI

6-نقيشة من الرخام الأبيض على شكل مذبح (1.13م × 0.35م) يتوسطها حقل مستطيل للكتابة (32 سم × 22 سم).

D.M.S

COMI.

Ça. COMI

CI. FIL.

P. H

7-نقيشة من الرخام الابيض على شكل مذبح (51 سم× 19سم)

D.M.S

C. CRATVS

NEPOS

V A. V

H.S.E

8-نقيشة من الرخام الابيض على شكل مذبح (37 سم × 35 سم) مع وجود حقل للكتابة (48 سم × 24 سم)

D.M.S

L. CAILIVS

CAILOSVS

V.A

LXXV

9-نقيشة من الحجر الرملي على شكل مذبح (83 سم× 44 سم) يتوسطها حقل كتابي مربع (31 سم × 31 سم).

D.M

CAESONIA

AVSESIS

V. A. V H.S.E

10-نقيشة من الرخام الابيض على شكل مذبح (74 سم × 22 سم).

D. M. S

ALBANI

VS. HONES

TVS QVI ET SE

CVNDIANVS

VA. XXXV.H.S.E

11- نقيشةمن الحجر الرملي (1.16م × 0.43 م) على شكل عقد يعلوه شكل على هيئة هلال تتوسطه نقطة.

CAECILIA. VR

BANA. V.A

LXXXXI

H.S.E

3-ألبوم مدينة شولو:

مثلما ذكرناه سابقا عن مدينة القل فقد كان حصادها الأثري مخيبا إلى حد كبير قياسا بسمعتها التاريخية و هو الأمر الذي ينسحب كذلك على النقوش الأثرية بالمدينة[35]، إذ أنها قليلة جدا مثلما ورد في ALAlg II، حيث لم يتم إحصاء إلا ثمانية نقيشات أغلبها جنائزية و التي نقل بعضها في ذلك الحين إلى متحف فليب فيل الأثري، كما لم يتم اكتشاف إلا نصبا أو نصبين جنائزيين آخرين في فترة الاستقلال، بحيث لا نجد اليوم بالمدينة إلا نقيشتين كما هو مبين أدناه:

نصب جنائزي من الحجر (1.12م × 0.45 م).

D. M. S

OMARI.Q

FIL.QVR.I

EXTRICATVS

V A LXV

H. S. E

[35] نكرر الملاحظة هنا بأن هذه الخيبة فيما يتعلق بالحصاد الأثري لمدينة شولو ربما يعود سببه الرئيسي إلى تعاقب الاستيطان بالمدينة على امتداد كامل المرحلة الوسيطة و حتى في فترة التواجد العثماني، حيث لاحظنا إعادة استعمال واسع للعناصر المعمارية الخاصة بمعالم المدينة الرومانية، و منها على سبيل المثال مسجد سيدي علي الكبير الذي بالاضافة لكونه بني على أنقاض معبد جوبتير فقد تم أيضا استغلال مواد بنائه لبناء المسجد، و منها تلك النقيشة التي تم من خلالها التعرف على المعبد و التي استعملت في بناء الجدار الجنوبي للمسجد.

4-ألبوم مدينة كلتيانا:

تعتبر مدينة كلتيانا (بني والبان) من أخصب المناطق بإقليم الدراسة من حيث النقوش الاثرية، فقد أحصى ALAlg II أكثر من 1300 نقيشة، أكثرها عبارة عن نقيشات جنائزية- 1250 نقيشة- [36] جلبت لوحدها من المقبرة التي اكتشفت بالجهة الشرقية للمدينة خلال العهد الاستعماري ، وقد ارسل البعض منها في ذلك الوقت إلى متاحف فليب فيل و قسنطينة، بينما بقيت كمية من هذه النقوش على مستوى بني والبان بباحة مقر البلدية كما مر معنا، بينما نجهل مصير المئات الأخرى من هذه النقيشات.

ومثلما يمكن ملاحظته في مجمع النقوش اللاتينية للجزائر، فقد افرد لنقيشات كلتيانا جزءا كاملا تم استهلاله ببعض الكتابات التذكارية كما سنراه من خلال النماذج التالية:

ILAl II 2085

Dianae Aug(ustae) sacr(um) P(ublius)

Antonius P(ublii) fil(ius) Q(uirina)

Antoninus aedilis desig(natus)

Signum marmoreum cultorib(us)

Dianae et mercuri Sua pecunia

Dedit idemq(ue) dedicavit

Consécration à Diane Auguste.Publius AntoniusAntoninus, fils de Publius, inscrit dans la tribu Quirina, édile designé, a offert à ses frais une statue de marbre aux fidélesde Diane et de mercure, et il a dédicacé[37].

مخصص للإلهة ديانا، بوبليوس انطونيوس انطونينوس ابن بوبليوس من قبيلة قويرينا المعين مراقباعاما (ايديل) منح من ماله وأهدى تمثالا من الرخام لمريدي ديانا ومركور.

ILAl II 2089

[36] Gsell (St), Op.cit. 1947.

[37] ترجمة النص وتصحيحه كانت بمساعدة من طرف العالم الفرنسي: .Yahne Le bohec

IMP.CAESARI

DIVI.ANTONINI.PII

FIL.DIVI. HADRIANI

PARTHICI.PRONEP

L.AVRELIO.VERO.AVG

ARMENIACO.IMP

II. TRIB.POT.III COS

II.PROCOS. D.D.P.P

A l'empereur César Auguste Lucius Aurelius Verus, fils d'Antonin le Pieux le divinisé, petit- fils d'Hadrian le divinisé, arrière-petit-fils de Trajan le Parthique le divinisé, acclamé *impertor* à deux reprises, revêtu de la troisième puissance tribunicienne, consul à deux reprises, proconsul.(monument offert) par décret des décurions, aux frais de la cité[38].

للامبراطور قيصر اغسطوس، لوكيوس اورليوس فيروس ابن انطونينوس التقي المؤله ابن هادريانوس المؤله، حفيد تراجانوس البارثي المؤله، المعلن امبراطورا للمرة الثانية، الموشح لثالث مرة بالقوة القبلية (حق النقض)، قنصلا مرتين، بروقنصل، أقيم (التمثال؟) بمرسوم بلدي (ديكوريوني) على نفقات الخزينة.

[38] ترجمة السيد Le bohec

من خلال هذا الاستعراض لبعض النصوص الاييغرافية بمختلف مناطق اقليم الولاية سواء على مستوى المجامع التي تم تخصيصها لذلك أو على المستوى الميداني، لاحظنا أنها من الكثرة بحيث لا يمكن أن نحصيها كلها، بحيث يقارب عددها اجمالا 2000 نقيشة، و أنها متوزعة في عدة نقاط متفرقة من الولاية، و أن أكبر تركيز لهذه النقيشات كان بكل من مدينتي روسيكاد و كلتيان، بينما لاحظنا أن رصيد شولو ذائعة الصيت لم يكن في مستوى شهرتها القديمة، كما لاحظنا أيضا وجود تنوع كبير في نوعية هذه النقيشات و موضوعاتها التي تراوحت ما بين التذكارية و الجنائزية و أن هناك تنوعا في النصوص و تنوعا في الأسماء و الوظائف و كذلك تفاوتا في الطبقات الاجتماعية لأصحابها، إذ لاحظنا أن بعض النقيشات نفذت بدقة و اتقان على مواد نبيلة كالرخام، و البعض الآخر نفذ بشكل سيئ و رديء على الحجر.

أما على مستوى الدراسات العلمية لهذه الاييغرافيا فإننا نجدها متفرقة في العديد من الدوريات الكولونيالية (BCTH, AE) أو بعض الدراسات الأخرى التي تناولت اييغرافيا روسيكاد عرضا في إطار دراسات واسعة المجال، و ربما أن أهم دراسة تناولت بشكل مركز إلى حد ما تلك النصوص هي تلك الدراسة التي أعدها كل من الدكتور توفيق حموم حول النخب الادارية بالمقاطعة السيرتوية و كذلك دراسة أكاديمية بجامعة Pau et des pays de l'Adour من انجاز السيد: Montagne Geoffroy حول نفس الموضوع تقريبا بالإضافة إلى بعض المقالات العلمية على المنصة الرقمية للمجلات الجزائرية (ASJP)، أين حاولنا من خلال ما ورد في كل ذلك أن نقدم قراءة تحليلية بسيطة لمحتوى نصوص النقيشات بروسيكاد و ضواحيها.

<u>الأسماء والكنى:</u>

من خلال المجامع الاييغرافية أساسا (CIL.ILAL II) قمت بمحاولة استخراج أهم الأسماء والكنى التي شاع استعمالها بروسيكاد وضواحيها في الفترة الرومانية، هذه الاسماء والكنى تعود بالأخص لحصة كل من روسيكاد وكلتيان وعبر طريق سيرتا- روسيكاد حيث العدد من النقيشات يسمح بذلك، حيث قمت باستخراجها مع الاشارة إلى مدى شيوعها أو ندرتها والأصول التي تعود إليها إن أمكن ذلك.

الاسم	درجة الشيوع	الكنية	درجة الشيوع
ACILIVS ACILIA	شائع	SATVRNINVS	شائع
AEMILIVS AEMILIA	شائع	FELIX FELICIA	شائع

ALBANIVS	نادر	RVSTICVS	شائع
ALEXANDER	نادر	FVRTVNIVS (A)	شائع
ANTIVS ANTIA	شائع	HANORATVS (A)	شائع
ANTONIVS ANTONIA	شائع	BVRVCBAA L	نادر
ANVLIUS ANVLIA		MODIISTIVS	نادر
ANANIVS ANANIA	شائع		
ARRVNTIVS ARRVNTIA	نادر	VICTOR	شائع
BARBARVS	نادر	CECERO	شائع
BENNIVS BENNIA	شائع	ESTRICATVS	شائع
BOMBIVS BOMBIA	متوسط	TERTVLA	شائع
BOTTIVS BOTTIA	شائع	MVSICVS	نادر
CAECILIVS CAECILIA	شائع جدا	NOVATVS	نادر

CAECINIVS	نادر		
CALICIVS CALICIA	متوسط		
CALPVRNIVS CALPVRNIA	نادر	MAXIMVS	نادر
CANEVS	نادر	MINVS	نادر
CANINIVS CANINIA	شائع	CRESCES	شائع
CARILO	نادر	VRBANVS VRBANILA	شائع
CASSIVS CASSIA	شائع	QUINTILVS	شائع
CERFICIA	نادر	HOSPITALIVS	شائع
CLAVDIVS	شائع	POSTVMVS	نادر
CLODIVS CLODIA	شائع	TRACVLVS	شائع
COMINIVS COMINIA	متوسط	SECOND	نادر
CORATIEVS		ONARATVS	نادر
CORNELIVS CORNELIA	شائع	ROGAT	شائع

CORNIFICIA	نادر	SERVICVS	نادر
CREPEREIVS CREPEREIA		BONICIVS BONICIA	شائع
DOMETIVS	نادر	INGINIA	نادر
FABIVS FABIA	شائع	NATALVS NATALIA	شائع
FADIA	نادر	VEGETVS	نادر
FLAVONIA	شائع	PERIGRINVS	شائع
FVFICIA	نادر	IVANVARIVS	شائع
FVSTIVS	نادر	BABIVS	نادر
GAIVS GAVLA	شائع	IVAGALATVS	شائع
GARRVLIVS GARRVLIA	شائع	VADRATVS	نادر
GVDVDIO	نادر	FVSCVS	نادر
HORATIA	نادر	AFRIC	شائع
IVLIVS IVLIA	شائع	FILICITAS	شائع
LVRIVS	نادر	BVTVRA	متوسط
MARCIANVS	متوسط	IMPVTRANVS	نادر

MARCVS	متوسط	NATCVSINA	نادر
MODIVS	نادر	ACHAICA	نادر
PACTVMEIVS PACTVMEIA	شائع	MAVBBAL	نادر
POMPEIA	متوسط	MINICILVS	نادر
PONPONIVS	متوسط	CANPANVS	نادر
RATILA	متوسط	TROPHIME	شائع
RVBRIA	نادر	VRBANILA	شائع
SADIARIVS	نادر		
SALLVSTIVS	نادر		
SAPIRIA	نادر		
SCANTIVS	نادر		
SERGIVS	نادر		
TVPILIA	نادر		
VELERIVS VELERIA	شائع		
VIRIVS	نادر		
VITRVVIVS	نادر		

5-الانتماء القبلي:

من خلال النصوص الاييغرافية المنتشرة عبر مختلف مناطق الولاية يلاحظ أن أكثر من 50% منها تحمل إشارة الانتماء إلى قبيلة قويرينا QVIRINA سواء من خلال الحرفQ أو مختصر التسمية QVRI أو من خلال التصريح بالتسمية كلها، كما أن هناك نصب ونقيشات قليلة تشير إلى قبيلة غاليريا، أما بقية النصوص فهي لا تشير إلى أي انتماء قبلي، إلا أنه من خلال الكنى الملحقة بالأسماء يمكن الاعتقاد انها تعود إلى السكان المحليين المرومنين أو المعتقين من مثل PERIGRINVS، SERVIVS، SATVRNINVS، AFRIC، BVRVCBAL...

النخب الإدارية والوظائف:

	الأسماء الكاملة	الموقع	الوظائف	التأريخ	المرجع
01	كايوس كايكيليوس جالوس C. CAECILIVS Q. F. GAL. GALLVS	روسيكاد	إيديل، مقدم الأباطرة، حاكم (برايطور)، عضو (تريومفير) المستعمراتIIII، قنصل، قاضي المجالس الثلاث الأولى، مفوض (يورديكوندو)، كاهن المؤله يوليوس	القرن الأول	*CIL*, VIII, 7986 / 7987 ; *ILS*, 6862; *ILAlg.*, II, 1, 36 / 71.
02	فيراتيا فرونتونيلاّ VERATIA FRONTONILLA		كاهنة المستعمرات الأربع	188	*CIL*, VIII, 7080; *ILS*, 6855; *ILAlg*., II, 695.
03	كوينتوس أوستورنيوس لابيانوس Q. AVSTVRNI P. F. QVIR. LAPPIANI		ايديل، عضو (تريومفير) المستعمراتIIII ، حاكم (براطور) المستعمرات III .	209-198	*CIL*, VIII, 7978; *ILAlg.*, II, 1, 29.

04	تيبريوس كلاوديوس كلاوديانوس TI. CLAVDI CLAVDIANI	قائد المقاطعات الامبراطورية، عضو (يريموفير) المستعمرات IIII، حاكم (براطور) المستعمرات III، قنصل مقاطعة بانونيا العليا و السفلى، قائد مفارز الداكيين و الفيلق الجيرماني 13 و المقدوني الخامس، مقدم الاباطرة و حاميهم المخلص، كاهن السيفيرية و الليفانيين.		
05	لوكيوس كورنيليوس فرونتو بروبيانوس L. CORNELIVS L. FIL. QVIR. FRONTO PROBIANVS	عضو المستعمرات الأربع كاهن أبدي لعبادة المؤله انطونينوس الأكبر	235-218	*CIL*, VIII, 7963; *ILAlg.*, II, 1, 10.
06	?	[EQVO PVBLICO E]XORNATVS FLAMEN PP.	222-218	*CIL*, VIII, 7964; *ILAlg.*, II, 1, 11.
07	ماركوس لوكيسيوس فابيوس فرونتو M. FABIVS L. FIL. QVIR. FRONTO	حاصل على رتبة الحصان العمومي، عضو (تريومفير) المستعمرات IIII ، حاكم (برايطور) المستعمرات III ، فلامين أبدي لعبادة المؤله انطونينوس الاكبر.	225	*CIL*, VIII, 7103 / 7988 / 7989 / 7133 = 19439; *ILAlg.*, II, 1, 37 / 38 / 682.

08	بومبونياي جيرمانيلاي [P]OMPONIAE GERMANILLAE	امرأة وجيهة		
09	كلاوديوس كلاوديانوس CLAVDIVS CLAVDIANVS	COS DVARVM PANNONIARVM		*CIL*, VIII, 7977; *ILAlg.*, II, 1, 30.
10	لوكيوس كورنيليوس ريستيتوتوس L. CORNELIVS RESTITVTVS	حاكم		
11	كايوس آنيوس.. C. ANNIVS C. FIL. QVIR	عضو المستعمرات الأربع، كاهن.		*CIL*, VIII, 7983 - 7984; *ILAlg.*, II, 1, 34.
12	سيكستوس أوتاكيلوس ريستيتوتوس SEX. OTACILVS RESTITVTVS	كاهن، عضو (تريومفير) المستعمرات IIII، ايديل، كويستور.		*CIL*, VIII, 7990 / 7991 ; *ILAlg.*, II, 2, 42 / 43.
13		كاهن امبراطوري		*CIL*, VIII, 7990 / 7991 ; *ILAlg.*, II, 2, 42 / 43.
14	كايوس ميتيوس إكزوبيرانس C. METTEIVS EXVPERANS	كاهن امبراطوري		*CIL*, VIII, 7956; *ILAlg.*, II, 1, 01.
15	سيكستوس هوراتيوس فيليكس SEX. HORATIVS SEX. FIL. Q. FELIX	متربص بمعبد بلون		*CIL*, VIII, 7957; *ILAlg.*, II, 1, 03.

16	بروكولوس تريومبالي فيليكس PROCVLVS TRIVMPALE FELIX (FILIVS)		متربص بالمعبد		
17	كنيوس ... سوريكيوني CN. CA[…] SORICIONI		تريومفير ، كاهن (فلامين) أبدي		*CIL*, VIII, 7985; *ILAlg.*, II, 1, 35.
18	…] M. F(ILIVS) ?		كاهن (فلامين) أبدي		*CIL*, VIII, 7992 ; *ILAlg.*, II, 2, 47.
19	كلاوديا فيتوزا تيرتولينا CLODIA VITOSA TERTVLLINA		كاهن المستعمرات الأربع		*CIL*, VIII, 18192; *ILS*, 6856.
20	سيتيا أوربانا SITTIA VRBANA		كاهنة		*ILAlg.*, II, 2, 72.
21	آيليوس آمبيليوس AEL. AMPELIVS		كاهن (فلامين) أبدي		*CIL*, VIII, 7976; *ILAlg.*, II, 33.

	الأسماء الكاملة	الموقع	الوظائف	التأريخ	المرجع
01	?	**شولو و كلتيان**	.كاهن امبراطوري دومفير حاكم مسؤول جبائي (كويسطور)		*CIL*, VIII, 19917; *ILAlg.*, II, 422.
02	لوكيوس آيليوس أوبتاتيانوس كاماريانوس L. AELIVS OPTATIAN[VS CAMMARIA]NVS		كاهن (فلامين) أبدي	321	*CIL*, VI, 1684.
03	فلافيوس سيكوندينوس FLAVIVS SECVNDINVS		كاهن (فلامين) أبدي		
04	دوميتيوس أوبتاتيانوس DOM[ITIVS OPTATIANVS]		كاهن (فلامين) أبدي		
05	آيميليوس نيمجونيوس AEMILIVS NEMGONIVS		كاهن (فلامين) أبدي		
06	آيميليوس تيتريكيوس AEMILIVS [TITRCIVS]		كاهن (فلامين) أبدي		
07	ستاتيليوس سيكونديانوس [STA]TILIVS SECVNDIANVS		كاهن (فلامين) أبدي		
08	بوبليوس انطونيوس انطونينوس Antoninus Publius Antonius		مراقب عام (ايديل)		

6-قراءة تحليلية عامة في ابيغرافيا الولاية:

من خلال ما سبق عرضه من الابيغرافيا بولاية سكيكدة يتضح أنها من الثراء بحيث تستوجب لوحدها دراسة قائمة مفصلة، حيث يقارب عدد النصوص التي جمعت خلال المرحلة الكولونيالية لوحدها ثلاثة ألاف (3000) نص، و هو عدد يوفر أرضية مناسبة لإعداد منظومة انوماستية و استخلاص ما يكفي من المعطيات التي تسمح بقراءة تاريخ المنطقة بشكل أعمق و دقيق، كما لاحظنا أيضا أن أكبر الحصص من هذه النصوص توزعت بين كل من روسيكاد و كلتيان و عبر طريق سيرتا روسيكاد، و لم يكن نصيب شولو ذائعة الصيت إلا عدد قليل منها، و هو أمر يدعو للغرابة و التساؤل معا، فيما إذا كانت نصوص هذه المدينة قد ضاعت جراء الاستيطانات المتعاقبة التي عرفتها على امتداد التاريخ، أم أن هناك تفسيرات أخرى، خاصة و أن المدينة كانت برتبة مستعمرة رومانية ما يعني أنها بحجم المدن المهمة عبر شمال افريقيا التي استقطبت إليها الأجناس و الجاليات المختلفة.

و إذا كانت روسيكاد قد حظيت بأكبر عدد من النصوص التذكارية المهمة في معرفة النخب الإدارية و طبيعة الوظائف المنتشرة بها، فإن كلتيان على العكس من ذلك عرفت تواجد عدد كبير من النصب الجنائزية بفضل المقبرة التي وجدت في بداية الاحتلال الفرنسي في حالة بكر، مما ساعد على اجراء عديد الحفريات و المعاينات من طرف المختصين و التي أفضت إلى هذا الحصاد، و أخيرا فإن الطريق الرابط بين سيرتا و روسيكاد قد عرف هو الآخر تواجد العديد من النصوص و الألفيات بالنظر إلى عدد المحطات و المراكز التي توزعت عبر هذا المحور الذي كان نشيطا جدا خلال الفترة الرومانية، كونه الشريان الاقتصادي الأكثر حيوية في اقليم نوميديا في ذلك الوقت.

وعلى العموم واستنادا إلى ما بين ايدينا من المعطيات الميدانية والدراسات فسنحاول اجراء مسح عام لهذه الحصيلة من النصوص واستخلاص بعض النتائج التي نرى أنها من الأهمية بمكان في إثراء عملنا هذا والإجابة من خلالها على بعض التساؤلات.

إن أهم ملاحظة يمكن تسجيلها فيما يتعلق بالنقيشات الموجودة على مستوى الولاية بعد الملاحظة في تفاوت عدد انتشارها بين مختلف المراكز هو هذا الفرق كذلك في المواد المستعملة للتدوين، إذ أن أغلب النقيشات التي عثر عليها بروسيكاد مثلا - التي تعتبر بمثابة أكبر مركز حضاري قديم بالمنطقة- أغلبها من الرخام الأبيض المصقول جيدا، على عكس بقية المراكز، حيث يغلب فيها عدد النقيشات من الحجر و ربما يمكن تفسير ذلك بقرب المدينة من أشهر مقالع الرخام بالبلاد، ألا و هو مقلع الرخام بفلفلة الذي لا يبعد عنها إلا بحوالي 20 كم أو أكثر بقليل، و هو الذي ساهم إلى حد كبير في رخاءالمدينة العمراني إذ أن روسيكاد نفسها بنيت بعناصر معمارية من هذا الرخام مثل ما دلت عليه الدراسة المخبرية التي أجراها السيد هيرمان على

عينات من رخام الأثار الموجودة في المتحف و الحديقة الأثرية، كما يمكن أيضا تفسير ذلك بكون روسيكاد نفسها بحسب المضامين الواردة في نصوص النقيشات تعتبر بشكل ما عاصمة للاقليم بما تزخر به من نخب إدارية، حيث أن أكثر تركيز لهذه الفئة كان بروسيكاد و بالتالي لا يستبعد ان ينفق هؤلاء بسخاء على نقيشاتهم التذكارية و تدوينها على سجلات تعكس مراكزهم السامية في المجتمع.

و على ذكر السجلات أو النقيشات عامة فقد رأينا أنها تعاني في معظمها من الإهمال و أنها موجودة بشكل متفرق بمختلف مناطق الولاية و أنها عرضة للاعتداءات المتكررة سواء بقصد أو عن جهالة، ففي بلدية بني والبان لاحظنا أنه و رغم الإرادة الحسنة في حفظ موروث المنطقة بتخصيص فضاء لها، إلا أن ذلك لم يشفع في الاعتداء على النصب الجنائزية عن طريق الصباغة، كما أننا لاحظنا إعادة استعمال لكثير من النقيشات في بناء المساكن، هذا عدا ما يحدث عبر السنوات من اكتشافات عشوائية للعديد للأثار القديمة بالمدينة، و منها النقيشات دون التبليغ عنها أو حفظها على نحو ما عايناه في الاكتشاف الأخير لنصب بالغ الأهمية تعرض أثناء الحفر للكسر عن طريق الآلة الميكانيكية.

وفي بلدية الحدائق عثرنا أيضا على عمود ألفي كان منتصبا بمدخل إحدى المزارع هناك إلا أن الاهمال الذي طاله جعل من المتعذر قراءة محتوى النص الذي يحويه، وتقريبا ففي كل بلدية من بلدايات الولاية نجد نصوصا مهملة وفي حالة سيئة من الحفظ و هو أمر سيؤدي حتما إلى استنزاف متواصل لرصيد الولاية من الحصاد الايبيغرافي الذي تحمل نقوشه كثيرا من التفاصيل المهمة عن تاريخ المنطقة.

و بالعودة للنصوص التي احتوتها هذه النقيشات فإننا نلاحظ فيما يتعلق بالأسماء و الكنى و الوظائف أن أغلب السكان الذين انتشروا عبر روسيكاد و ضواحيها في الفترة الرومانية هم من أصول إيطالية و لاتينية و من بلاد الغال و اسبانيا و جيرمانيا[39] مع وجود عدد محدود من أصول اخرى مختلفة، أما العنصر المحلي المرومن أو المعتق أو حتى العبيد فيبدو أنه كان يشكل الطبقة الأكثر انتشارا في المنطقة.

فبحسب الدراسات التي أجريت في السابق سواء بالمنطقة محل الدراسة أو في عموم الكونفدرالية السيرتية فإن الاحصائيات المتعلقة بهذا الجانب أعطت نتائج مطابقة إلى حد بعيد لهذه الملاحظة الأولية.

فشيوع اسماء مثل فلافيوس، ايليوس، بومبنيوس، كايكيليوس، ايمليوس و هي اسماء رومانية ايطالية انتشرت بشكل واسع من القرن الأول حتى القرن الثالث للميلاد بالمنطقة[40] يدل على مدى نجاعة سياسة

[39] توفيق حموم، النخب الإدارية والاجتماعية للكنفدرالية السرتوية والمدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني (منذ سنة قبل الميلاد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، جامعة بوزريعة، 2009/2008.

[40] محمد آكلي اخربان، **التعمير البشري بمنطقة قالمة (أصول سكان المدينة حسب معطيات النقوش اللاتينية)**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5، العدد 15. (ديسمبر 2017). ص 68-84.

الرومنة و انتشارها الكبير في الأوساط النوميدية، إلى درجة أنه اصبح من المتعذر معرفة الأصول الحقيقية لحملة هذه الاسماء ما إذا كانت من العنصر المحلي أو الأجنبي[41]، ذلك أنه حتى بالنسبة للعنصر المحلي فإن مشاركته كانت قوية في إدارة الشأن العام من خلال المجالس المختلفة للسلم الإداري الروماني، خاصة و أن النخب الادارية بشكل عام لم تكن لديها إرادة في ابقاء اشارات تدل على أصولهم الأثنية و الجغرافية، و بالتالي فإن أي دراسة لأي طبقة اجتماعية أو لدرجة الرومنة مهما كانت رفيعة لا يمكنها إعطاء نتائج دقيقة حول أصول الافراد على اختلاف مراكزهم[42].

أما على مستوى الوظائف فيلاحظ أن روسيكاد كانت الأكثر استقطابا من بين جميع المدن في اقليم سكيكدة قديما، حيث لاحظنا وجود جميع الرتب الإدارية بدءا بالماجسترا المحلية إلى أعلى رتبة وكذلك جميع فئات النخب من طبقة النبلاء و الفرسان و السيناتورية، كما لاحظنا انتشارا واسعا لطبقة رجال الدين وطبقة الرهبان والكهنوت وذلك في جميع ربوع الاقليم، وكل ذلك يعكس مدى تنوع المجتمع الروسيكادي وما حولها، وأن المنطقة لم تشذ عن القاعدة في بقية مناطق نوميديا من حيث نوعية وطريقة الانتشار السكاني بها.

وتقدم لنا الاحصائيات في هذا المجال ما يؤكد ما أشرنا اليه على النحو التالي:

	روسيكاد	شولو	كاستلوم سلتيانوم
الطبقة السيناتورية	04	00	00
الفرسان	05	00	00
الكوراطور	01	00	00
الدومفيير	05	01	00
الايدل	05	00	03
الكويسطور	02	01	00
الكوريونا	09	01	02

[41] Lassere p 389

[42] Montagne Geofroy, les notables minicipeaux en Numidie, (IIème siècle ap. J.-C. – IVème siècle), MASTER 2, Sous la direction de Mme Françoise Des Boscs, maître de conférences en Histoire Ancienne, Université de Pau et des Pays de l'Adour, UFR Lettres, Langues et Sciences Humaines, Département Histoire, Histoire de l'Art, Archéologie et Anthropologie

الرتب	روسيكاد	شولو	كاستلوم سلتيانوم
الرهبان	03	01	00
العرافين	02	00	00
الكهنة الدائمين	07	06	00
مجموعة الكهنوت	06	01	02
كهنوت المقاطعة الافريقية	01	00	00

كما لا يفوتنا الإشارة هنا إلى الدور الفعال الذي لعبته النخب البورجوازية في في تشييد وتطوير مدن المنطقة من خلال القيم الرسمية المترتبة عن تقلد المناصب ومن خلال الهبات المالية (evergitisme) وتمويل الألعاب وتوزيع الهدايا، حيث لاحظنا العديد من النصوص التي أشارت إلى ذلك بروسيكاد.

و في النهاية، فإن ما يمكن أن نحصل عليه من خلال دراسة متأنية و معمقة لايبغرافيا المنطقة حتما سيشكل نقطة فارقة بالنسبة لتاريخ روسيكاد و ضواحيها، و سيملأ الكثير من الفراغات التي سكتت عنها نصوص المؤرخين، خاصة في ظل الوفرة الحالية للنقيشات التي لا تحتاج إلا لمتخصص يعيد قراءتها قراءة علمية دقيقة و سيكون ذلك كفيلا بأن يجلي لنا ما خفي من سطور تاريخ لا يزال غامضا في مجمله إلى اليوم، و شخصيا و من خلال عملي هذا المتواضع الذي حاولت من خلاله رغم قلة التخصص أن استنطق و لو جزءا بسيطا من ايبيغرافية المنطقة أكاد أجزم أنه سيتسنى لنا تصحيح الكثير من المسائل المغلوطة بشأن تاريخ المنطقة من خلال عمل علمي رصين لنقيشات سكيكدة.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة و من خلال ما تم استعراضه فيها من المعلومات التاريخية و المعطيات الأثرية المرتبطة بموضوع هذه الرسالة " الانتشار السكاني بولاية سكيكدة في الفترة القديمة"، فإننا خلصنا إلى جملة من القراءات و النتائج التي حتما ستكون مجرد قراءات و نتائج أولية، و لن تكون نهائية على اعتبار أن موضوعا كهذا يحتاج إلى مزيد من البحث و التحري عنه، و ذلك لما يتميز به من التنوع الموضوعاتي و شساعة الموقع، بالاضافة إلى كون منطقة الدراسة تعتبر من بين المناطق التي لم تحظ بدراسات سابقة معمقة تساعد على معالجة أكثر عمقا لهذا الموضوع.

فوقوع الولاية في الجزء الشرقي من الوطن حيث التركيز العالي و الكثيف للمخلفات الأثرية جعلها واحدة من بين المناطق الغنية بالأرصدة الأثرية المتنوعة و العائدة إلى فترات مختلفة، فقد عرفت تواجدا بشريا باكرا يعود إلى العصر الحجري القديم و امتد هذا التواجد و اتصل إلى غاية الفترات المتأخرة، و بالتالي فقد عرفت الولاية جميع المحطات التاريخية التي عرفها شمال افريقيا و توارثت نفس الميراث الأثري الذي نجده في هذا الجزء من العالم، و هو الجزء الذي مثل في فترة من الفترات القديمة قلب العالم النابض بزخم الأحداث و النهضات الحضارية، فلا غرابة إذن، و تبعا لكل ذلك أن يكون تراب اقليم الولاية عامرا بالأثار المتنوعة الدالة على مشاهد حضارية جديرة بالدراسة و البحث المعمق.

و ربما أن هذا التواجد الأبكر للمنطقة ضمن أحداث التاريخ الذي عرفه شمال افريقيا هو الذي أدى إلى تشكلها تباعا ككيان إداري موحد، فباستثناء فترة فجر التاريخ، فإننا نرى أن المنطقة عموما قد عرفت مصيرا سياسيا موحدا، بدءا من العهد القرطاجي مرورا إلى العهد النوميدي ثم الروماني ثم خلال المرحلة الوسيطة و حتى الحديثة و المعاصرة، ففي جميع هذه الفترات التاريخية نلاحظ أن المنطقة قد تعرضت لنفس المد الحضاري و التأثير السياسي ما جعلها تبدو كيانا واحدا يتحرك و يتفاعل في فلك أحداث التاريخ، و هو الأمر الذي انتهى بها أخيرا لتصبح قطعة إدارية كاملة و ولاية هامة تحت راية الجزائر المستقلة.

أما من حيث التنوع الجغرافي، و نظرا لمساحتها الواسعة فقد تميزت الولاية بسطح متنوع، يغلب عليه شريط ساحلي طويل يمتد بين رأسين يعتبران من بين أكثر الرؤوس اندفاعا نحو الشمال مقارنة ببقية الشريط الساحلي لشمال افريقيا، مشكلا بالتالي خليجا فسيحا اشتهر قديما بخليج نوميديا نظرا لشدة اتساعه، و كذلك التضاريس الجبلية ذات الاتجاهات المتعددة و التي تتخللها أودية كبرى و منخفضات سهلية، هذا من الجهة الشمالية ، أما من الجهة الجنوبية فإن مورفولوجية السطح بقدر ما ترتفع عن مستوى سطح البحر تأخذ في المقابل بالانخفاض و الانبساط لتشكل سهولا كبيرة تتميز بخصوبة عالية، كما أن هذا التنوع في السطح أدى إلى وجود نطاقين مناخيين، رطب في الشمال و شبه رطب في الجنوب.

و يبدو أن هذا الوضع الجغرافي للمنطقة هو الذي أدى إلى استقطاب المجموعات البشرية الأولى و التي استقرت بداية في الجهات الغربية للولاية، و هذا لقربها من المهاد الأولى للتواجد البشري بشمال افريقيا، خاصة منها عين بوشريط و عين لحنش في فترة الباليوليتيك الأسفل، و بورمل أفالو خلال الباليوليتيك الأعلى، إذ يبدو ان هناك انتشارا مطردا من هذه المناطق العتيقة نحو المحيط المجاور لها ضمن سلسلة متتابعة من الهجرات البشرية، حيث كان نصيب اقليم دراستنا منه في الجهة الغربية أين تركزت معظم المخلفات الأثرية لتلك الحقب بكل من لقصر و حجر مفروش بدائرة عين قشرة أقصى غربي الولاية.

وقد اتسمت عصور ما قبل التاريخ بالولاية بالغموض بسبب قلة الدراسات، بل انعدامها تماما، حيث أننا نجهل التفاصيل المتعلقة بتلك المرحلة، وما إذا كان التواجد البشري في تلك العصور قد اقتصر فقط على المناطق الغربية أم أن هناك مناطق أخرى للانتشار، وكل ما بين أيدينا من أدلة أثرية إلى حد الآن تشير إلى أنه قد تركز في الجهات الغربية فقط، وأن الانتشار السكاني أخذ في التمدد والتوسع انطلاقا من تلك المناطق مثلما تؤكده المخلفات العائدة إلى فترة فجر التاريخ التي تركزت أكثر في الجهات الغربية من الولاية.

ففي فترة فجر التاريخ نلاحظ انتشارا معتبرا للتواجد البشري، رغم ما يكتنف هذه الفترة هي الأخرى من تساؤلات حول بدايتها و نهايتها في شمال افريقيا، و التي غالبا ما تتأرجح بداية من نصف الألفية الثانية قبل الميلاد إلى حدود القرن الأول منه، و هي الفترة التي عرفت انتشارا واسعا للمقابر الميقاليتية التي تعتبر السمة البارزة لهذه الفترة، حيث شكل نصف الولاية الغربي الحاضن المثالي لهذه المعالم الجنائزية، خاصة المناطق الشمالية منه، و يتميز هذا الفضاء بتضاريس جبلية تتخللها بعض السهول، التي تمركزت المقابر حولها، مما يدفع للاعتقاد أن أصحابها قد مارسوا الزراعة و كانوا على قدر من الاستقرار.

و من خلال الدراسة التنميطية لتلك المقابر التي يغلب عليها نوع الدولمن، وتحديدا القبور الجلمودية أو العمادية، و كذلك بعض الأنماط الأخرى الشبيهة بالبازينة، و كلها تعتبر من المظاهر الحضارية لمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، أين عرفت انتشارا واسعا في الضفة الشمالية كما الجنوبية للحوض ، إلى درجة لم يعد يمكن فيها معرفة الاصل الأول لهذه المعالم، قلت، من خلال هذه الدراسة و شكل توزيع القبور الميقاليتية بالولاية يمكن الاعتقاد أن أصحابها قد عاشوا في جو من التأثيرات الحضارية المختلفة و خاصة التأثير الحضاري القرطاجي و ذلك لقرب هذه المواقع من سواحل البحر التي كان الفنيقيون قد أنشأوا بها خلال هذه الفترة العديد من المرافئ التجارية.

فلا يستبعد أن يكون أصحاب هذه المقابر قد تمركزوا قريبا من هذه المرافئ للانتفاع بالمنتجات الفنيقية التي كانوا يقايضونها مع السكان المحليين مقابل المواد الخام، خاصة على مستوى شولو (القل) و روسيكادا (سكيكدة) و عبر الساحل بينهما، إذ أن هذه هي المناطق التي عرفت انتشارا واسعا للدولمن في نفس الفترة

التي توسعت فيها الامبراطورية القرطاجية، و إذا أضفنا إلى كل ذلك أن الانتشار المكثف للدولمن كان بالمناطق الشرقية للجزائر إلى غاية الحدود الغربية لتونس، حيث كان للقرطاجيين احتكاكا مباشرا و كبيرا هناك، يتأكد لنا أكثر مدى تأثير التجارة القرطاجية على التحول الحضاري بالمنطقة، فقد ساهمت هذه التجارة في ازدهار التبادل الحضاري ما بين ضفتي المتوسط بشكل سرع من نمو الوعي لدى السكان المحليين بشمال افريقيا و بإقليم نوميديا خاصة، و أدى إلى نشوء تكتلات و بؤر حضارية.

هذا التكتل الذي تمظهر بداية في شكل بلدات، ليس بإقليم دراستنا فحسب، بل وعلى امتداد سواحل المتوسط عامة، حيث ظهرت العديد من التجمعات الاستيطانية حول الموانئ الفنيقية- القرطاجية والتي ارتقت إلى مدن وبلدات تتبع للوصاية القرطاجية في إطار ما عرف بالأراضي الميتاقونية، وكان نصيب اقليم الدراسة مدينتين هامتين، هي كل من روسيكادا وكلوبس مانيوس أو شولو، فهاتين المدينتين ثبت بالأدلة الأثرية أنهما تعودان في النشأة إلى العهد القرطاجي على الأقل، أي بداية من القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد.

و يبدو أن مدينة شولو كانت أكثر شهرة من روس ايكادا في تلك الأوقات، و هذا ما توحي به التسمية التي أطلقت عليها من طرف الاغريق " مانيوس"، و كذلك الكتابات القديمة، على غرار ما أورده صولان الذي نسب إليها صناعة نسيجية تضاهي في جودتها تلك التي كانت تنتج في صور، و نتيجة لذلك رأى بعضهم أن مدينة شولو قديما كانت عبارة عن مدينة صناعية، و يبدو أن ذلك يعود أساسا لقوة الكثافة السكانية بتلك الجهة مثلما تعكسه المخلفات الأثرية لتلك الفترة في عديد المواقع بضواحي المدينة، و كذلك لوفرة المواد الأولية المتمثلة في الأخشاب و المرجان و غير ذلك.

أما روس ايكادة، فيبدوأنها لم تكن أكثر من بلدة أنشأها الفنيقيون لإدارة الأعمال التجارية أو ما يطلق عليه الباحثون " وكالة تجارية" وأنها ازدهرت في ذلك الوقت بسبب موقعها الاستراتيجي الذي كان يربطها بسيرتا، بحيث أصبحت المنفذ المثالي للمنطقة بفضل التضاريس الأقل حدة التي تربطها بمحيطها القريب والبعيد، على عكس شولو التي تقع في نطاق طوبوغرافي بالغ الحدة.

ومع انحسار حدود الامبراطورية القرطاجية نتيجة الحروب البونية، وانكماش هذه الحدود لتقتصر فقط على مدينة قرطاجة بتونس، فإن اقليم كل من روسيكاد وشولو يصبح من ضمن ممتلكات نوميديا، حيث كان الملك ماسينيسا وخلفائه من بعده يجرون من خلال مينائيهما أنشطة تجارية مع الضفة الشمالية للمتوسط، وبخاصة مدن الاغريق الذين وجدوا في نوميديا المجال الحيوي لنشاطاتهم التجارية والحرفية.

وقد اتسمت هذه الفترة بإقليم الدراسة بقلة المعطيات العلمية، سواء من خلال المصادر القديمة أو الاكتشافات الأثرية، بحيث أننا نجهل الوضعية السياسية للمدينتين، خاصة في الفترات الأخيرة للمملكة النوميدية مع

انتشار حالة الفوضى والاضطرابات الناجمة عن الصراعات الرومانية التي انتقلت إلى أرض افريقيا، وستشكل نتائج هذه الصراعات منعرجا حاسما في تاريخ المنطقة برمتها.

فعقب التحول الكبير الذي عرفته مملكة نوميديا بانتقالها من السيادة النوميدية إلى السيادة الرومانية فإن حركية جديدة ستغير الوجه السياسي للمنطقة، إذ شكل الجزء الشمالي من نوميديا كيانا مستقلا تحول بشكل تدريجي إلى اتحاد لأربع مستعمرات ، اعتبر بمثابة " دولة في دولة"، و قد جرى هذا التحول في إطار دينامية سوسيو اقتصادية و سياسية فرضها الواقع المترابط للاقليم النوميدي، فلم يكن بالامكان فصل العاصمة سيرتا عن منافذها البحرية، كما أن الانتشار السيتاني عبر ربوع الشمال النوميدي ألقى بظلاله على قرار ضم تلك الأراضي التي وقعت تحت أيدي المرتزقة كهبة قيصرية ضمن كيان واحد.

وهكذا نجد أن مدينتي روسيكاد وشولو واجهتا مصيرا مشتركا محتوما، إذ تمت ترقيتهما في وقت واحد إلى رتبة مستعمرة، وكانتا تتلقيا الأوامر الإدارية من قلب العاصمة سيرتا، وهو ما جعلهما يتشاركان كثيرا من القواسم المشتركة، من ذلك تأثيرهما الواضح على المحيط الاقليمي حولهما، حيث انتشرت به العديد من المراكز العمرانية، سواء على امتداد الساحل أو بداخل الأراضي، مع تفاوت في قيمة ورتبة هذه التجمعات ووظيفتها، والتي نجد أثارها عبر مختلف ربوع الولاية.

فقد وجد عبر الشريط الساحلي لخليج نوميديا أثار للعديد من المحطات البحرية، إذ لا يكاد يخلو شاطئ من شواطئ الولاية إلا و نجد فيه أثار لاستيطان روماني معتبر، فانطلاقا من الجهة الغربية للولاية حتى الحد الشرقي هناك محطات أشير إليها قديما مثل باراسيانيس و تاكتوا، و منها ما سكتت عنه المصادر غير أن حجم المخلفات الأثرية و حجم انتشارها يدل على أهميتها الكبيرة على غرار موقع الملاحة بوادي بيبي و لبليدة بوادي طنجة و قد يتطلب الأمر أبحاثا أثرية معمقة للوصول إلى فهم ماهيتها و الوظيفة التي أنيطت بها، و الملاحظة التي أمكننا في هذه الدراسة ان نخلص إليها هو التشابه النمطي لهذه المواقع و خلوها تقريبا من الطابع العسكري مما يدفعنا للاعتقاد أنها ذات صبغة اقتصادية بحتة، مع استثناء ربما لباراسيانيس و تاكتوا، فهاذين المركزين يبدوان أنهما على على علاقة بالجانب العسكري كونهما يقعان على الحدود مع البروقنصلية، فلا يستبعد أن يكونا مركزين حدوديين ولذلك تم الإشارة إليهما.

أما بداخل الأراضي، فإن المصادر القديمة ذكرت عدة مراكز أهمها فيلا سال وبالما، وسكتت عن أهم وأكبر المراكز وهي كاستلوم كلتيانوم، فهذا المركز العمراني يعتبر ثالث أكبر مركز قديم بإقليم الولاية بعد كل من روسيكاد وشولو، وكان بالامكان أن يكون نموذجا للمدينة الرومانية لولا الخراب الذي تعرض له نتيجة الاستيطان الذي عرفه الموقع في بداية الاحتلال أو قبله بقليل، ولو أن هذا الأمر قد تعرضت له كل من مدينتي شولو بدرجة كبيرة وروسيكاد بدرجة أقل.

فمدينة شولو قد عرفت توالي الاستيطانات بها على امتداد العصور الوسطى مما أدى إلى تشوه المدينة تماما، و هذا من خلال الاستعمال المتكرر للعناصر الأثرية الرومانية إلى درجة استنزف معها الرصيد الأثري للمدينة، ما ترك الباحثين في حيرة حول تلك المفارقة التي جعلت من مدينة عظيمة كشولو مجرد ذكر بلا أثر يعيد نسج خيوط ماضيها ذائع الصيت، إن تلك الاشكالية لا تجد إجابة لها إلا في هذا الاستعمال و الاستنزاف كل مرة للموروث الأثري للمدينة في الاستيطان المتعاقب، و لا يمكن بأي حال رده إلى قلة حجم و أهمية المدينة طالما أنها بلغت رتبة المستعمرة في وقت لم تصل مدينة بحجم كلتيان إلى هذا الشرف.

و فيما يخص روسيكاد، فحظ هذه المدينة أنها لم تتعرض للاستيطان مطلقا عقب خرابها في ظل الحرب البيزنطية – الوندالية، و إنما انزوت تحت غطاء القرون الطويلة إلى غاية اكتشافها من طرف جنود الاحتلال الفرنسي، و رغم أن هؤلاء تعاملوا بشكل وندالي مع أثار المدينة من خلال استغلال معالمها في العمران الجديد لمدينة فليب فيل من دون حسيب و لا رقيب، إلا أن جهود المرافقين للطلائع العسكرية الأولى من هواة و ضباط و أطباء و إداريين قد ساهم إلى حد ما في حفظ تراث المدينة الأثري و مكن من تحديد فيزيونومية المدينة و إعادة تصورها، بل و حتى تحديد نقاط توزيع المعالم داخل المدينة، هذا عدا ما تم استنقاده من تلك المعالم التي ما تزال قائمة إلى اليوم كشاهد عيان على مدى ما وصلت إليه روسيكاد من رقي عمراني.

و عموما، فمن خلال هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها أن نمسح ما أمكن - سواء على الميدان أو من خلال ما تم توثيقه قديما و حديثا- اقليم ولاية سكيكدة الترابي يتبين لنا أن توزيع المراكز العمرانية عليها اليوم يكاد يكون مطابقا لما كان عليه في الفترة القديمة، فبالإستناد إلى شبكة الطرق الرئيسية و الفرعية القديمة نلاحظ أنها تتوافق إلى حد بعيد مع شبكة الطرق الحالية، فطريق سيرتا – روسيكاد لا يزال نفسه الطريق اليوم بين قسنطينة و سكيكدة مع بعض التغييرات هنا و هناك لمسار الطريق، و كذلك بالنسبة للطريق الذي يربط شولو بكل من كاستلوم كلتيانوم و بالما و فيلا سال، هو نفسه تقريبا الذي يربط بين القل، بني والبان، بالشعور و الحروش، و حتى الطريق الذي ينطلق من الحروش نحو عزابة له ما يقابله عبر سلسلة جبال سبع رقود محاذيا وادي محيقني نحو ندبوس، و نفس الشيء بالنسبة للطريق الرابط بين سكيكدة و عنابة، سواء بداخل الأراضي عبر حمادي كرومة ، بني بشير، راس الماء، عزابة ثم هيبوريجيوس، أو عبر الساحل من خلال محطات كل من باراسيانيس، تاكتوا (سيدي عكاشة) نحو عنابة.

هذا ما وصلنا إليه في هذه الدراسة بالنسبة للمراكز الحضرية الكبرى بإقليم الولاية، ويمكن أن تقدم لنا الابحاث مستقبلا مستجدات أكثر رغم ما لحق الأثار القديمة من طمس وتخريب جراء عمليات التعمير المتواصلة وأيضا نتيجة العوامل الطبيعية، أما فيما يخص الآثار الريفية، فإن اقليم الولاية يتميز برصيد

هائل ويستلزم للإحاطة به وعرضه كله دراسة مستقلة، حيث أننا نقابل في كل بلدية من بلديات الولاية على اختلاف مواقعها أثارا متناثرة هنا وهناك، إلى درجة يمكن أن يكون للبلدية الواحدة عدة مواقع متفرقة.

و يغلب على هذه الآثار الطابع الفلاحي، فقد رأينا كيف توزعت العديد من الضيعات الفلاحية حول المدن الكبرى، و هو ما يعكس تلك الديناميكية التي تربط عالم المدن بعالم الأرياف، إذ أن الريف لدى الرومان يمثل خلفية اقتصادية هامة، فهو بمثابة مصدر الثروة الأول، خاصة بمنطقة نوميديا التي كانت تعتبر مخزون روما من القمح (grenier de Rome) لما تتميز به من سهول عالية الخصوبة و مناخ ملائم فالنشاط الزراعي في نوميديا كان يمثل استراتيجية أساسية في الأمن الغذائي لروما، و قد احتل هذا النشاط مكانة متميزة في اقليم الدراسة، و لو أننا لاحظنا أن هذا النشاط تركز أساسا على زراعة اشجار الزيتون و الكروم مثلما تعكسه لنا المخلفات الأثرية المتمثلة في معاصر الزيت: التقليدية منها أو تلك المحفورة في الصخر، و هذه الأخيرة عثرنا على أنها متوزعة في أغلب نقاط الولاية، بدءا برمضان جمال إلى غاية المناطق الجبلية ببلديات اولاد احبابة، فرفور، بني والبان، أم الطوب و غيرها من البلديات، كما كنا قد عثرنا أيضا ببعض البلديات على عناصر لرحى القمح، وهذه الأخيرة موجودة بأعداد معتبرة بالحديقة الأثرية و التي جلبت خلال فترة الاستعمار الفرنسي من مواقع بني والبان و صالح بالشعور و الحروش، اذ يبدو أن تلك المناطق نظرا لسهولها الواسعة كانت مخصصة لزراعة القمح كما هو الأمر اليوم.

و تعتبر بلدية أولاد احبابة من بين أكثر البلديات غنى بالمخلفات و المواقع الأثرية، فقد وجد بها ع، و يبدو أن آثار هذه البلدية كانشرات المواقع المتفرقة،و يبدو أن هذه المواقع قد توزعت قديما حول مركز عمراني كبير تموضع على سفح ربوة تتوسط المنطقة هي ربوة قلعة القلة، ففي هذا الموقع عثرنا على أثار متنوعة و منتشرة على مساحة تزيد عن 4 هكتارات، و يمكن بالنظر إلى الموقع الجغرافي لهذه الأثار الذي يحتل نصف المسافة ما بين سيرتا و روسيكاد الاعتقاد أن ثمة محطة هامة قد ازدهرت قديما بتلك المنطقة و أن المصادر القديمة بسبب وقوعها على طريق فرعي قد سكتت عنها، كما لعبت العوامل الطبيعية دورها فيما بعد و أتمت إسدال ما بقي من ستار النسيان على هذه المحطة.

و عموما، فإن الآثار الريفية بإقليم الدراسة تتميز بتشابه عناصرها الأثرية و بنفس تقنيات البناء تقريبا، مما يعني أن انتشارها كان متزامنا و أنه يعود أكثر إلى الحقبة الرومانية، و ربما أن جذوره تعود إلى البدايات الأولى للاحتلال الروماني أو بعده بقليل عقب انتشار مرتزقة سيتيوس في تلك المناطق، فالأثار الليبية فيها منعدمة تماما و لا توجد إلا في مواقع محدودة، لكن لمسة العنصر المحلي في هذه الأثار تبدو جلية، وذلك من خلال خشونة الصناعة في بعض المواقع، خاصة فيما يتعلق ببعض الأبنية التي تفتقد إلى حذاقة الهندسة الرومانية.

و فيما يتعلق بالتراث الأثري المنقول، فقد لاحظنا أنه قد تعرض إلى استنزاف كبير خلال بدايات الاحتلال الفرنسي، و ذلك من خلال تهريب العديد من القطع الثمينة إلى متاحف فرنسا، أو تلك التي كانت قد أنشئت في كل من العاصمة و قسنطينة فيما بعد، كما استولى بعض الخواص على كثير من التحف التي وجدوها بملكياتهم، و لم يتسن تخصيص فضاءات ملائمة للحفاظ على ذلك التراث إلا بعد القرارات التي اتخذتها سلطات الاحتلال بمنع تهريب الأثار إلى الخارج، فكان نتيجة لذلك أن ظهرت بعض الشخصيات الغيورة التي سهرت على حماية تراث مدينة روسيكاد من الاستنزاف بتخصيص فضاء المسرح الروماني متحفا لإيواء مختلف القطع الأثرية من تماثيل و عناصر معمارية و جنائزية و نقيشات و جرار فخارية و أدوات و غيرها، ثم ليخصص لها لاحقا متحفا علميا كان يعتبر من أهم المتاحف في الجزائر.

و يتميز متحف فليب فيل الأثري باحتوائه على ألاف من القطع الأثرية المتنوعة العائدة إلى أغلب الفترات التي عرفتها المنطقة، من أدوات حجرية و فخار و زجاج فنيقيين و بعض المنحوتات القرطاجية و انصاب نوميدية، أما تلك العائدة إلى الفترة الرومانية فهي من الكثرة و التنوع بحيث تعكس لنا مدى ما كانت تتمتع به روسيكاد و ضواحيها من رقي و ازدهار كبيرين، هذا، و قد جلب للمتحف في تلك الفترة العديد من اللقى الأثرية من مختلف مناطق الولاية، إلا أن تهديم المتحف سنة 1953 على إثر حريق نشب بالبناية أدى مرة أخرى إلى ضياع و تلف الكثير من القطع و التي لم يجمع إلا جزء بسيط منها في فترة الاستقلال حيث لا تزال مودعة بالمتحف البلدي روسيكاد في وضعية مزرية، مع إعادة توزيع تلك التي تم إعادتها إلى المسرح الروماني بالحديقة الأثرية.

هذا وقد قامت السلطات المحلية لمختلف البلديات بمحاولة جمع ما يتم العثور عليه بين الفينة والأخرى من الأثار بالحدائق العامة وبباحة مقار البلديات إلا أن نقص الخبرة وانعدام الكفاءات المؤهلة في هذا المجال أدى إلى تشويه بعضها على غرار ما رأيناه في كل من بلدايات القل، بني وألبان، اولاد احبابة وزردازة، في وقت كانت مديرية الثقافة للولاية قد استرجعت مئات القطع التي نقلت إلى مخازن متحف سيرتا العمومي.

ومن خلال هذا التراث نلاحظ أنه أكثر النقاط التي تسنى جمع من خلالها القطع الأثرية هي روسيكاد وهو ما يعكس مدى الحجم الذي كانت تتمتع به هذه المدينة، وأن رصيد شولو كان مخيبا وضعيفا على عكس المتوقع، بينما برزت مدينة كلتيان كثاني أهم م النقاط امدادا باللقى الاثرية ما يجعل هذه المدينة ثاني أهم المدن في اقليم الدراسة. بعد روسيكاد من حيث المادة الاثرية.

وأخيرا، فقد بينت هذه الدراسة مدى ما تزخر به ولاية سكيكدة من رصيد ايبيغرافي، حيث بلغ عدد ما تم جمعه من النصوص من مختلف مناطق الولاية أكثر من ألفين نص، وهو عدد لا بأس به في ظل ما تتوفر عليه هذه النصوص من منظومة انوماستية ومعطيات سياسية واجتماعية، غير أن غياب دراسات سابقة

جعلنا نخوض محاولة متواضعة لتفكيك هذه المنظومة وقراءة تلك المعطيات بغية الوصول منها إلى نتائج علمية تساعد في تعميق معرفتنا بتاريخ المنطقة.

و أولى تلك القراءات هي تلك المتعلقة بهيمنة الأسماء الايطالية على أغلب النقيشات بروسيكاد و ضواحيها، و كذلك انتماء أغلب الايطاليين إلى قبيلة قورينا، حيث لا تشكل المنطقة في ذلك استثناءا على ما هو سائد بمختلف اقليم نوميديا، كما بينت أيضا تنوع الجاليات التي استوطنت المنطقة قديما و أنها من أعراق مختلفة مع التفاوت في ذلك من عرق إلى آخر، اذ أن الجاليات الوافدة من الشرق أقل من تلك التي وفدت من مختلف مناطق غربي المتوسط، و خاصة الجالية الاسبانية و الغالية، أما العنصر المحلي فقد شكل طبقة لابأس بها و ان هذا العنصر كان قد تماهى في الثقافة الرومانية إلى درجة أصبح التعرف عليه يمثل اشكالية صعبة تحتاج إلى المزيد من البحث و التدقيق، كما أن بعض النقيشات قد بينت مدى تجدر الثقافة البونية في العنصر المحلي الذي استمر في تقمص تلك الهوية رغم قوة التأثير الحضاري للثقافة اللاتينية، و بالاضافة إلى كل هذا فإنه يمكن فهم من خلال بعض النقيشات أن هناك مشاركة فعالة للعنصر المحلي في إدارة الشأن العام للمنطقة خاصة بعد التساهل الذي أبداه الرومان تجاه القوانين المتعلقة بمنح المواطنة للأفارقة.

هذه عموما النتائج العامة لهذه الدرسة و التي يمكن إجمالها في القول أن الانتشار السكاني بإقليم الولاية متجذر في أعماق التاريخ، و أن المنطقة لم تشذ عن التقاليد التاريخية لشمال افريقيا، و أنها عرفت نفس المراحل الكبرى منذ التواجد الباكر للانسان بهذه الارض، و أن الجهات الغربية للولاية عرفت أولى مراكز التواجد البشري ثم سرعان ما بدأ يتمدد في ظل الاحتكاك عبر السواحل مع الثقافات الجديدة التي بدأت تفد إلى المنطقة، الأمر الذي أدى إلى بلورة شكل جديد من الانتشار البشري دخلت معه المنطقة إلى حيز التاريخ، و قد برز العنصر المحلي خلال المراحل التي تميزت بالصراع في حوض المتوسط من خلال فرض نفسه كوجود حضاري له نفس الوعي السياسي الذي يؤهله للسيادة على أراضيه، إلا أن ميزان القوة الذي أعطى للرومان فرصة الهيمنة على المنطقة دفعته إلى حتمية التماهي و تقبل المخططات الاستراتيجة الرومانية ما جعل اقليم الولاية قديما يصير واحدا من بين أهم الأقاليم النوميدية زخما بأحداث التاريخ و التوهج الحضاري، هذا التوهج الذي نجد آثاره اليوم متوزعة على كامل أجزاء الولاية، و رغم محاولتنا في هذه الرحلة العلمية جمع ما يمكن من المادة الأثرية و التاريخية لفهم التحولات الحضارية و الأحداث التاريخية التي جرت بالإقليم قديما إلا أن ذلك قد لا يمثل في الواقع سوى لبنة أولى قد تساهم و تساعدعلى انجاز دراسات مستقبلية لكشف المزيد من أسرار التاريخ القديم في هذه الولاية التي يعد البحث العلمي فيها بعد في مراحله الأولى.

ملاحق

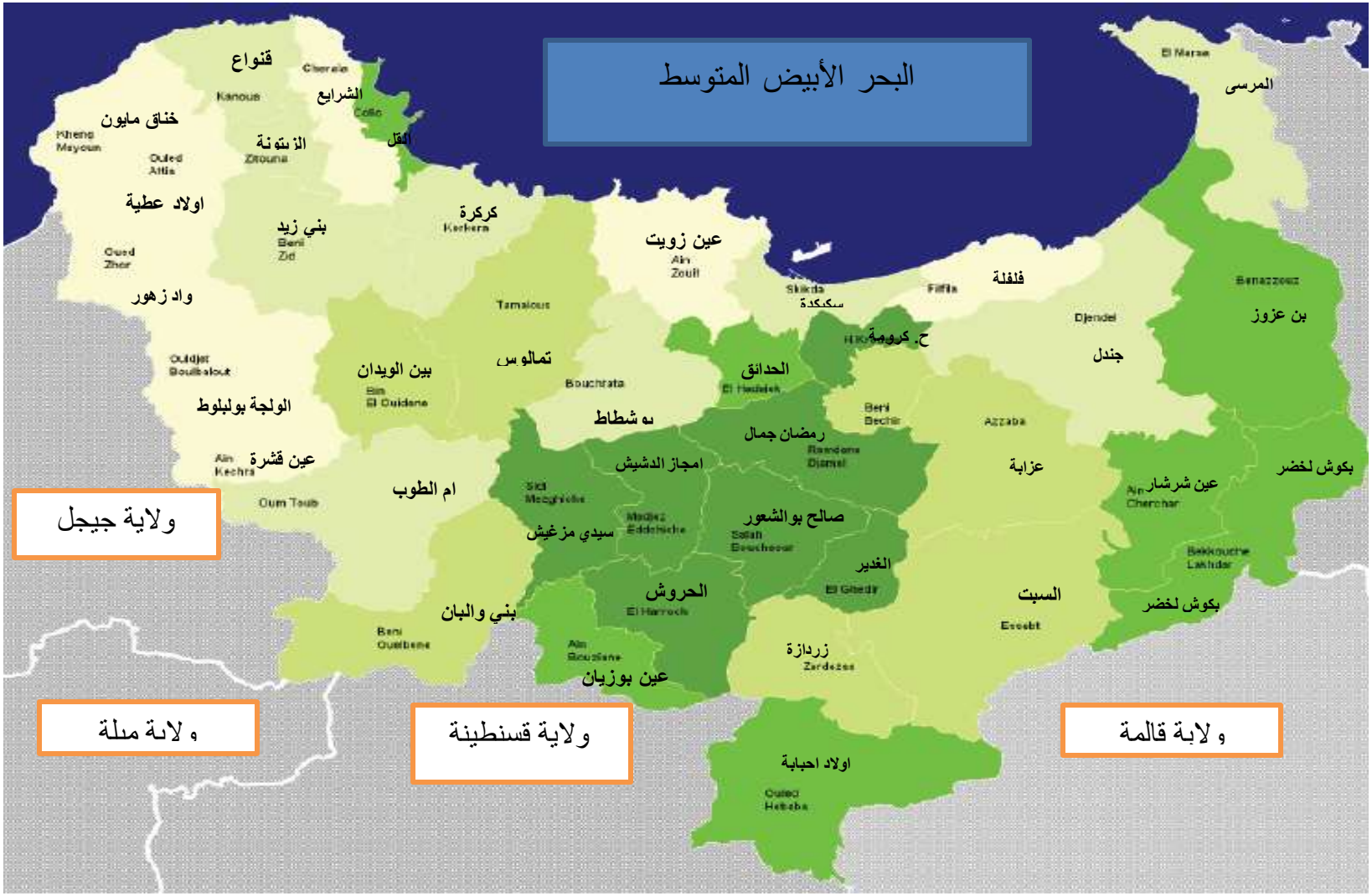

الشكل 1: التوزيع الاقليمي لبلديات ولايات سكيكد

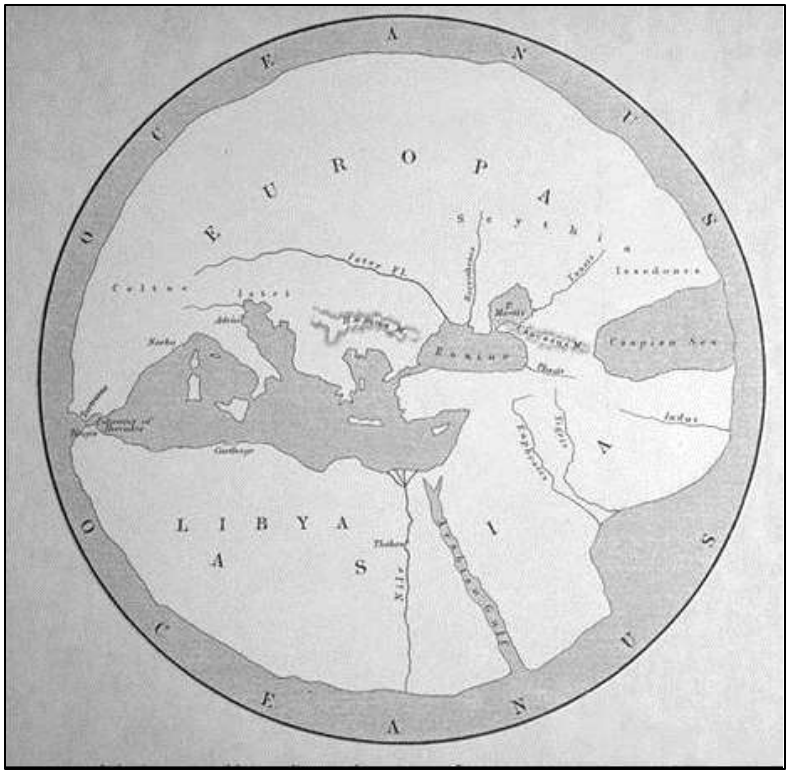

شكل (2) خارطة العالم بما فيها قارة ليبيا وفقاً لهيكاتيوس حوالي القرن السادس قبل الميلاد

عن موقع http://www.henry-davis.com/MAPS/AncientWebPages/108.htm M M:

شكل (3) العالم وفقاً لما يتصوره هيرودوتس حوالي 450 قبل الميلاد

عن موقع http://www.henry-davis.com/MAPS/AncientWebPages/109A.html

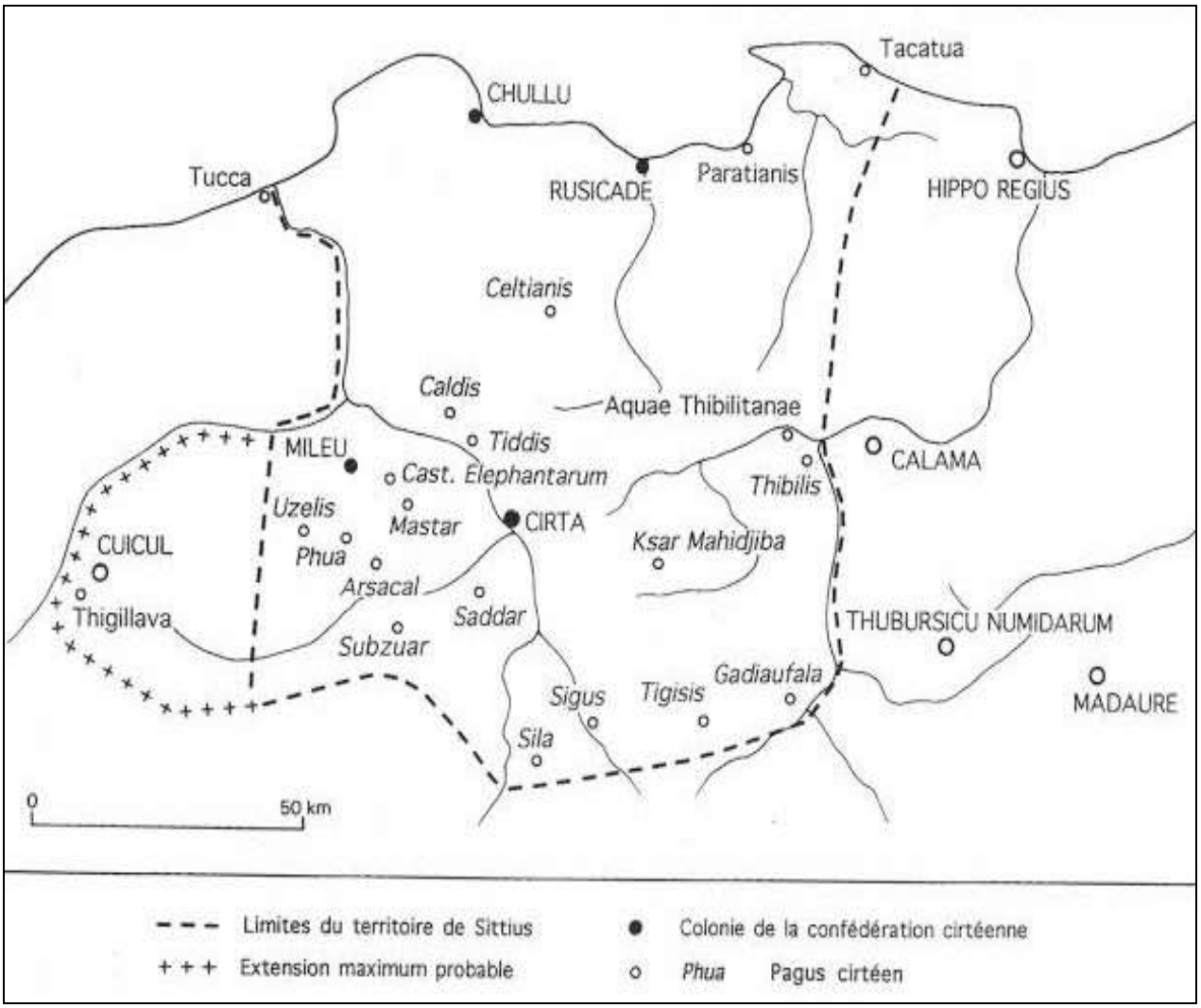

الشكل4: خارطة اتحاد المستعمرات الأربع بحسب قاسكو، عن بول البير فيفريي

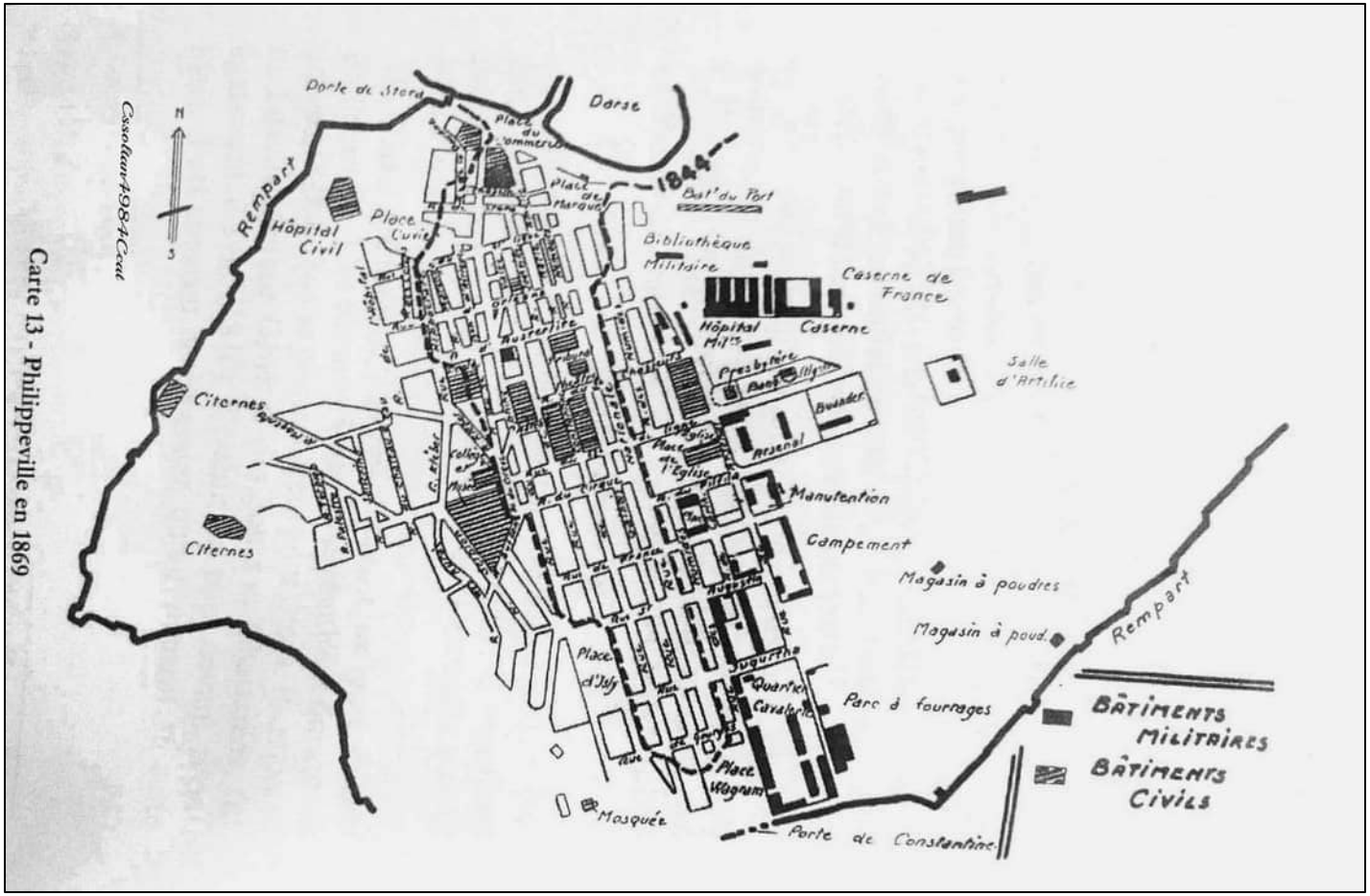

الشكل5: مخطط مدينة فليب فيل سنة 1869.

الصورة 1: نقيشة جنائزية تزين الكشك الملحق بقصر بن قانة على الطريق العلوي إلى سطورة.

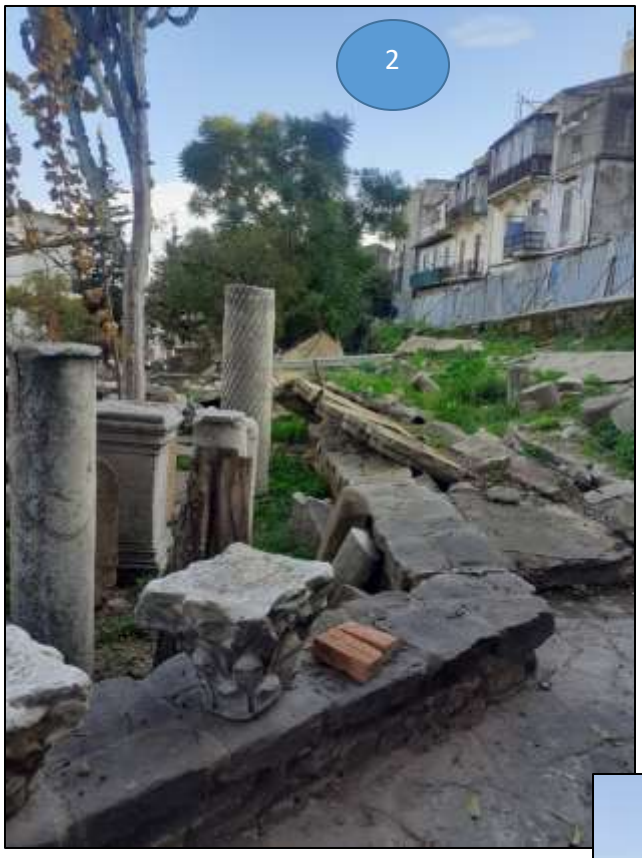

الصورتان 2 و 3: الوضعية الحالية للحديقة الأثرية بعد انهيار الحائط الداعم على القطع الأثرية.

الصورتان 4 و 5: مجموعة من الأدوات الفلاحية التي جلبت خلال فترة الاحتلال الفرنسي من مختلف مناطق الولاية إلى متحف فيب فيل والموجودة حاليا بالحديقة الأثرية.

الصورتان 6 و7: بعض العناصر المعمارية لمدينة روسيكاد بالحديقة الأثرية.

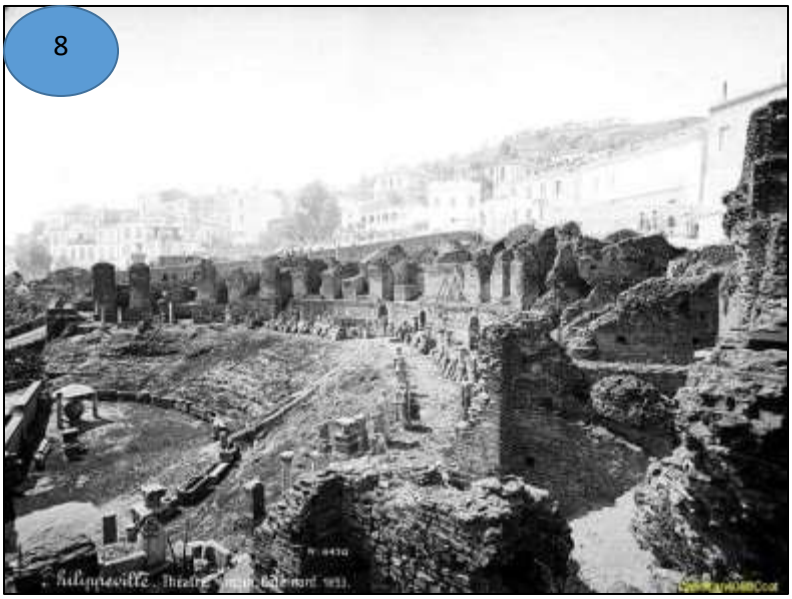

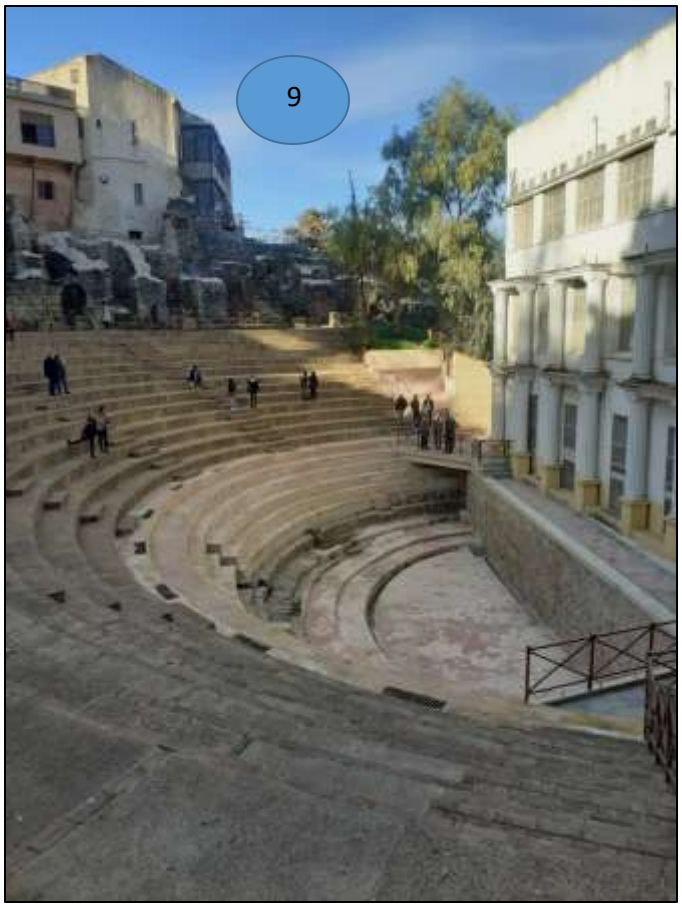

الصورتان 8 و 9: المسرح الروماني بين سنتي سنة 1893 وسنة 2020.

الصورة10: كنيسة لويس فليب التي بنيت على انقاض الكنيسة دينيا و التي بدورها بنيت على انقاض البازيليكا الرومانية

الصورة 11: بعض مظاهر اعادة الاستعمال للحجارة الرومانية خلال الفترة العثمانية بمدينة القل (حي الجردة العتيق).

الصورة 12: اعادة الاستعمال للحجارة الرومانية في العمارة العثمانية بمدينة القل (حي بر الطويل)

الصورة 13: اعادة استعمال للحجارة الرومانية في البنايات الحديثة.

الصورة 14: مظاهر لإعادة الاستعمال للعناصر المعمارية الرومانية (حي الجردة)

الصورة 15:نوع من الحجارة الخضراء التي استخدمت في البنايات القديمة

الصورة 16: **المقلع الرئيسي للحجارة بشولو**

الصورة 17مقلع ثانوي للحجارة بحي الجردة (شولو)

الصورة 18:منظر عام لموقع لقصر

الصورة 19:جدار داعم بموقع لقصر.

الصور 20، 21، 22: تمثل إحدى البنايات تحت الارض على بعد 10م من البناية الرئيسية لموقع لقصر- حيث تعرضت للحفر العشوائي والاعتداء.

الصور 23،24،25،26: حي الخربة بوسط مدينة بني وألبان والمتوضع على أنقاض مدينة كلتيان.

الصورة 27 و28: بعض الحجارة والنقيشات التي أعيد استعمالها في المباني الجديدة بحي الخربة.

28

الصورة 29 و30: مذابح جنائزية مهملة وسط حي الخربة

الصورتان 31،32: منظر لكتلة من المباني بموقع وادي بيبي، وجدار بتقنية النظام الافريقي

الصورتان 33، 34: بعض مظاهر التلف على جدران موقع وادي بيبي.

الصورتان 35، 36: كتل منهارة بالبحر بالجهة الغربية لموقه واد بيبي مع وجود ـثار لأفران بالأجزاء العالقة.

الصورتان 37، 38: تقنية البناء وفق تقنية الملء بأحد جدران موق لبليدة بوادي طنجي

الصور 39، 40، 41: مجموعة من العناصر المعمارية بموقع واد بيبي بالإضافة لشقفة من مصباح زيتي عليه نحت أدمى.

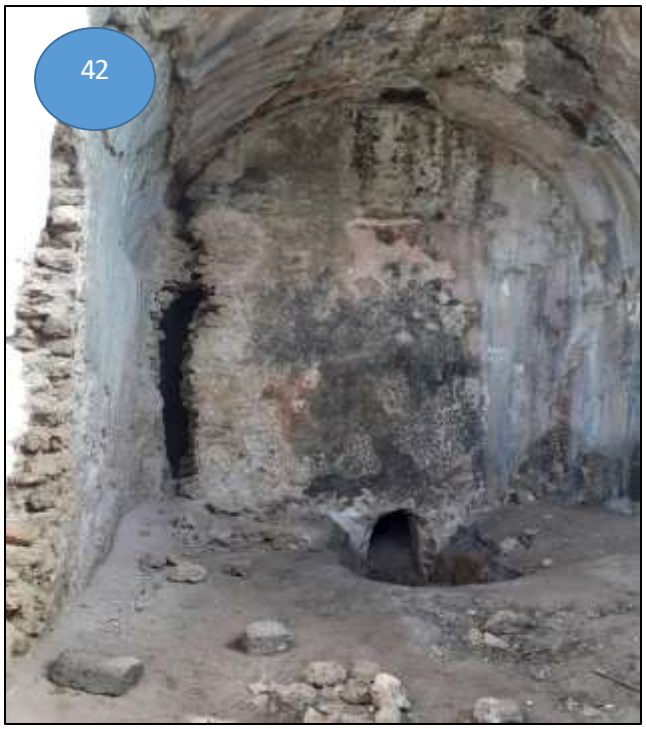

الصورتان 42،43 بعض مظاهر التخريب بموقع وادي بيبي (الخزان الكبير).

الصورتان 44،45: قطعتين أثريتين بحديقة جامعة 20 اوت سكيكدة

الصورة 46: إعادة استعمال لحجارة حواف الطريق سيرتا – روسيكاد بحديقة الجامعة

الصور 47، 48، 49: للفضاءات الداخلية للخزان وسط المدينة و الذي بني فوقه المسرح الجهوي

مظاهر لإعادة الاستعمال للعناصر المعمارية الرومانية (حي الجردة)

الصور 50، 51، 52: بقايا الطريق الروماني بين مدينة الحروش ومدينة عزابة (طريق بالما – ندبوس)

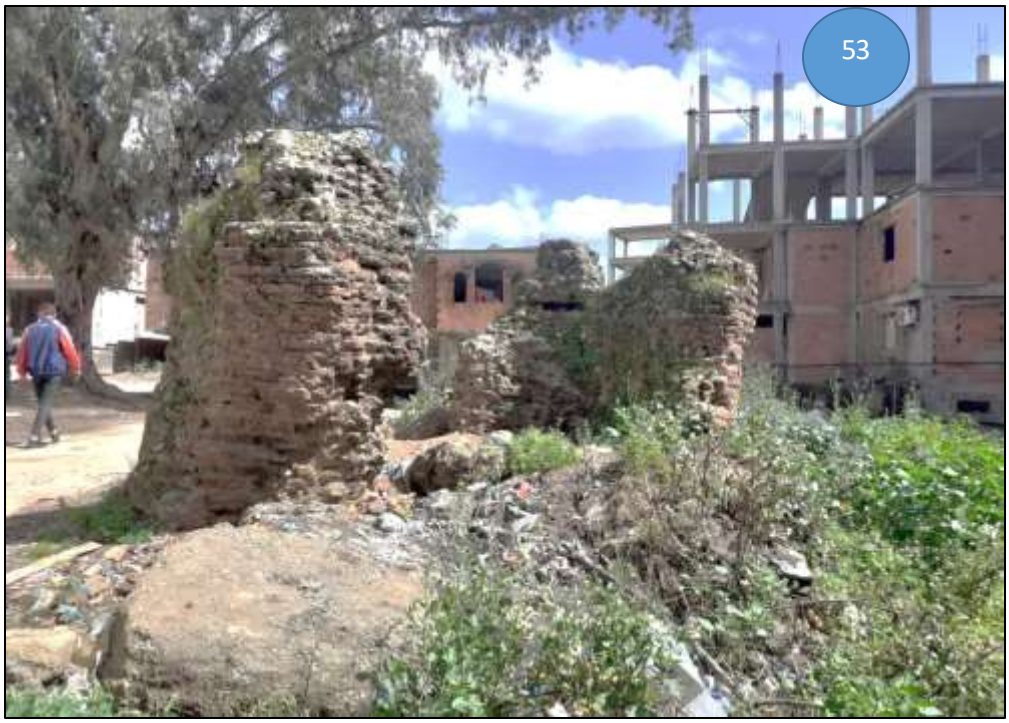

الصورتان 53،54: أثار بناية رومانية وسط حي الدمنية بتمالوس.

الصورتان 55، 56: أثار قبور نوميدوبونيقية عبر طريق سكيكدة تمالوس

مقلع الحجارة بموقع بوسكة

الصور 57، 58، 59: بقايا جرار فخارية بموقع بوسكة

الصورتان 60، 61:عمود ألفي بمدخل بلدية الحدائق.

الصور 62، 63 ، 64: مجموعة من النقيشات الموجودة بحي لاصاص بسيدي قمبر (ام الطوب).

الصور 65، 66، 67، 68: أثار رومانية بموقع عين ام الصديد (أم الطوب).

الصور 69، 70، 71، 72، 73: اثار رومانية بموقع فحيصة (أم الطوب)

الصور 74، 75، 76، 77، 78: مجموعة من النقيشات التي عثر عليها في أنحاء متفرقة من بلدية ام الطوب.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية:

- أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، تحقيق د. جمال طلبة، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 2003.
- أبو عبيد الله بن محمد المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002.
- الحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر الجزء الثاني الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي.
- سالوست، حرب يوغرطة، ترجمة فيصل الاحمر/ فاطمة بريهوم، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة 2010
- علي بن محمد التمكرتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط 2002.
- كاتب مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985
- كلوديوس بطليموس، وصف ليبيا ومصر، ترجمة: محمد مبروك الذويب، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، 2002.

المراجع باللغة العربية:

- أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، ترجمة وتعليق وشرح: الدكتور مصطفى الأعشي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2009
- أحمد بلقاضي، القل: عروس جبال الرحمان، دار الهدى، عين مليلة 2012
- شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي/ البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية 2011
- شفيق محمد، ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغ، دار مكتبة الفكر، طرابلس 1988.
- عبد العليم مصطفى، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966
- عبد المالك سلاطنية، بصمات فجر التاريخ وجذور الهوية الوطنية – المدافن الحجرية بالشرق الجزائري، دار الارشاد للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى 2013، الجزائر.

- عمار المحجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى العهد السويري، مركز النشر الجامعي 2001، تونس
- محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق م – 40 م) المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، الجزائر.
- محمد الصغير غانم، المقبرة الميقاليتية ببونوارة (الشرق الجزائري)، مجلة العلوم الانسانية، عدد 15 جوان (2001).
- محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1990
- محمد سحنوني، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ك. ابراهيمي ترجمة محمد البشير شنيتي، رشيد بورويبة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.
- محي الدين شبلي، دليل متحف روسيكاد، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 2006.
1- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2008.

الرسائل والمذكرات:

- زموري خديجة، القديس اغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2017-2018
- عبد القادر محمد تيش تيش، مونوغرافيا تاريخية وأثرية لمدينة روسيكاد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأثار القديمة، جامعة قالمة 2012.
- العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال افريقيا في الفترة الوندالية 429 – 534 م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قنطسنة 2009-2010.
- توفيق حموم، النخب الإدارية والاجتماعية للكنفدرالية السرتوية والمدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني (منذ سنة قبل الميلاد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، جامعة بوزريعة، 2009/2008.
- نجوى اسماعلي، تطور الساحل الجزائري وانعكاسات التهيئة (حالة ساحل سكيكدة)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تهيئة الأوساط الفيزيائية، كلية علوم الارض، جامعة منتوري، قسنطينة 2006.7/2005

المقالات العلمية:

- جهيدة مهنتل، مساهمة الكتابات اللاتينية في المحافظة على التراث الثقافي في الجزائر، مجلة آثار، العدد 11.
- عثمان منادي، حواضر الممالك الإسلامية في غرب افريقيا، مجلة المعارف للدراسات والبحوث التاريخية، العدد 12.
- صفيان بوسلن، العلاقات التجارية بين مملكة نوميديا وبلدان الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 05، العدد ،11، سبتمبر 2017.
- عمري عبد النوري، المعالم الجنائزية في منطقة الزيبان خلال العصور القديمة، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10 العدد 4، 2020.
- العيدي طويل، متحف روسيكاد الأثري: 1859، ذاكرة المدينة بين مسار التأسيس وصراع الهوية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5 العدد 11 ديسمبر 2017.
- محمد آكلي اخربان، التعمير البشري بمنطقة قالمة (أصول سكان المدينة حسب معطيات النقوش اللاتينية)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5، العدد 15. (ديسمبر 2017).
- مراد زرارقة، المدافن الميغاليتية وشبه الميغاليتية، بين الأصالة والتأثيرات الخارجية، مجلة هيرودوث، العدد 7، 2018.

الأرشيف والوثائق:

- أرشيف بلدية سكيكدة
- أرشيف بلدية القل.
- أرشيف حصن 23.
- أرشيف مديرية الثقافة لولاية سكيكدة
- أرشيف مديرية الطاقة والمناجم لولاية سكيكدة.
- أرشيف مديرية الموارد المائية لولاية سكيكدة

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

Sources.

- Ajasson De Grandsagne, Histoire naturelle de Pline, Paris, 1829.
- Caius Julion Solin, histoire, trad. par M.A. Agnant, C.L.F. Panckoucke 1847, chapitre XXVII
- Guyon (le docteur), voyage d'Alger aux Ziban, imprimerie du Gouvernement, Alger 1852.
- Jean-Louis-Marie Poiret, voyage en barbarie, ou lettres écrites de l'ancienne Numidie pendant les années 1785-1786, J.B.F Paris.
- Le Mis de fortia d'urbain, Recueil des itinéraires anciens, l'itinéraire d'antonin.la table de Peutinger. Un choix des périples gecs, imprimerie royale, paris 1845.
- Marmol y, Luis del. L'Afrique de Marmol de la traduction de Nicolas Perrot, sieur d'Ablancourt.[Pierre Richelet]. 1667
- Pline L'ancien, Histoire naturelle, livre V, Edition d'Emilie titré, Paris 1848-1850
- Pomponius Mela, Description de la terre, livre I, VII.
- Strabon, Géographie, livre XVII, 3, 13.
- Thomas Shaw, voyage dans la régence d'Alger, 2eme édition, traduction de l'anglais j. Mac McCarthy, Edition Bouslama, Tunis.

Références.

- Allard (Paul). Histoire de la persécution, tome I, paris 1900.
- Camps (G), Aux origines de la berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques de l'Afrique du nord, A.M.G. 1961

- Camps G, « Dolmens », Encyclopédie berbère, 16 | Djalut – Dougga, Aix-en-Provence, Edi sud, 1995
- Bertrand Louis. Histoire de Philippeville. Philippeville 1903
- Déchelette (J), Manuel d'archéologie préhistorique, celtique et Gallo-romain. T II.
- Fenech Emanuel Vincent, Histoire de Philippeville, Philippeville1852.
- Février Paul-Albert. Approches du Maghreb romain Edisud la calade 13090 Aix-en-Provence.
- Fournel Henry ; Richesse minérale de l'Algérie, Paris, 1850.
- Gsell Stéphane, histoire ancienne de l'Afrique du nord, tom 8, librairie Hachette, Paris.
- Gsell Stéphane, les inscriptions latines de l'Algerie, tome II, publié par H.G. Peflaum, librairie ancienne Honoré champion Paris 1947.
- Gsell Stéphane, Les monuments antiques de l'Algérie tome II, Paris 1901.
- Gsell Stéphane, les monuments antiques de l'Algérie, tome 1, ancienne librairie Thorin et fils, Paris 1901
- Gsell Stéphane, Les monuments antiques de l'Algérie. Tome I, Paris 1901.
- Gsell Stéphane, Musée de l'Algérie et de la Tunisie ; Musée de Philippeville, Ernest Leroux, Paris 1898.
- Kaddeche Mahfoud, l'Algérie dans l'antiquité, 3^{em} Edition, E.N.A.l, Alger, 1992
- Lederman Emile. Philippeville et ses environs, Edition du syndicat d'initiative, Philippeville 1935.
- Mercier Ernest, Histoire de l'Afrique septentrionale, Tome 1, Ernest Leroux Editeur, Paris 1888.
- Messikh Mohamed Sadek. L'Antique Rusicade. Edition Rais

- Mouloud Gaid, aguelids et romains en Béribérie, 3em Edition, Mimoun Alger 2009.
- Parres Josephe, Monographie sur collo (Ancienne Chullu minicipium des romains), Imp.P. Guiauchain, Alger 1933.
- Ravoisié Amable, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, Paris, 1846
- Salama Pierre, Les voies romaine de l'Afrique du nord, Alger. 1951.
- solal Edouard, Philippeville et sa région 1837- 1870, Edition la maison des livres, Alger
- Stéphane Gsell, fouille de Gouraya (sépultures puniques dans la cote Algériennes), exécutées et publiées sous les auspices de l'association historique, paris 1903.
- Toulotte Anatole. Géographie de l'Afrique chrétienne. Numidie. Paris 1894.
- Vars Charles, Cirta, ses monuments, son administration, ses magistrats, d'après les fouilles et les inscriptions, Ernest thorin Editeur, paris 1895.
- Vars Charles, Rusicade et Stora dans l'antiquité, impr A Vapeur Emile marle, constantine 1896.

Memoires et theses de doctorat.

- Elodie Guillon, les arrières pays des cités phéniciennes à l'époque hellénistique VI siècle II siècle AP JC, thèse de doctorat, université de Toulouse 2, 2004
- Montagne Geofroy, les notables minicipeaux en Numidie, (IIème siècle ap. J.-C. – IVème siècle), MASTER 2, Sous la direction de Mme Françoise Des Boscs, maître de conférences en Histoire Ancienne, Université de Pau et des Pays de l'Adour, UFR Lettres, Langues et Sciences Humaines, Département Histoire, Histoire de l'Art, Archéologie et Anthropologie

- Nicolas Carayon Nicolas, les ports Phéniciens et puniques, géomorphologie et infrastructures, volume 1, thèse de doctorat université Strasbourg II, 2008.

Articles et revues.

- Haddouche Abdelkader, Questionnement sur la protohistoire d'Algérie, revue ATHAR. N° 6- 2007.
- François Abbé, fouille d'un cimetière romain à Collo, RASC 1908 volume 42.
- Bertrand Louis, notes et documents sur Rusicade, in RSAC 1906.
- Bertrand Louis, monographie du théâtre romain de Philippeville, in RSAC 1908.
- Bertrand Louis, fouille dans la propriété Lesieur près de Philippeville, IN BCTH.1903
- Claude Briand-Pansart, les lancers de cadeaux (missilia) en Afrique du Nord romaine, in Antiquités Africaines, année 2007.
- De Lamare Adolphe, Etude sur Stora in Bull Ant de France ,3 série, tome 4. 1859.
- De Marceilly Comandant, Notices sur les vestiges de l'occupation romaine dans le cercle de Philippeville. In RSAC 1953.
- Edmande Leblant, Découverte d'une inscription chrétienne à Philippeville, IN BCTHS 1886.
- Feraud Charles, Documents pour servir à l'histoire de Philippeville, *in* RA. XIX, 1875
- Féraud Charles. ; recherche sur les monuments dits celtiques dans la province de Constantine, in R.S.A.C tome VII ,1863

- François Abbé, fouille d'un cimetière romain à Collo, RASC 1908 volume 42.
- Haddouche Abdelkader, Questionnement sur la protohistoire d'Algérie, revue ATHAR, N° 6- 2007.
- Hélo le capitaine, notice sur la nécropole liby-Phénicienne de Collo, in BCTH 1895, Paris 1895.
- Gascou Jaque, Pagus et castellum dans la confederation cirteene, antiquité Africaine, Annéé 1983, 19. Pp 175-207.
- Julle Chabassiére et Bertrand Louis, Rusicade d'après ses ruines, Extrait du bulletin de l'Accadémie d'hippone n° 31 BONE 1904
- Louis Bertrand. La nécropole Phénicienne de Stora. In. BCTH 1901.
- Luciani M.D, excursion archéologique dans la région de Collo, RASC, 23 volumes - 1883-1884.
- Masqueray (E), Etude sur les ruines d'El Mrabaa des Beni Ouelban, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres Année 1882.
- Pouydraguin (le capitaine de), L'Edoughe, RSAC, volume 32, 1898.
- Philippe Leveau, l'organisation de l'espace agricole en Afrique à l'époque romaine, collection de l'école française de Rome, Année 1990/134
- Réboud, Excursion de l'Oued Guebli, RASC 1882.
- Roger Josephe, *IN* RA,1865.
- Serge Lancel, Études sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin. Recherches de topographie ecclésiastique, Mélanges de l'école française de Rome Année 1984.
- Tauxier Henr, Itinéraire de Rusicade à Hippone *in* Bull de L'académie d'Hippone n°08. 186

Archives et documents.

- Plan d'aménagement de la Wilaya de Skikda, phase 1. Evaluation territoriale et diagnostique, A.N.A.T direction régionale Est, Guelma.
- Laboratoire de l'institut archéologique, Bouzeraha 2, Rapport de la mission à Skikda.
- Waily H. de, les ruines saintes. (Archive du bastion 23).

Sites web.

- www.meteo.dz

www.entreprises-coloniales.fr

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ -م
الفصل التمهيدي	
1- الإطار الطبيعي:	23 - 15
1. 1الموقع الفلكي للولاية	15
1. 2لموقع الجغرافي	15
2. المناخ	17 – .3
1. 4المظهر الجيومرفولوجي	18- .4
1. 5الشبكة المائية	20 - .5
1. 6البناء الجيولوجي	22 - 20
1. 7الغطاء النباتي	23 - 22
2- الإطار التاريخي:	24 - 23
2. 1ما قبل التاريخ	24 - 23
2.2فجر التاريخ	26 – 24
3.2الفترة القديمة	36 – 27
4.2العصر الوسيط	42 - 37
3- تاريخ الأبحاث.	55 - 43
الفصل الأول: المراكز الحضرية.	
I. روسيكاد:	
1.الموقع الجغرافي لروسيكاد	51
2.الخصائص الطبوغرافية للمدينة	51
3.التوزيع العمراني لمدينة روسيكاد	58- 51
4.المرافق العمومية:	
4 .1 الفوروم	60 - 56
4 .2 المعابد	63 - 60
4 .3المسرح الروماني	65 - 64
4 .4مدرج القتال	68 - 65
4 .5الحمامات	70 – 69

4 .6المساكن والفيلات	74 – 71
4 .7منظومة المياه	75
ا نوافير الماء	76 – 75
ب الخزانات المائية	81 - 76
ج خزاانات بويعلى	77
ه خزانات وسط المدينة	78
ي خزانات سطورة	79
4 .8المخازن	85 - 83
4 .9المقابر والأضرحة	91 – 86
5 شبكة الطرق	96 - 92
II شولو:	
1- الموقع الجغرافي لشولو	98
2- الموقع الطبوغرافي	98
3- الحصاد الأثري لمدينة القل	100 - 98
4- التوزيع الأثري للمدينة	101
ا الآثار الفينيقية أو الليبوفنيقية	102 - 101
ب المقبرة الرومانية	104 - 102
ج أثار رومانية متفرقة	105 - 104
د الميناء	108 - 107
هـ معبد نبتون	113 - 108
5- ضواحي مدينة القل	116 - 114
III كاستلوم كلتيانوم:	
1- الموقع الجغرافي	118
2- أصل التسمية	120 - 118
3- الدراسة الوصفية لموقع الخربة	124 - 121
IV باراسيانس:	
1- الموقع الجغرافي	126
2- الإطار الطبوغرافي	126
3- تاريخ الأبحاث بالمنطقة	128 - 126

4- التوزيع الأثري ل4 موقع باراسيانس.	133 -129
قراءة عامة للفصل	136 -133
الفصل الثاني: الأثار الريفية (ما قبل رومانية)	
1- بوسكة	142 - 137
2- الحارة	145 - 143
3- حجر مركب	151 - 145
4- مول الكدية	154 - 152
5- دومبو	157 - 155
6- الركوبة	160 - 158
7- مراح الزرد	164 - 161
8- وزان	167 - 165
9- سيدي زرزور	170 - 168
10- السطايح	174 -171
- القراءة التحليلية:	
1 -التوزيع الجغرافي	178 - 175
2- الدراسة التنميطية	182 – 178
الفصل الثالث: الأثار الريفية (الرومانية).	
1- لبليدة	190 - 185
2- الملاحة	199 - 191
3- لقصر	204- 200
4- المربوبة (لمرابع)	208 - 205
5- بوغلبون	211 - 209
6- لمسد	214 - 212
7- فرفور	218 – 215
8- عين غراب	222 - 119
9- بومرجة	225 – 232
10- عين سلامات	229 - 226
11- قلعة القلة	234 - 230
12- خماخم	238 - 235

13- الخربة	242 – 239
14- العاذر	144 – 143
15- الباصو	249 – 245
16- الحامة	252 – 250
17- فلفلة	255 – 253
قراءة تحليلية للمواقع	258 - 256
الفصل الرابع (المجموعات المتحفية والأبيغرافيا).	
I المجموعات المتحفية	
1- متحف فيليب فيل	266 -261
2- المتحف البلدي روسيكاد	275 -167
3- الحديقة الاثرية	185 - 176
4- المجموعة المتحفية لمدينة القل	195 -184
5- القطع الأثرية المسترجعة	185
6- المجموعة المتحفية لبني والبان	299 - 296
قراءة عامة للمجموعات المتحفية	302 -300
II الايبغرافيا	
1- الايبغرافيا في الجزائر	304 -303
2- الألبوم الايبيغرافي روسيكد	316 -304
3- الالبوم الايبيغرافي لمدينة شولو	317
4- الالبوم الايبيغرافي لكلتيان	320 - 318
5- الأسماء والكنى	324 - 320
6- الانتماء القبلي	324
7- النخب الإدارية والوظائف	329 -326
قراءة تحليلية للايبغرافيا	333 - 330
خاتمة	343 - 336
قائمة الملاحق	383 - 345
قائمة المصادر والمراجع	393 - 386